المنة بشرح منظومة رياض الجنة في عقيدة أهل السنة

نظم وشرح

فضيلة الشيخ

أحمد بن علي حمود حبيبي

مدرس العقيدة في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدار الوطن للنشر

المِنَّة

بشرح منظومة رياض الجنة

في عقيدة أهل السنة

ح مدار الوطن للنشر ، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهـد الوطنية أثناء النشر
حبيبي ، احمد علي
المنة بشرح منظومة رياض الجنة في عقيدة أهل السنة .
/أحمد علي حبيبي - الرياض، ١٤٣٨هـ
٦٧٢ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٥ - ٨٧ - ٨١٧١ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي : ٢٤٠ ١٤٣٨/٣٣٩٧

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٣٩٧
ردمك: ٥-٨٧-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

مدار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
فرع مخرج ١٥ ت: ١١٤٤٥٤١٢٤ جوال: ٠٥٠٣٢٨٢٣١٨
K.S.A / Riyadh11312 P.O.Box: 245760
Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096
Exit15 -Tel.114454124 Mob. 0503282318

مندوبي التوزيع
الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ الغربيه: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقيه الشمالية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
التوزيع الخيري الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
مسؤل الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع الإلكتروني www.madaralwatan.com.sa
البريد الإلكتروني pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com

المنة

بشرح منظومة رياض الجنة

في عقيدة أهل السنة

نظم وشرح

فضيلة الشيخ

أحمد بن على حمود حبيبي

مدرس العقيدة بالمعاهد العلمية

التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

مدار الوطن للنشر

تعليق سماحة الشيخ العلامة/عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على منظومة رياض الجنة في عقيدة أهل السنة(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ أحمد بن علي بن حمود حبيبي، المدرس في معهد ضمد العلمي، وفقه الله لما فيه رضاه، وزاده من العلم والإيمان آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أما بعد:

فقد وصلني كتابكم الكريم رقم بدون وتاريخ بدون، ومشفوعة المنظومة المسماة: «نظم رياض الجنة في عقيدة أهل السنة» وقد قرأت المنظومة المذكورة فألفيتها جيدة، إلا أن لي عليها ست ملاحظات، وإليكم بيانها، والله المسئول أن يبارك في جهودكم، ويمنحنا وإياكم المزيد من العلم النافع والعمل به، إنه خير مسئول».

وفق الله الجميع لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁❁❁

(١) وقد قام المؤلف بتعديل هذه المواضع التي أشار إليها سماحة الشيخ رحمه الله، وهي موجودة على موقع الشيخ الرسمي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- خطبة الكتاب

الحمدُ لله حمد مَن عرف رُبوبيته فآمن وأذعن، وأشكره شكر من عرف ألوهيته فأخلص في عبادته وأحسن، وأشهد أن لا إله إلا الله، اجتمع خلقه في رُبوبيته، وتفرقوا في ألوهيته؛ فسعد من شاء برحمته وفضله، وشقي من شاء بقدرته وعدله. وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله، الرحمة المُهداة، والنِّعْمة المُسْداة عدد ما ذكره الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا مشعل الهداية ولوائي الدراية والرواية، وبَيَّنوا للناس عقيدتهم وأحكام شريعتهم أجملَ بيانٍ حتى سلموها لنا كما تركها بيضاءَ نَقِيَّةً سَمْحاءَ جَلِيَّةً، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعدُ، فمعاشر القراء، لا أكتمكم سِرِّي وهَوَى حُبي لهذه المادة منذ الطلب، وفي المراحل الأولى حتى أصبحتُ لها مُدَرِّسًا، ولدرجة الوَلَه؛ إذ إِنَّني نَظَمْتُها مَرَّتَيْنِ: الأولى وأنا بالمرحلة المتوسطة، وقد ضاعت مني. والثانية هي هذه التي استعنت بالله على شرحها. وأصْلُها نَظْم متن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تَيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أضفت إليها بعض الزيادات من كُتب أئمة الدعوة قَدِيمًا وحديثًا في العقيدة كما رقمت أبياتها، وقد طُبِعت في أثناء عملي بالتدريس بالمعهد العلمي في ضمد على نفقة أحد محبي الخير، وهو الشيخ: علي بن محمد حبيبي، وهي التي بين أيدينا الآن، وقد سميتها (رِياضَ الجَنَّةِ في عقيدة أهل السُّنة).

وكنت قد انشغلت ولا أزال - وهو السمة البارزة لحال الأجيال المعاصرة - بإصلاح حال العيال وبغيره من الأحوال الأخرى؛ مِمَّا جعلني أبتعد عن زيارة روضها رغم عطشي لبرد حوضها، وهَجَرْتُها رغم وَلَعي بأريجِها ونفح رياضها، وأجَّلتُ ذلك

العطش والوَلَهَ لزمن حلمي المنتظر. وهو ما بعد التقاعد، وكنت أحسب - جهلًا - أنني مثخن بالأعمال وبتراكم أمواج الأشغال؛ فإذا بالأحوال بين يدي تتضاعف، والأعمال على تثبيطي تتكاتف، وإذا بي أرى ماضي الأيام إحسانًا وإنعامًا، ولياليها تَفَضُّلًا وإكرامًا؛ إذ كان أرحم بي من أم الوحيد، وأجمل عندي من ليلة عيد؛ فإن حالي بعد التقاعد مع الأشغال والأعمال فوق ضرب الأمثال على معنى قول القائل:

لَقَدْ كُنْتُ أَشْكُوكَ الحَوَادِثَ بُرْهَةً ... إِلَى أَنْ تَغَشَّتْنِي - وقيت - حَوَادِثُ
وَأَسْتَمْرِضُ الأَيَّامَ وَهْيَ صَحَائِحُ ... تُحَقِّقُ أَنَّ السَّالِفَاتِ مَنَائِحُ

(بل سِرت في حال مهول طويل الذيول، كنت فيه كالهارب من المطر إلى السيول)[١]، ومع ذلك فقد حضر الهَمُّ، وصح العَزْم على الوفاء بالوعد لتحقيق قديم الوجد، وكريم القصد (وهو شرح هذه المنظومة) شَرْحًا مُتَوَسِّطًا، وقد عَوَّلْتُ في شرحي هذا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح ثم على كُتُب ابن تَيْمِيَّة، وتلميذه ابن القَيِّم، وشُرَّاح كِتاب التوحيد، ومعارج القَبول للحافظ الحكمي، وشُرَّاح العقيدة الواسطية من مشائخنا الفضلاء وغيرهم. ومِمَّا عَلِق في ذهني من أيام الطلب، وقد اعتمدت في التخريجات للأحاديث على هذه الكتب، وعلى فتح الباري، وصحيح الجامع الصغير وزياداته، وغيرها من المراجع الموثوق بها، مشيرا إلى الجزء والصفحة ورقم الحديث، وقد أكتفي بذكر المتفق عليه، أو أحدهما مع رقم الحديث، وقد أتوسع أحيانًا، ولم أثبت من الأحاديث إلا ما كان صحيحًا أو حسنًا، أو ما يصح به الاستدلال وفق قواعد علم المصطلح، كما عزوت الآيات إلى مواضعها من اسم السورة ورقم الآية والصفحة، ثم وضعت فهارسًا للآيات

---

(١) هذا من كلام أبي السعود في مقدمة تفسيره (جزء: ١).

والأحاديث، والفِرَق مرتبة على الحروف الهجائية وكذا المصادر أذكر معلوماتها كاملة في أول وهلة وإذا تكررت ذكرتها مختصرًا. والموضوعات بصفحاتها.

مُتَضَرِّعًا إلى الله ذي المِنَن والأفضال أن يَعْصِمَني من الزيغ والإضلال، ويَقِيَني من مزالق الخطأ والزلل، ومصارع السوء في القول والعمل، وأن يُثَبِّتَ أقدامنا على مناهج الهدى، ويجنبنا مسالك الردى، وأن لا يكلنا إلى أحد غيره طَرْفة عَيْنٍ، ولا أَقَلَّ من ذلك، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير حيثُ كان، وأن يُلهِمنا التوفيق والسداد في كلِّ آنٍ، وأن يُعَلِّمنا ما ينفعُنا، وأن ينفعَنا بما عَلَّمنا، وأن يَرْزُقَنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يَخْتِم بالصالحات أعمالَنا، فهو الملاذُ في كلِّ أمرٍ مُهِمٍّ، وهو المَعاذُ في كلِّ خَطْبٍ مُلِمٍّ، كما نسألُه ونَتوسَّلُ إليه بجميع أسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العليا أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريمِ، وأن يَنْفعَني به ووالديَّ وذَوِي رَحِمي وجميعَ المسلمين والمسلمات، وكلَّ مَن ساعد في إنجازِه بأيِّ جَهْدٍ كانَ، وأن يَجْعلَه ذُخْرًا لذلك اليوم العظيم؛ إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه، وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

المؤلف

الشيخ: أحمد بن علي حمود حبيبي

جازان – محافظة ضمد. ص. ب: ٧.

ج: ٠٥٠٧٧٧٣٩٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢-أبيات المنظومة

١- الحَمْدُ لله الَّذي قَدْ أرْسَلا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَيْرَ المَلا
٢- أرْسَلَهُ إلَى عُمُومِ النَّاسِ بِالدِّينِ وَالهُدَى بِلا التِبَاسِ
٣- ثُمَّ صَلاةُ الله وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيٍّ دِينُهُ الإسْلامُ
٤- وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَمَنْ لَهُمْ تَبِعْ مَحَبَّةً لله فِيمَا قَدْ شُرِعْ
٥- وَبَعْدُ إنَّ هَذِهِ مَنْظُومَهْ أبْيَاتُهَا قَلِيلَةٌ مَعْلُومَهْ
٦- إجَابَةً لِدعوة الطُّلَّابِ وَرَغْبَةً فِي الخَيْرِ وَالثَّوَابِ
٧- سَمَّيتُهَا اسْمًا (بِرِيَاضِ الجَنَّهْ) حَاوِيَةً عَقِيدَةَ أهْلِ السُّنَّهْ
٨- قَدْ جمعتْ مَسَائِلَ التَّوْحِيدِ وَالوَاجِبَ الحَقَّ عَلَى العَبِيدِ
٩- وَإنْ يَكُنْ فِي عُمْرِنَا بَقِيَّهْ وَمَدَدٌ مِنْ خَالِقِ البَرِيَّهْ
١٠- فَشَرْحُهَا مُؤكَّدٌ عَلَيْنَا وَاللهَ نَرْجُوهُ بِأنْ يُعِينَا

٣- عقيدة أهل السنة

١١- وَمَبْدَأُ العَقِيدَةِ الإيمَانُ كَمَا أتَى بِذَلِكَ القُرْآنُ
١٢- أوَّلُهَا الإيمَانُ بِالله وَمَا يَلِيهِ مِنْ مَلائِكٍ قَدْ عُلِمَا
١٣- وَبَعْدَهُ الكِتَابُ ثُمَّ الرُّسُلُ وَالبَعْثُ وَالتَّقْدِيرُ يَاذَا تُكْمَلُ
١٤- الله قَدْ جَعَلَهَا أرْكَانَا مَنْ يَحْوِهَا فَقَدْ حَوَى الإيمَانَا
١٥- وَمَنْ لَهَا أوْ بَعْضِهَا قَدْ جَحَدَا فَحُكْمُهُ الكُفْرُ كَمَا قَدْ وَرَدَا
١٦- فَقَدْ أتَى بِذَلِكَ التَّنْزِيلُ كَمَا أتَى نَصًّا بِهِ جِبْرِيلُ
١٧- ثُمَّ النَّبِيُّ لِلأُصُولِ فَصَّلا وَمَنْ أتَى بِغَيْرِهِ لَنْ يُقْبَلا

١٨- وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا نُسَلِّمُ ... لِلْوَحْيِ طُرًّا وَلَهُ نُقَدِّمُ
١٩- وَمَنْ يَرَى دِينًا سِوَى الإِسْلامِ ... فَكُفْرُهُ حق بِلاَ إِيهَامِ
٢٠- وَالذَّوْقَ وَالكَشْفَ مَعَ القِيَاسِ ... أَوْ قَوْلَ شَيْخٍ أَوْ إِمَامِ النَّاسِ
٢١- نَرُدُّهُ إِنْ عَارَضَ الكِتَابَا ... أَوْ سُنَّةً أَوْ مَنَعَ الصَّوَابَا
٢٢- وَلاَ يُعَارِضُ صَرِيحُ العَقْلِ ... نَصًّا صَحِيحًا ثَابِتًا فِي النَّقْلِ
٢٣- وَإِنْ يَكُنْ نَصٌّ أَتَى قَطْعِيًّا ... فَلاَ يُعَارِضْ مِثْلَهُ شَرْعِيًّا
٢٤- وَعِصْمَةُ الأُمَّةِ مَقْطُوعٌ بِهَا ... ـ مَجْمُوعَةً ـ وَبِدْعَةٌ لا نَأْتِهَا
٢٥- وَلاَ جِدَالَ عِنْدَنَا فِي الدِّينِ ... وَإِنَّمَا بِحِكْمَةٍ وَلِينِ
٢٦- وَلاَ نَقُولُ دُونَ عِلْمٍ إِنَّمَا ... نُوَكِّلُ العِلْمَ إِلَى مَنْ عَلِمَا

٤- طريقة أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات

٢٧- طَرِيقَةُ النُّصُوصِ فِي الصِّفَاتِ ... الجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ
٢٨- نُجْمِلُ فِي النَّفْيِ وَفِي التَّفْصِيلِ ... لِمُثْبَتٍ قَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ
٢٩- فَمَا لإِثْبَاتٍ وَنَفْيٍ قَدْ وَرَدْ ... نُثْبِتُهُ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ جَحَدْ
٣٠- وَنَصِفُ اللهَ بِمَا قَدْ وَصَفَا ... لِنَفْسِهِ وَحَسْبُنَا ذَا وَكَفَى
٣١- وَمَا لَهُ قَدْ أَثْبَتَ الرَّسُولُ ... نُثْبِتُهُ نَصًّا وَلاَ نَمِيلُ
٣٢- وَمَا نَفَاهُ اللهُ أَوْ رَسُولُهْ ... نَنْفِيهِ عَنْهُ لَيْسَ شَيْئًا مِثْلُهْ
٣٣- مِنْ دُونِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلِ ... وَدُونَ تحريفٍ وَلاَ تَعْطِيلِ
٣٤- وَحَيْثُمَا قَدْ عُدِمَ الدَّلِيلُ ... فَأَصْلُنَا التَّوْقِيفُ وَالتَّفْصِيلُ
٣٥- فَإِنْ يَكُنْ فِيمَا نَقُولُ مَدْحَا ... فَحَقُّهُ الإِثْبَاتُ قَوْلاً صَحَّا
٣٦- وَإِنْ يَكُنْ نَقْصًا فَجَلَّ وَعَلا ... عَنْ كُلِّ عَيْبٍ أَوْ مَثِيلٍ فِي المَلا
٣٧- وَالنَّفْيُ لا يَكُونُ مَدْحًا فَاعْلَمِ ... إِلَّا إِذَا احْتَوَى كَمَالًا فَافْهَمِ

٥- الإيمان بالله ويدخل فيه أنواع التوحيد الثلاثة

(أ) توحيد الرُّبوبيَّة:

٣٨- وَواحِــدٌ فَــرْدٌ وَلَـيْـسَ مِثْلَهُ ... في الذَّاتِ أَوْ في الوَصْفِ أَنْـدَادٌ لَهُ
٣٩- وَلَيْسَ شَيْئًا يَا تُرَى يُعْجِزُهُ ... وَكُلَّ شَيْءٍ شَاءَهُ قَدَّرَهُ
٤٠- وَكُلَّ شَيْءٍ مُمْكِنٍ قَدْ يَخْلُقُ ... وَغَيْرُ مُمْكِنٍ مُحَالًا يُخْلَقُ
٤١- وَدُونَ حَاجَةٍ لِخَلْقِهِ خَلَقْ ... وَدُونَ مُؤْنَةٍ تَعَالَى قَدْ رَزَقْ
٤٢- يُحْيِي يُمِيتُ دُونَمَا عَنَاءِ ... وَبَاعِثُ الخَلْقِ بِلاَ مِرَاءِ
٤٣- لَهُ مَقَالِيدُ الأُمُورِ وَحْدَهُ ... وَلَا شَفِيعَ دُونَ إِذْنِ عِنْدَهُ
٤٤- سُبْحَانَهُ فَمَا يَشَاءُ يَفْعَلُ ... وَمَا يُرِيدُهُ يَقِينًا يَحْصُلُ
٤٥- وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ يَا ذَا فَاسْمَعِ ... كَوْنِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ هُمَا فَعِ
٤٦- كَوْنِيَّةٌ تُرَادِفُ المَشِيئَهْ ... مُرَادُهَا مَجِيئُهُ حَقِيقَهْ
٤٧- شَرْعِيَّةٌ مُرَادُهَا لا يَلْزَمُ ... وُقُوعُهُ مُحَبَّبٌ مُحَتَّمُ
٤٨- وَمَا أَرَادَهُ لِحِكْمَةٍ بَرَا ... لِوَفْقِهَا أَوْجَدَهُ قَدْ أَخْبَرَا
٤٩- وَمَنْ لَهُ أَرَادَ كَوْنًا أَنْ يَضِلّ ... فَصَدْرُهُ لِلضِّيقِ نَصًّا قَدْ جُعِلْ
٥٠- كَأَنَّمَا إِلَى السَّمَاءِ يَصْعَدُ ... وَحَرَجًا أَيُّ مَكَانٍ يَقْعُدُ
٥١- وَمَنْ بِهِ الخَيْرَ أَرَادَ اللهُ ... فَهُوَ لِنُورِ الدِّينِ قَدْ هَدَاهُ
٥٢- لأَنَّهُ قَدْ صَدَّقَ الرَّسُولا ... فَيَسَّرَ اللهُ لَهُ السَّبِيلا
٥٣- وَمَنْ لِهَدْيِ اللهِ وَالرَّسُولِ ... لَمْ يَمْتَثِلْ فَلَيْسَ بِالمَقْبُولِ

(ب) توحيد الأُلوهيَّة:

٥٤- هَذَا وَنَحْنُ لِلإِلَهِ نَشْهَدُ ... بِأَنَّهُ اللهُ بِحَقٍّ يُعْبَدُ

٥٥- نُفْرِدُهُ بِهَا تَعَالَى وَعَلا حُبًّا وَتَعْظِيمًا وَخَوْفًا وَوَلا
٥٦- ثُمَّ اسْتِعَانَةٌ بِهِ رَجَاءُ كَذَلِكَ اسْتِغَاثَةٌ دُعَاءُ
٥٧- وَمَنْ بِهَا يَغْدُو لِغَيْرِ اللهِ فَذَاكَ مِنْ أَكَابِرِ المَنَاهِي
٥٨- قَدْ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ وَالأَمْطَارَا وَأَنْبَتَ الزُّرُوعَ وَالأَشْجَارَا
٥٩- ثُمَّ لَهُ الإِعْطَاءُ وَالحَيَاةُ وَالمَنْعُ وَالتَّدْبِيرُ وَالمَمَاتُ
٦٠- وَنُعْلِنُ الإِقْرَارَ بِالشَّهَادَهْ وَنُخْلِصُ التَّوْحِيدَ وَالعِبَادَهْ
٦١- وَمُطْلَقُ النُّطْقِ بِهَا لا يَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا إِلَّا بِشَرْطٍ تُسْمَعُ
٦٢- وَمَنْ يَرَى الدُّخُولَ لِلجِنَانِ بِلَفْظِهِ لَهَا مِنَ اللِّسَانِ
٦٣- فَذَاكَ قَدْ ضَلَّ بِلَا ارْتِيَابِ عَنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ وَالكِتَابِ
٦٤- وَخَالَفَ الإِجْمَاعَ فِي الحَقِيقَهْ فَافْهَمْ - هُدِيتَ - أَقْوَمَ الطَّرِيقَهْ
٦٥- حُقُوقُهَا الإِيمَانُ بِالإِطْلَاقِ وَلَيْسَ قَصْدَ الفِكْرِ فِي الآفَاقِ
٦٦- أَرْكَانُهَا إِثْنَانِ يَا ذَا فَاعْلَمِ النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ نَصًّا فَالزَمِ
٦٧- وَسَبْعَةٌ شُرُوطُهَا مَذْكُورَهْ وَفِي الكِتَابِ قَدْ غَدَتْ مَشْهُورَهْ
٦٨- (عِلْمٌ) (يَقِينٌ) و(مَحَبَّةٌ) نُقِل (إِخْلَاصُ) (صِدْقٍ) و(انْقِيَادٌ) قَدْ (قُبِل)

(جـ) تَوْحيدُ الأسماء والصِّفات:

٦٩- اللهُ وَاحِدٌ وَجَلَّ عَنْ وَلَدْ وَعَنْ نَظِيرٍ أَوْ كَفِيٍّ مِنْ أَحَدْ
٧٠- مُنَزَّهٌ عَنْ شَبَهٍ أَوْ نِدِّ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ نَاصِرٍ أَوْ ضِدِّ
٧١- الأَوَّلُ الحَقُّ بِلَا ابْتِدَاءِ وَالآخِرُ البَاقِي بِلَا انْتِهَاءِ
٧٢- حَيٌّ وَقَيُّومٌ وَلا يَنَامُ قَدْ عَزَّ أَنْ تُشْبِهَهُ الأَنَامُ
٧٣- وَهُوَ الإِلَهُ المُنْعِمُ الكَرِيمُ لا سِنَةٌ تَأْخُذُهُ أَوْ نَوْمُ
٧٤- الحَاكِمُ الحَقُّ العَلِيُّ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ الأَعْلَى لِكُلِّ قَاهِرُ

٧٥- وَالعَالِمُ الرَّزَّاقُ وَالقَدِيرُ ... وَسَامِعُ الأَصْوَاتِ وَالبَصِيرُ

٧٦- وَعِلْمُهُ أَحَاطَ بِالأَشْيَاءِ ... فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَفِي السَّمَاءِ

٧٧- وَقَدْ أَحَاطَ بِالأُمُورِ كُلِّهَا ... دَقِيقِهَا كَمَا رُوِي وَجُلِّهَا

٧٨- فَلَمْ يَفُتْهُ عِلمُ مَا قَدْ ظَهَرَا ... كَلاَّ وَلا عِلمُ الَّذِي قَدْ سُتِرَا

٧٩- وَقَدْ أَحَبَّ اللهُ كُلَّ مُؤْمِنِ ... وَمُقْسِطًا أَحَبَّهُ مَعْ مُحْسِنِ

٨٠- بِالنَّصِّ قَطْعًا يُبْغِضُ الكُفَّارَا ... وَيَكْرَهُ الفُسَّاقَ وَالفُجَّارَا

٨١- وَالكُرْهَ وَالرِّضَا وَوَصْفَ الغَضَبِ ... وَاللَّعْنَ وَالسُّخْطَ فَأَثْبِتْ تُصِبِ

٨٢- وَالمَكْرَ وَالكَيْدَ مع الخِدَاعِ ... نُثْبِتُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نِزَاعِ

٨٣- لَكِنْ بِمَا يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ ... مِنَ الكَمَالِ وَعُلُوِّ الشَّانِ

٨٤- وَكُلُّهَا فِي ذِرْوَةِ الكَمَالِ ... فِي الحُسْنِ وَالتَّمْجِيدِ وَالجَمَالِ

٨٥- وَمِثْلُهَا صِفَاتُهُ عَلِيَّهْ ... كَامِلَةٌ ذَاتِيَّةٌ فِعْلِيَّهْ

٨٦- هَذَا وَمَا يُضَافُ لِلرَّحْمَنِ ... مِنَ النُّصُوصِ فهما قِسْمَانِ

٨٧- فَمُسْتَقِلٌّ مِنْهُمَا بِنَفْسِهِ ... فَذَاكَ مَخْلُوقٌ أَتَى بِوَصْفِهِ

٨٨- كَأَنْ تُضِيفَ البَيْتَ وَالعَبِيدَا ... أَوْ نَاقَةَ الله أَتَتْ أَكِيدَا

٨٩- وَعَكْسُ هَذَا صِفَةٌ لله ... كَوَجْهِ رَبِّي أَوْ يَدَيْ إِلَهِي

٩٠- فَلَا تَقُل مَخْلُوقَةٌ وَلتَحْذَرِ ... مَغَبَّةَ الجَهْلِ ولله اذْكُرِ

٩١- أَسْمَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَرَدَتْ ... وَهَكَذَا صِفَاتُهُ قَدْ ثَبَتَتْ

٩٢- بِسُنَّةِ الرَّسُولِ وَالقُرآنِ ... فَاحْفَظْ هُدِيتَ الرُّشْدَ لِلبَيَانِ

٩٣- صِفَاتُهُ مُوغِلَةٌ فِي الأَزَلِ ... وَأَبَدًا صِفَاتُهُ لَمْ تَزَلِ

٩٤- أَنْوَاعُهَا ذَاتِيَّةٌ فِعْلِيَّهْ ... وَهِيَ لَهُ حَقِيقَةٌ قَطْعِيَّهْ

٩٥- ثَلاثَةٌ لَهَا مِنَ الدَّلَائِلِ ... لِلذَّاتِ وَالاسْمِ فَلاَ تُجَادِلِ

٩٦- عَلَيْهِمَا تَدُلُّ بالمُطَابَقَهْ ... وَبِالتِزَام وَبِتَضَمِين احْذِقَهْ
٩٧- وَكُلُّ فِعْلٍ لِلإِلَهِ يُطْلَقُ ... فَلَيْسَ حَتْمًا مِنْهُ اسْمٌ يُشْتَقُ
٩٨- وَإِنْ يَكُنْ إِسْمَانِ يَا ذَا اتَّحَدَا ... فَلَيْسَ مَعْنَى ذَا اتِّفَاقًا وُجِدَا
٩٩- وَكُلُّ مَا نَقُولُهُ فِي الذَّاتِ ... فَقُل تَمَامُ المِثْلِ فِي الصِّفَاتِ
١٠٠- وَالقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ مِثْلَمَا ... تَقُولُهُ في بَعْضِهَا قَدْ عُلِمَا

٦- إثباتُ المجيء لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١٠١- حَقٌّ مَجِيءِ اللهِ لِلقَضَاءِ ... وَفَصْلُهُ بِالحَقِّ في الأَشْيَاءِ
١٠٢- في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ يَنْزِلُ ... بَيْنَ الخَلائِقِ لِكَيْمَا يَفْصِلُ
١٠٣- قَدْ نَزَّلَ الأَمْلاكَ مُصْطَفِّينا ... وَبِالمُكَلَّفِينَ مُحْدِقِينَا
١٠٤- وَكُلُّ أَمْلاكِ سَمَاءٍ صَفُّوا ... وَحَوْلَ أَهْلِ الأَرْضِ يَا ذَا التَفُّوا
١٠٥- وَيَنْزِلُ الرَّبُّ لِفَصْلِ الأَمْرِ ... بَيْنَ العِبَادِ في مَقَامِ الحَشْرِ
١٠٦- وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ فَانِي ... وليس يفنى خَالِقُ الأَكْوانِ
١٠٧- والعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ثُمَّ النَّارُ ... وَجَنَّةٌ أَتَتْ بِهَا الأَخْبَارُ
١٠٨- وَقَلَمٌ وَاللَّوْحُ وَالأَرْوَاحُ ... وَالعَجْبُ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الصِّحَاحُ

٧- إثباتُ الوجهِ واليدين وغيرهما لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١٠٩- وَسُنَّةُ الرَّسُولِ كَالقُرْآنِ ... قَدْ أَثْبَتَا لِلوَجْهِ وَاليَدَيْنِ
١١٠- مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلا تَعْطِيلِ ... وَدُونَ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلِ
١١١- وَالسَّمْعُ وَالعَيْنُ لَهُ وَالبَصَرُ ... وَعَجَبًا وَالضَّحْكَ قُرْبًا ذَكَرُوا
١١٢- وَوَصْفُهُ بِالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ ... وَعِزَّةٍ وَرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ
١١٣- وَقُدْرَةٌ لِلهِ وَسْمُهُ ثَبَتْ ... وَالنَّفْيُ لِلمِثْلِ وَلِلنِّدِّ أَتَتْ

١١٤- بِـهِ نُـصُوصٌ كُلُّهَا صريحة وَكُـلُّـهَـا مُـثْـبَـتَـةٌ صَحِـيحَـة

٨- إثبات صفة الاستواء والعلو لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١١٥- وَفَـوْقَ عَـرْشِـهِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ كَـمَـا يَـلِـيـقُ أَخْـبَرَ الـقُـرْآنُ

١١٦- وَأَنَّ مَـعْـنَـاهُ مُـعَـيَّنٌ وَرَدْ بِـسَـبْـعِ آيَـاتٍ وَيَـكْـفِـي مُـسْـتَـنَدْ

١١٧- وَصِـفَـةٌ فِـعْـلِـيَّـةٌ مُـعَـلَّـقَـهْ بِـقُـدْرَةٍ مَـشِـيـئَـةٍ مُحَـقَّـقَـهْ

١١٨- وَثَـابِـتٌ بِـالـنَّـصِّ وَالإِجْـمَـاعِ مِـنْ دُونِ رِيـبَـةٍ وَلا نِـزَاعِ

١١٩- ثُـمَّ الـعُـلُـوُّ قَـدْ أَتَـى أَنْـوَاعَـا ثَـلاثَـةً كَـمَـا أَتَـتْ إِجْمَـاعَـا

١٢٠- عُـلُـوُّ قَـهْـرٍ وَعُـلُـوُّ الـذَّاتِ ثُـمَّ عُـلُـوُّ الـشَّـأْنِ وَالـصِّـفَـاتِ

١٢١- دَلِـيـلُـهُ فِـي مُحْـكَـمِ الـقُـرْآنِ وَالـشَّـرْعِ وَالـفِـطْـرَةِ لِـلإِنْـسَـانِ

١٢٢- وَالعَقْلِ وَالإِجْمَاعِ مِنْهَا فَاعْلَمِ وَالحِـسِ فَـادْرِي سَادِسًـا فَـالْـتَـزِمِ

٩- إثبات المعية لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

١٢٣- مَـعِـيَّـةُ اللهِ عَـلَـى قِـسْـمَـيْنِ كَـمَـا أَتَـتْ فِي مُـعْـظَـمِ الـوَحْـيَـيْنِ

١٢٤- فَـلِـلْـخُـصُوصِ وَالـعُـمُـومِ وَرَدَتْ قِـسْـمَـانِ لا غَـيْـرَ بِـنَـصٍّ ثَـبَـتَـتْ

١٢٥- وَتَـقْـتَـضِي الأُولَى لَنَا التَّأْيِيدَا وَتُـوجِـبُ الـثَّـبَـاتَ وَالـتَّـأْكِـيـدَا

١٢٦- وَتُـوجِـبُ الأُخْـرَى عَلَى أَهْلِيهَا رِقَـابَـةً عَـلَـيْـهِـمْ تُحْـصِـيـهَـا

١٢٧- وَمُـقْـتَـضَاهَا الـعِـلْمُ وَالتَّدْبِيرُ ثُـمَّ إِحَـاطَـةٌ بِـمَـا يَـدُورُ

١٢٨- وَهْـوَ سَـمِـيـعٌ وَقَـرِيـبٌ مُعْتَلِي وَفَـوْقَ عَـرْشِـهِ تَـعَـالَى مُـسْـتَـوِي

١٢٩- يَسْمَعُ لِلصَّوْتِ يُجِيبُ مَنْ دَعَا مِـنْ فَـوْقِ عَـرْشِـهِ لَـهُ قَـدْ سَمِـعَـا

١٣٠- وَكُـلُّ نَـصٍّ أَثْـبَـتَ المَعِيَّه فَـلا يُـنَـافِي صِـفَـةَ الـفَـوْقِيَّـه

١٣١- وَلَيْسَ مَعْنَاهَا اخْتِلاطٌ فَانْتَبِهْ وَلَـيْـسَ لِلـشَّـكِّ فَـخُـذْهُ وَاجْـتَـبِـهْ

١٣٢- لَكِنَّهَا لِمُطْلَقِ المُقَارَنَهْ وضعًا لها في اللغة المُبِينَة
١٣٣- وَلا نَقُولُ قَوْلَ مَنْ قَدْ حَلا وَلَيْسَ مِثْلَ قَوْلِ جَهْمٍ جَلا

١٠- إثباتُ صفةِ الكلامِ لله تَعَالَىٰ على ما يليقُ به

١٣٤- هَذَا وَإِنَّ صِفَةَ الكَلام قَدْ ثَبَتَتْ لِخَالِقِ الأَنَام
١٣٥- وَالصِّدْقُ فِي أَخْبَارِهِ قَدْ تَمّ وَالعَدْلُ فِي أَحْكَامِهِ قَدْ عَمّ
١٣٦- ونُثْبِتُ الحُرُوفَ وَالمَعَانِي وَالصَّوْتَ وَالنِّدَاءَ فِي القُرْآنِ
١٣٧- وَالصِّدْقَ فِي حَدِيثِهِ وَفِي الخَبَرْ وَفِي وَعِيدِهِ وَفِيمَا قَدْ أَمَرْ
١٣٨- لَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَشْجَارِ كانت هِيَ الأَقْلام لِلبِحَارِ
١٣٩- لَنفِدَتْ تِلكَ البِحَارُ كُلُّهَا وَسَبْعَةٌ تَنْفَدُ أَيْضًا مِثْلُهَا
١٤٠- قَبْلَ النَّفَادِ لِكَلام الله فَاحْفَظْ وُقِيتَ الشَّرَّ عَبْدَ الله
١٤١- قَدْ نَزَّلَ الكَلامَ بِالنَّصِّ الجَلِي وَلا نَقُولُ قَوْلَةَ المُعْتَزِلِي
١٤٢- قَدْ خَلَقَ القُرْآنَ فِي سِوَاهُ بَل رَبُّنَا حَقِيقَةً أَلْقَاهُ
١٤٣- مِن رَبِّنَا العَلِيِّ نَصًّا لِلمَلَكْ وَمِنْهُ لِلنَّبِيِّ يَا ذَا دُونَ شَكّ
١٤٤- وَأَوَّلُ الكَلام مِنْهُ قَدْ بَدَا ثُمَّ إِلَيْهِ سَيَعُودُ وَرَدَا
١٤٥- واللَّفْظَ إِنْ تَقْصِدْ لِلَفْظِ العَبْدِ فَذَاكَ مَخْلُوقٌ بِدُونِ رَدِّ
١٤٦- وَإِنْ بِهِ يُقْصَدُ مَلفُوظٌ تُلِي فَذَاكَ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا العَلِي
١٤٧- هَذَا وَمُوسَى رَبُّنَا نَادَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ وَقَدْ نَاجَاهُ
١٤٨- كَلَّمَهُ مُؤَكِّدًا تَكْلِيمَا حَقِيقَةً فَكُنْ بِهِ عَلِيمَا
١٤٩- وَلَيْسَ مَحْكِيًّا وَلا عِبَارَه كَمَا تَقُولُ الفِرَقُ المَكَّارَة
١٥٠- وَلا الحُرُوفُ دُونَمَا مَعَانِي وَعَكْسَهَا احْذَرْ وَاتَّبِعْ بَيَانِي

١١- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١٥١- فِي السُّنَّةِ الغَرَّاءِ وَالقُرْآنِ ... قد أثبتا لِرُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ
١٥٢- قبل دخول الجنة يَرَوْنَهُ ... جَمْعُ الأَنَامِ لَيْسَ شَيْءٌ دُونَهُ
١٥٣- ثَلاثَةٌ يَرَوْنَهُ مُحَقَّقَا ... فَمُؤْمِنًا وَكَافِرًا مُنَافِقَا
١٥٤- وَهْيَ لِغَيْرِ مُؤْمِنٍ عَذَابُ ... وَغَضَبًا وَنِقْمَةُ أَصَابُوا
١٥٥- وَالمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهَالِي السُّنَّهْ ... يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّهْ
١٥٦- يَرَوْنَهُ دُونَ عَنَاءٍ بِالبَصَرْ ... كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا وَالقَمَرْ
١٥٧- وَلا يُضَامُونَ بِرُؤْيَةٍ وَلا ... يَحْجُبُهُمْ شَيْءٌ تَعَالَى وَعَلا
١٥٨- وُجُوهُهُمْ ضَاحِكَةٌ وَمُسْفِرَهْ ... نَاظِرَةٌ لِرَبِّهَا مُسْتَبْشِرَهْ
١٥٩- نَظْرَتُهُ أَعْلَى نَعِيمِ الجَنَّهْ ... أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَفْحَةٍ وَمِنَّهْ
١٦٠- فَمَنْ لَهَا بِالعَقْلِ ظُلمًا جَحَدَا ... فَحَسْبُهُ أَلَّا يَرَاهُ أَبَدَا
١٦١- وَكُلُّ قَوْلٍ خَالَفَ الصَّوَابَا ... وَخَالَفَ السُّنَّةَ وَالكِتَابَا
١٦٢- فَارْمِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبَالِي ... فَأَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الجُهَّالِ
١٦٣- وَلَيْسَ (لَنْ) و(لا) لنَفْيِ الأَبَدِ ... وَمَنْ يَقُلْ ذَا فَلِقَوْلِهِ ارْدُدِ

١٢- الإيمانُ باليومِ الآخِرِ

١٦٤- مَبْدَؤُهُ مِنْ لَحْظَةِ المُحْتَضَرِ ... فَالمَوْتُ ثُمَّ مَا يَلِي فِي المَقْبَرِ
١٦٥- وَالبَعْثُ والإيمانُ بالمَعادِ ... وَعَوْدَةِ الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَادِ
١٦٦- وَهَذِهِ قِيَامَةٌ بِالكُبْرَى ... قَدْ وُصِفَتْ وَالمَوْتُ يَعْنِي الصُّغْرَى
١٦٧- وَجُمْلَةُ النَّاسِ مِنَ القُبُورِ ... سَيُبْعَثُونَ بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ
١٦٨- ثُمَّ يُجِيبُونَ - رَوَوْا- حُفَاةً ... غُرْلًا وَدُونَ مَلْبَسٍ عُرَاةً

١٦٩- وَكُلُّهُمْ قَدْ نَكَّسُوا الأَبْصَارَا   مِنْ خَشْيَةٍ وَانْتَظَرُوا الجَبَّارَا

١٧٠- والشَّمْسُ تَدْنُو مِنْهُمُ لِمِيلِ   تَلْفَحُهُمْ بِحَرِّهَا الوَبِيلِ

١٧١- فَيَبْلُغُ بِبَعْضِهِمْ سَيْلُ العَرَقْ   لِلسَّاقِ لِلحِقْوَيْنِ وَالبَعْضُ اخْتَنَقْ

١٧٢- وَيَنْصِبُ اللهُ لَنَا المِيزَانَا   وَيَزِنُ الأَعْمَالَ وَالإِنْسَانَا

١٧٣- لَهُ كَمَا قَدْ صَحَّ كِفَّتَانِ   ثُمَّ اللِّسَانُ قِيلَ لِلمِيزَانِ

١٧٤- وَرَاجِحُ المِيزَانِ بِالخَيْرَاتِ   قَدْ فَازَ بِالفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ

١٧٥- وعَكْسُهُ مَنْ خَفَّ فِي المِيزَانِ   فَهُوَ الَّذِي قَدْ بَاءَ بِالخُسْرَانِ

١٧٦- وَمَنْ تَسَاوَى خَيْرُهُ وَشَرُّهُ   فَوَقْفُهُ حَتَّى يَجِيءَ أَمْرُهُ

١٧٧- وَبَعْدَ هَذَا تُنْشَرُ الصَّحَائِفُ   فَآمِنٌ مِنْهَا وَمِنْهَا خَائِفُ

١٧٨- وَصَاحِبُ الإِيمَانِ بِاليَقِينِ   كِتَابُهُ يُعْطَاهُ بِاليَمِينِ

١٧٩- ثُمَّ يَعُودُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرَا   لأَهْلِهِ بِفَوْزِهِ قَدْ أُخْبِرَا

١٨٠- يَقُولُ نَصًّا هَاؤمُ كِتَابِي   شَهَادَةٌ بِالفَوْزِ وَالثَّوَابِ

١٨١- وَصَاحِبُ الكُفْرَانِ فِي الأَغْلَالِ   كِتَابُهُ يُعْطَاهُ بِالشِّمَالِ

١٨٢- يَلْزَمُهُمْ بِالرِّقِّ فِي الأَعْنَاقِ   مِثْلَ التِزَامِ العِقْدِ بِالأَطْوَاقِ

١٨٣- ثُمَّ حِسَابُ اللهِ لِلخَلَائِقِ   يُوقِفُهُمْ نَصًّا عَلَى الحَقَائِقِ

١٨٤- فَمُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ يَسْتُرُهُ   وَبِالذُّنُوبِ كُلِّهَا قَرَّرَهُ

١٨٥- وَالكَافِرُ المَحْضُ بِلَا حِسَابِ   وَإِنَّمَا التَّعْدَادُ فِي الكِتَابِ

١٨٦- وَيُوقَفُونَ كُلُّهُمْ عَلَيْهَا   مُعْتَرِفِينَ قَدْ دَنَوْا إِلَيْهَا

١٣- عقيدة أهل السنة في الإسراء والمعراج

١٨٧- وَقِصَّةُ المِعْرَاجِ والإِسْرَاءِ   قَدْ ثَبَتَتْ بِدُونِمَا مِرَاءِ

١٨٨- بِمُحْكَمِ الوَحْيَيْنِ يا ذَا فَاعْلَمِ   فَدَعْ أَقَاوِيلًا وَحَقًّا الزَمِ

١٨٩- بِشَخْصِهِ ويَقْظَةٍ كَانَتْ وَلا تُطَاوِعَنَّ مُغْرِضًا أَوْ جَاهِلا
١٩٠- وَهُوَ اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ المَنْصُوره كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ المَنْشُوره

١٤- إثبات الحوض لنبيِّنا محمَّد ﷺ

١٩١- وَالحَوْضُ ثَابِتٌ بِلا ارْتِيَابِ وَعَنْ ثَلاثِينَ مِنَ الأَصْحَابِ
١٩٢- وَأَنَّهُ لِسَيِّدِ الأَكْوَانِ وَأَكْثَرُ الوُرُودِ في الحِيضَانِ
١٩٣- وَطُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضٌ شَهْرُ كِيزَانُهُ لا يَحْتَوِيهَا الحَصْرُ
١٩٤- وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ أَحْلَى مِنْ شُهَدْ مَنْ ذَاقَهُ مَرَّةً لَمْ يَظْمَا الأَبَدْ
١٩٥- هَذَا وَمَنْ لِحَوْضِهِ قَدْ أَنْكَرَا فقوله محض ضلالٍ وافترا

١٥- إثبات الصِّراط عند أهل السُّنَّة والجماعة

١٩٦- قَدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لِلعُبُورِ وَهُوَ عَلَى الأَعْمَالِ في المُرُورِ
١٩٧- مَكَانُهُ فَوْقَ لَهِيبِ النَّارِ جِسْرًا جَوَازُهُ عَلَى الأَقْدَارِ
١٩٨- فَمِنْهُمْ كَالبَرْقِ أَوْ لَمْحِ البَصَرْ وَمِنْهُمْ مِثْلُ الجَوَادِ إِنْ عَبَرْ
١٩٩- وَمِنْهُمْ كَالرِّيحِ أَوْ كَالفَرَسِ وَمِثْلِ مَنْ يَعْدُو بِضِيقِ النَّفَسِ
٢٠٠- وَمِنْهُمْ كَرَاكِبٍ لِلإِبِلِ أَوْ مِثْلِ مَنْ يَمْشِي وَزَحْفِ الوَجِلِ
٢٠١- ثُمَّ كَلالِيبُ عَلَيْهِ تَخْطِفُ مَنْ كَانَ لِلنَّارِ عَلَيْهِ وَقَفُوا
٢٠٢- أَحَدُّ مِنْ سَيْفٍ أَدَقُّ مِنْ شَعَرْ كَمَا أَتَى هَذَا كَثِيرًا فِي الأَثَرْ
٢٠٣- وَمَنْ نَجَا مِنَ الصِّرَاطِ يَسْلُكُ وَمَنْ هَوَى عَلَيْهِ ذَاكَ يَهْلِكُ
٢٠٤- قَدْ خَالَفَ الجُمْهُورَ مَنْ قَدْ أَوَّلَهْ كَقولة القَاضِيْ من المُعْتَزِلَهْ
٢٠٥- وَقَوْلُهُ قَدْ خَالَفَ الصَّرِيحَا وَجَانَبَ التَّصْوِيبَ وَالتَّصْحِيحَا
٢٠٦- وَمَنْ يُجَاوِزُ الصِّرَاطَ سَلِمَا وَبَعْدَهُ قَنْطَرَةٌ لحِينَمَا

٢٠٧- يُقْتَصُّ فِيهَا مِن ذَوِي الإِيمَانِ بَعْضٌ لِبَعْضٍ ثُمَّ لِلجِنَانِ
٢٠٨- حَتَّى إِذَا نُقُّوا مِنَ المَظَالِم وَكُلُّهُمْ غَدَوْا بِقَلْبٍ سَالِم
٢٠٩- قِيلَ ادْخُلُوا الجَنَّةَ فِيهَا وَاسْلَمُوا وَمَا تَشَاءُونَ فَطِيبُوا وَانْعَمُوا

١٦- وصف لبعض ما في الجنة من نعيم

٢١٠- دَارٌ تَرَاهَا بِيَدِ الرَّحْمَنِ قَدْ غُرِسَتْ جَلَّتْ عَنِ البَيَانِ
٢١١- وَهْيَ مَقَرٌّ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا
٢١٢- قَدْ مُلِئَتْ بِرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ وَجُودِهِ الفَيَّاضِ وَالرِّضْوَانِ
٢١٣- نَعِيمُهَا يُوصَفُ بِالعَظِيمِ وَمُلْكُهَا بِالوُسْعِ وَالتَّفْخِيمِ
٢١٤- وَالخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ فِي الجِنَانِ أَوْدَعَهُ اللهُ لِذِي الإِيمَانِ
٢١٥- نَعِيمُهُمْ لَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ بِمِثْلِهِ قَدْ أَخْبَرَ القُرْآنُ
٢١٦- ثِمَارُهَا دَانِيَةٌ شَهِيَّه وَأَرْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ نَقِيَّة
٢١٧- حَدَائِقٌ تُجْنَى بِهَا الأَعْنَابُ وَحُورُهَا كَوَاعِبٌ أَتْرَابُ
٢١٨- وَمَا بِهَا لَغْوٌ وَلا تَأْثِيمُ شُغْلُهُمْ فِيهَا هُوَ التَّنْعِيمُ
٢١٩- قَدْ حُفَّتِ الظِّلالُ بِالعُيُونِ وَظَهَرَ الخَسَارُ لِلمَغْبُونِ
٢٢٠- تُرْبَتُهَا مِسْكٌ وَزَعْفَرَانُ وَفِضَّةٌ وَذَهَبٌ بُنْيَانُ
٢٢١- بِلَاطُهَا مُمَسَّكٌ مُعَطَّرُ وَلُؤْلُؤٌ حَصْبَاؤُهَا وَجَوْهَرُ
٢٢٢- وَجَنَّةٌ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ تَجْرِي بِمَاءٍ مَا بِهِ أَكْدَارُ
٢٢٣- طَعَامُهُمْ فَوَاكِهٌ مُخَيَّرَهْ شَرَابُهُمْ كَافُور يَا ذَا فَاذْكُرَهْ
٢٢٤- وَزَنْجَبِيلٌ وَكَذَا التَّسْنِيمُ وَأَبَدًا نَعِيمُهُمْ مُقِيمُ
٢٢٥- وَأَهْلُهَا مُخَلَّدُونَ لِلأَبَدْ كَمَا بِهَذَا فِي الحَدِيثِ قَدْ وَرَدْ
٢٢٦- وَقَالَ قَوْمٌ بِفَنَاءِ النَّارِ وَآخَرُونَ العَكْسَ لِلأَخْبَارِ

٢٢٧- وَصَحح القَوْلَ الآخِيرَ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ قَوْلًا لِكَثِيرِ العُلَمَا

١٧- وصف لبعض ما لأهل النار من عذاب والعياذ بالله

٢٢٨- أمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ أَجْرَمُوا فَإِنَّمَا مَقَرُّهُمْ جَهَنَّمُ

٢٢٩- لَبْثُهُمْ فِيهَا أَتَى أَحْقَابَا وَلَا يَذُوقُونَ بِهَا شَرَابَا

٢٣٠- إِلَّا حَمِيمًا آنِ اوْ غَسَّاقًا جَزَاهُمُ رَبُّهُمُ وِفَاقًا

٢٣١- لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَجُوا الحِسَابَا وَكَذَّبُوا فَاسْتَوْجَبُوا العَذَابَا

٢٣٢- ثُمَّ يُقَالُ لَهُمُ فِيهَا ادْخُلُوا مُخَلَّدِينَ وَفْقَ مَا قَدْ عملوا

٢٣٣- وَكُلَّمَا قَدْ نَضِجَتْ جُلُودُ بغيرها قد أُمرت تعودُ

٢٣٤- إِلَيْهِمُ تَرْمِي لَهِيبَ الشَّرَرِ لَوَّاحَةٌ أَشْوَاظُهَا لِلبَشَرِ

٢٣٥- أَكْلُهُمُ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ شُرْبُهُمُ عُصَارَةُ الحَمِيمِ

٢٣٦- وَفِي سَمُومِ النَّارِ وَالحَمِيمِ قَدْ سَكَنُوا وَالظِّلُّ مِنْ يَحْمُومِ

٢٣٧- يُؤْتَى بِهَا فِي يَوْمِهَا تُزَمْجِرُ وَتَطْلُبُ المَزِيدَ كَيْمَا يَكْثُرُوا

٢٣٨- حَتَّى عَلَيْهَا يَضَعُ اللهُ القَدَمْ فَتَنْزَوِي قَائِلَةً (قَطُّ) وَلَمْ

٢٣٩- وَأَهْلُهَا مُخَلَّدُونَ أَبَدَا كَمَا أَتَى عَنِ النَّبِيِّ أَحْمَدَا

١٨- أوَّل من يستفتح باب الجنَّة

٢٤٠- أَوَّلُ مَنْ يَطْرُقُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ هَذِي الأُمَّةِ

٢٤١- وَالأَنْبِيَاءُ بَعْدَهُ دُخُولا بَعْدَهُمُ أُمَّتُهُ تَفْضِيلا

٢٤٢- هَذَا وَبَعْدَ أَنْ يُضَامَ النَّاسُ وَيَعْظُمُ الأَمْرُ وَيَعْلُو البَاسُ

٢٤٣- وَيَكْثُرُ الهَمُّ وَيَبْدُو الكَرْبُ وتقربُ الشَّمْسُ وَيَعْلُو الخَطْبُ

٢٤٤- فَيَذْهَبُ النَّاسُ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ فَلَمْ يَرَوْا لِسُؤْلِهِمْ مَنْ يَنْفَعُ

٢٤٥- وَالعُذْرُ مِنْ كُلِّ نَبِيٍّ يُرْفَعُ ... اذْهَبْ لِغَيْرِي فَأَنَا لَا أَشْفَعُ

٢٤٦- حَتَّى إِذَا جَاءوا إِلَى الرَّسُولِ ... وَاسْتُقْبِلَ المَطْلُوبَ بِالقَبُولِ

٢٤٧- غَدَا إِلَى العَرْشِ وَخَرَّ سَاجِدَا ... وَأَحْضَرَ اللهُ لَهُ المَحَامِدَا

٢٤٨- حَتَّى يَقُولَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ ... ارْفَعْ فَإِنَّ مَا تُرِيدُ يُوجَدُ

٢٤٩- فَيَطْلُبُ المَجِيءَ لِلقَضَاءِ ... وَالفَصْلَ بَيْنَ الخَلقِ فِي الأَشْيَاءِ

٢٥٠- فَهُوَ كَمَا يَشَاءُ نَصًّا يَنْزِلُ ... بَيْنَ العِبَادِ بِالكِتَابِ يَفْصِلُ

١٩- الإيمان بالشفاعة وعقيدة أهل السنة والجماعة فيها

٢٥١- ثُمَّ الشفَاعَاتُ أَتَتْ أَقْسَامَا ... إِلَى ثَمَانٍ احْفَظَنْ تَمَامَا

٢٥٢- مَقَامُهُ هَذَا هُوَ المَحْمُودُ ... قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِهِ المَعْبُودُ

٢٥٣- وَبَعْدَهُ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ ... لأَهْلِ جَنَّةٍ إِلَى الدُّخُولِ

٢٥٤- ثُمَّ لِعَمِّهِ شَفَاعَةٌ تُرَى ... يُخْرِجُهُ مِنْ قَعْرِ نَارٍ أُثِرَا

٢٥٥- كَمَا أَتَى فِي جُمْلَةِ الصِّحَاحِ ... يُخْرِجُهُ مِنْهَا إِلَى الضَّحْضَاحِ

٢٥٦- وَمَا تَبَقَّى مِنْ شَفَاعَاتٍ لَهُ ... وَغَيْرِهِ كَمَا أَتَانَا نَقْلُهُ

٢٥٧- لأَهْلِ تَوْحِيدٍ مِنَ العُصَاةِ ... أَنْ لَا دُخُولَ أَوْ إِلَى النَّجَاةِ

٢٥٨- وَبَعْدَهَا الأَعْرَافُ وَالمَنَازِلُ ... وَمَنْ بِغَيْرِ مَا حِسَابٍ يَدْخُلُ

٢٥٩- لِشَافِعٍ فِي الأَمْرِ أَوْ مَنْ شَفَعَا ... لَهُ بِإِذْنٍ، ورضىً قد جمعا

٢٦٠- هَذَا وَفِيهَا انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى ... ثَلاثَةٍ كَمَا لَهَا قَدْ نُقِلا

٢٦١- إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتُ مَنْ يُغَالِي ... وَعَكْسُهُ خَوَارِجُ اعْتِزَالِ

٢٦٢- وَالحَقُّ فِيهَا عِنْدَ أَهْلِ السَّلَفِ ... إِثْبَاتُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ

٢٦٣- بِشَرْطِ مَا أَثْبَتَهُ القُرْآنُ ... وَكُلُّ قَوْلٍ بَعْدَهُ خِذْلانُ

٢٠- باب إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله

٢٦٤- وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ الجَحِيمِ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ العَمِيمِ
٢٦٥- قَوْمًا وَزَادُهُمْ عَلَى التَّأْكِيدِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ التَّوْحِيدِ
٢٦٦- وَصحَّ أَنَّ مَا لِخَيْرٍ عَمِلُوا لَكِنَّهُمْ بِفَضْلِهِ قَدْ دَخَلُوا
٢٦٧- هَذَا وَإِنَّ مَبْدَأَ العِقَابِ وَمِثْلَهُ مَبَادِئُ الثَّوابِ
٢٦٨- بِالعَقْلِ ثَابِتٌ كَذَاكَ السَّمْعُ وَغَيرُ ذَيْنِ مُنْتَهَاهُ المَنْعُ

٢١- باب الإيمان بالقدر ومراتبه ومواقف أهل السنة منه

٢٦٩- وَأَرْبَعٌ مَرَاتِبٌ لِلقَدَرِ قَدْ ذُكِرَتْ صَحِيحَةٌ فِي الخَبَرِ
٢٧٠- علمٌ كتابةٌ مشيئةٌ كذا وَالخَلقُ وَالإِيجَادُ يَا ذَا فَخُذَا
٢٧١- فَهْوَ عَلِيمٌ أَزَلًا بِمَا خَلَقْ وَأَبَدًا بِمَنْ يُطِيعُ أَوْ يَعُقْ
٢٧٢- قَدْ عَلِمَ الأَرْزَاقَ وَالآجَالا وَانْفَرَدَ اللهُ بِهَا اسْتِقْلالا
٢٧٣- وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ قَدْ كُتِبَا بِلَوْحِهِ المَحْفُوظِ عَنَّا غُيِّبَا
٢٧٤- هَذَا وَتَقْدِيرُ العُمُوم فُصِّلا إِلَى ثَلاثَةٍ إِلَيْكَ أَولا
٢٧٥- بِالعُمْرِ أَوْ فِي الحَوْلِ أَوْ فِي اليَوْمِ وَهَكَذَا أَقْسَامُهُ يَا قَوْمِي
٢٧٦- دَلِيلُهُ السُّنَّةُ كَالكِتَابِ فَاعْلَمْ هَدَاكَ اللهُ لِلصَّوَابِ
٢٧٧- وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ قَدْ ظَهَرْ فَهْوَ الَّذِي قَدْ شَاءَهُ حِينَ القَدَرْ
٢٧٨- وَلَيْسَ غَيْرُ مَا يَشَاءُ يُوجَدُ وَلَيس غَيْرُ مَا يُرِيدُ يُفْقَدُ
٢٧٩- وَأَوَّلُ الخَلقِ يُقَالُ القَلَمُ وَقِيلَ عَرْشُهُ وَهَذَا أَسْلَمُ
٢٨٠- قَدْ قَدَّرَ الأُمُورَ بِالإِنْصَافِ مِنْ قَبْلِ خَمْسِينَ مِنَ الآلافِ
٢٨١- وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ كَمَا لَنَا مِنْ هَدْيِهِ بِنَصٍّ عُلِمَا

٢٨٢- وَلَيْسَ بَيْنَ الشَّرْعِ يَا ذا وَالقَدَرْ أيُّ مُنَافَاةٍ فَخُذْهُ بِالحَذَرْ
٢٨٣- وَلَيْسَ بَيْنَ مُثْبِتٍ لِلقَدَرِ وَبَيْنَ فِعْلِ مُسْنَدٍ لِلبَشَرِ
٢٨٤- أيُّ مُنَافَاةٍ فَخُذْ مُقتَنِعا وَلا تُطَاوِعْ ذا هَوًى مُبْتَدِعَا
٢٨٥- وَلا تَكُنْ فِي الجَهْلِ وَالضَّلالِ مِثْلَ مَجُوسٍ أوْ ذَوِي اعْتِزَالِ
٢٨٦- وَمِثْلُهُ قَوْلٌ لِمُشْرِكِيَّهْ وَقَوْلَةٌ نَادَتْ بِهَا ابْلِيسِيَّهْ
٢٨٧- وَالحَقُّ مَا يَقُولُهُ الأَسْلافُ وَغَيْرُ قَوْلِهِمْ هُوَ الإجْحَافُ
٢٨٨- وَالعَبْدُ فَاعِلٌ لِفِعْلِهِ تَرَى حَقِيقَةً دُونَ التِبَاسٍ أُثِرَا
٢٨٩- واللهُ لِلفِعْلِ وَلِلعَبْدِ خَلَقْ دَلِيلُهُ قَدْ صَحَّ نَصًّا كَالفَلَقْ
٢٩٠- وَلا تُطِعْ أقْوَالَ مَنْ قَدْ ضَلُّوا وَخُذْ بِوَحْيِ الله فَهْوَ الفَضْلُ

٢٢- حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة

٢٩١- تَصْدِيقُنَا بِالله بِاللِّسَانِ وَالقَلْبِ والأَعْمَالِ والأرْكَانِ
٢٩٢- وَطَاعَةٌ تَزِيدُ فِي الإيمَانِ وَيَنْقُصُ الإيمَانُ بِالعِصْيَانِ
٢٩٣- وَمَنْ لِقِبْلَةٍ لَنَا قَدْ صَلَّى وَهْوَ لِذِي كَبِيرَةٍ قَدْ فَعَلا
٢٩٤- فَلا نُكَفِّرُهُ بِذَاكَ الذَّنْبِ وَأمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِلرَّبِ
٢٩٥- فَإنْ يُعَذِّبْهُ فَذَاكَ عَدْلُهْ وَإنْ عَفَا عَنْهُ فَذَاكَ فَضْلُهْ
٢٩٦- وَكُلُّ مَنْ عَصَى مِنَ الإخْوَانِ فَلَيْسَ كَافِرًا أخُو العِصْيَانِ
٢٩٧- وَلا نَقُولُ مِثْلَمَا تَقُولُ خَوَارِجٌ وَقَوْلُهَا تَضْلِيلُ
٢٩٨- بِكُفْرِ ذِي العِصْيَانِ وَالكَبِيرَهْ وَخَلَّدُوهُ النَّارَ فِي الأخِيرَهْ
٢٩٩- وَلَيْسَ بِالقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ مُرْجِئَةٌ قَالَتْ بِلا بُرْهَانِ
٣٠٠- وَلَيْسَ نُطْقٌ بِاللِّسَانِ مِثْلَمَا يَقُولُهُ أتْبَاعُ مَنْ تَكَرَّمَا
٣٠١- وَلا نَقُولُ قَوْلَةَ الجَبْرِيَّهْ إيمَانُهُمْ مَعْرِفَةٌ قَلْبِيَّهْ

٣٠٢- وَالاعْـتِـزَالُ قَـوْلُهُـمْ فِي البَابِ　　مُخَـالِـفٌ بِـالـنَّـصِّ لـلـكِـتَـابِ
٣٠٣- وَمُـؤْمِـنٌ وَنَـاقِـصُ الإِيمَـانِ　　والـفَـاسِـقُ الـمِـلِّـي بِـالـتِّـبْـيَـانِ
٣٠٤- وَأَكْـمَـلُ الإِيمَـانِ لا نُعْطِيهِ　　بَـلْ مُـطْـلَـقُ الاسْـمِ لَـهُ نُـولِـيهِ
٣٠٥- وَخَـالَـفُوا جَهْلًا بِهَذِي المَسْأَلَةْ　　خَـوَارِجٌ وَمِـثْـلُـهَـا الـمُـعْـتَـزِلَـةْ
٣٠٦- فَـكُـلُّ فَـاسِـقٍ لَـدَيْـهِـمُ مَـرَقْ　　مِـنْ هَـالَـةِ الـدِّيـنِ وَلِـلـنَّـارِ اسْتَحَقْ
٣٠٧- وَبَـيْـنَ بَـيْـنَ قَـالَـتِ المُـعْـتَـزِلَـةْ　　مَـكَـانَـةُ الـفَـاسِـقِ تِـلْـكَ المَـنْـزِلَـةْ
٣٠٨- وَالـكُـفْـرُ قَـدْ قَـالَـتْ بِـهِ الخَـوَارِجُ　　وَمِـنْ عُـرَى الإِسْـلَامِ يَـا ذَا خَـارِجُ

٢٣- الواجب نحو أصحاب الرَّسول ﷺ

٣٠٩- وَصْـفُـهُـمْ يُـذْكَـرُ فِي الـقُـرْآنِ　　وَسُـنَّـةِ الـمَـبْـعُـوثِ بِـالـبَـيَـانِ
٣١٠- سَـلَامَـةُ الـقُـلُـوبِ وَالـعُـقُـولِ　　لِـصَـحْـبِـهِ مِـنْ مَـرَضِ الـغُـلُـولِ
٣١١- وَمِـنْ أَذَى الـلِّـسَـانِ وَالتَّجْرِيحِ　　كَـمَـا أَتَـى فِي الـخَـبَـرِ الصَّحِيحِ
٣١٢- ثُـمَّ الـدُّعَـاءُ لَـهُـمُ بِـالمَـغْـفِـرَةْ　　وَرَحْـمَـةٌ مِـنْ رَبِّـنَـا فِي الآخِـرَةْ
٣١٣- وَطَـاعَـةُ الـرَّسُـولِ فِي الأَصْحَابِ　　وَعَـدَمُ الـبَـغْـضَـاءِ والـسِّـبَـابِ
٣١٤- لأَنَّـهُـمْ لِـلـخَـيْـرِ حَـقًّـا سَـبَـقُـوا　　وَمَـنْ أَتَـى مِـنْ بَـعْـدِهِـمْ لَمْ يَلْحَقُوا
٣١٥- وَعَـنْـهُـمُ نَـذُبُّ بِـاسْـتِـمْـرَارِ　　عَـنِ الـمُـهَـاجِـرِيـنَ وَالأَنْـصَـارِ
٣١٦- وَلَـيْـسَ فِي الفَضْلِ يُدَانِيهِمْ أَحَدْ　　كَـمَـا عَـنِ الـرَّسُـولِ نَـصًّـا قَـدْ وَرَدْ
٣١٧- وَكُـلُّ شَـيْءٍ خَـاضَـهُ الأَصْـحَـابُ　　سُـكُـوتُـنَـا عَـنْـهُ هُـوَ الـصَّـوَابُ

٢٤- فضل الصحابة وموقف أهل السنة منه

٣١٨- وَكُـلُّ مَـا قَـدْ جَـاءَ فِي الكِتَابِ　　عَـنْ فَـضْـلٍ أَوْ مَـكَـانَـةِ الأَصْـحَـابِ
٣١٩- نَـقْـبَـلُـهُ وَفَـوْقَ هَـامٍ نَـرْفَـعُ　　لأَنَّـهُ حَـقٌّ عَـلَـيْـهِ أَجْـمَـعُـوا

٣٢٠- وَكُلُّ مَنْ أَنفَقَ أَوْ قَدْ قَاتَلا ... مِنْ قَبْلِ فَتْحٍ فَلَهُ الفَضْلُ اجْعَلا

٣٢١- وقَوْلُهُ لأَهْلِ بَدْرٍ اعْمَلُوا ... فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا عَمِلُوا

٣٢٢- وَكُلُّ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَهْ ... فَلا دُخُولَ لَهُمُ النَّارَ اذْكُرَهْ

٣٢٣- وَنَشْهَدُ لِمَنْ لَهُمْ قَدْ شَهِدَا ... رَسُولُنَا كَمَا بِهِ قَدْ وَرَدَا

٣٢٤- بِجَنَّةٍ كَمَا أَتَى أَوْ نَارِ ... مُصَحَّحًا كَمَا رَوَى البُخَارِي

٣٢٥- فَعَشْرَةٌ بِجَنَّةٍ قَدْ بُشِّرُوا ... وَثَابِتٌ أَيْضًا وَغَيْرًا ذَكَرُوا

٣٢٦- وَنُؤْمِنُ بِالفَضْلِ وَالتَّرْتِيبِ ... وَالخَيْرُ فِي الصَّحْبِ بِلَا تَثْرِيبِ

٣٢٧- وقَدِّمِ الصِّدِّيقَ وَالفَارُوقَا ... فِي الفَضْلِ نَصًّا دُونَكَ التَّحْقِيقَا

٣٢٨- بَعْدَهُمَا الأَمْرُ عَلَى اخْتِلَافِ ... فِي الفَضْلِ بَيْنَ مُثْبِتٍ وَنَافِي

٣٢٩- فَبَعْضُهُمْ مَنْ قَدَّمُوا عُثْمَانَا ... فِي الفَضْلِ وَالخِلَافَةِ رُجْحَانَا

٣٣٠- وَآخَرُونَ قَدَّمُوا عَلِيًّا ... فِي الفَضْلِ لا فِي غَيْرِهِ جَلِيًّا

٣٣١- وَالأَوَّلُ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ عُمَرْ ... عُثْمَانُ بَعْدَهُ عَلِيٌّ اشْتَهَرْ

٣٣٢- وَتِلْكَ أُمَّةٌ بِفَضْلٍ سَبَقَتْ ... وَمَا لَنَا حُكْمٌ عَلَيْهَا قَدْ مَضَتْ

٢٥- بابُ مكانةِ أهلِ البيتِ وموقفُ أهلِ السُّنَّةِ منه

٣٣٣- هَذَا وَأَهْلُ البَيْتِ هُمْ آلُ النَّبِي ... مَنْ وَجَبَ الحُبُّ لَهُمْ فَلْتُحْبِبِ

٣٣٤- كَآلِ جَعْفَرٍ وَعَبَّاسٍ عَلِي ... ثُمَّ بَنِي الحَارِثِ ثُمَّ مَنْ يَلِي

٣٣٥- آلِ عَقِيلٍ وَكَذَا الزَّوْجَاتُ ... وَمَنْ عَلَيْهِ تُحَرَّمُ الزَّكَاةُ

٣٣٦- نُحِبُّهُمْ ثُمَّ نُوَالِيهِمْ إِذَا ... كَانُوا عَلَى اسْتِقَامَةٍ فَالحَقُّ ذَا

٣٣٧- وَحُبُّهُمْ حُبُّ النَّبِيِّ أَحْمَدَا ... وَبُغْضُهُمْ بُغْضًا لَهُ قَدْ قَصَدَا

٣٣٨- وَمَنْ يُخَالِفْ مِنْهُمُ الطَّرِيقَا ... فَلَنْ نُوَالِي أَبَدًا زِنْدِيقَا

٣٣٩- وَفِيهِمْ وَصِيَّةُ الرَّسُولِ ... نَأْخُذُهَا بِالحُبِّ وَالقَبُولِ

٢٦- مكانة أزواج النَّبيّ ﷺ وموقف أهل السُّنة منها

٣٤٠- بِالحُبِّ وَالوَلاءِ وَالتَّقْدِيرِ وَالاحْتِرَامِ الجَمِّ وَالتَّوْقِيرِ
٣٤١- لِكُلِّ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ فَاعْلَمِ لأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُنَا نُمِي
٣٤٢- وَلا يَصِحُّ خَلْوَةٌ أَوْ نَظَرُ لأَيِّهِنَّ مِثْلَمَا قَدْ أَخْبَرُوا
٣٤٣- مَاتَ الرَّسُولُ عَنْ نِسَاءٍ تِسْعِ أَزْوَاجُهُ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعِ
٣٤٤- هَذَا وَكُلُّهُنَّ حُزْنَ الشَّرَفَا وَفَضْلُهُنَّ جَلَّ مِنْ أَنْ يُخْتَفَى
٣٤٥- أَزْوَاجُهُ بِالنَّصِّ فِي الدُّنْيَا وَفِي يَوْمَ المَعَادِ مِثْلَمَا صَحَّ اعْرِفِ
٣٤٦- وَكُلُّ زَوْجَةٍ لَهَا خِلالُ بِهِنَّ فُضِّلَتْ تُرَى أفْضَالُ
٣٤٧- خَدِيجَةٌ قَدْ قِيلَ فِي الحقِيقَهْ بِأَنَّهَا الفُضْلَى أَوِ الصِّدِّيقَهْ
٣٤٨- وَهْيَ الَّتِي كانت مِنَ النِّسَاءِ قَدْ سَاعَدَتْ بِقُوَّةِ الثَّرَاءِ
٣٤٩- وَهْيَ الَّتِي لَهَا دَوَامًا يَذْكُرُ وَأَغْلَبُ الأَوْلادِ مِنْهَا ذكروا
٣٥٠- وَبَعْدَهَا فِي حُبِّه الصِّدِّيقَهْ طَاهِرَةٌ لِهَدْيِهِ حِذِّيقَهْ
٣٥١- بَنَى بِهَا الرَّسُولُ يَا ذَا بِكْرَا وَخَصَّهَا اللهُ بِهَذَا فَخْرَا
٣٥٢- بَرَّأَهَا اللهُ وَفِي التَّنْزِيلِ مِنْ مِحْنَةِ الإِفْكِ وَمِنْ تَقْوِيلِ
٣٥٣- فَضَّلَهَا اللهُ عَلَى النِّسَاءِ كَمَا أَتَى فِي صَادِقِ الأَنْبَاءِ
٣٥٤- وَوَاجِبٌ لَهُنَّ بِالإِجْمَالِ الحُبُّ وَالثَّنَاءُ بِاتِّصَالِ

٢٧- باب البراءة ممَّا يقوله المبتدعون وينسبونه لأهل السُّنة

٣٥٥- وَنَبْرَأُ مِنْ قَوْلِ كل ناصب وَرَافِضِيٍّ مُبْغِضٍ لِصَاحِبِ
٣٥٦- وَمَا جَرَى فِي مُدَّةِ الأَصْحَابِ بَيْنَهُمُ فَمَا لَهُ نُحَابِي
٣٥٧- بَل دَوْرُنَا فِيهِ هُوَ الإِمْسَاكُ وَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ نَسَّاكُ

٣٥٨- وَمَا رَوَوْهُ عَنْ مَسَاوِئٍ كَذِبْ ... وَبَعْضُهُ قَدْ زِيدَ وَالنَّقْصُ غَلَبْ
٣٥٩- وَهُمْ فِيمَا أَتَوْهُ مَعْذُورُونَا ... وَبِاجْتِهَادٍ كَانَ مَا يَأْتُونَا
٣٦٠- وَلَا يَرَوْنَ عِصْمَةَ الإِنْسَانِ ... وَهُمْ كَخَلْقِ اللهِ فِي العِصْيَانِ
٣٦١- إِلَّا النَّبِيَّ فَلَهُ اللهُ عَصَمْ ... وَغَيْرُهُ مُعَرَّضٌ كَمَا عُلِمْ

٢٨- حكم ادّعاء النُّبوة والتصديق للمدّعي والكفر ببعض الرُّسل والتفاضل بين الأنبياء

٣٦٢- وَمَنْ يُصَدِّقْ مُدَّعٍ أَوْ يَدَّعِي ... نُبُوَّةً فَكُفْرُهُ نَصًّا فَعِي
٣٦٣- قَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رُسُلا ... مُبَشِّرِينَ مُنْذِرِينَ مِنْ إِلى
٣٦٤- أَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرٌ أَتَى ... رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ كَمَا قَدْ ثَبَتَا
٣٦٥- قَدْ خَتَمَ اللهُ بِهِ الرِّسَالَهْ ... وَأَوْصَلَ الدِّينَ بِهِ كَمَالَهْ
٣٦٦- وَمَنْ بِأَيِّ مُرسَلٍ قَدْ كَفَرَا ... فَبِالجَمِيعِ كُفْرُهُ قَدْ ذُكِرَا
٣٦٧- وَأَفْضَلُ الجَمِيعِ أَهْلُ العَزْمِ ... وَمِنْهُمُ الأَفْضَلُ (طَهَ) الأُمِّي(١)
٣٦٨- وَقَرْنُهُ خَيْرُ القُرُونِ فَاعْلَمِ ... ثُمَّ لَهُمْ فَضْلٌ وَسَبْقٌ فَافْهَمِ
٣٦٩- وَمَا بَدَا مِنْ خَطَإٍ يَسِيرْ ... فَفَضْلُهُمْ وَمَا لَهُمْ كَثِيرْ
٣٧٠- فَهِجْرَةٌ وَنُصْرَةٌ إِيمَانُ ... جِهَادُهُمْ وَعَمَلٌ إِحْسَانُ
٣٧١- وَالحَسَنَاتُ لَهُم مُضَاعَفَهْ ... وَالسَّيِّئَاتُ عَنْهُمُ مُخَفَّفَهْ

٢٩- عقيدة أهل السُّنة في الكرامة لأولياء الله تَعَالَىٰ

٣٧٢- وَمَا قَضَاهُ اللهُ لِلخَلَائِقِ ... مِنْ مُعْجِزٍ سَمَّوْهُ بِالخَوَارِقِ
٣٧٣- لِأَوْلِيَاءِ اللهِ ذِي كَرَامَهْ ... إِيمَانُنَا جَزْمًا بِهَا تَمَامَهْ

---

(١) على رأي القرطبي في تفسيره (١١/ ١٦٦). والصواب ما ذكره الطبري أن معنى طه الرجل وليس النبي ﷺ (١٩/ ٧).

٣٧٤- وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى أَقْسَام ثَلاثَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا إِبْهَام
٣٧٥- فَقَدْ نَفَتْهَا فِرْقَةُ المُعْتَزِلَهْ وَغَيْرُهَا مِنْ فِرَقٍ مُضَلَّلَهْ
٣٧٦- وَبَالَغَ الغَالُونَ فِي الإِثْبَاتِ حَتَّى لِدَجَّالِينَ لِلسَّادَاتِ
٣٧٧- أَصْحَابُهَا صُوفِيَّةُ الأُمُورِ وَغَيْرُهُمْ كَسَدَنِ القُبُورِ
٣٧٨- وثَالِثُ الأَقْسَامِ قَدْ تَقَدَّمَا وَمَنْ يُرِدْ لُقْيَاهُمُ لَنْ يَعْدَمَا

٣٠- باب بعض صفات أهل السنة والجماعة

٣٧٩- قَدْ تَابَعُوا الرَّسُولَ فِي الآثَارِ بِظَاهِرِ الأُمُورِ وَالإِسْرَارِ
٣٨٠- ثُمَّ اتِّبَاعُ سُنَنِ الأَخْيَارِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ
٣٨١- لأَنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلا وَسَمِعُوا القُرْآنَ وَالتَّأْوِيلا
٣٨٢- عَنِ الرَّسُولِ نَفْسِهِ قَدْ أُخِذَا مُشَافِهًا لَهُمْ بِهِ فَلْتَأْخُذَا
٣٨٣- ثُمَّ اقْتِدَاؤُنَا بِمَنْ قَدْ رَشَدَا وَنِعْمَ مَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى
٣٨٤- أَرْبَعَةٌ جَاءُوا وَبِالنَّصِّ الجَلِي صِدِّيقُ وَالفَارُوقُ عُثْمَانُ عَلِي
٣٨٥- وَالأَخْذُ بِالكِتَابِ ثُمَّ السُّنَّةِ سَبِيلُهُمْ نَحْوَ طَرِيقِ الجَنَّةِ
٣٨٦- وَعَظِّمِ الوَحْيَيْنِ بِالتَّقْدِيمِ وَاجْعَلْهُمَا فِي الصَّدْرِ لِلتَّنْظِيمِ
٣٨٧- وَاجْعَلْهُمَا المِيزَانَ لِلأَعْمَالِ وَالفَضْلَ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ
٣٨٨- وَمَنْ يُخَالِفِ الأُصُولَ يُطْرَدُ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ وَمَا يَعْتَقِدُ
٣٨٩- أَعْنِي بِهَا الإِجْمَاعَ وَالوَحْيَيْنِ أُصُولُنَا هَذِي أَسَاسُ الدِّينِ

٣١- بعض مكملات العقيدة

٣٩٠- قَدْ نَعَتَ اللهُ الَّذِينَ أَمَرُوا بِحِكْمَةٍ وَبِالهُدُوءِ نَكَّرُوا
٣٩١- ثُمَّ أَقَامُوا الحَجَّ وَالأَعْيَادَا وَجُمُعَةٌ جَمَاعَةٌ قَدْ سَادَا

٣٩٢- وَرَاءَ مَنْ قَدْ بَرَّ أو مَنْ فَجَرَا ... مِنْ أيِّ مَسْئُولٍ لَهُمْ قَدْ أَمَرَا
٣٩٣- وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لِمُؤْمِنٍ بِنَا ... يَشُدُّ بَعْضُهُ إذَا البَعْضُ وَنَى
٣٩٤- ثُمَّ إلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ ... نَدْعُو لِخَيْرٍ وَإلَى وِفَاقِ
٣٩٥- وَفِي بَلاءٍ وَرَخَاءٍ نَشْكُرُ ... وَعِنْدَمَا يَأْتِي القَضَاءُ نَصْبِرُ
٣٩٦- نُؤْمِنُ حَقًّا أَنَّ لِلأَرْحَامِ ... حَقًّا مِنَ المَالِ وَلِلأَيْتَامِ
٣٩٧- وَالبِرُّ بِالقُرْبَى وَبِالمِسْكِينِ ... وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَأَهْلِ الدِّينِ
٣٩٨- وَالنَّهْيُ عَنْ كِبْرٍ وَعَنْ فَخْرٍ وَعَنْ ... بَغْيِ اسْتِطَالَةٍ رَوَوْهُ فِي السُّنَنْ
٣٩٩- وَلا نُوَالِي كَافِرًا مَهْمَا دَنَا ... حَتَّى وَلَوْ كَانَ حَمِيمًا مُحْسِنَا
٤٠٠- وَحُبُّنَا لِلْمُسْلِمِينَ أَكْبَرُ ... وَالبُغْضُ أَصْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
٤٠١- ثُمَّ طَرِيقُنَا هُوَ الإِسْلامُ ... وَالحَقُّ وَالإِنْصَافُ وَالإِنْعَامُ
٤٠٢- مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالهُدَى ... فَمِنْهُمُ الصَّلاحُ ثُمَّ الشُّهَدَا
٤٠٣- وَمِنْهُمُ الصِّدِّيقُ ذُو المَآثِرِ ... وَمِنْهُمُ الأَبْدَالُ ذُو المَفَاخِرِ
٤٠٤- طَائِفَةٌ بِالحَقِّ لا تَزَالُ ... مَنْصُورَةً مَا ضَرهَا خذَّال
٤٠٥- وَلا يَضُرُّ أَهْلَهَا مَنْ خَذَلا ... وَهُمْ عَلَى حَقٍّ وَلَوْ فَرْدٌ عَلا

٣٢- بابُ بعض ثمار الإيمان بعقيدة أهل السُّنة

٤٠٦- النَّصْرُ وَالدِّفَاعُ وَالوِلايَهْ ... وَالرِّزْقُ وَالتَّمْكِينُ وَالهِدَايَهْ
٤٠٧- وَعَدَمُ التَّسْلِيطِ لِلكُفَّارِ ... وَعِزَّةٌ لِلْمُسْلِمِ المِغْوَارِ
٤٠٨- ثُمَّ حَيَاةٌ وُصِفَتْ بِالطِّيبِ ... لِلْمُؤْمِنِ لِرَبِّهِ مُجِيبِ
٤٠٩- إيمَانُهُ بِاللهِ يَا ذَا يُثْمِرُ ... سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ نَصًّا يُؤْثَرُ
٤١٠- وَالحُبُّ وَالتَّعْظِيمُ وَالقِيَامُ ... بِأَمْرِهِ كَمَا رُوِي تَمَامُ
٤١١- وَالاعْتِمَادُ عِنْدَ فِعْلِ السَّبَبِ ... عَلَى الإِلَهِ نَافِيًا لِلْعُجْبِ

٤١٢- وَعِنْدَمَا يَعْلَمُ بِالْمَقْدُورِ ... بِأَنَّهُ مِنْ رَبِّهِ الْقَدِيرِ

٤١٣- يَعِيشُ رَاحَةً بِهِ نَفْسِيَّهْ ... وَرُوحُهُ رَفْرَافَةٌ عَلِيَّهْ

٣٣- من أهداف عقيدة أهل السنة والجماعة

٤١٤- عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ... نُخْلِصُهَا لَهُ بِهَا نُفْرِدُهُ

٤١٥- تُحَرِّرُ الْعُقُولَ وَالأَفْكَارَا ... وَتَطْرُدُ الأَهْوَاءَ وَالأَقْذَارَا

٤١٦- وتَمْلأُ الْفَرَاغَ فِي الْقُلُوبِ ... وَتَعْمُرُ الأَوْقَاتَ بِالطُّيُوبِ

٤١٧- وَرَاحَةُ النَّفْسِ بِهَا تَلقَاهَا ... وَحُسْنُ قَصْدٍ جَاءَ فِي سُرَاهَا

٤١٨- وَالحَزْمُ وَالتَّحْصِيلُ فِي الأُمُورِ ... والحِرْصُ فِي الأَوْقَاتِ وَالأُجُورِ

٤١٩- حَتَّى نَكُونَ أُمَّةً قَوِيَّهْ ... نَحْمِي عَقِيدَةً لَنَا سَنِيَّهْ

٤٢٠- بِهَا صَلاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا ... وَالفَوْزُ بِالدَّارَيْنِ يَا ذَا أَجْمَعَا

٤٢١- وَالحَمْدُ لله عَلَى الإِكْمَالِ ... حمدًا لرب الخلق ذي الجلال

٣٤- الخاتمة

٤٢٢- نحمده نثني عليه ماجرى ... بقلم اللوح بما قد أمرا

٤٢٣- ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَبَدَا ... على النبي الهاشمي أحمدا

٤٢٤- وَالآلِ وَالأَصْحَابِ وَالأَتْبَاعِ ... يبقى دوامًا دونما انقطاع

٤٢٥- أَبْيَاتُهَا (هبتْ) لِمَنْ يَهْوَى السُّرَى ... تَارِيخُهَا (تَبْلُغ) بِالسَّارِي الذُّرَى

❁❁❁

٢- شرح المنظومة

١- الحمد لغة واصطلاحا:

١- الحَمْدُ لله الَّذِي قَدْ أَرْسَلا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَيْرَ المَلا

٢- أَرْسَلَهُ إِلَى عُمُومِ النَّاسِ بِالدِّينِ وَالهُدَى بِلا التِبَاسِ

(الحَمْدُ) في اللُّغة نقيضُ الذمّ[١] وهو أخصُّ من المدح وأعمُّ من الشُّكر»[٢]، وقيل: هو الثناء على الجميل الاختياريِّ من نعمةٍ وغيرِها. والمَدْحُ هو الثناء على الجميل مُطْلَقًا. ومعناه في اللُّغة: هو وَصْفُ الله بما يَستحِقُّه من كمالٍ، وأنَّ كلَّ كمالٍ يُعَبَّرُ عنه بقولٍ أو فعلٍ فإنَّ اللهَ أولى به؛ لأنه الكاملُ من كل الوجوه، وبكل الاعتبارات.

وفي الاصطلاح: الثناء على الله بما يَسْتَحِقُّه من كمالٍ في رُبوبيَّته وإلاهيَّته وأسمائِه وصِفاتِه. والألفُ واللامُ في الحمد للاستغراق لجميع أنواع المحامد، كما تُفيد القصر عليه، فكأنك تقول: لا مَحْمودَ إلا هو سُبْحَانَهُ باعتبار حَمْدِ غَيْرِه لغيرِه آيِلٌ إليه، فنحن نحمده تَعَالَى على كمال ذاته، وصفاته، وأفعاله، وجميل إحسانه، وبليغ إنعامه قال ابنُ القَيِّم في نُونِيَّته:

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٌ أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الأَزْمَانِ

مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلا حُسْبَانِ

هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

وهناك حمدٌ أشْبَهُ بالمحسوس، وهو ما يَقَعُ بعد نَجاةٍ من كَرْبٍ أو مَهْلَكةٍ مُحَقَّقةٍ أو فوزٍ

---

(١) قاله في «لسان العرب» للإمام ابن منظور (ت: ٦٣٠هـ - ٧١١هـ)، (٣/ ٣١٤)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي سيري - دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(٢) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» تأليف العلامة/ الراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، (ص: ٢٥٦)، دار العلم بدمشق الدار الشامية بيروت.

....

بنجاحٍ مَّا، فمَن قالَ: الحمدُ لله. بعد هذا الحال، يَجِدْ له طَعْمًا في فَمِه كطعم المحسوسات، ولـذَّة الـمَحْبُوبـات، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الحمدُ لدى الإنسـان في كل الأحوال؛ لما يَدْفَعُه من النِّقَم وما يُسْبِغُه من النِّعَم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

٢- أقسام الحمد:

هذا وقد قَسَّم العلماء الحَمْدَ إلى قسمين:

الأول: أن يُحْمَـدَ على ما تَفَضَّل به من دوام الإنعام والإحسـان على عبادِه، وكذلك على نعمة الإيجاد، والإعداد، والإمداد.

الثانـي: أن يُحْمَد على ما يستحقه من صفات الكمال في رُبوبيَّته وأُلوهِيَّته وأسـمائِه وصفاتِه وعلى أفعاله.

٣- الفرق بين الحمد والثناء والمدح والمجد:

١ - وأمَّـا الفـرقُ بـينَ الحمـدِ والثَّناء، فالحمـد ثنـاءٌ مَقْـرونٌ بالـمَحَبَّـةِ والتعظيم. وأما الثناء فهو تَكْرار الثناء على الـمُنعِم مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ.

٢ - والفرقُ بينَ الحَمْدِ والـمَدْحِ والـمَجْدِ، أنَّ الحمد كما تَقَدَّمَ ثناءٌ مَقْرونٌ بالـمَحَبَّةِ والتعظيـم، وأمَّا الـمَدْحُ فثَناءٌ بدونِ محَبَّةٍ ولا تعظيـمٍ، وأما الـمَجْدُ فوَصْفُ الله بالعظمة والجلال[(١)].

(لله) الـلام في لَفْـظِ الجلالـة تُفِيـدُ الـمُلك والاستحقاق، أي أنَّ جَمِيـعَ الـمَحامد لله مِلكًا واستحقاقًا. (الذي) اسـمٌ مَوْصـولٌ، ويُفِيدُ العُموم، وهو صفـةٌ للفظ الجلالة. (قد) حَرْفُ تَحْقِيقٍ. (أَرْسَلا) بعث الرسل، والرسل جَمْع رَسُولٍ، بمَعْنَى مُرْسَلٍ، وهو مَن بُعِـث برسـالةٍ وأُمِر بتبليغهـا. ويُطْلَق على الواحد والجمع، وهو بهذا المعنى اسـمُ جِنْسٍ،

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٤-٩٥) دار الكتاب العربي، وبالنظر إلى ما ورد في الصحيحين مرفوعًا (ليس أحد أحب إليه المدح من الله) نقول إن المدح قد يقتضي المحبة.

....

فيَعُمُّ جَمِيعَ الرُّسل، والمراد به هنا أنه قد بعث (رَسُولَهُ) الضمير في «رسوله» يعود على لفظ الجلالة، والمراد برسوله هنا (مُحمَّد) صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم. و(مُحَمَّدًا) ﷺ بَدَلٌ من «رَسُولَهُ»، وأحمدُ بَشَّرَ به المسيح، عليه وعلى نبينا أفضلُ صلاة وأتم تسليم. والألف في «أرسلا» للإطلاق.

و(محمد): هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قُرَيش، وقريشٌ من العَرَب، والعرب من ذُرِّيَّةِ إسماعيل، وهو سيد الأَوَّلين والآخرين، وأكرمُ الخَلقِ وأفضلُهم أجمعين. والرسول أَعَمُّ من النبيِّ، فكُلُّ رسولٍ نَبِيٌّ، ولا عكس[1].
وقيل: إن عَدَدَ الرُّسل ثَلاثُمائةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ رسولًا (٣١٣)، وقيل: (١٢٤ ألفًا) من الرسل. والمُرْسَلُ منهم (٣١٥) وقيل (٣١٣) رَسُولا[2].

(خير) بمَعْنى أَخيَرَ وأَفْضَلَ، (المَلا) هم عِليَةُ القوم الذين يَمْلَئُونَ العُيون رِواءً، والصدور ثِقَةً وبهاءً، وهم مَن يَجْتمعون على رأيٍ واحدٍ، فتمتلئ بهم النفوس جلالًا وتَكْتحِلُ بهم النواظر جمالًا. والرسول ﷺ أفضلُ منهم نَسَبًا وأعلى منهم حَسَبًا ومِن جَمِيعِ الخَلقِ كَمالًا، ومن جميع الكائنات هَيْبَةً وجَلالًا.

ومُحَمَّد ﷺ، (أرسله) أي: أن الله ابْتَعَثَهُ رَسُولًا ﷺ (إلى عُمومِ النَّاسِ) من حِينِ إرساله ﷺ إلى يوم القيامة، وإلى جميع الخلق الإنس والجن، ومن لم يُؤْمِنْ

---

(١) «التنبيهات السنية» للعلامة/ عبد العزيز الرشيد (ص: ٥)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٢) أخرجه من حديث أبي أمامة ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦٩) رقم: (٦١٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١١٨) رقم: (٧٥٤٥)، وفي «الأوسط» (١/ ١٢٨) رقم: (٤٠٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٠) رقم: (١٣٨٠٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ أَحْمَدَ بْنِ خُلَيْدٍ الْحَلَبِيِّ وَهُوَ ثِقَةٌ. وقال الألباني في «التعليقات الحسان»: صحيح، وقال الأرنؤوط في تعليقه على «مسند أحمد» (٢٢٢٨٨): سنده صحيح. انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٢) وقال محقق «المشكاة» الألباني: اسناد صحيح.

....

بـه ويُصَدِّقْ برسـالتِه بعـدَ أن تبلغه فهو كافرٌ، أمـا من لم تبلغهم الدَّعْوةُ وأخبارُ الرسـولِ ﷺ فهـؤلاء يُمْتَحنونَ امتحانًا يُناسِبُهم يوم القيامة، بحيـث يَتميَّزُ به الـمُطِيعُ من العاصي، وعليه يُجازَوْنَ، كما ذكر ذلك ابن القَيِّمِ(١).

قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(بِالدِّيـنِ) معنـاه في اللغة: الذُّل والانقياد. ومعناه في الشـرع هو: الإسـلام. قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهـو فِطْـرِيٌّ في كل أُمَّـةٍ وفَـرْدٍ، وفي كلِّ عـصرٍ ومِصْرٍ. ويسـتحيل عقلًا ويمتنـع شَرْعًا وُجـودُ أُمَّةٍ بدون دِيـنٍ، وإن اختلفوا في تَصَوُّرِهـم للديـن وتفرقهـم في الشرائع، إلا أن دين الإسـلام هو الصالـح لكلِّ زمانٍ ومـكانٍ؛ بمعنـى أن التمسـك بـه لا يتنافى مع مصالح الأمـة في كل زمانٍ ومـكانٍ؛ إذ قد اتفقـت جميع الرسـل وجميـع أممهم في أصل الديانـة وهو التوحيد. وهو عبـادة الله وحدَه لا شريـك لـه، والتوحيد بيـاض لا غبش فيه، وصفـاء لا كدر فيه. لذلـك فأي عمل أو قصد يخرج عن التوحيد فإنه ينقصه أو يزيل كماله وصفائه. واختلفوا في شرائعهم وآليات تفعيلها فيما بينهم.

(وَالهُـدَى) في اللُّغَـة: الدلالـة بلُطْـفٍ وإرشـاد، كما قـال تَعَالَى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠] أي: دَلَلنـاه وأرشـدناه الطريقـين: الخَيْرَ والشَّرَّ. والهداية تَنْقَسِـم إلى قسـمين: هدايةِ دَلالةٍ وإرشـادٍ، وهذه وَظِيفة الرُّسـل والـمُصْلِحِين والدُّعاة مِـن بَعْدِهم. وهداية إلهام وتوفيق. وهذه لا يَقْدِرُ عليها إلا الله تَعَالَى. وهي مُرَتَّبَةٌ على الأولى. فمَن جاءَ بالأُولَى اسْتَحَقَّ الثَّانِيَة، ومن رَفَضَ الأُولَى حُرِمَ من الثانية.

(١) انظـر: «طريـق الهِجْرتين وباب السـعادتين» لابن قيـم الجوزيـة، (ص: ٥٢١)، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، و«شرح الطحاوية» (ص: ٧٣) ط: ٩.

(بلا التباس) اللَّبْسُ: الاختلاطُ والتداخُلُ في الأشياء، وقد جاء هذا الدِّينُ واضحًا بيِّنًا، متوهج النقاء، متألق الصفاء. مُحكمًا مُفصَّلًا، كما قال ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»(١)، ولا يخفى على ذي لُبٍّ ولا ذي عَيْنَيْنِ. قال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] أي: الواضح. وفي الحديث: «لَوْ أَنَّ مُوسَى أَخِي حَيٌّ مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»(٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده في «مسند الشاميين» (٢٨/ ٣٦٧) رقم (١٧١٤٢)، وابن ماجه في «المقدمة» باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين» (١/ ١٦) رقم (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» كتاب «العلم» (١/ ١٧٥). من حديث عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية بلفظ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ» وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٦١٠) رقم (٩٣٧): هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون غير عبد الرحمن ابن عمرو هذا، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وروى عنه جماعة من الثقات، وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم كما في «التهذيب». وقال الأرنؤوط في تعليقه على «مسند أحمد»: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن. وأصل الحديث - من غير هذا اللفظ - عند أبي داود رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح. فرواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦)، ورواه ابن ماجه (١/ ١٦) رقم (٤٣)، ورواه الترمذي (٥/ ٤٤) رقم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «الحديث بالكراريس» باب «من كره النظر في كتب أهل الكتاب» (٥/ ٣١٢) رقم (٢٦٤٢١)، وأحمد في «مسند جابر» (٢٣/ ٣٤٩) رقم (١٥١٥٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» باب «ذكر قول النبي ﷺ: **تركتكم على مثل البيضاء، وتحذيره إياهم أن يتغيروا عما يتركهم عليه، وأمره بسنته وسنة الخلفاء الراشدين بعده**» (١/ ٢٧) رقم (٥٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» باب «مختصر في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم» (٢/ ٨٠٥) رقم (١٤٩٧). بلفظ: «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» لفظ أحمد. وقال الألباني في «ظلال الجنة» بتخريج أحاديث السنة: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق. وقال الأرنؤوط في تعليقه على «مسند أحمد»: إسناده ضعيف لضعف مجالد. أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) ورواه الدارمي (١/ ١١٥ - ١١٦) من حديث جابر عن عمر رضي الله عنه وفيه مجالد بن سعيد وقد تغير بآخره يشهد لحسن إسناده حديث رواه أحمد (٣/ ٤٧١) و(٤/ ٢٦٦) من حديث عبد الله بن ثابت عن عمر وسنده حسن.

٤- الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

٣- ثُـمَّ صَـلاةُ اللهِ وَالسَّـلامُ عَـلَى نَـبِـيٍّ دِيـنُـهُ الإِسْـلامُ

٤- وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَمَنْ لَهُمْ تَبِعْ مَحَبَّةً للهِ فِيمَا قَدْ شُرِعْ

(ثُمَّ) حرف عطفٍ، وتُفِيدُ الترتيب، أي بعدَ الكلام على الحمد نَشْرع في الكلام على الصلاة والسلام... إلخ. (صَلاةُ الله) والصلاةُ من الله ثناءٌ على النبي ﷺ في الملإ الأعلى، كما روى البخاري[١] عن أبي العالية. وقيل: معناها الرحمة. والأول أَصَحُّ[٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والصلاةُ في اللُّغةِ: الدُّعاءُ. (والسَّلامُ) عَطْفٌ على الصلاة، وهو بمعنى التحيَّةِ أو الدعاء، وكلاهما يَدُلُّ عليه لفظ السلام، وهو اسم من أسماء الله الحُسْنى، ومعناه: السالم من مُماثَلَةِ أحدٍ من خَلقه ومِن كلِّ ما ينافي كمالِه.

فمَن قال: السلام عليك. فكأنه دَعَا لك بالسلامة من كل آفةٍ، أو دعا لك بأن تكونَ مُبارَكًا أينما كُنْتَ. هذا والصلاة والسلام من خصوصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يجوز تخصيص إطلاق (عليه السلام) على الإمام علي رضي الله عنه لعدم الدليل على ذلك، ولكن يقال في حقه وجميع الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) وقد ورد الدعاء بالسلام على المصلين، وعلى عباد الله الصالحين في كل صلاة في التشهد الأخير، الذي هو ركن من أركان الصلاة، ولا يبدأ بالسلام الكافر، وإذا بدأ به على المسلم فيرد عليه (وعليكم) للحديث «لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام»[٣] وحديث «إذا سلم عليكم أهل

---

(١) ذكره البخاري معلقًا في كتاب «التفسير» باب «قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤] (٦/ ١٢٠) عقب حديث رقم (٤٧٩٦). موقوفًا على أبي العالية. أخرجه البخاري (ج: ٨) باب عشرة (ص: ٥٣٢)، دار المعرفة.

(٢) «طريق الهجرتين» (ص: ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم كتاب «الآداب»، باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم» =

الكتاب فقولوا وعليكم»[١] أما إطلاق غير السلام من الكلمات على الكافر فجائز لا سيما إذا اقتضت المصلحة الإسلامية ذلك. كما جوزه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] أما لو ذكر أحد الملائكة فيجوز أن يقال عليه السلام. وقد جَمَعْتُ بين الصلاةِ والسلامِ اقتداءً بالكتابِ العزيزِ كما في قولِه تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وأيضًا يَعْظُم الثَّناءُ باجتماعِهما.

(عَلَى نَبِيٍّ) هو مُحَمَّد ﷺ، وقد نُكِّر في النَّظْم للتفخيم لِـمَا خَصَّه اللهُ به من المزايا الـمُصْطَفِيَّة والخصائص النبوية والشمائل الـمُحَمَّدِيَّة والتي لا تكون إلا له، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومنها الـمُعْجِزات الـخَوالِدُ والـمُؤَيِّدات البواقي، ومنها المُعْجِزة الخالدة التي لم يَأْتِ مثلها مَن قَبْلُ، ولن يَأْتِيَ مثلَها مَن بَعْدُ، وهو القرآنُ الكريمُ الكتابُ العظيمُ الذي فيه خَبَرُ مَن قَبْلَكم ونَبَأُ مَن بَعْدَكم وحُكْمُ ما بينكم، مَن تَمَسَّك به نجا، ومن تَرَكَه هَوَى، ومن أخذ به رَشَد، ومن أعرض عنه ضَلَّ، يرفع به اللهُ أقوامًا، ويَخْفِضُ به آخَرِين، رَفَعَنا الله وإيَّاكم به في الدنيا والآخرة.

(دِينُهُ) أي: الذي جاء به وأُرْسِلَ به من قِبَلِ الله هو (الإسلامْ) وهو ضَرُورةٌ مِن ضَرُورِيَّاتِ الإنسان. لَوْ لَمْ يَأْتِ به اللهُ لنادت به جميع الفطر، وأجمعت على استحسانِه عُقولُ البَشَر في كلِّ عصرٍ ومِصْرٍ، وزمانٍ ومكانٍ.

= (٤/ ١٧٠٧) رقم (٢١٦٧/ ١٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: «**لا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلا النَّصارَى بِالسَّلامِ...**». انظر: «مختصر مسلم» (١٤٣٢)، و«الصحيحة» (٧٠٤)، و«الإرواء» (١٢٧١).

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الاستئذان»، باب «كيف يرد على أهل الذمة السلام»، (٨/ ٥٧) رقم (٦٢٥٨). ومسلم كتاب «الآداب»، باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم» (٤/ ١٧٠٥) رقم (٢١٦٣/ ٦).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى، ومقالات متنوعة للعلامة عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ» (٥/ ٤٠٦).

والإسْلامُ معنـاه في الشـرع: الاستسـلامُ لله بالتوحيـد، والانقيـادُ لـه بالطاعـةِ، والخُلوصُ من الشرك. والإسـلامُ إذا ذُكِر مُفْرَدًا شـمل الإيمانَ، وإذا ذُكِر مُقْتَرِنًا بالإيمان كان معناه الشـعائر الظاهرة، كأركان الإسلام الخمسة، ويكون معنى الإيمان: المعتقدات الباطنية، والتي تعني أُسَس العقيدة، وتسمى أركان الإيمان، وأسس الإيمان. وكُلُّها أمور غَيْبِيَّة يجب الإيمان بها، ومن كَفَر بها أو ببعضها خرج من دائرة الإسلام.

(والآلِ) **هم:** أَتْباعُه على دينِه، كما ورد عن أحمدَ، وعلى هذا يَشْمَلُ الصحابةَ وغيرَهم مـن المؤمنـين. وقيل: إنْ ذَكَـرَ معهم الأتباع. فالآل هم قرابتُـه من المؤمنين به ﷺ، وإنْ لم يُذْكَر معهم الأتباع فهم كلُّ من تَبِعه وناصَرَه، وهـم كلُّ من كان على مِلَّتِه وطريقتِه إلى يوم الدين. والرأيُ الثاني أوجَهُ.

(والصَّحْبِ) جَمْعُ صاحب، ويُجْمَع على أَصْحَابٍ، وهم الذين رأوا النبي ﷺ، أو التقـوا به وآمنوا به ولو للحظة واحدةٍ، وماتوا على ذلك. وعُطِفَتِ الصَّحْبُ على الآلِ مـن باب عطف الخـاصِّ على العامِّ؛ لأنهم من جُملةِ الأتبـاع لمكانتِهم. وهم مَن جمعوا بينَ العلـم والعمل، والعبادةِ والجهادِ، وكانوا وَسَـطًا بين مُتَطَلَّبات الروح، والجَسَـد والدنيا والآخرة، والوَسَـطِيَّة بين التفريط والإفراط، وهم وَسَـط بينَ فِرَق الأُمَّة، وسيأتي الكلام عليهم في آخر المنظومة إن شاء الله تَعَالَىٰ.

(ومَـن لَهُـمْ تَبِع) مَعْطُوفٌ على مـا تَقَدَّم، وأن تَكُـونَ مُتَابَعَتُهم لهم بإحسـانٍ وعلى نهجهم بعبادة خالصةٍ ومتابعةٍ صادقةٍ. ومن كان هذا حالَهم فالدعاءُ يَشْمَلُهم، ومَضْمونُه السلامةُ من الآفاتِ، وبركة لهم في أعمارهم وحالهم ومآلهم.

(مَحَبَّةُ لله فيما قَدْ شَرع) محبةً مفعولٌ لأجله، أي تلك المتابعةُ مَحَبَّةٌ من أجلِ الله، لا لمجرد منْفعةٍ دنيوية ولا هَوًى أو عادةٍ أو تقليدٍ، وتلك المتابعةُ لله ولرسولِه ﷺ فيما شَرَعَه اللهُ على لسانِ رسولِه ﷺ بامتثال الأوامرِ واجتنابِ النواهي فيما هو مشروع، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

والـمَحَبَّةُ المشروعةُ هي التي تكونُ لله وفي الله ومن أجلِ الله. ولا مجال للابتداع في الدِّينِ والتطرف والتَّزَمُّت والمغالاة والإفراطات والتفريطات والمجازفات والمغامرات والتفجير والتكفير وكل المخالفات المبنية على الأوهام والضلالات، لا مجال لها في شرع الله وفي دينِ الله. وما يُعْمَل في هذه الأيام في بلاد المسلمين من تكفيرٍ وتفجيرٍ وقتلٍ للأبرياء من مواطني دول المسلمين وعلى الْمُسْتأمَنِينَ فهو خارج عن الـمَحَبَّة لله ولرسولِه ﷺ، وخارج عن دين الإسلام، وعن حقيقة ما يدعوا إليه من حفظ للضرورات الخمس، ومن حسن المعاملة مع الـمُعاهَدِينَ أو الـمُسْتأمَنِينَ، أو مَن يُقْدَمُونَ إلى هذه الدول بطلب منهم بعقود عمل، كل هذا بعيدٌ كلَّ البُعْدِ عن روح الإسلام وسُمُوِّ تعاليمِه وحسن تعامله. وهو فقه للجهاد على غير أصوله، وفهم للدين غير سديد.

والذي حَدَث ويَحْدُث منهم هو من حُدَثَاءِ الأعمار ومن الجهلاء الأغرار ومن مُتَفَيْقِهِينَ صِغَارٍ قد غُسِلت أَدْمِغَتُهم بماءِ القَذارةِ، ولبست قاماتهم بأوزار الحضارة، فكانوا أَدَوات تَخْرِيبٍ وعَوَامِلَ هَدْمٍ للإسلامِ والمسلمين.

أَصْلَحَ اللهُ الجميعَ، وهدانا وإيَّاهم للتي هي أقومُ، ونَصَرَ الإسلامَ والـمُسْلِمِينَ أفرادًا و شُعوبًا وحُكوماتٍ، ورَزَقَهم البِطانةَ الصالحةَ التي تُعينُهم على الخيرِ، وتُوجِّهُهم إليه، إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

٥- وَبَعْدُ إِنَّ هَذِهِ مَنْظُومَهْ ... أَبْيَاتُهَا قَلِيلَةٌ مَعْلُومَهْ
٦- إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الطُّلَّابِ ... وَرَغْبَةً فِي الخَيْرِ وَالثَّوَابِ

(وَبَعْدُ) هـذه الكلمة يُؤْتَى بها بعدَ كلامٍ سابقٍ، لتكونَ فاتحةً لكلامٍ لاحقٍ. وهي ظرفُ زمانٍ جِيءَ بها للفصل بين ما يأتي عمَّا قد مَضَى، **ومعناها الاصطلاحي:** هي كلمة فَصْلٍ يُؤْتَى بها للانتقالِ من أُسلوبٍ لآخَرَ. وقد يُنْتَقَلُ بدونِها، وقد اخْتُلِفَ فيمَن قالها أَوَّلًا على أقوالٍ سَبْعَةٍ، أصَحُّها أنه دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. هذا ويُسْتَحَبُّ أن يُؤْتَى بها في الخُطَب والمكاتباتِ أُسْوةً برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خُطَبِه ومكاتباتِه.

(إِنَّ هَذِهِ مَنْظُومَة) إنَّ هذه، المُشارَ إليها المنظومةَ: والنَّظْمُ هو التأليفُ، وكلُّ شيءٍ قرنتَه بآخَرَ فقد نَظَمْتَه، ونَظْمُ الأشياء تأليفُها، وضَمُّ بعضِها إلى بعضٍ. قاله صاحب اللسان[1].

(أَبْيَاتُهَا) البيتُ المَقْصُودُ به المُرَكَّب من عِدَّةِ تَفْعيلاتٍ حَسَبَ بُحورِ الشِّعْر المعروفة. والضميرُ يعودُ على المنظومةِ المُكوَّنة من الأبياتِ. (قَلِيلَةٌ) وَصْفٌ للأبياتِ المَنْظومةِ، فهي لا تَتجاوَزُ أَرْبَعَمائةٍ وخمسه وعِشْرِينَ بَيْتًا، فهي قليلةٌ بالنسبةِ لنُونيَّةِ ابنِ القَيِّم، وأَلفِيَّةِ العراقي، وأَلفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ، رَحِمهم الله جميعًا.

(مَعْلُومَة) مَعَانِيها، وَاضِحَةٌ أَلفَاظُها، سَلِيمةٌ مقاصدُها، خاليةٌ ألفاظُها من التَّعْقيدِ والغَرابةِ.

❁❁❁

(١) «لسان العرب» (١٤/ ١٩٦).

٦- إجَـابَـةً لِــدَعْـوَةِ الـطُّـلَّابِ وَرَغْـبَـةً فِـي الخَـيْرِ وَالـثَّـوَابِ

(إجابةً) مَنْصوبٌ لفعل محذوفٍ، تقديرُه: أجبتُ إجابةً للسائلين، فهو مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِفِعْلِه.

(لرغبة الطُّلَّاب) هذا أَحَدُ أسباب نَظْمِ هذه الرِّياض، والسَّبَب الثاني: أن هذا العمل فِكْرتُه نشأتْ معي من بداية الدراسة، وكنتُ قد نَظَمْتُ مثلَ هذه المنظومةِ في سِنٍّ مُبَكِّرٍ، وقد ضاعت مِنِّي هي ومَقْطُوعةٌ أخرى في الفِقْه. وقد حَزِنْتُ عليهما حُزْنًا كثيرًا، ولَـمَّا أُسْنِدَت إِلَيَّ مَادَّةُ التوحيدِ والعقيدة في الصفوف الدُّنْيا والعُليا في الـمَعْهَدِ العِلمي في ضمد، مَكَثْتُ في تَدْريسِها مُدَّةً طويلةً، فأجبتُ طُلابي حينَها لتِلك الرَّغْبة، وهي شَرْحُ المنظومة.

(وَرَغْبَـةً فِي الخَيْرِ وَالثَّـوَابِ) أي: إجابتي لهم من أَجْلِ الخَيْرِ والحصولِ عليه وعلى الثوابِ والاهتداء إليه، فضلًا منه على قليلِنا من العمل وكثيرنا من الغَفْلَةِ والكسل.

وثالث الأسباب لأَتَشَبَّهَ بالقومِ «فَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]، ولأَنْ أكونَ ذَنَبًا في الحقِّ خيرٌ من أن أكون رَأْسًا في الباطل، وإسهامًا مني بما أستطيعه في هذا المجال ولو بكلمةٍ واحدةٍ، فلعَلِّي أُبَلِّغُ ولو آيةً واحدةً أو حَدِيثًا واحدًا «فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[2].

(١) رواه البخاري معلقًا: (٤/ ٤٠) عقب باب «ما قيل في الرماح»، ووصله أبو داود في كتاب «اللباس» باب «في لبس الشهرة» (٤/ ٤٤) رقم (٤٠٣١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» باب «بيان مشكل ما روي عن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الذل بالزرع» (١/ ٢١٣) رقم (٢٣١). وقال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ٢٦٩): إسناده جيد. وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠٩): إسناده صالح. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: (ص: ٣١٨): سنده صحيح. وقال ابن حجر في «فتح الباري»: (١٠/ ٢٧١): سنده حسن. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٤/ ٢٤): حسن صحيح. وضعفه الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٣٤٧)، والزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص: ١٠٢)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة»: (ص: ٦٣٩). والسيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (ص: ١٨٢). والأرنؤوط في «التعليق على سنن أبي داود» (٦/ ١٤٤). رواه أبو داوود في سننه عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» عن حذيفة. والحديث صحيح، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢٧٣) للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكرة، أخرجه البخاري - واللفظ له - كتاب «الحج» باب «الخُطْبَةِ أَيَّامَ =

٧- سَمَّيتُهَا اسْمًا بِرِيَاضِ الجَنَّهْ   حَاوِيَةً عَقِيدَةَ أهْلِ السُّنَّهْ

٨- قَدْ جَمَعَتْ مَسَائِلَ التَّوْحِيدِ   وَالوَاجِبَ الحَقَّ عَلَى العَبِيدِ

(سَمَّيْتُها) أي: اخترتُ لها علامةً تُعْرَف بها وتَتَمَيَّز بها، (اسْمًا) يكونُ عليها عَلَمًا تَشْتَهِر به عن غيرِها، وهو (برياض الجنَّة)، ورِياضٌ جَمْعٌ لرَوْضَةٍ، والرَّوْضَةُ في الأصل هي الأرض ذاتُ الخُضْرةِ المَمْلوءَةُ بالزُّهورِ والبَسَاتِينِ الحَسَنة النَّضِرَة. والجَنَّةُ في اللُّغة الحَدِيقةُ المُبْهِجَةُ ذَاتُ النَّخِيلِ المُجْتَمِع والبُسْتان المورق، ودَارُ النَّعِيم.

ولَـمَّا كانت مَسَائِلُ العَقِيدة إذا وَقَرَتْ في النفس تُحْدِثُ راحةً نَفْسِيَّةً وطمأنينةً فِكْرِيَّةً، وراحةً رُوحيَّةً لـمَن يَعِيشُها قَلبًا وقَالِبًا بما تَسْكُبُه من سكينةٍ وطمأنينةٍ وما تُشِيعُه من راحةٍ واسترواحٍ، لما كانتْ كذلك شَبَّهْتُها برِياضِ الجَنَّة، وبما تَنْفَحه من طِيبِ أريجها ونداوة شَاها في نُفوسِ المُشاهِدِينَ، فكأنَّ من يَعِشْ في ظلال مَسَائِلِ العقيدةِ يَعِشْ في رِياضٍ ناضرةٍ وجِنَانٍ زاهرةٍ مُتَّصلًا بالله، وكفى بذلك سعادةً أبديَّةً وهناءةً سَرْمدِيَّةً في الدنيا والآخرة. (حاوِية) من حَوَيْتُ الشيءَ إذا ضَمَمْتَه واستوليتَ عليه، فهي شاملةٌ لكُلِّيَّاتِ مَسائلِ التوحيدِ وأُمَّهات مسائل العقيدة. وتجتمع مع التوحيد في أن كل منهما يثبت الحق بدليله، وبينهما عموم وخصوص.

٥- العقيدة في اللغة والشرع:

هي شِدَّةُ الوُثوقِ بالشيءِ وعَزْمُ القلب عليه، والتصديقُ بذلك تصديقًا لا يقبل الشكَّ ولا المناقشةَ في ذلك، ولا حتى مُجَرَّد المساءلة.

وفي الشَّرْع: أن تُؤْمِنَ بالله وملائكتِه وكُتبه ورُسلِه واليومِ الآخِرِ، وأن تُؤْمِنَ بالقدرِ

= مِنَى» (٢/ ١٧٦) رقم (١٧٤١)، ومسلم كِتَاب «الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ» باب «تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ» (٣/ ١٣٠٥) رقم (١٦٧٩/ ٢٩). «صحيح البخاري مع فتح الباري» (١/ ١٥٧)، ح (٦٧) باب (٩) «قول النبي ﷺ: رب مبلغ اوعى من سامع».

خَيرِه وشَرِّه. وكلمةُ (عَقِيدَة) لم تَرِدْ لا في الكِتَابِ ولا في السُّنَّة، ولا في أُمَّهات الـمُعاجِم اللُّغويَّـة. وأوَّل مـن وَقَـفَ عـلى جمعهـا (عَقَائِد) هـو القُشَـيْرِيُّ (ت: ٤٣٧هــ)، وبعدَه أبو حامدِ الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وقد جاء بمُفْرَدِها (عَقِيدة)، وقد كان قَبْلَهما الإمام الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ) يَستعمِلُ لفظتي (اعتقاد) و(مُعْتَقَد)، وقد استعمل لفظة الاعتقاد كثيرٌ من الأئمـة من بعدَه، كاللالَكَائِيِّ (ت: ٤١٨هــ)، والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)[(١)] وغيرِهم. وقد وَرَد في القرآن الكريم ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. و﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

(أهل السُّـنَّة) أَصْحَاب السـنة، وهم أهل الحديث. وهم الفرقة الناجيةُ المنصورةُ، وهم أهل السُّنَّة والجماعةِ، وهم مَن كان على مِثْلِ ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابُه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وأيُّ اهتزازٍ في أرضيَّة العقيدةِ هو تَصَدُّعٌ في كِيَانِ الـمُجْتَمَعِ الـمُعْتَقِد لها، وهو أيضًا نَذِيرُ شُؤْمٍ لزَوالِ الـمُجتمعاتِ.

والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة، ومنه قوله ﷺ **«لتتبعن سنن من كان قبلكم»**[(٢)]. وفي الشـرع: هي ما أضيف إلى النبي ﷺ مـن قول،أو فعل، أو تقرير، أوصف. والعقيدة أعم من كلمة التوحيد. ويشتركان في أن كل منهما يثبت الحق بدليله.

(قَدْ جَمعَتْ مَسَـائِلَ التَّوْحِيدِ) قد انتَظَمَتْ - كما تَقَدَّم - لغالبِ مسـائل التوحيد على سبيل الإجمال، كما ستأتي مُفَصَّلة إن شاء الله تَعَالَىٰ.

---

(١) الآثـار الـواردة عـن أئمة السـنة في أبـواب الاعتقاد من كتاب «سـير أعـلام النبلاء» للإمـام الذهبي (١/ ٢٦) جمعًا وتخريجًا ودراسة جمال أحمد بشير بادي، دار الوطن.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سـعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «الإِعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَـنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (٩/ ١٠٣) رقم (٧٣٢٠)، ومسـلم كتاب «العلـم» باب «اتِّبَاعِ سُـنَنِ الْيَهُـودِ وَالنَّصَارَى» (٤/ ٢٠٥٤) رقـم (٢٦٦٩/ ٦). «صحيح البخاري» (٤/ ٦٨٨٩) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة».

والتوحيد من وَحَّدَ الشيءَ جَعَلَه واحدًا، والمراد به هنا إفرادُ الله بالعبادةِ ونفيها عمن سواه. (والوَاجِبَ الحَقَّ) أي: الذي أَثْبَتَهُ اللهُ وفَرَضَه على عِبادِه، وهو معرفةُ الله بتَوْحيدِه وعبادتِه وَحْدَه لا شريكَ له، لا بالنظر وغيرِه، فهو الذي خَلَقَ الجِنَّ والإنسَ من أجلها؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو الذي أخَذَ عليهم الميثاقَ من أجْلِه، ثم فَطَرَهم شاهدين مُقِرِّينَ به، ثم أرْسَلَ رُسُلَه وأنزل من أجْلِه كُتُبَه. والوَاجِب من عطف الخاصِّ على العامِّ؛ لأنه من ضِمْن المسائل المُتَقَدِّمَة، وكل مسائل التوحيد هَامَّةٌ؛ لأنه يُتَوَقَّفُ عليها وعلى مَعْرفتِها والإيمانِ بها صِحَّةُ إسلامِ المرء وقَبُولُ عَمَلِه.

(عَلَى العَبِيدِ) جمع عَبْدٍ، - وكُلُّنا عبيدٌ لله - وكُلَّما كانت العبادةُ أَخْلَصَ وأصوبَ كانت مكانةُ العبدِ من الله أحبَّ وأقربَ، وكُلَّما كانَ العبدُ من الله أَخْوَفَ كانَ له أَتْقَى وأَعْرَفَ.

والعبدُ هو مأخوذ من عَبَّدْتَّ الطريقَ إذا ذَلَّلْتَها. **والمعنى**: إن هذه المنظومة قد انتظمت عِقْد غالب مسائل التوحيدِ كانتظامِ الدُّرِّ النضيد في العِقْد الفَريدِ، وذلك تسهيلًا للحفظ وتقريبًا للفَهْم.

❁❁❁

٩- وَإِنْ يَكُنْ فِي عُمْرِنَا بَقِيَهْ وَمَدَدٌ مِنْ خَالِقِ البَرِيَّهْ

١٠- فَشَرْحُهَا مُؤَكَّدٌ عَلَيْنَا وَاللهَ نَرْجُوهُ بِأَنْ يُعِينَا

نعم هذا خَبَرٌ أَذَعْنَاه، وأَمَلٌ رَجَوْنَاه، وهو شَرْحُ هذه المنظومةِ، وذلك حَسَب الطاقةِ والجَهْد في الاختصارِ. وها أنا الآن قد بدأتُ بتصديق ذلك الخبر، وتحقيقِ ذلك الرجاءِ، ونسألُ اللهَ الإعانةَ والسدادَ، وأن يَقِيَنا من الزيغ في القول والعمل، وأن يرفع عنا مِحْنَةَ العوائق وفتنة العوالق، وأن يُبارِكَ لنا في أعمارِنا وأوقاتِنا وأعمالِنا وأن يَجْعَلَها خالصةً لوَجْهِه الكريمِ، إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

(وإنْ يَكُنْ في عُمْرِنا بَقِيَة) أي: إذا بَقِي لنا من العُمْر فُسْحَةٌ؛ لأن الأعمارَ بيدِ الله، وقد بَقِي لنا عمر، ولكنَّ العوائقَ والشواغلَ والنومَ والكَسَلَ أَلهَتْنا عن الوفاءِ بذلك الوعدِ، وإلا فقد مَرَّ من العمر ما يُمْكِنُني شَرْح هذه المنظومة، ولكنَّ الأملَ في الله أن يُعِينَنا ويُوَفِّقَنا لإكمالِ هذا الشَّرحِ.

(ومدد): والمَدَدُ: العونُ والتوفيقُ من الله، (خَالِقِ البَرِيَّة) مُبْدِعُها من غيرِ مِثَالٍ سابقٍ، والبَرِيَّةُ: جَمْعها البَرَايَا، وهي نِسْبَةٌ إلى البَرِّ، وهو خِلافُ البَحْرِ.

١٠- فَشَرْحُهَا مُؤَكَّدٌ عَلَيْنَا وَاللهَ نَرْجُوهُ بِأَنْ يُعِينَا

(فَشَرْحُهَا) أي: تَوْضِيحُ مُشْكِلِها، وتوضيحُ دَلالاتِ مُفْرداتِ أَلفَاظِها وبعضِ مَفَاهِيمِها. (مُؤَكَّدٌ عَلَيْنَا واللهَ نَرْجُوهُ بِأَنْ يُعِينَا) مُؤَكَّدٌ عَلَيْنَا؛ أي: مُلْزَمُونَ به، بعد توفيق اللهِ وعَوْنِه لنا، وها نحن في البدايةِ، فنَسْأَلُه تَعَالَى العونَ والتوفيقَ واللُّطْفَ والتسديدَ، وأن يكون العمل مما نبتغي به وجهَ الله خالصًا وصوابًا. وأن ينفعَني ووالديَّ وكلَّ من له في إخراجه يَدٌ أو مساعدةٌ، وكلَّ مُطَّلِعٍ عليه، وأن يَجْعلَه في سِجِلِّ حسناتِنا مُدرِّسين ودارسين وسامعين وقارئين، وأن يجعلَه من الأعمال التي تُقرِّبنا إلى اللهِ زُلفَى، ومن الأعمال الدائمة النفع قبلَ وبعدَ مماتِنا، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ.

٤- (عقيدة أهل السنة والجماعة)

١١- وَمَبْدأُ العَقِيدةِ الإيمَانُ ... كَمَا أَتَى بِذَلِكَ القُرْآنُ

(ومَبْدأ) مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ، يُقْصَدُ به افتتاحُ الشيءِ(١). ومَبَادِئُ الأشياءِ أُسُسُها الفِكْرِيَّة والعَقَدِيَّة والتي يقوم عليها البناءُ المادِّيُّ والـمَعنويُّ».

فالإيمانُ هو أساسُ العَقيدةِ الإسلاميَّة الذي يقوم عليه بُنْيانها، وعليه يَشْمَخُ صَرْحُها؛ إذ هو الذي يُوَجِّهُ طاقاتِ أَتْباعِها، ويُحَدِّد لهم غاياتِها الجليلةَ بالوسائل النَّبيلة.

و(العَقِيدَةِ) في اللُّغة هي الحُكْم الذِّهْنِيُّ الجازم، الذي لا يَقْبَلُ الشَّكَّ لدى مُعْتَقِدِه، وكذلك الاعتقاد. ومنه ما يكون صحيحًا، وهو ما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنة. ومنه ما يكون فاسدًا، وهو ما خَلا منهما. وقد يَضَعُه حُكَماء البَشَر وعُقلاؤُهم، وهو محدودٌ بحدودِ أفكارِهم وثقافاتِهم أيضًا، ولا يَصْلُحُ للقيادة الحكيمةِ ولا للرِّيادةِ السليمةِ في مُخْتَلَفِ العُصور؛ لاختلافِ مراداتِهم ومتطلباتِهم. والذي يَصْلُحُ لكل زمانٍ ومكانٍ، هو ما جاء في العقيدةِ الإسلاميَّةِ الصحيحةِ التي ارتضاها اللهُ، وأنزلها بواسطةِ رُسلِه الكرام، وهي عقيدةٌ واحدةٌ بَعَث بها كلَّ رسولٍ إلى كلِّ أمة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهي عقيدةُ التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد خاطَبَ بهذه العقيدةِ أقوامَهم ودَعَا إليها أُمَمَهم كلاً من نُوحٍ وهُودٍ وصالحٍ وشُعَيْبٍ إلى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وهي التي تَكَفَّلَ اللهُ بحِفْظِها، قال تعالى:

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لأبي الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا (حرف الباء، والدال، والهمزة). (١/ ٢١٢)، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الجيل.

....

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وبَقِيَّةُ العقائد غيرِ دينِ الإسلام قد طالها التحريف، والتغيير، والتبديل بشهادة القرآن، وما وُجِد فيها من الحق فهو ما يُقِرُّه الإسلام، ويشهد بصِحَّتِه القرآنُ وصحيحُ السُّنة، وما عداه فلا يُمَثِّلُ الحق، ولا يقوم به.

والعقيدة الإسلامية حاجةُ الإنسانية إليها أشد من حاجتهم للهواءِ والماء، فهي ضَرورةٌ قصوى للإنسان، واللهَ هو المبدأ والمعيد.

(الإيمان) خبر لمبدأ، والعقيدة لا تقوم إلا على الإيمان وركائزه التي هي أركانه الستة، كما ستأتي إن شاء الله مُفَصَّلَةً في محلها.

١- (تعريف الإيمان المطلق لغة وشرعا):

قال علماؤنا: هو لغةً التصديقُ، وقيل: الإقرار بالشيء الناتج عن التصديق به.

وفي الشرع: نطق باللسان، واعتقاد بالجَنَان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، ويَنْقُص بالعِصْيان. هذا في اللغة والشرع، ويظهر ذلك في قَبول ما جاء عن الله ورسوله، والاستجابة لله ورسوله، ولحكم الله ورسوله، والوجل من الله تَعَالَىٰ، والاستقامة في حال الخَلوة والجَلوة.

ومادة (أمِنَ) في اللغة تَدُلُّ على السكون، والأمن، والاطمئنان، وزوال الخوف كما في معاجم اللغة. وهو ما تحتاجه البشرية اليوم من رجوع إلى واحة الإيمان؛ لتسكب في روعها السكون وفي روحها الأمن، وفي حالها كله الاطمئنان الذي لا يباع ولا يُشْتَرى بثمن ماديٍّ، هذا: «وإن مادة أمِنَ: الهمزةُ والميم والنون: أصلان متقاربان، أحدُهما من

الأمانـةِ التي هي ضِـدُّ الخيانة، ومعناه سـكون القلب. والآخر التصديـق»[١]. والمعنيان متدانيان وقد تَقدَّم تعريفُه في الشرع، وأركانه ستة:

(كَمَـا أَتَى بِذَلِك القُرْآنُ) نعم أتى في سـورة البقرة قولُه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، ومن السنة حديث جبريل[٢] حين سـأل الرسـول ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

❀❀❀

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس مادة «أمن» (١/ ١٣٣).

(٢) أخرجـه من حديث عمر مسـلم كتاب «الإيمان» بـاب «معرفة الإيمان» (١/ ٣٦) رقم (٨/ ١). رواه البخـاري ومسـلم، البخـاري عن أبي هريرة في كتاب «الإيمان» (١/ ١٨)، ومسـلم عـن أبي هريرة في كتاب «الإيمان» (٣٠-٣١). ورواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢٨-٢٩)، ورواه الترمذي عـن عمر في كتاب «الإيمان» (٥/ ٦)، وأخرجه النسـائي عن عمر بـن الخطاب (٤/ ١٨/ ٩٧-٩٨)، وعن أبي هريرة وأبي ذر (٤/ ٨/ ١٠١-١٠٣).

٢- أركان الإيمان الستة:

أولها- الإيمان بالله تَعَالَىٰ:

١٢- أَوَّلُهَـا الإِيمَـانُ بِـالله ومـا يـلـيـه مـن مـلائـك قـد عُلما

(أَوَّلُهَا الإيمانُ بالله) الضمير في أَوَّلها يعودُ إلى أُسُس العقيدةِ أو أركانِها، وهو الإيمانُ بالله. والدليل قوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وتعريفه الإيمان: الاعتقادُ الجازم بوجود الله تَعَالَىٰ وأنه ربُّ كل شيء ومَلِيكُه، وأنه الإله الحق المُستحِقُّ لجميع أنواع العبادة، وأنه المُتَّصِفُ بصفات الكمال ونُعوت العظمة والجلال، ويتضمن هذا التعريف أربعة أمور كما ذكره بعض العلماء:

الأول: إثبات وجود الله تَعَالَىٰ، وهذا مع ما في الكتاب والسُّنة من أدلة على ذلك؛ فإن كل موجود من أصغر ذَرَّة إلى أكبر مَجَرَّة دليلٌ على وُجودِه تَعَالَىٰ فإن خلق مافي السموات وما في الأَرَضين، وما بينهما من مشاهد محسوسة أو غير مَحْسوسة وحركات مُشاهدة وغير مُشاهدةٍ فإن وجود ذلك كُلِّه يُثْبِت وُجودَ من أَوْجَدَهم، وكلُّهم يُسبِّحون بحمده، ولكن لا نَفْقَه تسبيحهم، كما تُشِير الأدلة إلى ذلك ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

الثاني: تَضَمُّنُه لتوحيد الربوبية: وهو إفرادُه بتوحيدِ أفعالِه الدَّالَّةِ على الحِكْمة والعدل والإحسان والفَضْل في كلِّ ما تسمعه أو تُبْصِره أو تَلمَسه، فإنها دلائل باهرةٌ، وبراهينُ ظاهرةٌ على وجود الخالق، وعلى وَحْدانيَّته في كلِّ ما خَلَق، ومَن تَدَبَّر جميع أو

بعضَ أصنافِ خَلقِه وجَدَ ذلك بَارِزًا على كلِّ خَلقٍ من خَلقِه، وأنه ربُّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكه، وخالقُه ومُدبِّره ومُربِّيه، وله الخلق والأمرُ، وهو ربُّ العالمين. وما سوى اللهِ عَالَمٌ. كما قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

الثالث: تَضَمُّنُه إفرادَه تَعَالَى بتوحيدِ الإلهيَّةِ، وهو توحيدُ الله بأفعال العباد، وأنه الإله الحقُّ الـمُستحِقُّ للعبادة، وأن عبادةَ ما سواه باطلةٌ، وأنه الـمُتفرِّدُ والـمُستحِقُّ للعبادةِ وَحْدَه دون سواهُ، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦] وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

الرابع: أنه مُتفرِّدٌ بالعظمةِ والجلالِ وبالعِزَّةِ والكمالِ في أسمائِه وصِفاتِه، وأنه موجودٌ ومُستقِرٌّ في العقول والفِطَر وفي الحِسِّ والشَّرْعِ، وأدلَّةُ ذلك أكثرُ من أن تُحصَى من القرآنِ والسُّنة، وأن هذا الوجود عُلوِيَّهُ وسُفْلِيَّهُ، وناطِقَهُ وصَامِتَهُ، وإِنْسَهُ وجِنَّه، يَشْهَدونَ بلسانِ الحالِ، ونُطْقِ الـمَقالِ على وُجودِه، وعلى كمالِ قُدرتِه، وبالغِ حِكْمتِه، وشُمولِ عِلمِه، ورَحَابَةِ حِلمِه، ومطلق مَشِيئتِه وقُدْرتِه، وأنه أَوْجَدَهم من العَدَم، ولم يُوجِدُوا أنفُسَهم، ولم يَدَّعِ أحدٌ من البَشَرِ - لا من القديمِ ولا من الأخيرِ، ولا الآنَ، ولا في المستقبل - أنه أَوْجَدَهم، ولم يَبْقَ بعدَ ذلك - عَقْلًا وشَرْعًا - إلا أن اللهَ هو وَحْدَه الذي أَوْجَدَهم ولا أَحدَ سِواهُ. وقد ذُكِر ذلك في أكثَرَ مِن آيةٍ، قال تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١ - ٢].

وقال تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١ - ٢]، وقوله تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

كما أن الكُتب الـمُنزَّلة من لَدُنْهُ سُبْحَانَهُ شاهدةٌ على وُجودِه، وأنه يَستحيلُ وجودُها ونُزولُـها بدونِ مُنَزِّلٍ. ويؤكد هذا المعنى الآياتُ التي ذَكَرَتْ ذلك في القرآن الكريم، وقد قَدَّمنا بعضًا من ذلك. وكذلك إجابةُ دعوة الدَّاعِين عَبْرَ العُصورِ الماضيةِ وحتى الـمُعاصِرَةِ، فما من مَخْلوقٍ إلا وله مع رَبِّه حالةُ إجابةٍ خاصَّة وتَجْرِبةٌ صادقةٌ، تَدُلُّ على وُجودِه تَعَالَى من لَدُن الأمم الماضية وحتى في هذا العَصْر، وأنَّ المسلمين إذا استغاثوا وجَأَرُوا بالدعاء إلى رَبِّهم أثناءَ الـمُهِمَّات والكُرُباتِ فإنَّ الفَرَجَ بالشفاءِ وبإنزالِ الغيثِ ورفعِ الظُّلم عنهم يَحْصُلُ لهم بعدَ الطلب. وهذا شيءٌ لا يُنْكِرُه إلا مُكابِرٌ مُعانِدٌ. وحتى لو كان الداعي أو المستغيث كافرًا فإن اللهَ يُجيبُه، كما قال تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] وأنه الـمُسْتَحِقُّ لكُلِّ نَأْمَةٍ[١] ونَغْمَةٍ[٢]، أو قَوْلٍ، أو فِعْلٍ، أو عَمَلٍ صَغُرَ أو كَبُرَ.

والإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان قوة فهو مدخول، والإيمان الحقيقي هو الذي يبعث النفس لتقديم أوامر الله على كل شيء مع المحبة والتعظيم والذل لله.

وموانع الإيمان ذكرها ابن القيم أربعة: الكبر، الحسد، الغضب، الشهوة[٣].

فالواجِبُ أن يَتوَجَّه العبادُ به إليه سُبْحَانَهُ؛ فهو الـمُستحِقُّ له دون سواهُ؛ لأنه الأول في إحسانِه، الجَوَادُ في كرمِه وامتنانِه، وهو الغنيُّ الـمُطْلَقُ في إكرامه، والكَريمُ الكاملُ في إنعامه، وما سواه فقيرٌ وناقصٌ ومُحتاجٌ إلى كل شيءٍ، وعاجزٌ عن كلِّ شيءٍ. واللهُ هو

---

(١) هو صوت القوس الضعيف.   (٢) وهو جرس الكلمة.

(٣) انظر: «الفوائد» لابن قيم الجوزية (ص: ٢١٦)، مطابع مؤسسة أخبار اليوم، الناشر - القاهرة في ١٠/ ٢/ ١٩٨٠م.

الغنيُّ المطلق، ومن كلِّ وجهٍ، والغِنَى في حَقِّه ذاتيٌّ، والفقرُ في حق غَيْرِه ذاتيٌّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] كما أنه أثبت لنفسه تعالى أسماءً حُسْنَى وصفاتٍ عُليًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكُلُّها بالغة الذُّرْوة في الحُسْن و الكمال في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه، فله الكمال المطلق، وله الكِبْرِياء والعظمة، والقُدْرة والعِزَّة، وأنه لا يُعْجِزُه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، وأن جميعَ أسمائِه وصفاتِه وذاته مُنَزَّهَة عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثانيها- الإيمانُ بالملائكة:

أي: والذي يلي رُكْنَ الإيمانِ بالله، هو رُكْنُ الإيمانِ بالملائكة قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وكما هو مُرَتَّب في سورةِ البقرةِ، والملائكةُ معناه في اللُّغة جَمْعُ مَلَكٍ أو مَلاكٍ، وهو جِسْم لَطِيفٌ نُورانِيٌّ يَتَشَكَّلُ بأشكالٍ مُخْتَلِفةٍ[١].

ومعناه في الشَّرْع: التَّصْدِيقُ الجازم بأنَّ لله ملائكةً قد خُلِقوا من النُّور، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»**[٢]. وأنَّهم مجبولون

(١) «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٩٢)، إشراف عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

(٢) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مسلم كتاب «الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ» باب «فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ» =

على الطاعةِ لله، يُسَبِّحونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يفْتُرونَ، وأنهم من أَعْظَمِ الـمَخْلوقاتِ قُوَّةً، وقد أُسْنِدَتْ إليهم وَظَائِفُ كثيرةٌ، وكُلُّها تَصُبُّ في مَصْلحةِ الخلق، فيَجِبُ التصديقُ بهذه الأعمال التي يَقُومونَ بها تنفيذًا لأوامِرِه في هذا الكون، وهم عَالَمٌ غَيْبِيٌّ، لا يُرَوْنَ بالأَبْصارِ، ولكن نُؤْمِنُ ونَجْزِم بوجودهم دون شكٍّ.

وقد جاء في الحديثِ أنهم خُلِقوا من نُورٍ، والشياطينُ من نَارٍ، والآدَمِيُّونَ خُلِقوا من طِينٍ، وقد يُسَمَّوْنَ بجُنودِ الله، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

ولهم وَظَائِفُ عَدِيدةٌ، منهم الـمُوكَّلُ بالوَحْيِ، ومنهم الـمُوكَّل بالكِتابةِ، ومنهم الـمُوكَّل بالقَطْرِ، ومنهم الـمُوكَّل بنَفْخِ الصُّور، ومنهم الـمُوكَّل بقَبْضِ الأرواحِ، ومنهم الـمُوكَّل بالقيام على جَهَنَّم، وآخرون مُوكَّلون بحَمْل العَرْشِ، ومنهم سَيَّاح في الأرضِ، ومنهم الـمُوكَّلون بأرزاقِ بَنِي آدَمَ والحياةِ وغيرِ ذلك من الأعمالِ التي يَقُومونَ بها آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ، حتى النِّيَّاتُ والـمَقَاصِدُ يُثْبِتونَها إن تُكلِّم بها، كما نُؤمِن ونُصَدِّقُ بمَن نَصَّ عليهم القرآنُ، ومَن سَمَّاهم وسَمَّى عَمَلَهم، ونُؤمن كذلك بمَن أَجْمَلَهم القُرآنُ، ولم يُعَيِّنْ منهم أحدًا، كما قال تَعَالَى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن صِفَاتِهم أنهم من أعظم جُنودِ الله كَثْرةً، وأنه لا يَعْلَمُ عددَهم إلا هو سُبْحَانَهُ، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، ومن فوائد الإيمان بها وبوجودها أن العَبْدَ الـمُسلِمَ يكونُ دائمًا على يَقَظةٍ وحَذَرٍ فيما يأتي ويَذَرُ؛ لإيمانه بوُجودِ

= (٤/ ٢٢٩٤) رقم (٢٩٩٦/ ٦٠). رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٤/ ٢٢٩٤) رقم (٢٩٩٦) في «الزهد والرقائق» باب «في أحاديث متفرقة». والإمام أحمد عن عائشة في مسنده (٦/ ١٥٧- ١٦٨).

الحَفَظَةِ الكِرام الكَتَبَةِ لكلِّ شيءٍ، فتراه يَتَحَفَّظُ من الكلامِ السَّيِّئِ، ويُكْثِرُ من الكلامِ الحَسَنِ وذِكْرِ الله، والقرآنِ، وقولِ الخَيْرِ، والابتعاد عن قَوْلِ الشَّرِّ؛ والاقترابِ من فعلِ الخيرِ، ولأنه يؤمنُ ويُصَدِّقُ بأن لديه ملائكةً يُحْصُون عليه كلَّ لَفْظَةٍ ويُحاسَبُ عليها، إنْ خَيْرًا فخيرٌ، وإن شَرًّا فشَرٌّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

ومن الفوائد أيضًا العلمُ بعَظَمةِ الله والذي يُفِيدُ الخَشْيةَ منه، فخَلْقُه للعظيمِ من المَخْلوقاتِ كالملائكةِ والعرشِ والكُرسيِّ يَدُلُّ على عِظَمِ الخالقِ سُبْحَانَهُ. ومن الفوائد التي يَجِبُ أن نَعِيَها شُكْرَنَا لله على أن سَخَّر لنا المَلائكةَ يَقُومونَ بكاملِ العِنايةِ لبَنِي آدَمَ في كثيرٍ من المجالاتِ، فهم يَقومونَ بحِفْظِهم، وبكتابةِ أعمالِهم، وغيرُ ذلك كثيرٌ وهم عباد مكرمون برره، ولا يعصون الله ما أمرهم، وهم متفاوتون في الخلق وفي كل شيء، وقد منحوا من القوة، والقدرة ما تمكنهم من التنفيذ لأوامر الله في أسرع وقت، وقد جعلهم الله رسلا في تدبير أوامره القدرية، ورسلا بينه وبين خلقه في تبليغ أوامره الدينية لرسله وأنبيائه[1].

(قَدْ عُلِمَا) في القرآنِ والسُّنة، وهذا مذهبُ أهلِ السُّنة والجماعة، وهم بالآيات والأحاديث يَرُدُّونَ على مَن أَنْكَرَ وُجودَ الملائكةِ فقال: إنَّهم غيرُ أجسامٍ، وإنَّهم عِبارةٌ عن قُوَى خَيْرٍ كَامنةٍ في المَخْلوقاتِ.

❁❁❁

(١) انظر: «موسوعة فقه القلوب» تأليف محمد بن إبراهيم التويجري (١/ ٨٢٧) - بيت الأفكار الدولية.

ثالثها- الإيمان بالكتب:

١٣- (وَبَعْدَهُ الكِتَاب) (ثم الرسل) والبَعْث والتقدير يا ذا تكمل

أي: وبعدَ الإيمانِ بالملائكةِ الإيمانُ بالكُتُب وهي جمع لكتاب. والـمُراد بالكتابِ هنا الجِنس، أي الإيمان بكُتب الله الـمُنزَّلة جميعًا على رُسُلِه عَبْرَ الدُّهور والعُصور، والذين أوَّلُهم نُوحٌ وآخِرُهم مُحَمَّدٌ، عليهم جَميعًا أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٢ - ٤].

ومعناه الإقرارُ بوُجودِها، والتصديقُ بها تَصْدِيقًا جازمًا لا يَتطرَّقُ إليه شَكٌّ، ولا رَيْبٌ، وهو أن اللهَ قد أنْزَلَ على رُسُلِه كُتُبًا فيها هدايةُ أممهم وأقوامهم، وبيانُ ما بَلَغَهم في دينِهم ودنياهم، وبيانُ ما يَضُرُّهم. وكلُّها كلامُ الله تَعَالَى الذي هو نُور وهدايةٌ، وبيانٌ وإرشادٌ، وهي حقٌّ وحقيقةٌ، أنزلها إلى مَن اصطفاهم من رُسله ليُبلِّغوها إلى أممهم، ويُؤْمِنوا بما جاء فيها من حَقٍّ وهُدًى. كما نُؤْمِنُ ونُصدِّقُ بما سُمِّيَ منها كالتوراةِ أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل أنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والزَّبُور أنزل على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصُحُف إبراهيم وموسى أنزل على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقرآن الكريم أنزل على نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن القران الكريم هو الـمُهَيْمِنُ على الكُتُب السابقةِ، كما نُؤْمِنُ بما سُمِّيَ منها في القرآن، ونُؤْمِنُ بما لم يُسَمَّ منها، وهي كثيرةٌ جِدًّا، ولا يَعْلَمُها إلا اللهُ، قال تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

كما نُؤْمِنُ ونُصدِّقُ بأن القرآن آخِرُ الكُتب، ورسالةُ مُحَمَّد آخرُ الرِّسالاتِ الخاتمةِ الخالدةِ، والناسخةِ لِـمَا قَبْلَها من الرِّسالاتِ والأديانِ والكُتُب، وأنَّ ما أقرَّه القرآنُ من تلك الكتب نُقِرُّه، وما أيَّده نُؤَيِّده، وما لم يُقِرَّهُ أو يُؤَيِّدْهُ فهو باطلٌ، والـمُحرَّفُ والـمَنْسوخُ

لا يُعْمَل بها، والعمل بها لم يُنْسَخ منها، وتصديقُ ما صَحَّ من أخبارِها كالقرآنِ، وما لم يُبَدَّل أو يُحَرَّفْ من غيرِه من الكتب، وأن اللهَ أنْزَلَ القرآنَ تنْزِيلًا، وتكَلَّم به حَقِيقةً، وأنه غيرُ مخْلوقٍ، منه بَدَأ، وإليه يَعُودُ.

ومن فَوَائِدِ الإيمان بكُتُبِ الله الرحمةُ بعبادِه والعنايةُ بهم والرعايةُ لهم حيث أنْزَلَ عليهم الكُتُبَ فيها بيانٌ لكلِّ ما يُهِمُّهم ويُعِينُهم دُنْيا وأُخْرَى، وأنَّ ذلك مُستوجِبٌ الشُّكْرَ على تلك النِّعْمةِ العظيمةِ، ومن أعظمِ الفوائدِ الإيمانُ بحِكْمةِ الله البالغةِ إذ أنزل لكلِّ قوم شِرْعةً ومِنْهاجًا، كما قال تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وكلُّها مُتَّفِقةٌ في التوحيد والـمَصْدرِ والغايةِ، ومختلفةٌ في الشرائع.

رابعها - الإيمانُ بالرُّسُل:

(ثُمَّ الرُّسُـلُ) ثُمَّ حرفُ عَطْفٍ، أي: بعد الإيمانُ بالكُتُبِ الإيمانُ بالرُّسـل، والرسل جَمْعُ لرَسُـولٍ، وهو مَن بُعِث بوَحْيٍ وأُمِرَ بتَبْليغِه، والإيمانُ بالرُّسـل يعني الاعتقادَ الجازِمَ والتَّصديقَ الكاملَ الذي لا يَرْقَى إليه شَكٌّ ولا ريبٌ في أن اللهَ قد اصْطَفَى بَشَرًا من عِبادِه رُسـلًا مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

وكذلك أُمِرُوا بالبَلاغِ الـمُبِينِ، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

هذا ومَن ذُكِر اسمُه من الأنبياء والرسلِ في القرآنِ وذكرت لنا قصصهم وأخبارهم خمسةٌ وعِشْرونَ وهم: آدَمُ، ونُوحٌ، وإدريسُ، وهُودٌ، وصَالِحٌ، ولُوطٌ، وإِبْرَاهِيمُ، وإِسْمَاعِيلُ، وإِسْحَاقُ، ويَعْقُوبُ، ويُوسُفُ، وشُعَيْبٌ، ومُوسَى، وهَارُونُ، ودَاوُدُ، وسُلَيْمانُ، وأَيُّوبُ، وذُو الكِفْل، ويُونُسُ، وإِلْيَاسُ، واليَسَعُ، وزَكَرِيَّا، ويَحْيَى، وعِيسَى، ومُحَمَّدٌ. صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعينَ.

منهم ثَمانيةَ عَشَرَ مَذْكورونَ في سورةِ الأنعام آية (٨٣ - ٨٤)، وبَقِيتهم مَذْكُورونَ في آياتٍ أُخَر من كتاب الله. وقد أَنْزَلَ معَهم كُتُبًا فيها بيانٌ للحقِّ والهُدَى، والباطِلِ والضَّلالِ، كما أَيَّدهم بالـمُعْجِزاتِ الباهراتِ، والآياتِ البَيِّناتِ على صِدْقِ ما أُرْسِلوا بـه، وبعضُ المعجزاتِ باقياتٌ إلى يوم القيامة، كالقرآنِ الكريم. وقد أَدَّوُا الأمانةَ، وبَلَّغوا الرِّسالةَ، ونَصَحُوا للأُمَّةِ، وهم صادقون مُصَدَّقونَ فيما أَخْبَروا به على الوجه الأكمل، ومعصومون من الكبائر بالإجماع، ومن تعمد الصغائر على الصحيح، وأنهم على كمالٍ ظاهرٍ في الخَلقِ والخُلُق، فجَزاهم اللهُ عن أُممِهم خيرَ ما يَجْزِي نَبيًّا أو رَسُولًا عن أُمَّتِه.

كما أنَّنا نؤمن بهم جميعًا دون تفريقٍ بينَهم؛ لأن الإيمانَ بواحدٍ منهم هو الإيمانُ بالكلِّ في مَذْهَبِ أهل السُّنة والجماعة، وهو ما أشار إليه القرآنُ بقولِه تَعَالَىٰ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]، من أَوَّلِهم نوح إلى آخِرِهم مُحَمَّدٍ، صلى الله عليهم جَمِيعًا، وسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وكُلُّهم ذُكُورٌ، كما قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وذلك لِـما تَقْتَضِيهِ مُهِمَّةُ الإرسال من مَهَامَّ عِظَام ومَسْئوليَّاتٍ جِسامٍ تَتناسَبُ مع طَبِيعةِ الذُّكورةِ، وليسَ في الرُّسل من خَصائِصِ الأُلوهيَّةِ

والملائكيَّة شيءٌ، وليس منهم نساءٌ أيضًا، هذا وقد أجمعت الأُمَّةُ سَلَفًا وخَلَفًا على تفضيلِ الأنبياءِ على غيرِهم من الصِّدِّيقِينَ والشُّهداءِ والصَّالِحِين(١).

كَما أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أفضلُ الأنبياءِ والرُّسلِ على الإطلاقِ، كما نُؤْمِنُ أنَّ أفضلَ الأنبياءِ والرُّسلِ أولو العَزْمِ، وأفضلُ أولو العَزْم مُحَمَّدٌ ﷺ، وعددهم خمسةٌ: نُوحٌ، وإبْرَاهيمُ، ومُوسَى، وعِيسَى، ومُحَمَّدٌ. صَلَّى اللهُ عليه وعلى جَمِيعِ الرُّسلِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، على القَوْلِ الراجِحِ، كما عند ابنُ كَثِيرٍ(٢)، وصَاحِبُ أضواءِ البيانِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ لدلالة قوله تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: ١٣]. وفي المَسْألةِ عَشَرَةُ أقْوالٍ، ذكَرَها صَاحِبُ تَفْسِيرِ زادِ المَسيرِ(٣). وللآيةِ الثانية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

ويقول صاحبُ أضواءِ البَيانِ: ويحتمل أن تكون «من» في قوله: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. لبيانِ الجِنْسِ، فيكونُ المُرادُ بأولي العزم جميعُ الرُّسُلِ، وهذا لا يَصِحُّ؛ لقوله تَعَالَىٰ في حَقِّ آدَمَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وفي حَقِّ يُونُسَ قوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، فَقَدْ أمر محمدًا بالصبر، ونهاه أن يكون كصاحبِ الحُوت، وهو يونس.

كما نؤمن ونُصَدِّقُ بمن سمَّاهم وقَصَّهم، وذَكَرَ أسماءَهم وبمن لم يَقْصُصْهم في القرآنِ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ» (١١/ ٣٢١) جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٨)، و«أضواء البيان» (٤/ ٥٢٨).

(٣) (٧/ ٣٩٢).

والفرق بين الرسـول والنبيِّ هو: أن الرسولَ مَن بُعِثَ بوَحْيٍ وأُمِرَ بتَبْليغِه، والنبيُّ مَـن أُوحِـيَ إليه بشيءٍ ولم يُؤْمَرْ بتَبْلِيغِه(١). والصحيحُ أن النبيَّ مَن يُوحَى إليه بشريعةِ مَن قَبْلَه ليُجَدِّدَها.

خامسها- الإيمانُ بالبَعْث:

(والبَعْث والتقدير يا ذا تكمل) أي: وبَعْدَ الإيمانِ بالرُّسُلِ: الإيمانُ بالبَعْثِ.

١ - **تعريـف البعـث هـو في اللُّغة:** أصْلُـه الإثارةُ، فيُقـالُ: بَعَثْتُ الـشيءَ فانْبَعَثَ. ويَخْتَلِفُ البَعْثُ بحَسَـب مُتَعَلَّقِه؛ فبَعْثُ الإِنْسـانِ غَيْرَه معناه: الإثارةُ والتوجيهُ والتَّسْيِيرُ والإرسالُ. ورُبَّما قُصِدَ به إحياءُ الـمَوْتَى(٢) كما حصَلَ لعِيسَى؛ في قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ويـأتي البَعْـثُ بمَعْنَى إيجـادِ الأَعْيانِ والأجناسِ، وهذا لا يَقْـدِرُ عليه إلا اللهُ تَعَالَى. والمرادُ بالبَعْثِ هنا هو: النُّشورُ بعدَ نَفْخَةِ الصُّور الثانيةِ، وهو أن الناس بعدَ مَوْتِهم يُبْعَثُون مـن قُبورِهم، وتَعودُ أرواحُهم إلى أجسـادِهم ذاتِهـا، لا إلى غيرِها، وذلك بعدَ تَحَلُّلِها، كما أنه تَعَالَى سيَأْتِي بهم لفَصْلِ القَضَاءِ والـمُجازاةِ على جَميعِ أعمالِهم، إن خَيْرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ، وسيُحاسَبُونَ عليها، كما قـال تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

(١) «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» للعلامة عبد العزيز بن ناصر الرشيد (ص: ٤).
(٢) انظر: «مفردات الراغب الأصفهاني» مادة: بعث (ص: ١٣٢).

كما نُؤْمِنُ ونُصَدِّقُ التَّصْدِيقَ التامَّ بأن هذا اليوم سيَجْتَمِعُ فيه الأَوَّلونَ والآخِرونَ في صَعيدٍ واحدٍ، وسيُجْزَوْنَ فيه الجزاءَ الأَوْفَى، كما قال تَعَالَى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤١].

وفي الشَّرْعِ: هو أنْ نُؤْمِنَ بأنَّ اللهَ تَعَالَى يُعِيدُ الرُّفاتَ من أبدانِ الأمواتِ، ويَجْمَعَ ما تَفرَّقَ منها في البِحَارِ وبُطونِ السِّباعِ وغيرِها حتى تَصِيرَ بِهَيْئَتِها الأولى، ثم يَجْمَعُها حَيَّةً، فيَقومُ الناسُ كلُّهم بأمرِ الله تَعَالَى أحياءً، صَغِيرُهم وكَبِيرُهم، حتى السِّقْطَ الذي قد تَمَّ خَلقُه ونُفِخَتْ فيه الرُّوح(١).

٢- أدلة البعث من الكتاب والسنة:

١ - فمِن الكتابِ قولُه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]، وقولُه تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، وقولُه تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

وهذه الآياتُ الثَّلاثُ قال ابن كثير: «لا يُوجَدُ مِثْلُها في القُرآنِ، فاللهُ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بأنْ يُقْسِمَ به على مَن أَنْكَرَ البَعْثَ».

وقولُه تَعَالَى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وقولُه تَعَالَى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٧ - ٥٠]..

بل إن مُعْظَمَ سُور القُرآنِ تَرْبِط بينَ المبدأ والمَعادِ، والمعاش والمعاد. انظر سور: الواقعة وعمّ، وعبس، والنازعات، وكثيرًا من الآياتِ الدالة على تحقيق البعث.

---

(١) «الجامع لشعب الإيمان» للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (٢/ ١٢)، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه مختار أحمد الندوي، الناشر دار السلفية بمباي الهند.

٢- الأدلة من السنة: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا. وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»[١].

وحديث ابن عَبَّاس رضي الله عنه قال: إِنَّ العَاصَ بْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ البَطْحَاءِ، فَفَتَّهُ بِيَدِهِ، ثم قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَيُحْيِي اللهُ هذه بعدَ ما أَرِمَ؟ فقال الرسول ﷺ: «نعَمْ، يُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»[٢].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالعَرْشِ، فَلا أَدْرِي كَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»[٣]، وهذه الأحاديثُ الصَّحِيحَةُ تُثْبِتُ البعثَ، وتَرُدُّ على مَن يُنْكِرُه.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]» (٦/ ١٨٠) (٤٩٧٤). رواه البخاري مع الفتح في تفسير: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] (٨/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٢٠٣) (١٨١٢٦)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٨٧) (٨٢)، ومقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول: (ص: ١٧٤). تفسير ابن أبي حاتم وابن كثير (٣/ ٥٨٨)، وابن المنذر والإسماعيلي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في «المختارة»، و«الدر المنثور» (٧/ ٧٤). والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٩). وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وفي سنده ابن أبي حاتم عثمان الزيات، قال ابن حجر عنه: لا بأس به. وقد تابعه عمر بن عون عند الحاكم.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ»، باب «قَوْلِهِ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]» (٦/ ١٢٦) رقم (٤٨١٣)، ومسلم كتاب «الْفَضَائِلِ» باب «مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى ﷺ» (٤/ ١٨٤٤) رقم (٢٣٧٣/ ١٦٠). رواه البخاري (٨/ ٥٥١).

ومن الإجماع: قد اتَّفقت الشرائعُ على التوحيدِ والمَعادِ والنُّبواتِ، وقال ابن القَيِّم: مَعادُ الأبدانِ مُتَّفقٌ عليه بينَ المُسْلِمِينَ واليَهُودِ والنصارى. وقال جلال الدين الداراني: هو بإجماع أهل المِلَل وبشهادة نُصوصِ القرآنِ الذي لا يَقْبَلُ التأويل.

وكذلك العَقْلُ يَدُلُّ على قُدومِ البَعْث لا محالَةَ؛ فإنه يُسْتَبْعَدُ أن يعيشَ المظلوم حياتَه ثم لم يَجِدْ من يُنْصِفُه من ظَالِمِه، وإلا كان إيجادُ الخلائقِ في هذه الحياةِ عَبَثًا، تعالى اللهُ عن ذلك، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وهو عَيْنُ الحِكْمة والصوابِ.

٣- مُنْكِرو البعْث والرد عليهم:

وقد أنْكَرَ البَعْثَ طَوائِفُ من الكُفَّار، والدَّهْرِيِّين، والطَّبَائِعِيِّينَ وغَيْرِهم من اليَهُودِ، والنصارى، والصَّابِئةِ، والفَلاسِفَةِ، ومُنافِقِي هذه الأُمَّةِ(١).

وحقيقة قَولِهم إنْكارٌ لِما وَرَدَ عن الله، وعن الرسولِ ﷺ في هذا البابِ من إثبات المَعادِ والبَعْثِ، وقد تَقَدَّمَتِ الأَدِلَّةُ على ذلك، ونضيف أدلة إمكان البَعْثِ في الحَياةِ الدنيا، وأنه قد كانَ في العَالَمِ المَشْهودِ، وهو من أَكْبَرِ الأَدِلَّةِ المُقْنِعَةِ للحِسِّ والنَّفْسِ وسنُشِيرُ إلى ما أشارَ إليه القرآنُ من صُورٍ وأساليبَ.

أوَّلًا: منها التنصيص بالنصِّ الصريحِ مثل: آياتِ من سورة الحَجِّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ» (٤/ ٣١٣).

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

ثانيًا: الاستدلال على إحياء الموتى بإحياءِ مَـواتِ الأَرْضِ عندَ نُزولِ الغَيْثِ، قال تعالَى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ - ١١].

ثالثًا: الاستدلال بخَلقِ المَخْلوقاتِ العظيمةِ، كخَلقِ السَّموات والأرضِ والجبالِ والبِحارِ وغَيْرِها مِن الكَواكِبِ على إعادةِ ما هو أصْغَرَ منها بكَثيرٍ.

رابعًا: إحياء المَوْتَى في الدُّنْيا بعدَ مَماتِهم ومشاهدتهم حَقًّا وحقيقةً، وقد جاء ذلك في القرآن في مواضع:

أولًا: لمجموعةٍ من الناسِ، كما في سُورةِ البَقَرةِ، وهم الذين خَرَجُوا من دِيارِهم خَوْفًا وهم أُلوفٌ حَذَرَ الموت، فقال اللهُ لهم: موتوا. فماتوا، ثم أحياهم، كما في الآية: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وخلاصة القصة: أن جماعة من قرية يقال لها: (ذو وردان). خَرَجُوا منها خَوْفًا من مَرَضِ الطَّاعُونِ، ولَـمَّا وَصلوا وَادِيًا مَلَئُوا ما بين عُدْوتَيْهِ، فأَرْسَلَ اللهُ إليهم مَلَكَيْنِ صاحَا بهم، فهلَكوا جميعًا، وبَلِيَتْ عِظَامُهم، فمَرَّ بِهِم نَبِيٌّ من بَنِي إسرائيلَ اسمه (حِزْقِيلُ)، فسَأَلَ اللهَ أنْ يُحْيِيَهُم على يَدَيْهِ، فأجابَ اللهُ سُؤالَه، وأَرْجَعَ كلَّ رُوحٍ إلى الجَسَدِ الذي كانتْ تَعْمُره، فقاموا أحياءً يَنْظُرونَ إليه بعدَ رَقْدَتِهم الطويلة(١).

(١) انظر: «السؤال والجواب في آيات الكتاب» للشيخ عطية محمد سالم (ص: ٢٥٥)، مكتبة التراث المدينة المنورة.

ثانيًا: إحياءُ الفَرْدِ كما في قَتِيلِ بَنِي إسرائيلَ، وخلاصَتُه: أنَّ رجلًا من بني إسْرائيلَ كان عندَه ابنةٌ وكَثِيرُ مالٍ، وله ابنُ أخٍ يَطْمَعُ في الزواج من ابنة عَمِّه وهو فقير، فرَفَضَ تَزويجَه، فقَتَلَ عَمَّه، واشْتكَى إلى النَّبيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ قبيلةً قتَلَتْهُ، وكانت بينَه وبينَ تلك القبيلة خُصومةٌ، وقد أنكروه خُصماؤُه، فأمرهم اللهُ أن يَذْبَحوا بقرةً، ويَضْربوه ببَعْضِها، فلما فَعَلوا ذلك أحياهُ اللهُ، وقال: قَتَلَني ابنُ أخي. ثم رجَعَ مَيِّتًا بعدَما عاينوه حَيًّا، كما في الآية: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

ثالثًا: وبما أخبَرَ اللهُ عن الذي مَرَّ على قَرْيَةٍ وهي خَاوِيَةٌ على عُروشِها مُسْتَبْعِدًا إحياءَ أهلِها، فأماته اللهُ مائةَ عامٍ ثم بعَثَه، كما في الآيةِ، قال تَعَالَىٰ: ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

رابعًا: بما أخْبَرَ اللهُ به عن شَأْنِ أهلِ الكَهْفِ الذين ضَرَبَ اللهُ على آذانِهم ثَلاثَمائةِ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا، ثم أحياهم اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

خَامِسًا: وبما أخبرنا اللهُ عن قِصَّةِ إراءة إبراهيمَ من إحياءِ الأمواتِ، كما في الآيةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

سادسًا: ما أخبرنا اللهُ به عن قِصَّة موسى مع صاحبِ الحُوتِ، كما قال تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١].

سابعًا: قصة بني إسرائيل الذين امتنعوا عن الإيمان إلا بمشاهدة الله تَعَالَى فأماتهم اللهُ بالصاعقةِ، ثم بَعَثَهم، كما في قولِه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

ففي هذه القِصَص من إحياءِ المَوْتى بعدَ موتِهم دلالةٌ واضحةٌ على إمكانِ البعثِ وعودةِ الأرواحِ إلى الأجسادِ ذاتِها يومَ القيامةِ.

وقد أقسم اللهُ على مجيئه، كما أمَرَ رسولَه أحيانًا بالقسم على وُقوعِ البعث وتحَقُّقِه، كما تقدم.

وقد أخبر عن هذا اليوم إخبارًا مُؤَكَّدًا في مثل قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]. والقرآنُ كلُّه من أوَّلِه إلى آخِره يُؤَكِّد هذه الحقيقةَ بأكثرَ من أُسلوبٍ.

وشُبْهةُ بعضِ المُنْكِرِينَ: استحالةُ إعادةِ الإنسانِ بعدَ أن صار تُرابًا ثم زَرْعًا ثم حَيَوانًا، ثم تُرابًا مَرَّةً أخرى. وقد رَدَّ عليهم القرآنُ الكريمُ بالنَّشْأةِ الأُولَى، وأنه كما بَدَأَ الخلقَ يُعِيدُه مَرَّةً أخرى، وأنَّ الإعادةَ مَرَّةً ثانيةً للخَلقِ هي أهونُ عليه من البداية، وحتى في تَصَوُّرِ أضعفِ العُقولِ وأُولَى خُطُواتِ المَنْطِق: أنَّ بِدَايَةَ إيجادِ الأشياءِ في صُورةٍ مُحْكَمةٍ هي أَصْعَبُ المَراحلِ، وإن إعادتَها من أَسْهَلِ الأُمورِ، فاختيار بَيْتٍ مَّا على صُورةٍ ما يكون مُتْعِبًا جِدًّا عند إنشائِه ورَسْمِ صُورتِه، لكن إذا أراد إعادتَه فهو أسهلُ وأهونُ

عليه بكثيرٍ عن البداية والإنشـاء. ولله الـمَثَلُ الأعلى، فقد قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

ومـا أنكـروه شَيْءٌ مُخْجِل لعقولِهـم، إذ يَرَوْنَ بأُمِّ أعينِهم خَلْقَ السَّـمواتِ والأرض وأنفسِـهم شَـاخِصِينَ، وخَلـقِ الأحياء مـن كلِّ جِنْس ونـوعٍ، وخَلـقِ البِحَـارِ وآثارِها، والرِّياح وآثارها، وحَرَكَات جَميعِ الأكوانِ، واختلافِ الليلِ والنهارِ، وكونه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ومع ذلك ينكرون البعث وإعادة الأرواح لأجسادها.

ومُعْظَم صُور الإنسـانِ تَرُدُّ على الـمُنْكِرِينَ، فالله يَخْلُقُ ما يَشـاءُ، ويُمِيتُ مَن يشاءُ، ويُمْرِضُ مَن يَشـاءُ، ويَشْـفِي مَن يَشاءُ، ثم تَرَى عُقولُهم السَّـخِيفةُ هذه الأشياءَ الموجودةَ أمامَ نَاظِرِهم ثم يُنْكِرون أنْ يَقَعَ مثلَ ذلك مَرَّةً أخرى بعد فنائِها؟!

وحتى خَلقُ الـمُنْكِرِينَ أنفسِـهم دَلِيلٌ على إمكانِ ذلك، فالذي أَوْجَدَهم قَادِرٌ على إعادةِ خَلقِهم مَرَّةً أخرى، بل هي في الـمَرَّةِ الثانيةِ أهونُ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والبعـث دَلِيلٌ على كَمالِ قُدْرتِـه وبالغِ حِكْمتِه سُبْحَانَهُ، وكمالِ رُبوبِيَّتِه وتَمامِ أُلُوهِيَّتِه، فقُدْرتُه على تحويلِ الخلقِ وما في الكون من حالٍ إلى حالٍ هو دليلٌ على كمالِ عطائِه الرُّبُوبِيِّ، وكمالِ قُدْرتِه فهو الذي يحي ويميت ويخلق ويرزق، والآياتُ على ذلك كَثِيرةٌ جِدًّا.

سادسها- الإيمانُ بالقدر:

قـال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

١ - **تعريفه**: (وَالتَّقْدِيرُ يَا ذَا تُكْمَلُ) والتقدير مَصْدَرُ قَدَّرَ يُقَدِّرُ تَقْدِيرًا، قال الإمام أحمدُ رحمه الله: إن القَدَرَ هو قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ(٢). وهو كَلامُ عِلمٍ في غَايَةِ الدِّقَّةِ والشُّمول، قالَه ابنُ القَيِّم رحمه الله في شفاء العليل.

وهو الرُّكْن السَّادِسُ، وعَقِيدةُ أَهْلِ السُّنة والجماعة فيه هو الاعتقادُ الجازم والتصديقُ الكاملُ بأنَّ اللهَ قَدَّرَ الأشياءَ بمَقَادِيرَ مُعَيَّنَةٍ، ونِسَبٍ مُحَدَّدةٍ، وقد كَتَبَها عندَه بعدَ عِلمِه بها، ثم شَاءَها، وأوجَدَها وَفْقَ عِلمِه السَّابِق، وأنَّ كلَّ حَدَثٍ يَتِمُّ بقَضاءِ اللهِ وقُدْرَتِه ومَشيئَتِه وَفْقَ ما قُدِّرَ له، فما شاءَ كانَ، وما لم يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. ولا يُوجَدُ في تَقْدِيرِه شَرٌّ مَحْضٌ، ولا في أفعالِه شَرٌّ كُلِّيًّا أو مُطْلَقًا، بل يُوجَدُ شَرٌّ جُزْئِيٌّ في مَخْلوقاتِه أو مفعولاتِه، وكلُّ ذلك بالنسبة إلى اللهِ خيرٌ وعدلٌ وحِكْمةٌ، ولهذا قال في الحديث: «**والخير كله بيديك والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب مسلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ» (١/ ٣٦) رقم (٨/ ١). متفق عليه.

(٢) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ) الكتاب الثاني القدر (ص: ١٤١)، تحقيق ودراسة د. يوسف عبد الله الوابلي، دار الراية.

(٣) أخرجه من حديث علي بن أبي طالب مسلم كتاب «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ» (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧١/ ٢٠١). «صحيح مسلم» (رقم الحديث ٧٧١).

....

ولا يَجِد الـمُسلمُ حلاوةَ الإيمانِ حتى يُؤْمِنَ بالقدرِ خَيْرِه وشَرِّه، ولا يَخْرُجُ عن إرادتِه ومَشِيئتِه أمرٌ، وأنه خَلَقَ العِبادَ وأفعالَ العبادِ من الطاعاتِ والمعاصي، وأنه يَهْدِي مَن يَشَاءُ بفَضلِه، ويُضِلُّ مَن يَشاءُ بِعَدْلِه وحِكْمتِه، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ.

٢- والفرق بين القَضاءِ والقَدَرِ هو أنَّ القدر كتابةُ كلِّ الأشياءِ أزَلًا بعدَ عِلمِه بها، وإيجادُها بعدَ مشيئتِه لها وربط أسبابها بمُسَبباتِها.

٣- والقَضاءُ هو التَّنْفِيذُ لِمَا كُتِب، ويكونُ غالب ذلك بواسطةِ الشَّخْصِ نفسِه، إذْ يَتَحَرَّكُ بالسَّبَبِ إلى الـمُسَبَّبِ فيَقَعُ الأمرُ الـمَقْضِيُّ في زمانِه ومَكانِه وعلى هيئتِه، فيَظْهَرُ مَعْلومُ ما كَتَبَهُ اللهُ كما هو في الواقع.

فالرِّزقُ يَتَحَرَّكُ صَاحِبُه لبَذْلِ الأسبابِ من السَّعْيِ والكَدِّ، وكذلك الصِّحَّةُ بالـمُعالجةِ والدعاءِ، وكذلك الأولاد، والمناصب بالـمُؤَهِّلاتِ، والإيمانُ بأسباب زيادتِه واجتنابِ نُقْصانِه، وهذه مُدافعةُ الأقدارِ بالأقدارِ، وطلبُ ما عندَ الله بما أَمَرَ اللهُ به من الدعاءِ وغيرِه من الأسباب المشروعة.

٤- والقَدَرُ من المصائب؛ فحينَما يَنْزِلُ بالإنسانِ لا يَعْنِي هَلاكَه، ولكن يعني امتحانَه ورحمته وصَقْلَه، ليَعُودَ إلى الله مُؤَدَّبًا عَارِفًا مكانةَ نفسِه، ومَن هو في عَالَمِ الضَّعْفِ والحَاجةِ والافتقارِ إليه، وكم من أُناسٍ لم يَعْرِفوا رَبَّهم إلا بعدَ هَزِّ الأقدارِ أكتافَ غَفْلَتِهم، فللَّهِ الحمدُ والـمِنَّةُ.

٥- واللهُ يَعْلَمُ حيثُ يَجْعَل رِسالتَه، ويعلم الـمُؤْمِنَ من الكافرِ، والـمُفْسِدَ من الـمُصْلِحِ، والعاملَ من العاطلِ، فيُوَفِّقُ كلَّ مَن كانَ أهلًا لرسالتِه، وكلَّ مَن طَلَب الإيمانَ والإصلاحَ والعملَ، فيُوَفِّقُه بالإعانةِ والهدايةِ، حتى يُصْبحَ من خاصَّتِه وأوليائِه

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وأن الهداية والإضلال، والشقاوة والإسعاد، والكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، كلها بيد الله، يوفق من يشاء بطاعته بفضله. ولا يوفق من يشاء بعدله بسبب عصيان العبد وفسقه.

٦- ثم إنَّ مَن لم يَأْخُذْ بالأسبابِ المَشْروعةِ ويَرْجُو الوُصولَ إلى الإيمانِ وإلى التَّقْوَى وإلى الصلاحِ وإلى الغِنَى والصِّحَّةِ، فلن تَتَحَقَّقَ مَطالِبَهم، ولن يَبْلُغوا مَآرِبَهم إلا بتَوْفِيقِه تَعَالَى، وسيَضِلُّونَ في دَوَّامةِ اللومِ لأَنْفُسِهم والنَّدْب لحظوظهم، والشَّكْوَى من عُثورِ أَقْدَارِهم، وهو إنما جَاءَهم من لَدُن أنفسِهم وضَعْفِهم واستكانتِهم وكَسَلِهم وخُلودِهم إلى الراحةِ، حتى إذا ما فَاتَتْهم تلك المَصالِحُ عَلَّقوا إخفاقَهم على أعتابِ القَدَرِ، كما قال أبو الفضل الرياشي:

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا

قال ابنُ القَيِّمِ[1]: وإذا كُنْتَ غيرَ عَالِمٍ بمَصْلَحتِكَ، ولا قَادِرٍ عليها، ولا مُرِيدٍ لها، كما يَنْبَغِي فغَيْرُكَ أَوْلَى أن لا يكونَ عَالِمًا بمَصْلحتِكَ، ولا قَادِرًا عليها، ولا مُرِيدًا لها، واللهُ سُبْحَانَهُ يعلم، ولا تَعْلَمُ، ويَقْدِرُ ولا تَقْدِرُ، ويُعْطِيكَ من فَضْلِه لا لِمُعاوَضَةٍ، ولا لِمَنْفَعَةٍ يَرْجُوهَا منك، ولا للتَكَثُّرِ بك، ولا للتَعَزُّزِ بك، ولا يخاف الفَقْرَ، ولا تَنْقُصُ خَزَائِنُه على سَعَةِ الإنفاقِ، وهو يُحِبُّ الجُود والبَذْلَ والعَطَاءَ والإحسانَ أَعْظَمَ مِمَّا تُحِبُّ أنتَ الأَخْذَ والانْتِفَاعَ بما سألتَه، فإذا حَبَسَهُ عَنْكَ فَاعْلَمْ أنَّ هناكَ أَمْرَيْنِ، لا ثالثَ لهما: أَحَدُهما: أنْ تَكونَ أنت الواقف في طريقِ مَصالِحِكَ، وأنت المُعَوِّق لوُصولِ فَضْلِه إليك، وأنت حَجَر عَثْرَةٍ في طريقِ نَفْسِك، وهذا هو الأغلبُ على الخليقةِ؛ فإنَ اللهَ سُبْحَانَهُ قَضَى فيما قَضَى

(١) «طريق الهجرتين» (ص: ٧٧).

به أنَّ ما عندَه لا يُنالُ إلا بطاعتِه، وأنه ما اسْتُجْلِبَتِ النِّعَمُ بغَيْرِ طَاعَتِهِ، ولا استُدِيمَتْ بغَيْرِ شُكْرِه، ولا عُوِّقَتْ وامْتَنَعَتْ بغَيْرِ مَعْصِيَتِه.

الثاني: إذا أنعَمَ عليك ثم سَلَبَك النعمةَ، فإنه لم يَسْلُبْها لبُخْلٍ منه، ولا استئثارٍ بها عليك، وإنما أنت المتسببُ في سلبِها عنكَ، فإن اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفسِهم، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا … فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

فالسَّبَبُ الأكبرُ في حِرْمانِك هو طاعتُكَ لهوى نفسِكَ، وبلاؤكَ من نَفْسِك وأنت في الحقيقة مَن بالَغَ في عداوةِ نفسِه، كما قال الشاعرُ:

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ … مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

هذا وقد وُجِدَتْ بعضُ النُّصوص الناهيةِ في الخوضِ في بابِ القَدَرِ، والصحيحُ أنَّ النَّهْيَ مُتوجِّهٌ فيه عن الخوض بالباطلِ أو الخوضِ في كلِّ ما يُؤَدِّي إلى الشكِّ والحَيْرَةِ، أمَّا مَا يُؤَدِّي إلى المعرفةِ والحقِّ والإيمانِ بالله فهذا مَطْلوبٌ شَرْعًا.

٧- مراتب القدر:

هذا وللقَدرِ مراتِبُ أربَعٌ نذكرها مجملة:

الأولى: العِلْمُ بجَميعِ الأشياءِ وبمقاديرِها وزمانِها قبلَ وُجودِها، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

الثانية: كتابةُ جَميعِ تلك الأشياءِ، ولم يَنِدَّ عن الكتابةِ أَمْرٌ أو حالٌ من خَلقِ اللهِ، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

الثالثة: الـمَشِيئةُ الكَوْنيَّةُ، فما شاءه كَوْنًا كانَ، وما لم يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، ولا يَقَعُ في مُلكِه إلا ما يَشاءُ، قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

الرابعة: الخَلْقُ والإيجادُ لكلِّ مخلوقٍ وموجودٍ وَفْقَ علم الله السابقِ وكِتابَتِه ووُجودُه وَفْقَ ما قُدِّرَ له زمانًا ومَكانًا وهيئةً وحالًا دونَ زيادةٍ أو نقصٍ أو تَقْدِيمٍ أو تأخيرٍ، ويدخُلُ في ذلك أفعالُ العبادِ وأعمالُهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

٨- انْقِسامُ الناسِ في القَدَرِ إلى قِسْمين:

الأول: أهل السنة والجماعة وهم مَن أَثْبت القَدَرَ والإيمانَ به، وأنَّ كلَّ شيءٍ في الكون مِمَّا قد وقَعَ أو يَقَعُ أو سيَقَعُ فهو بمَشيئةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه ما شاءَ كانْ وإنْ لم يَشَأ النَّاس، وما لم يَشَأ لم يَكُنْ وإن شَاء الناسُ.

والأَدِلَّةُ على هذا القسم من الكتابِ كَثِيرةٌ جِدًّا، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

ومن السنة الصحيحة ما ورد في صحيح مسلمٍ عن أبي الأسود الدُّؤليِّ قال: قال لي عِمْرانُ بنُ الحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ ما يَعْمَلُ النَّاسُ اليوم ويَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ ما سَبَقَ، أَوْ فِيما يَسْتَقْبِلُونَ بِهِ مِمَّا أَتاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وثَبَتَتْ الحُجَّةُ عليهم؟ فقُلتُ: بل شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى. قالَ: فقالا أَفَلا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِن ذلك فزعًا شَدِيدًا، وقُلتُ: كلُّ شَيْءٌ خَلْقُ الله وَمِلْكُ في يده، فلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. فَقَالَ لي: يرحمك الله تَعَالَىٰ، إني لم أرد بما سَأَلْتُكَ الا لأَحْزُرَ عَقْلَكَ، إنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتيا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ ما يَعْمَلُ النَّاسَ

اليـوم وَيَكْدَحُـونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فيهم من قدر قد سبق أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّـا أَتَاهُـمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ وثبتت به الحجة عليهم؟ فقـالا: «لا، بل شيء قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فيهـم»، وتَصْدِيـقُ ذَلِـكَ فِي كِتَـابِ الله، قـال تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1] [الشمس: ٧ - ٨]. وقـال مُجاهِـدٌ في قولِـه تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قـال: عَلِم مـن إِبْلِيسَ الـمَعْصيةَ وخَلَقَهُ لهـا. وقال تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

الثاني: القَدَرِيَّةِ والجَبَرية:

وهما من خالفوا في القدر، فالقَدَرِيَّةِ الذين ينفون القدر، والجبرية القائلون إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة وأنهم مجبورون على ما يأتون

٩- لا يَجـوزُ الاحْتِجَـاجُ بالقَدَرِ على فِعْلِ المَعَاصِي ولا عـلى ما يَنَالُ الـمَرْءَ من سُوءِ الحالِ وضِيقِ العَيْشِ بسَبَبِ تَرْكِ الأسبابِ الـمَشْروعةِ، وتعليق ذلك على القَدَر.

١٠- هذا ومن مسائل القدر مسألةُ هل الإنسانُ مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّرٌ؟

والجواب عليه باختصار: أن ما كان فيه من شَبَهٍ بالحيوان والنبات فهو فيه مُسَـيَّرٌ، وغيرُ ذلك يكونُ فيه مُخَيَّرًا. فنُمُوُّه وحَرَكَاتُه الجسمانية هذه هو فيها مُسيَّرٌ، واختيارُ قِصَرِه، وطُولِـه، ولَوْنِه، وحُسْـنِه، وقُبْحِه، وذَكَائِه، هذه فهو فيها مُسَـيَّرٌ، وليس له دَخْلٌ حتى في اختيارِ والديه. أما الأشياء التي له فيها إرادةٌ ومَشِيئةٌ وقدره وعَقْلٌ، فهو فيها مُخَيَّرٌ، فيَخْتارُ

(١) متفـق عليـه من حديث عمـران بن الحصين، أخرجه البخـاري كتاب «القَدَرِ» باب «جَـفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ الله» (٨/ ١٢٢) رقم (٦٥٩٦)، ومسلم - واللفظ له - كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْـنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَـقَاوَتِهِ وَسَـعَادَتِهِ» (٤/ ٢٠٤١) رقم (٢٦٥٠/ ١٠). رواه مسلم (٤/ ٢٠٤١) رقم (٢٦٥٠) في «القدر» باب «كيفية خلق الآدمي في بطن أمه».

....

الإسـلامَ أو غَيْرَه، ويَختارُ شَريكةَ حَياتِهِ، ولونَ لِباسِـه وطَعَامَه وشَرابَه وعَمَلَهُ ودِراسـتَهُ وتَخَصُّصَه، فهو مُسَيَّرٌ في أشياءَ، ومُخَيَّرٌ في أشياءَ، وهو مُثابٌ على حسناتِ أفعالِه، ومُعاقَبٌ على سَيِّئاتِ أفعالِه، وله في ذلك حُرِّيةٌ لا يَصِلُ إليها أحدٌ من البَشَرِ، ولا يَطَّلِعُ عليها غيرُ خالقِه وبارئِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي نِيَّتُهُ؛ لأن القَدَرَ سِرٌّ لا يَعْلَمُه إلا اللهُ، ولا يَعْلَمُه البَشَرُ إلا بعدَ وُقوعِه.

وَلا يَجـوزُ الاحْتِجَـاجُ به، لذلك فهو مُغَيَّب عنهم تَمامًـا، وليسَ في هذا حُجَّةٌ لأحدٍ لحديـثِ: «**إِنَّ أَحَدَكُـمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْـلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَـهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْـبِقُ عَلَيْـهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَـلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَـا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْـلِ النَّـارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْـبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**»(١).

وهذا الحَدِيثُ ظَاهِرُه مُخَوِّفٌ، وقد ذَكَرَ العُلَماءُ أن معناه: مَنْ يَعْمَل بعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ في الظاهـرِ أو كـما يَبْـدُو للناسِ وهو في الحقيقـةِ مُخالِفٌ لذلك، فتُدْرِكُـه الحقيقةُ التي كانَ يَعْمَـل بها في الباطن، فيُخْتَمُ له بها، وهـي دُخولُه النار. ومنهم مَن يَعْمَل بعَمَلِ أهلِ النارِ في الظَّاهِرِ أو فيما يَبْدُو للنَّاسِ وهو في الحقيقةِ له أعمالٌ خَيْرِيَّة في السِّرِّ فتُدْرِكُه الحَقِيقةُ التي كانَ يَعْمَـلُ بهـا في الباطـنِ، فيُخْتَمُ له بها، وهـي دُخوله الجَنَّة. والأعـمالُ بالخَواتِيم. وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ له. والدليل على ذلك حديث أبي حازم عن سـهل بن سـعد السـاعدي إن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إن الرجـل ليعمل عمل أهل الجنـة فيما يبدو للناس**

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «بَدْءِ الخَلْقِ» باب «ذِكْرِ الـمَلاَئِكَةِ» (٤/ ١١١) رقـم (٣٢٠٨)، ومسـلم كتاب «الْقَدَرِ باب كَيْفِيَّـةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّـهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِـهِ وَعَمَلِـهِ وَشَـقَاوَتِهِ وَسَـعَادَتِهِ» (٤/ ٢٠٣٦) رقـم (٢٦٤٣/ ١). رواه مسـلم (٤/ ٢٠٥٠) ح (٢٢٦٦) رقم (٣١) في «القدر» باب «كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه».

....

وهـو من أهل النـار، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»(١).

هذا ولا يَجوزُ الاحتجاجُ بالقَدَرِ فيما يَقَعُ عليهم من أشياءَ، ولا يُعَلِّقُ أخطاء البَشَرِ على القَدَرِ كما لو سَرَقوا أو قَتَلوا، ونَحْو ذلك.

(يا ذا تُكْملْ) أي: الإشارةُ تَعْنِي إفهامَ الـمُتَلَقِّي بانتهاءِ الكلامِ على أركانٍ وأُسُسِ العَقِيدة السِّتَّةِ باختصارٍ حَسَبِ إشارةِ النظم. وقد أَطَلْنَا الكلام على الأركانِ في غيرِ هذا المقامِ.

١١ - والتَّقاديرُ أنواعٌ:

١ - تَقْديـرٌ عـامٌّ أزلِيٌّ. هو الذي تَرْجِعُ إليه جَمِيعُ التَّقادِيـرُ، الأول: كتابة ذلك قَبْلَ خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ بخَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ» قال: «وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»**(٢). وقال: **«إِنَّ**

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «لاَ يَقُولُ فُلاَنٌ شَـهِيدٌ» (٤/ ٣٧) رقم (٢٨٩٨)، ومسلم كتاب «الإِيمَان» باب «غِلَظِ تَحْرِيم قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ»،... (١/ ١٠٦) رقم (١١٢/ ١٧٩). رواه مسلم (١/ ١٠٦ - ١٠٧)، ح (١١٢) في «الإيمان» باب «غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه».

(٢) أخرجه من حديث عمرو بن العاص مسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» (٤/ ٢٠٤٤) رقم (٢٦٥٣/ ١٦). رواه مسلم رقم (٢٦٥٣) في «القدر»، باب «حجاج أدم وموسى عليهما السلام» ورواه الترمذي بلفظ قريب منه برقم (٢١٥٧) في «القدر»، باب (رقم ١٨) انظر: «شفاء العليل» (١/ ٢٧).

أَوَّلَ مَـا خَلَـقَ اللهُ القَلَمُ، فقال: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَـيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّـاعَةُ»، يا بني إني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فَليس مِني»[(١)]. «والشَّـقيُّ مَنْ شَـقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّـعِيدَ مَنْ وُعظ بغيره»[(٢)].

٢- تَقْدِيـرٌ عُمْـرِيٌّ عِنْـد أَخْذِ الميثـاقِ الذي اقر به وهو في صلـب آدم وهو الإقرار بالربوبية فطرة. لقولِه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٣- تَقْدِيرٌ عُمْرِيٌّ وهو الذي يَكونُ عندَ تَخْليقِ النُّطْفَةِ في الرَّحِم. ودَلِيلُه حديثُ ابنِ مَسْعودٍ، قال: حَدَّثَنَا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادِقُ والـمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَـعُ خَلقُـهُ فِي بَطْـنِ أُمِّـهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًـا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُـونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِـك، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الـمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِرِزْقِهِ وَأَجَلِـهِ وَعَمَلِهِ وَشَـقِيٌّ أَوْ سَـعِيدٌ، فَوَ الَّذِي لا إِلَـهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَـلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

(١) أخرجه عن عبادة بن الصامت أبو داود - واللفظ له - كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْقَدَرِ» (٤/ ٢٢٥) رقم (٤٧٠٠)، والترمذي أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ باب «وَمِنْ سُورَةِ ن» (٥/ ٤٢٤) رقم (٣٣١٩) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وأحمد تتمة «مسند الأنصار» (٣٧/ ٣٧٨) رقم (٢٢٧٠٥). وصححه الألباني كما في «ظلال الجنة» بتخريج أحاديث السنة رقم (١٠٥). وقال الأرنؤوط في تعليقه على «مسند أحمد»: صحيح. رواه الترمذي في كتاب «القدر» رقم (٢١٥٧) باب (١٨/ ٤/ ٤٥٧-٤٥٨)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ورواه أبو داود عن عُبادة كتاب «السنة» باب «القدر» (٤/ ٢٢٥ -٢٢٦) رقم (٤٧٠٠)، ورواه أحمد عن عُبادة (٥/ ٣١٧). وانظر: «شفاء العليل» (١/ ٢٧).

(٢) أخرجه موقوفًا على ابن مسعود مسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ» (٤/ ٢٠٣٧) رقم (٢٦٤٥/ ٣). رواه مسلم (٤/ ٢٠٣٧) (٢٦٤٥) في «القدر» باب «كيفية الخلق».

الجنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٤- وتَقْدِيرٌ حَوْلِيٌّ: وهو ما يُكْتب على العبدِ في ليلةِ القَدْر بما يكون عليه في ذلك العامِ، ودليلُه قولُه تعالى: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٥].

٥- وتَقْدِيرٌ يَوْمِيٌّ وهو تَنْفيذُ الأقدارِ حَسْبَما قُدِّر لها أَزَلًا، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وَفْقَ تَقْدِيرِها هذا ولا يمنع القدر السابق من العمل ولا يوجب الاتكال عليه بالإجماع بل يجب الجد والاجتهاد في العمل ومدافعة الأقدار بالأقدار.

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «بَدْءِ الخَلْقِ» باب «ذِكْرِ المَلَائِكَةِ» (٤/ ١١١) رقم (٣٢٠٨)، ومسلم كتاب «القَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ» (٤/ ٢٠٣٦) رقم (٢٦٤٣/ ١).

١٤- اللهُ قَـدْ جَعَلَـهَا أَرْكَانَا مَـنْ يَحْـوِهَا فَقَدْ حَـوَى الإِيمَانَا

(الله قد جعلها): أي أنَّ (الله) في كتابِه العزيزِ قد (جعلها) صَيَّرها دَعَائِمَ وأُسُسًا لهذا الدِّين، (أركانا) وهي الأركان الستة الـمُتقَدِّمةُ الذِّكْر، والتي قد استوفينا الكلامَ عليها فيما تَقدَّم باختصار.

والأركان جَمْعُ رُكْنٍ، وهي الجَانِبُ الأقوى في البُنْيان الـمَحْسوسِ، وكذا حُكْمُها في المعاني والأحكام، وهذه الأركانُ يَنْطَبِقُ عليها أُسُسُ العَقِيدةِ وأُصولُها.

وقولُنا: (مَنْ). «مَنْ» بمعنى الذي، وفيها مَعْنَى الشَّرْط، (يَحْوِهَا) هذا فِعْلُ الشَّرْطِ، والهاء ضَمِيرٌ يعودُ على الأركانِ، يُقالُ: حوى حِوَاية، إذا استولى عليها بقَلْبِه وعَقْلِه فصَارَتْ له مُعْتَقَدًا وسُلوكًا.

(فَقَدْ) الفاءُ واقعةٌ في جوابِ الشَّرْطِ، و«قد» للتحقيق، (حَوَى الإيمانا) أي اسْتَوْلَى وَاشْتَمَلَ بقَلْبِه وعَقْلِه على حقيقةِ الإيمانِ الذي يَجْعَلُ الإنسانَ يَنْفَعِلُ به قَلْبًا وقَالَبًا، عِلْمًا وعَمَلًا، وَاعتقادًا وسُلوكًا، ظَاهِرًا وبَاطِنًا وهذا الإيمان هو اعتقادٌ بالجَنَانِ ونُطْقٌ باللِّسانِ وعَمَلٌ بالجَوارحِ والأركانِ، يَزِيدُ بالطاعةِ، ويَنْقُصُ بالعِصْيانِ، صَاحِبُهُ يَعِيشُ في واحةٍ من الأمنِ والأمانِ، وفي بُحْبوحةٍ من السُّكونِ والاطمئنان، وسَيكُونُ بَعِيدًا جِدًّا عن لَفْحِ هَوَاجِرِ الشَّقَاءِ، وسَلِيمًا جِدًّا من جَفَافِ الأَرْوَاحِ ومن صُورِ المَخاوفِ والأشباحِ، ومن عِلَلِ القُلوبِ، وذِلَّةِ الذُّنوبِ، ومن مَوتِ الضمائرِ، ورَحِيلِ الـمَشاعِرِ، وسَيَعِيشُ في سِلْم دَائِم مع عَقِيدتِهِ الصَّحيحةِ، وإيمانِه بالله، ثم معَ ذَاتِهِ ومعَ أَجْنَاسِ الأَكْوانِ وأَنْوَاعِ الـمَخْلُوقَاتِ، ومع ما يُؤْنِسُهُ ويُسْعِدُهُ دُنْيَا وَآخِرَةً.

١٠- تعريف الكفر لغة واصطلاحًا وأنواعه:

وأمَّا الكُفْرُ لغة فهو السَّتْرُ والتَّغْطِيَةُ، وقال تَعَالَى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] وشَرْعًا: هو جَحْدُ ما عُلِمَ من الدِّينِ بالضرورةِ، كجَحْدِ شَيْءٍ مِن أَرْكَانِ

الإسلامِ أو الإيمانِ والحدودِ. والكُفْرُ يكون بتسويةِ الخلق مع الخالق كمن يلجأ إلى الخلق في النفع والضر من دون اللهِ، ويَكونُ بالجَحْدِ المُطْلَقِ كالمنكرين لوجود الله تَعَالَىٰ، وعليه فكلُّ شِرْكٍ هو كُفرٌ، وليسَ كُلُّ كُفرٍ هو شِرْكًا. حيث يكون الكفر جحودا لا تسوية فيه وعليه فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك، لأن بينهما عموم وخصوص مطلقا. قال عُلَمَاؤُنَا: ويكونُ كُفْرًا أَكْبَرَ كالشرك بالله بان يجعل مع الله شريكا في جلب المنفعة أو دفع المضرة. وكُفْرًا أَصْغَرَ كالرياء وهو تحسين العمل الديني من اجل مدح الناس له، والأَكْبَرُ هو الـمُخْرِجُ من الـمِلَّةِ، والأَصْغَرُ غَيْرُ مُخْرِجٍ من الـمِلَّةِ. والأكبرُ يَتعلَّقُ بالقلبِ، فيَكونُ كُفْرًا إعتقاديًّا، والأصغرُ يَتعلَّقُ بالعملِ فيُبْطِلُه، ويُسَمَّى رِيَاءً. والكفرُ أقسامٌ عِدَّةٌ: كُفْرُ تَكْذيبٍ وإباءٍ، وشَكٍّ، وإِعْرَاضٍ، ونِفَاقٍ، واسْتِكْبارٍ[1].

❁❁❁

---

(١) «العين والأثر في عقائد أهل الأثر»، تأليف عبد الباقي بن عبد الباقي البعلي الأزهري الدمشقي تقي الدين بن معية (ص: ٤٠)، تحقيق عصام رواس قلعجي، دار المأمون، ط: ١.

١٥- ومَن لها أوْ بَعْضَها قَدْ جَحَدا فحُكْمُه الكُفرُ كما قَدْ وَرَدا

(ومَن لها) أي: أيُّ واحدٍ من المسلمين أنْكَرَ هذه الأُسُس جَمِيعًا، أو أنْكَرَ بَعْضَها، والضميرُ يعودُ على الأركانِ السِّتَّة.

(أوْ بَعْضَها قَدْ جَحَدا) جُحُودًا كُلِّيًا أو جُحُودًا جُزْئِيًا، أنْكَرَ الأمر معَ عِلمِه به، وفي القرآن قال تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. (فحُكْمُه) في كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِ الله (الكُفر) الأكْبَرُ المُخْرِجُ عن المِلَّةِ؛ لأن الإنكارَ - مع العلم - لآيةٍ واحدةٍ أو حرفٍ واحدٍ من القرآنِ، هو كُفْرٌ أكْبَرُ، فكيف بمَن أنْكَرَ الأركانَ السِّتَّةَ الثابتةَ بالقرآنِ وبصحيحِ السُّنة؟! فإنَّه يَكْفُرُ صَاحِبُها؛ لأنها مَبَانِي الإسلامِ وأركانُه العِظَام. (كما قَدْ وَرَدا) أي مِثْلَما ورَدَ في الكتابِ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

❀❀❀

١٦- فَقَدْ أَتَى بِذَلِكَ التَّنْزِيلُ كَمَا أَتَى نَصًّا بِهِ جِبْرِيلُ

(فقد أتى بذلك التنزيل): الإشـارةُ إلى الآياتِ التي ذُكِرت فيمَن جَحَد شيئًا من الأصول السِّتَّةِ أو بعضِها، فهي وَرَدَت في التنزيل، أي القُرآنِ. وكما وَرَدَ الأمرُ بالإيمانِ بها (نصًّا) كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(كَمَا أَتَى نَصًّا بِهِ جِبْرِيلُ) أيْ فكَمَا جاء بإثباتِ الإيمانِ للأركانِ السِّتَّةِ القرآنُ، فكذلك جاءت مُثْبَتَةً في السُّنَّةِ الصحيحةِ، كما في حديثِ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ المَشهورِ، ونَصُّه: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**». قَالَ: صَدَقْتَ. قالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ، فَأَخبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قال: فَأَخبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قال: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة الإيمانِ، وَالإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ» (١/ ٣٦) =

١٧- ثُمَّ النَّبِيُّ لِلأُصُولِ فَصَّلا وَمَنْ أَتَى بِغَيْرِهِ لَنْ يُقْبَلا

(ثم النبي) أي: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (للأصولِ فصَّلا) السِّتَّةِ قد فَصَّلها تفصيلًا لا يحتاج معَه إلى مَزيدٍ، وفي كلِّ باب من أبواب العلم، والإيمانِ، وفي كلِّ مسألةٍ من المسائلِ الـمُتعلِّقةِ بالدين فَقَد بَيَّنَها أجملَ تَبيِينٍ، ووَضَّحَها أكملَ تَوضيحٍ حتى إنه تَرَكَ أُمَّتَه على الـمَحَجَّةِ البَيْضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ، أو كما ورد في حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونصه قال: «لَقَدْ تركنا محمد رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا يحرك طَائر جَنَاحَيْهِ في السماء إِلَّا أذكَرَنَا مِنْهُ عِلمًا»(١).

ومعناه: عَلَّم أُمَّتَهُ كُلَّ شيءٍ يُهِمُّهم في الدين صغيرًا وكبيرًا، حتى الخِراءَة، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ القُرْآنَ ومِثْلَه مَعَه، فبَيَّنَ الأصولَ والفُروعَ، والحلالَ والحرامَ، وكُلُّ شيءٍ تحتاجُه الأُمَّة من الخَيْرِ دَلَّها عليه، وكلُّ شيءٍ من الشرِّ يَضُرُّها حَذَّرَها منه، فلا خَيْرَ إلا ودَلَّ أُمَّتَه عليه، ولا شَرَّ إلا وحَذَّرَ أُمَّتَه منه، فإلى الكتابِ والسُّنة ينتهي كلُّ علمٍ وحقٍّ وكمالٍ.

فالخَيْرُ كلُّ الخيرِ في إتِّباعِها، والشرُّ كلُّ الشرِّ في الإعراضِ عنها؛ لأن اللهَ بَعَثَه بَشِيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنِه وسِراجًا مُنِيرًا، ولم يَمُتْ حتى تَرَكَ أُمَّتَه على المَحَجَّةِ البيضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ.

(وَمَنْ أَتَى بِغَيْرِهِ لَنْ يُقْبَلا) أي: ومَن جاءَ بتفصيلٍ وبيانٍ للأصولِ السِّتَّةِ من غيرِ ما جاء به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الوَحْيُ الثَّاني، فهو غيرُ مَقْبولٍ منه،

= رقم (٨/ ١). رواه مسلم (٣٦- ٣٨) ح (٨) في «الإيمان» باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تَعَالَى» رقم (١) في كتاب «الإيمان».

(١) أخرجه من حديث أبي ذر أحمد «مسند الأنصار» (٣٥/ ٢٩٠) رقم (٢١٣٦١)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر، وهو ابن يعلى الثوري. وقال الألباني في التعليقات الحسان: (١/ ١٩٢): هذا إسناد جيد، والأشياخ جمع من التابعين لا تضر جهالتهم. رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٣) ويوجد في «الإرواء» رقم (٢٧٦).

....

كما قال ﷺ، عن أُمِّ الـمُؤْمِنِينَ أُمِّ عبدِ الله عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١). وكما كان يقول في خُطْبَتِه: «إِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»(٢).

وأيضًا فالذي لا يَتَعَبَّدُ بما في الشَّرْعِ فحَالُه حالُ مَن يَظُنُّ النَّقْصَ، وقد أكملَ اللهُ الدِّينَ، وأَتَمَّ به النِّعْمةَ. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

فهذا الذي يأتي بما ليسَ من الشَّرعِ سواءٌ في الأصولِ أو الفُروعِ أو المُعاملاتِ والعباداتِ ولم يَسَعْهُ بيانُ رسولِ الله ﷺ، فعَمَلُه مَرْدودٌ وغَيْرُ مقبولٍ، ومَن تَابَعَ الرسولَ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه، فعَمَلُه مَقبولٌ، ومَن كانَ خارِجًا عن ذلكَ فهو مَرْدُودٌ والألفُ في «فَصَّلَا»، وفي «يُقْبَلا» للإطْلاقِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الصُّلْح» باب «إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ» (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم كتاب «الأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الأَحْكَامِ البَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨/ ١٧). رواه البخاري في «الصلح» (٥/ ٣٠١) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) ح(١٧١٨) في «الأقضية» باب «نقض الأحكام الباطلة من حديث عائشة» ورواه أبو داود وابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في «غاية المرام» (٥) ورمز له الألباني بالصحة في «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٠٣٥، ورقمه ٥٩٧٠).

(٢) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله مسلم كتاب «الجمعة» باب «تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ» (٢/ ٥٩٢) رقم (٨٦٧/ ٤٣). بلفظ «خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ». رواه النسائي (١/ ٣٤٦) رقم (١٤٨٧) باب (٢٢).

١٨- وظَاهِرًا وَبَاطِنًا نُسَلِّمُ ... لِلْوَحْيِ طُرًّا وَلَهُ نُقَدِّمُ

(وظاهِرًا) أي: أعمالُنا الظاهرة والسُّلوكيات المُشاهَدةُ وهي في الغالب مَسائلُ الإسلام كالأركانِ الخَمْسةِ والشَّعائرِ الظاهرةِ نَأْخُذُها وُجوبًا، ونُسَلِّمُ بها مُتابعةً للرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، فطاعتُه وَاجِبَةٌ في الأعمالِ الظاهرةِ التي جاءَنا بها.

(وَباطِنًا نُسلِّمُ) أي: ونُسَلِّم ونُذْعِن بأعمالِ قُلوبِنا وننقادُ ونَخْضَعُ بجميع جَوارِحِنا في الأعمالِ والأقوالِ والأفعالِ ونُصَدِّقُ تصديقًا جَازِمًا يَنْشَأُ عنه العملُ الصالحُ، ويَتَمَثَّلُ ذلك في الإيمانِ بالأركانِ السِّتَّةِ والتي أَشَارَ إِلَيْهَا القُرآنُ في سُورةِ البَقَرةِ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ..﴾ [البقرة: ٢٨٥] الخ، وبكل ما جاء به.

(لِلوَحْيِ) أَصْلُ الوَحْيِ الإشارة السريعةُ، وكُلَّمَا أَلْقَيْتَه إلى غَيْرِكَ لِيَعْلَمَهُ فهو وَحْيٌ، ومنه ما يُوحِيهِ اللهُ، وهو أقسامٌ كما في الآيةِ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

(طُرًّا) أي: جميع ما جاء في القرآن وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الحكمة التي هي من الوحي أيضًا.

(وَلَهُ نُقَدِّمُ) أي للوحي، نُقَدِّمُه على كلِّ قولٍ في الانقيادِ والخُضوعِ والطاعةِ.

❁❁❁

١٩- وَمَنْ يَرَى دِينًا سِوَى الإِسْلَامِ حَقًّا فَكُفْرُهُ بِلَا إِيهَامِ

ومن يَعْتَقِدْ أنَّ أيَّ مِلَّة من الملل الماضية أو الموجودة كالنَّصرانيَّةِ واليَهوديَّةِ والمَجوسيَّةِ والوَثَنيَّةِ أو غيرِها من المِلَل والنِّحَل التي لم يُقِرَّها القرآنُ ولم يُؤَيِّدْ ما فيها، مَن يَرَى أنها حقٌّ، فقد ابْتَغَى غيرَ الإسلامِ، وقد نَقَضَ إسلامَه، إن كان من المسلمين، ومن اعتقد صِحَّةَ غيرِ الإسلام دِينًا أو رأى أنه يَسَعُه الخروجُ عن الإسلامِ أو عن شريعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فالحقُّ أن عملَه مردودٌ، وخسارتَه مُحَقَّقةٌ؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

و مَن لَمْ يَتعلَّمْ دينَ الإسلام، أو لم يَعْمَل به، ورَمَى بدين الله جَانِبًا، وعَزَلَه عن جميعِ شُئونِ الـمُعاملاتِ والعباداتِ في الحياةِ، فهو يدخل في معنى هذه الآيةِ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومَن اعتقد أن هَدْيًا غيرِ هديَ النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أنَّ حُكْمًا غيره أحسن من حكمه، كالذين يُفَضِّلون حُكْم الطواغيت، فهو كافر، ومثلُهم من يعتقد أن الأنظمةَ والقوانين البشرية التي هي من وَضْع البَشَر، من يرى أنها أفضلُ وأليقُ من شريعةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أو أنها مثل شريعته فحُكْمُه كافرٌ، وكذلك مَن يَرَى أن نِظَامَ الإسلامِ غيرُ صالحٍ للقرون المُتأخِّرةِ، وأن تَطْبِيقَه لا يَصْلُحُ لـمَشَقَّتِه، ومَن يَصِفُه بالبشاعةِ وأنه سَبَبٌ في تَخَلُّفِ الـمُسلمين، وكذلك مَن يَعْتَرِضون على تنفيذِ أحكامِ الله، وأنَّ ذلك غيرُ لائِقٍ بالقَرْنِ العشرين، ولا يُناسبُ أبناءَ هذا العصرِ، مثل أن يُرْجَم الزَّاني، أو تُقْطَع يدُ السارقِ، والقِصاص، وأنه يَجوزُ بَدَلًا من ذلك الحُكْمُ بغيرِ ما أَنْزَلَ اللهُ في الحُدودِ والمعاملات، فحُكْمُه كَافِرٌ بلا تَرَدُّدٍ ولا إيهام؛ لأنهم وإن لم يعتقدوا أن ذلك أفضلُ من حُكْم الشريعةِ إلا أنهم قد استباحوا ما حَرَّمَ اللهُ إِجْمَاعًا، وكُلُّ مَن استباحَ ما حَرَّمَ اللهُ مِمَّا هو مَعْلومٌ من الدينِ بالضَّرورةِ كالزِّنى والخَمْر والحُكْمِ بغيرِ شريعةِ الله، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين. وأدلة هذا كثيرة في الكتاب والسُّنة[1].

---

(١) «نواقض الإسلام»، للعلامة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع مقالات وفتاوى» =

١١- مُصطلحاتٌ:

٢٠- وَالـذَّوْقُ وَالـكَشْفُ مَـعَ القِيَاسِ أَوْ قَـوْلُ شَـيْـخٍ أَوْ إِمَـامِ النَّاسِ

٢١- نَـرُدُّهُ إِنْ عَـارَضَ الكِتَابَا أَوْ سُـنَّـةً أَوْ مَـنَـعَ الـصَّـوَابَـا

الذوق والكشف والوجد. هذه مُصْطَلَحاتٌ جمع مصطلح وهو ما تعارف عليه أهل علم معين بألفاظ وتراكيب في التعبير عن حقائق ذلك العلم ونعني بهذه المصطلحات في الغالبِ ما تعارف عليه أربابُ الطُّرق مِمَّن يَنْتَسِبونَ إلى الصُّوفِيَّة، ومثلها الفناء والاصطلام والوَجْد والمواجيد، وسنُبَيِّنُ بعضَ هذه الألفاظ باختصارٍ.

كَلِمةُ الصُّوفيَّة: هذه نسبة إلى لُبْسِ الصُّوفة، ولا يَصِحُّ لُغةً أنْ تُنْسَبَ إلى الصَّفَاءِ؛ فإنَّ النسب إليه (صَفَوِيٌّ) ولا إلى الصُّفَّة؛ فإن النسب إليها (صُفِّيٌّ) ولا إلى (الصفِّ) وهو الـمُتَقَدِّمُ والأُولَى مِن الصُّوف؛ لأن النَّسَب إليه (صَفِّيٌّ).

والصُّوفِيَّـة لم تُعْـرَفْ في عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، ولا في القُـرونِ الثلاثة الأولى، وإنما جـاءت مُتأخِّـرةً بعدَ ذلك، وقد تكلم بهـا بعض الأئمة كالإمام أحمد، وسـفيان الثوريِّ، والحسـن البصري والمعنـى أن منها ما هو صحيحٌ ومقبولٌ، ومنها مـا هو بِدْعةٌ وضلالٌ، فهو مَرْدودٌ.

وأَوَّلُ بلـدٍ ظهرت منه هي البَصْرةُ، وأول بِنـاءٍ لأهلها كان بالبصرة، وفي أهلها من المبالغـة في الزهـد والعبـادة ما لا يُوجَد في أيِّ بلـدٍ آخرَ، وخاصَّة عند سـماع القرآنِ، فقد انتشر عن عُبَّاد وزُهَّاد البصرة الصَّعْق والغَشْي حتى الـمَوْت عندَ سماعِ القرآنِ، فقد رُوِيَ عـن زُرارةَ بْنِ أَوْفَى قَاضِي البَـصْرَةِ أنَّه عندما قَرَأ قولَه تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، في صـلاة الفَجْـر أنـه خَرَّ مَيِّتًا، وكذلـك أبو جُهَيْرٍ الأعمـى عندما قرأ عليـه صَالِحٌ المُرِّيُّ بعضَ آياتِ القرآنِ أنه ماتَ. وكان بعضُهم يَصْعَقُون عندَ سماعِ القرآن.

= (١/ ١٣١، ١٣٢) جمع د/ محمد سعيد الشويعر.

....

وهذه الأحوال إن لم يستطع دَفْعَها صاحبُها ولا رَدَّها لقُوَّةِ الوَارِدِ على قَلْبِه، ورِقَّتِه التي لا تَتَحَمَّلُ مثلَ هذا الحالِ، فليسَ فيه شيءٌ[(١)]. ولكنَّ أكملَ منه حالُ الصحابةِ، فقد كانوا إذا سَمِعوا القرآنَ يَخْشَعُون وتَلِينُ جُلُودُهم وتَقْشَعِرُّ أبدانُهم وتفيضُ أعينُهم من الدمع. ولذلك فقد أنكر بعضُ السلف من الصحابة وغيرِهم هذه الحالَ لظَنِّهم أنها تَكَلُّف أو تَصَنُّعٌ، كما يُروى عن مُحَمَّد بنِ سِيرِينَ أنه قال: «ما بَيْنَنا وبَيْنَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَصْعَقُونَ عندَ سَماعِ القُرآنِ إلا أنْ يُقْرَأَ عَلَى أَحَدِهِمْ وَهُوَ على الحَائِطِ، فَإِنْ خَرَّ فَهُوَ صَادِقٌ»[(٢)]. ومَن أَقَرَّ هذا الحالَ هو مَن رأى صاحبَه مغلوبًا على أمْرِه وأنه لا حَوْلَ له ولا قُوَّة له في دَفْعِه عن قلبِه فلم يُنْكِرْ عليهم.

وقد ورَدَ عن الإمامِ أحمدَ ما يُؤَيِّدُ هذا، إذ قال: «قُرِئَ القرآنُ على يَحْيى بنِ سَعِيدٍ القَطَّانِ، فغُشِيَ عليه، ولو قَدَرَ أنْ يَدْفَعَ عن نَفْسِه لدَفَعَهُ عن نَفْسِه يَحْيى بنُ سَعِيدٍ، فما رأيتُ أعقلَ منه». وكفى بشَهادةِ الإمامِ أحمدَ.

كما يُؤَيِّدُ هذا ما نُقِلَ عن الشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه أصابه مِثْلُ ما أصابَ يَحْيى ابنَ سعيدٍ، ومَنْ يَقْرَأْ كُتب الترغيب والترهيب يَجِدْ كثيرًا من هذه الأحوالِ.

والخلاصةُ: أَنَّ بِدَايَةَ الصُّوفِيَّة من البَصْرَةِ، وأنها بعد القرون المُفَضَّلة، وأنه لا يُنْكَر عليها إذا وافق فِعْلُ أهلِها وعملها ما في كتابِ الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما إذا خالفت ما في كتابِ الله وسُنَّة رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يُلْتَفَتُ لها، وشُدِّد الإنكارُ على أهلها، فإنَّ بعضَهم ضُلَّال ومُبْتَدِعة وزنادقة؛ لأن خير الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيرَ القُرونِ القَرْنُ الذي بُعِث فيهم، وأنَّ أفضلَ الطرق والأحوال

(١) «فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٦).
(٢) «فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٨).

....

ما كان عليه الصحابةُ والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكلُّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ[1].

ومن تلك الألفاظ: (الذَّوْق).

وتعْريفُه[2]: هو مُباشَرَةُ الحاسَّة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر، ولا يَخْتَصُّ ذلك بحاسَّةِ الفَمِ في لُغةِ القرآن، ولا في لُغةِ العربِ، قال تَعَالَى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ [النحل: ١١٢]، فاشتمل على عذاب الظاهر والباطن.

والذَّوْقُ في اللُّغة: الحَاسَّةُ التي تُمَيِّزُ بها خواصُّ الأجسامِ الطَّبيعيَّةِ بوَاسِطَةِ الجهاز الحِسِّيِّ في الفَمِ.

وفي الأدبِ والفنِّ: حَاسَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ يَصْدُرُ عنها انْبِسَاطُ النَّفْسِ أو انْقِباضُها لَدَى النَّظَرِ في أَثَرٍ من آثارِ العاطفةِ والفِكْرِ، ويقال لها: التَّذَوُّقُ الأَدَبِيُّ، أو الفَنِّيُّ.

وَالذَّوْقُ: مُقَدِّمةُ الطَّعْمِ، وفي الصحيح عنه ﷺ: **«ذَاقَ طَعْمَ الإِيمانِ مَنْ رَضِيَ بالله رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولا»**[3]، فأخبر أن للإيمانِ طَعْمًا، وأن القلب يَذُوقُه كما يَذُوقُ الفَمُ طَعْمَ الطعام.

(١) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله مسلم كتاب «الجمعة» باب «تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ» (٢/ ٥٩٢) رقم (٨٦٧/ ٤٣)، والنسائي - واللفظ له - كتاب «صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ» باب «كَيْفَ الْخُطْبَةُ» (٣/ ١٨٨) رقم (١٥٧٨). أخرجه النسائي في «الجمعة» باب «كيف الجمعة» (٣/ ١٨٨) المجتبى. والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ١٤٥) من حديث جابر بن عبد الله وصححه شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ١٦٣).

(٢) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (ت: ٦٩١-٧٥١هـ)، (٣/ ٨٧)، تحقيق محمد حامد فقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

(٣) أخرجه من حديث العباس مسلم كتاب «الإِيمَان» باب «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا» (١/ ٦٢) =

وقال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الـمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُلقَى فِي النَّارِ»[(١)]. أو حديث: «لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»[(٢)].

والمرادُ من هذه الأحاديثِ أنَّ للإيمانِ طَعْمًا وحلاوةً يَتعلَّق بهما ذوقُ المؤمنِ ووِجْدانُه وهي غايةُ ما يَصِلُ إليه العبدُ في الإيمانِ، وهي الوسيلة الفعالة التي تَطْرُدُ الشُّكوكَ والشُّبَهَ عن القلوب؛ لأن مَن ذاقَ حلاوةَ الإيمانِ، فقد باشَر قلبَه وتَمكَّن من سُوَيْداء قَلبِه، رَزَقَنا اللهُ وإيَّاكم ذلك الذوقَ، وأطعمنا لذة تلك الحلاوةَ الإيمانية.

قولنا: (وَالذَّوْقُ) وقد تَقَدَّم تعريفُه. وما نَقْصِدُه هنا هو الذوقُ الـمُخالِفُ لِـمَا في كتابِ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ، وهو ما يَرْتضيه الإنسان لنفسه كمِزَاجٍ وهَوًى؛ فيقول: ذوقي يَرَى هذا ويعجبه هذا. فنقول له: إن وافق ما في الكتاب والسُّنة وما عليه السَّلَف الصالحُ قُلنَا له: نعم لذوقك السليم. وإن خالف الكتاب والسُّنة وما عليه سَلَف الأُمَّة، فنقول له: إن ذوقك هذا ومقررات عقلك إذا وجدت فهي محصورة بين جداري

= رقم (٣٤/ ٥٦). رواه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، والترمذي في صحيحه. وانظر: «مختصر مسلم» (٢٥).

(١) متفق عليه من أنس بن مالك أخرجه البخاري كتاب «الإِيمَانِ» باب «حَلَاوَةِ الإِيمَانِ» (١/ ١٢) رقم (١٦)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» (١/ ٦٦) رقم (٤٣/ ٦٧).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري كتاب «الشَّهَادَاتِ» باب «شَهَادَةِ الـمُخْتَبِي» (٣/ ١٦٨) رقم (٢٦٣٩)، ومسلم كتاب «النِّكَاحِ» باب «لَا تَحِلُّ الـمُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا لِـمُطَلِّقِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ»... (٢/ ١٠٥٥) رقم (١٤٣٣/ ١١١). رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والجماعة بطرق مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى.

الزمـان والمكان ومردودةٌ عليـك؛ لأنه مخالـفٌ لِـمَا عليه الكتاب والسُّـنة، كـما ورد عن أُمِّ المؤمنين عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**(١). وفي رواية: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٢).

ومـع الـذوق الوَجْـدُ والـمَواجِيدُ، وهـي مصطلحاتٌ عنـدَ القوم، مـا وافقَ منها الكتابَ والسُّـنة فهـو مَقْبولٌ، وما خالفهما فهـو مَرْدودٌ. قال القرطبـي في الذين يخالفون الكتاب والسُّـنة بأذواقِهم ووَجْدِهم ومَواجِيدِهم بعدَ أن بَيَّنَ ما عليه السَّلَفُ عندَ استماعِ القـرآنِ وتأثرهـم به، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن أُنَاسًـا اليوم إذا قُـرِئَ عليهم القُرْآنُ خـرَّ أَحَدُهُمْ مَغْشِـيًّا عَلَيْهِ، فقالت أَسْماءُ بِنْتُ أبي بكرٍ: أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وقال ابن عُمَر: إنا لنَخْشَى وما نَسْقُطُ».

وقـال القُرطُبِيُّ أيضًا تَعْقِيبًا على أحوال الصحابة عندَ سـماعِهم للآياتِ قال: «هَذِهِ حالةُ العَارِفِينَ بالله الخَائِفِينَ من سَـطْوتِه وعُقوبتِه، لا كما يَفْعَلُـه العوامُّ الـمُبْتَدِعَةُ الطَّغَامُ من الزعيقِ والزَّئِيرِ ومن النُّهاق الذي يُشْبِهُ نُهاق الحَمِيرِ، فيُقالُ لـمَن تَعاطَى ذلك وزَعَمَ أن ذلـك وَجْدٌ وخُشـوعٌ: إنَّـك لَمْ تَبْلُغْ حالَ رَسُـولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا حالَ أصحابِه في

---

(١) متفـق عليـه من حديث أم المؤمنين عائشـة، أخرجـه البخاري كتـاب «الصُّلْح» بـاب «إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ» (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٧)، ومسـلم كتـاب «الأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الأَحْكَامِ البَاطِلَـةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَـاتِ الأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقـم(١٧١٨/ ١٧). رواه البخـاري رقـم (٢٥١٣)، ومسـلم رقـم (٣٢٤٨)، ورواه أبـو داود وابن ماجه عن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في «غاية المرام» ورمـز لـه بالصحة الألباني تحـت رقـم (٥٩٧٠) في «صحيح الجامـع الصغـير» (٢/ ١٠٣٥) وانظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٦٦) عند تفسير الآية رقم (١٤).

(٢) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «الأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الأَحْكَامِ البَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨/ ١٨).

الـمَعْرِفَةِ بالله والخَوْفِ منه والتعظيم لجلالِه». وقال القُرطُبِيُّ[1] في تفسيرِه لقولِه تَعَالَى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]: «قال ابنُ عَطِيَّةَ: تَعَلَّقت الصوفيةُ بالقيام والقول».

وقال القُرطُبِيُّ في مَوْضِعٍ آخَرَ: «وهذا تَعَلُّقٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، هؤلاء قاموا فذَكَرُوا اللهَ على هِدَايَتِه، وشَكَرُوه لِـمَا أولاهم من نِعَمِه ونِعْمَتِه، ثم هاموا على وُجوهِهِم مُنْقَطِعِينَ إلى رَبِّهِم خَائِفِينَ من قَوْمِهِم. وهذه سُنَّةُ الله في الرُّسـل والأنبياء والفضَلاء الأولياء[2]، أين هَـذَا مِن ضَرْبِ الأَرْضِ بالأَقْدَامِ والرَّقْص بالأكمامِ، وخَاصَّةً في هذه الأزمان عندَ سماعِ الأصوات الحِسَانِ من الـمُرْدِ والنسوان، هيهات، بينهما والله كما بين الأرض والسماء».

والرَّقْصُ والتَّواجُدُ حَرامٌ، وأَوَّلُ من أَوْجَدَهُ وأَحْدَثَهُ أصحابُ السامريِّ لَـمَّا اتَّخَذوا لهـم عِجلًا له خُوار، قامـوا يَرْقُصونَ حَوالَيهِ ويَتواجدون. قـال القرطبي: «إذن فهو دِينُ الكُفَّارِ وعُبَّادِ العِجْلِ»، والـمَوَاجِيدُ فَوْقَ الوَجْدِ؛ لأنَّها ثَمَرَاتُ الأَوْرَاد.

وقـال ابْـنُ القَيِّـمِ عـن الـمَوَاجِيـدِ والوَجْدِ: وهـي التـي يَصْحَبُها التمايُـلُ والغناء والرقصُ، وهي التي ما أنزَلَ اللهُ بها من سلطانٍ، وينشدون معَها الأشعارَ مثل:

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوَى كَبِدِي ... فَلاَ طَبِيبَ لَهَا وَلاَ رَاقِي
إِلَّا الحَبِيبُ الَّذِي شَغَفْتُ بِهِ ... فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وَتِرْيَاقِي

والوَجْـدُ ومـا فوقَه من مراتـبَ هي التي تَأْمُـرُ القَوْمَ وتَنْهَاهم، فـلا يَعْصُونَها، وإن خالفوا الكتاب والسُّنة، واسمع لـمُنْشِدِهِم:

(١) «تفسير الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي (١٠/ ٣٦٦).
(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٧٤).

يَا صَاحِبِي أنت تَنْهَانِي وَتَأْمُرُنِي ... والوَجْدُ أَصْدَقُ نَهَّاءٍ وَأَمَّارِ
فَإِنْ أُطِعْكَ وَأَعْصِ الوَجْدَ رُحْتُ ... عَنِ اليَقِينِ إِلَى أَوْهَامِ أَخْبَارِ

وقولنا: (والكشف). وهو يعني عندَ القوم أنَّ الهِمَّة تَسْتدعي صِدْق الطَّلب ودوامَه؛ والكشف هو الشُّهودُ والمُعايَنَة عندَ القومِ.

ومعنى المُكاشَفَة عند القوم: ظُهورُ الشَّيءِ للقلبِ بحيثُ تَصِيرُ نِسْبتُه إليه كنسبةِ المرئيِّ للعين، فلا يَبْقَى معه شَكٌّ ولا ريبٌ، وهذا نهايةُ الإيمانِ، وهو مقام الإحسانِ. كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

والكشفُ أنْ يَطَّلِع الإنسانُ على ما لم يَطَّلِع عليه غيرُه، وتكاشَفَ القومُ أَبْدَى كلٌّ ما عندَه أو ما في نفسِه. وليس الكشفُ الصحيحُ إلا ما طَابَق ما جاءتْ به كُتُب الله ورسُلُه؛ لأنه الكشف الصحيحُ الذي بَعَثَ اللهُ به رسله وأنزل به كُتُبَه مُعاينة لقَلبِه، وهو معرفةُ الحقِّ والدَّورانُ معه عدمًا ووُجودًا، وما عداه فلا يَصِحُّ.

والكشف الذي نَعْنِيه ونُرَدِّدُه هو كَشْفُ وذَوْقُ المُتصوِّفَةِ التي تَقولُ: لقد ثَبَتَ عندنا بالكشفِ ما يُناقِضُ صريحَ العقلِ والنقلِ. فهذا مَرْدودٌ؛ لأنه ذوقٌ شَيْطانيٌّ، كمن تَظْهَر على يديه الخوارقُ والطيرانُ في الهواءِ، والمشيُ على الماءِ، وقد تَحْصَل مثلُ هذه لبعضِ أولياءِ الله بسببِ الدعاءِ، وهي كرامةٌ من الله في حَقِّهم، مثلما حَصَلَتْ لأبي بكرٍ الصديق وعُقْبة بن نَافِعٍ، وللعلاءِ الحضرمي، لا كما حصل ويَحْصُلُ من السَّحَرة والمُشَعْوِذِينَ والدَّجَّالين، فمنهم من يُخْبِرُك عن الغائب، ومنهم من يقرأ الفِنْجان والكفَّ، ويخبرك عن أحوال تُصدِّقُه فيها لوُجودِها فيك، مثلًا أن يُخْبِرَكَ أنك قَدِمْتَ هذا البلد من أجل كذا، وأن وراءك كذا، ومنهم من يُريك أنه يَدْخُل من مُؤَخِّرة الجمل ويَخْرُج من مُقَدِّمَتِه،

ومنهم من يريك أنه يَطْعُنُ نفسَه بين عينَيه بالسِّكِّين ويريك الدَّمَ. وهذه وأمثالُها من الأحوالِ الشيطانيَّةِ لو قَرَأْتَ عليها آيةَ الكُرْسِيِّ وآخِرَ سُورةِ البقرةِ لبَطَلَ فِعْلُها، ورأيتَها حقيقةً.

والخلاصة: أنَّ أَهْلَ هذه الكُشوفات مَرْدودةٌ عليهم جملةً وتفصيلًا ما دامت مُخالفةً لكتابِ الله وسُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم.

وقولنا: (مَعَ الْقِيَاسِ) اي: لا يُقاسُ اللهُ على خلقِه مِثْلَما تفعل المُشَبِّهَةُ والمُمَثِّلَةُ، فيقولون مثلًا: نحن لا نعرف الوجهَ واليدين والقدمين، إلا ما نُشاهِدُها في الخلق فنُثْبِتُها لله وَجْهًا ويَدًا وقَدَمَيْنِ مثلَ التي في الخَلق، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ولا يُطْلَق على الله من الأقيسة إلا القياسُ الأَوْلَى ومضمونه: «إنَّ كُلَّ كَمالٍ لن ينفه الله عن نفسه فاللهُ أَوْلَى به»؛ لأن مُعْطِيَ الكمالِ أَوْلَى بالكمالِ من غيرِه، وكل نقص لم يثبته الله لنفسه فالخالق أحق بالتنزه عنه ولله المَثَلُ الأَعْلَى، فكل قياسٍ غير الأولى، فهو مردودٌ، ولا يَصِحُّ إطلاقُه على الله تعالى ألبَتَّةَ.

وقولنا: (أو قَوْل شَيْخ): لأن الصُّوفِيَّة لا يَرْجِعُونَ في دِينِهم إلى كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِه صلى الله عليه وسلم، بل يَرْجِعُون إلى مَشائِخِهم وأئمتِهم وأذواقِهم ومواجيدهم ووَجْدهم وإلى طُرُقهم المُبْتَدِعة، وإلى الأذكار المُرَوْتَنَة، والأَوْرَاد المُقَنَّنَةِ والحكايات المُلَفَّقَة، والمنامات المُخْتَلَقَة، والأحاديث الموضوعة لتصحيح حالِهم بدلًا من الكتاب والسُّنة؛ ولأن المشايخ عند الصوفية هم مشائخ الطرق، يكون لهم مُطْلَق التصرف وأتباعهم ينفذون ما يقوله مشائخ الطرق ولا يعترضون عليهم بشيءٍ حتى إنهم يقولون: «المُرِيدُ مع شَيْخِه كالمَيِّتِ مع غَاسِلِه». وقد يَدَّعِي بعضُ المشائخ أنَّهم يَتَلَقَّوْنَ من الله مباشرةً

....

ما يَأْمُرونَ به مُريدِيهِم وأتباعهم، فقول هذا الشيخ وطريقته مردودةٌ؛ لمخالفتِها الكتابَ والسُّنة، (أو إمَام النَّاسِ) الـمُرادُ به المَتبوعُ، وهو أقلُّ مَرْتبةً من شيخ الطريقةِ، فما يقوله هذا الإمام إن كان مخالفًا لكتاب الله وسُنَّة رسولِه ﷺ، فقولُـه مَرْدودٌ عليه، مهما بلغ في الإمامة، فالميزان عندَ أهل السُّنة هو كتابُ الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فما وافقهما قُبِلَ من أيٍّ كانَ، وما خَالَفَهما أو أَحَدَهما رُدَّ عليه كَائِنًا مَنْ كَانَ، وهذا معنى قَوْلِنَا:

٢١- نَـرُدُّهُ إنْ عَـارَضَ الـكِـتَـابَـا أَوْ سُـنَّـةً أَوْ مَـنَـعَ الـصَّـوَابَـا

أي: ما تَقَدَّمَ من الذَّوْق، والكَشْفِ، والقِيَاس، وقولِ المشائخ وأئمَّةِ الضُّلال، إن عارض كتابَ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ أو مَنَعَ ما هو الصَّواب من الحَقِّ وهو ما دل عليه الكتاب والسُّنة، فأقوالُهم مَرْدودةٌ.

❁❁❁

٢٢- وَلَا يُعَارِضُ صَرِيحُ العقْلِ نَصًّا صَحِيحًا ثَابِتًا فِي النَّقْلِ

١٢- عدم معارضة العقل للنقل:

(ولا يعارض) الـمُعارضَةُ عدم الـمُوافقةِ، وغالبًا ما تكون مصحوبةً بهَوًى، وصاحبُها يَكـونُ في ضـلالٍ، قـال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، **«مَـنْ أَحْدَثَ فِـي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**(١). وفي رِوايةٍ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٢).

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِي»**(٣).

وذلك أن الكَشْـفَ والذوقَ والأقيسـةَ غـيرَ الأَوْلى وكلامَ المشـائخ وأئمةِ الضُّلال الـمُعارِضة لكتاب الله وسُنَّة رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمورٌ مُبْتَدَعَةٌ ومَرْدودةٌ في وُجوهِ أصحابِها؛ لأنها تُعارِضُ الحَقَّ والصَّوَابَ مِمَّا وَرَدَ في كتابِ الله وسُنَّةِ الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(صريـح الفعـل نصًـا) أي: أن صَرِيحُ العَقْـلِ لا يَتعارَضُ مع نَـصٍّ صحيحٍ آخَرَ، سـواءٌ هذا النصُّ من القرآنِ أومن صحيح السُّـنةِ، ولا يتعارض أيضًا القرآنُ مع الحقائقِ

---

(١) متفـق عليـه من حديث أم المؤمنين عائشـة، أخرجـه البخاري كتـاب «الصُّلْحِ» بـاب «إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ» (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٧)، ومسـلم كتـاب «الْأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨/ ١٧).

(٢) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «الْأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨/ ١٨). رواه البخاري ومسـلم وأحمد في مسـنده ويوجد في «الإرواء» رقم (٢٧٦).

(٣) أخرجـه مـن حديث عبد الله بـن عمرو البخاري كتـاب «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» بـاب «فِي كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ» (٦/ ١٩٦) رقـم (٥٠٥٢)، ومسـلم كتـاب «الصِّيَامِ» باب «النَّهْـيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِـمَـنْ تَضَرَّرَ بِهِ» (٢/ ٨١٣) رقم (١١٥٩/ ١٨٢)، وأحمد - واللفظ له - «مسـند المكثرين من الصحابة مسند عبد الله ابن عمرو (١١/ ٨ - ٩) رقم (٦٤٧٧)، وقال الأرنؤوط معلقًا على رواية أحمد: إسـناده صحيح على شرط الشيخين. أخرجه البخاري مع الفتح، باب «الترغيب في النكاح» (٩/ ١٠٤) رقم (٥٠٦٣).

....

العِلميَّـة الثابتةِ، ولا مع الأشـياء المحسوسـةِ الشـاخصةِ للأعيانِ، وما يُوهـم بالتَّعارُضِ فيُرْجَـع فيه إلى الجمـعِ إن أمْكَنَ، أو إلى العِلـمِ، بحيث يَنْظُرونَ فيها من حيثُ النَّسْـخُ أو التَّرْجِيحُ وغيرُه والتَّقْيِيدُ والإطْلاقُ والعامُّ والخاصُّ. وهناك قاعدةٌ ذكَرَها صاحبُ كتاب (درء تعارض العقل والنقل) وهي كَفِيلةٌ بتوضيحِ ما أرَدْنَا عندَ تَعارُضِ الأَدِلَّةِ، فمَن شَاءَ الازديادَ فليَرْجِعْ إليه.

❁❁❁

٢٣- وَإِنْ يَكُنْ نَصٌّ أَتَى قَطْعِيَا   فَلا يُعَارِضْ مِثْلَهُ شِرْعِيَا

هـذه الإشـارة إلى جُـزْء مـن القـاعدة المُنـوه عنها في كتـاب (العقل والنقل) لشـيخ الإسـلام ابن تَيْمِيَّـة[١] فيما إذا تَعَارَضَ في الظاهر قَطْعِيَّان؛ فـإنَّ من المُحالِ إهمالَ أَحَدِهما أو إثباتَهـما؛ لأن ذلـك من المحال، لأن إسـقاط دليـلٍ قَطْعِيٍّ واجبِ الثُّبـوتِ من المحالِ، وأعمالَ الاثنين جَمْعٌ بين النَّقِيضينِ، وهذا أيضًا مُحالٌ، فلا يتعارض النَّصَّان المقطوع بثبوتهما شَرْعًا، وإنما الترجيح يكون فيما إذا كانت النصوص غيرَ قَطْعيةِ الدلالة أو غيرَ ثابتةٍ، فإنه حينئذٍ يُنْظَـر بينَهما بطرق الترجيحِ المعروفةِ في أصول التفسـيرِ. والقطعي ما ثَبَتَتْ دَلالتُه من القرآنِ، أو ما تواتر على صِحَّتِه من السُّنة.

---

(١) كتاب «درء تعارض العقل والنقل»، تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، (١/ ٤٣-٤٤)، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٢٤- وعِصْمَةُ الأُمَّـةِ مَقْطُوعٌ بِهَا   مَجْمُوعَةً. وَبِدْعَـةً لا نَأْتِهَا

١٣ - الأمة معصومة في مجموعها:

(وعصمة الأمة مقطوع بها مجموعة) العِصْمَةُ والاعتصامُ: الاستمساكُ بالشيءِ، والـمَقْصودُ به هنا أنَّ جَمِيعَ الأُمَّة حالَ كونِها مُجْتَمِعةً فهي مَعْصومةٌ من الأخطاءِ والزَّلَل؛ لقول الرسول ﷺ: «لا يجمع الله أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»[(١)].

فمَجْمـوعُ الأُمَّة مَعْصومةٌ مـن الخَطَأ، وهو مُعْتَقَدُ أهلِ السُّـنة والجماعةِ؛ لأن الأُمَّةَ لا تَجْتَمِـعُ على ضلالةٍ، وأن العصمة للأنبيـاءِ بما حَفِظَهم اللهُ به، وبما خَصَّهم به من صَفاءٍ واستعدادٍ، وبـما ثَبَّـتَ اللهُ به أقدامَهم على الحقِّ، وبما كَشَـفَ لهم من الهِدايـةِ إلى الصِّراطِ الـمُسْـتقيم، وهو مَحَلُّ إجماعٍ في الكبائرِ، وربما وقَعَ الخلافُ في الصغائرِ، ولكن لا يُقَرُّون عليها، أما أَفْرادُ الأُمَّة فليسوا مَعْصُومينَ، ويقع منهم الزَّلَلُ والخَطَأُ، ولكنَّ خيْرَ الخَطَّائين التَّوَّابونُ.

أمـا مَن يَدَّعِي العِصْمَةَ وعـدم الخَطَأ فقد يُخْرِجُه هذا الاعتقادُ من الإسـلامِ، ولهذا أمثلةٌ، فقد أخرجت المبالغةُ في العبادةِ والتشـديدُ في الدين والادِّعاءُ عدم الخَطَأ أَخْرَجَتْ أُناسًا من الدِّينِ، وجَعَلَتْهُم من الـمارِقِينَ، فَقَدْ أَخْرَجَتْ السَّاجِدَ العابد الذي بَيْنَ عَيْنيهِ أثَرُ السـجود ذا الخُوَيْصِرة التَّمِيمِيُّ الذي خَرَجَ بقولِه واعتراضِه على النبيِّ ﷺ، حيث أنكـر عليه قِسْـمَتَه، وهي أَوَّلُ بِدْعةٍ في هـذه الأُمَّةِ، ابتدأتْ بها الخـوارجُ، وما حصل منه

(١) أخرجـه مرفوعًا من حديث ابن عمر الترمذي أبوب الفتن باب «ما جاء في لزوم الجماعة» (٤/ ٤٦٦) رقـم (٢١٦٧)، ومـن حديث أبي بصرة الغفاري أحمد مسـند القبائـل (٤٥/ ٢٠٠) رقم (٢٧٢٢٤)، وموقوفًا على أبي مسـعود ابن أبي عاصم في «السـنة» باب «ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعـة» (١/ ٤١-٤٢) رقـم (٨٥). وقـال الألبـاني في «ظلال الجنة»: إسـناده جيـد موقوف رجاله رجال الشـيخين. وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره. «صحيح الجامـع الصغير وزياداته» رقم(١٨٤٨) وفي «المشكاة» (١٧٣) وفي «السنة» (٨٠) وفي الطبراني «الكبير» وفي البيهقي وفي «الأسماء»، ورمز له الألباني بالصحة.

ومن أصحابِه بعدَ ذلك من الخروج على المسلمين وتكفيرِهم وقتلِ بعضِهم واستباحتْ دِمائهم، وذلك حينما قَسَّم النبي ﷺ ذهيبة جاءتْه، فقال له هذا الرجلُ: «يا مُحَمَّدُ، اعْدِل»[1]. فكان هذا أوَّلَ خارِجٍ على الشريعةِ وصاحبها، ثم عَظُمت فِتْنَتُهم في عهد عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك في الفتنة بين عَلِيٍّ و مُعاويةَ، رضي الله عنهم أجمعين، فكَفَّرُوا المسلمين، واستحلوا دِماءَهم وحتى في عصرنا الحاضر وما حصَلَ من أتباع ذي الخُوَيْصِرة من تَقْتِيلٍ وتَفْجِيرٍ في مُخْتَلَفِ البلادِ الإسلامية، وقد جاءهم ذلك من قِبَل التأويل الفاسد والفَهْم الخاطئ للنصوص وَلَيِّ أعناقِها لِـمَا يَصْبُونَ إليه. وقد نشروا الشبه والإشاعات المغرضة ثم استمرت في القرون المتتالية وما كان هدفهم إلا هلهلة العرب والمسلمين خاصة أهل السنة والجماعة منهم، فقد بدأت الفتنة من أيام عمر ابن الخطاب حيث قتله مجوسي وذلك لما كان لعمر من توسع في الفتوحات الإسلامية وإجلاء أهلها منها إن لم يسلموا، ثم انتشرت الفتنة في عهد عثمان ابن عفان بقيادة اليهودي عبد الله ابن سبأ، والذي قام بغسل العقول في كثير من الأمصار وعبأها ضد الإسلام والمسلمين، وقد تابعه على مذهبه رجال كثيرون من الأمصار من الشام، واليمن، ومصر، وهم الذين حاصروا عثمان في داره، وكان عثمان يفند لهم أكاذيبهم ولكنهم لم يسمعوا له فقتلوه في وسط داره بعد إن حصل ما حصل بين المسلمين من اقتتال واستمرت هذه الفتنة حتى ضربت الكعبة بالمنجنيق، وحتى أخذ الحجر من الكعبة، ومكث بعيدا عن الكعبة ما يقارب عشرين سنة، وحوصرت المدينة المنورة وفعل فيها ما فعل، وكل ذلك من

(١) متفق عليه من حديث جابر أخرجه البخاري كتاب «فَرْضِ الخُمُسِ» باب «وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الخُمُسَ لِنَوَائِبِ المُسْلِمِينَ» (٤/ ٩١) رقم (٣١٣٨)، ومسلم كتاب «الزَّكَاةِ» باب «ذِكْرِ الخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ» (٢/ ٧٤٠) رقم (١٠٦٣/ ١٤٢).

أعداء الإسلام، حيث جاء الإسلام، ولدولة الرومان، وفارس، وبعض كبراء العرب واليهود مكانات عظيمة بين أممهم، فأزال هذه المكانة بالإسلام فحملوا للإسلام ولأهله هذه العداوات وجعلوها بمثابة مشاعل للفتن وللحروب في كل مكان وزمان. وما زالوا يعملون جاهدين ليل نهار على تشتيت وتفتيت قوى الإسلام ونشر الفرقة بينهم على مذهب (فرق تسد). ليتسيدوهم ويسترجعوا ما سلب منهم بحق الإسلام، وما تزال نيران المجوس والسبأيه تسري في جسد الأمة العربية والإسلامية، وحتى في أيامنا هذه والقتل، والتشريد، والسجن على أشده وللأسف الشديد ممن ينتسبون إلى الإسلام. وتحت تأثير المجوسية السبأيه مما جعل المسلمين حطبا لتلك الفتنة. وإننا لنحمد الله ونشكره على ما نحن في هذه البلاد: المملكة العربية السعودية التي تعتبر هي الحامية اليوم لبيضة الإسلام ولأهل السنة والجماعة، ولنشر التوحيد، وإماتة البدع، وذلك بما تنشره عبر جميع القنوات الدعوية في أنحاء المعمورة، وتبليغ دين الله في كثير من القارات، بوسائل مرئية أو سمعية أو كتابية. فالحمد الله على ذلك ونسأل الله لهذه الدولة المسلمة، الإعانة، والثبات، والتوفيق، والتسديد لولاة الأمر فيها وسيكون ذلك في سجلات حسنات أعمالهم الصالحة بأذن الله تَعَالَىٰ. والله المستعان. هذا وإن الدين الإسلامي ليسع الناس بحسن معاملاته وسمو تسامحه معهم. وانظروا للرجُل الخَطَّاء الذي كان كَثِيرًا ما يُؤْتَى به سَكِرًا وكَثِيرًا ما يُجَدُّ على الشَّرَابِ، كيف شَفَع له إيمانُه ويَقِينُه ومَحَبَّتُه لله ورسولِه حتى شَهِدَ له الرسولُ ﷺ بقولِه عندَما لَعَنُوه، قال: **«لا تَلعَنُوهُ فتُعِينُوا الشَّيْطانَ عليه»**. ثم قال: **«إنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه»**[1].

(١) أخرجه البخاري كتاب «الحدود» باب «بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ»، (٨/ ١٥٨ - ١٥٩) رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب بلفظ: **«لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»**،
=

فكما يُقالُ: طُغْيانُ المعاصي أَسْلَمُ عاقبةً من طُغْيان العِبَادَةِ؛ وليسَ معنى هذا الدَّعوةَ للعِصْيان والتقليلَ من شأن الطاعةِ؛ وإنما كلُّ ذلك بميزانِ الشرعِ في الأصل، فإن وقعت معصيةٌ فالرجوعُ إلى الله بالتوبة والإنابةِ، وإن وقَعَت عبادةٌ فليسأل اللهَ العونَ عليها والثباتَ عليها، ولا يُخرِجُه ذلك عن ميزان الشرع، فيَتَشدَّدُ بسبب طاعتِه حتى يَخْرُجَ من رِبْقَة الإسلام، والعياذُ بالله، كما فَعَلَ ذُو الخُوَيْصِرَة وأَتْباعُه.

وقَوْلُنا: (وبِدْعَةَ لا نَأْتِهَا) البدعةُ الشيءُ المُخْتَرَعُ على غيرِ مثالٍ سابقٍ في الدينِ لم يأتِ به اللهُ ولا رسولُه ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون. وعقيدةُ أهلِ السُّنة الإتِّباع ورفضُ الابتداع. قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (اتبعوا ولا تبتدعوا) وقال الشعبي (عليكم بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وأراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول)[1].

ثم إن وجود أي بدعة في الدين تعني إماتة سنة من سنن الإسلام حتى ولو كانت البدعة صغيرة إلا أنها مع الأيام تبلغ وتشب حتى يعظم أمرها، وينتشر خطرها. ويكفي أن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ[2]، وقد قَسَّموها إلى قسمين؛ بدعةٍ حَسَنَةٍ وغَيْرِ حَسَنَةٍ، ومَثَّلوا للحسنةِ باجتماعِ الناسِ على صلاةِ التراويحِ بأمرِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ولكنْ وَرَد في

= ورقم (٦٧٨١) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ». رواه البخاري رقم (٦٣٩٨) مع الفتح، كتاب باب الحدود، باب «الضرب بالجريد والنعال»، وباب «ما يكره من لعن شارب الخمر وانه ليس بخارج عن الملة» (٦/ ٢٤٨٩).

(١) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٧) من قول الأوزاعي لا الشعبي.

(٢) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله مسلم كتاب «الجمعة» باب «تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ» (٢/ ٥٩٢) رقم (٨٦٧/ ٤٣)، والنسائي - واللفظ له - كتاب «صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ» باب «كَيْفَ الْخُطْبَةُ» (٣/ ١٨٨) رقم (١٥٧٨). أخرجه النسائي في «الجمعة»، باب «كيف الجمعة» (٣/ ١٨٨) المجتبى، والبيهقي في «الأسماء والصفات» من حديث جابر ابن عبد الله وصححه شيخ الإسلام ابن تيميه في «الفتاوى الكبرى».

الحديثِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»[(١)]. وإذا كان ذلك كذلك، فلا دليلَ في قِصَّتِه على تقسيم البدعة، وتَبْقَى البدعةُ هي التي تكون في الدينِ على غيرِ مثالٍ سابقٍ، وليس في قِصَّةِ عُمَرَ دَلِيلٌ على تَقْسيمِ البدعةِ، إذ هو مَسْبُوقٌ بفعلِ الرسولِ ﷺ، إذ جَمَعَ الناسَ، وصَلَّى بهم في بعضِ الليالي، ولَـمَّا تكاثَرَ المصلون وضَاقَ بهم المسجدُ، وخَشِيَ أن تُفْرَضَ عليهـم فتَرَكَهَا. وعَمَـلُ عُمَرَ أولًا: أنَّـه إتِّبَاعٌ لرَسـولِ الله ﷺ. وثانيًا: أنَّ فِعْلَه سُنَّة لقولِ الرسـولِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشـدين، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ». وثالثًا: اللهُ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، فالدِّيـن كامـلٌ شـاملٌ، والنعمةُ به قد تمَّت، والرسـالةُ برسـولنا قـد خُتِمت، فلا بِدَعَ ولا ابْتِدَاعَ في الدينِ، وإنما هو: قالَ اللهُ، وقالَ رَسولُه ﷺ.

فعقيـدةُ أهـلِ السُّـنة رفضُ البِدَعِ سـواء كانت شرعية، وهي التـي قد وجدت على غـير مثـال سـابق في الديـن، أو إضافيـة وهـي التـي يوجد لها أصـل ولكن تسـتعمل في غـير موضعهـا، أو متروكة وهـي التي لها أصل ثـم هجرت، وسـواء في الاعتقادات، أو العبادات، أو في المعاملات، فهي بدعة على كل الأحوال وخطرها أكبر من خطر المعاصي والكبائـر، لأن المعـاصي والكبائـر لا تعـدو أصحابها وتنتهـي بموتهـم أو بهدايتهم. أما

(١) أخرجه من حديث العرباض بن سارية الترمذي أبواب العلم باب «مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ» (٥/ ٤٤) رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه «المقدمة» باب «اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ» (١/ ١٥) رقم (٤٢)، وأحمد «مسند الشاميين» (٢٨/ ٣٦٧) رقم (١٧١٤٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان رقم: (٥)، وقال أبو نعيم في «المسند المستخرج على صحيح مسلم»: حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢): حديث صحيح. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٧٣٥)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح بطرقه وشواهده. رواه أحمد في «المسند» (١٦٨١٢) وابن ماجه (٤٢) والترمذي (٢٦٢٠).

المبتدع فإن ضرره متعد، وقد تبقى البدعة بعد موت أصحابها، وقد تدوم أجيالًا متتابعة، وليس هذا فحسب بل المبتدع يرى نقصانا في شريعة الله وأن الله لم يكمل الدين فجاء ببدعته ليكملها في زعمه، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ الرسالة كاملة، وان المسلمين قد كانت عبادتهم قبل مجيء بدعته غير صحيحة، وفي البدع من الأضرار والمفاسد الدينية ما الله به عليم، فلتحذروا البدع أيًا كان نوعها، وإلا مع مرور الأزمان، وعدم الإنكار لها، وتعاقب الأجيال عليها تتحول إلى دين باطل يتعبد به. ومعرفة البدع تحتاج إلى علم شرعي بالعقيدة الصحيحة والشريعة الغراء، التي تؤخذ من الأصليين العظيمين الكتاب، والسنة. ولا يركن إلى فهم العقيدة والشريعة إلى فلسفة بعض من أوتوا قوة في المنطق، وبراعة في الأسلوب والبلاغة، فقد يصورون لك الحق في صورة باطل، والباطل في صورة حق كما قيل:

في زخرف القول تزيين لصاحبه … والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه … وان تشأ قلت ذا قيئ الزنابير

ويستثنى من كل ذلك البدع اللغوية، كالمخترعات الحديثة في المراكب ن والمآكل، والمشارب، وفي الاتصالات، وإنشاء المدارس، والجامعات، وتنقيط الحروف، وغيرها مما نفعها دنيوي محض، ولم توجد من قبل، ولكنها وجدت على غير مثال سابق دنيوي. هذا وتجب محاربة البدع بكل سلاح مهما كانت صغارًا أو كبارًا، ودعوةُ أهلِها بالتي هي أَحْسَنُ، وتَبْيِينُ ضلالتِهم بالحكمةِ البالغةِ والحُجَّة الدامغةِ، وإخراجُهم منها بما في الوَحْيينِ من نُورٍ وهِدايَةٍ.

٢٥- وَلَا جِدَالَ عِنْدَنَا فِي الدِّينِ ... وَإِنَّمَا بِحِكْمَةٍ وَلِينِ

عقيدةُ أهل السُّنة والجماعة عدمُ المُجادَلة بالباطل في أُمور الدِّينِ، بل من صِفاتِهم البحثُ عن الحقيقةِ بالحِكْمَة البالغة والمَوْعِظَة الحَسَنة، والحُجَّة الدامغةِ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والحِكْمة تُطْلق على السُّنة، والمُرادُ بها هنا وضعُ الأشياء في مواضعها الصحيحةِ أثناءَ الجدالِ لإثباتِ الحقِّ ونَشْرِ الدعوةِ. وغايةُ مُجادَلَتِهم إظهارُ الحقِّ من أيٍّ كانَ، والحِكْمة عندَهم ضَالَّةُ المؤمنِ، أنَّى وجَدَها التقطها، ولا يَأْنَفُون أن يكونَ ظُهورُ الحقِّ على ألسنةِ خُصَمائِهم، بل يَفْرَحونَ بذلك، كما وَرَدَ عن الإمامِ الشَّافعيِّ.

❁❁❁

١٤ - تحريم القول على الله بلا علم:

٢٦- ولا نَقُولُ دُونَ عِلمٍ إنَّمَا   نُوَكِّلُ العِلمَ إلَى مَنْ عَلِمَا

من عقيدة أهل السُّنة: أنهم لا يقولونَ على الله بلا علمٍ؛ بل يَتَحَرَّوْنَ الحقيقةَ، إذ إنَّهم يَعْلَمُون خَطرَ القولِ على الله بلا علمٍ. لذلك إنْ أفْتَوا فعن عِلمٍ، وإلا قالوا: اللهُ أعلمُ. أو لا نَدْرِي. ويَدُلُّ على ذلك ما يُرْوَى عن الإمامِ مالكٍ أنه سُئِلَ عن أربعين مسألةٍ، فلم يُجِبْ إلا على أربَعِ مَسَائِلَ، وست وثلاثين مَسألةً قال عنها: لا أدري.

وإذا لم يكن عند العَالِمِ من أهل السُّنة عن المسألةِ عِلمٌ حَوَّلَها إلى عَالِمِها من عُلماءِ المسلمين الآخرين، وقد كانوا يتدافعون الفتوى أو الإجابةَ عن المسألةِ خوفًا من أن يَقَعوا في مكروهٍ بسبب الإجابةِ الخاطئةِ، لذلك يتدافعونها، وربما اجتمعوا عليها.

هذه هي طريقة أهل السُّنة والجماعة أنهم لا يُفْتُون بغيرِ علمٍ، ولا يَتسابقون في الفتوى؛ خوفًا من الوُقوعِ في الخَطَأ، وإن قالوا فعن علمٍ، وإلا رَدُّوا العلم إلى عالمه، ذلك أن القولَ على الله بغيرِ علمٍ قرينُ الشِّرْك ومُحَرَّم في كتابِ الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

❁❁❁

٥- طريقة أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات

١- شرح طريق أهل السنة والجماعة لنصوص الصفات:

٢٧- طَرِيقَةُ النُّصوصِ فِي الصِّفَاتِ　　　الجَمْـعُ بَـيْنَ الـنَّـفْـيِ وَالإِثْـبَـاتِ

(طريقـة) الطريـق هـي الـمَذْهَـبُ والـمُعْتَقَدُ والسَّبِيلُ، ويُذَكَّـرُ ويُؤَنَّث، تقول: الطريـقُ الأعظـم، والطريـق العظمى، والجمع أطرقه و طـرق، وطريقةُ القـومِ أماثِلُهم وخِيارُهـم. يقال هذا رجل طريقة قومه، وهؤلاء طريقـة قومهم، وطريقة الرجل مذهبه فيقال: مازال الرجل على طريقة واحدة أي حالة واحدة(١) .

والـمُـراد به هنا مَذْهَبُ أهل السُّـنة والجماعة، فحذفتُ المضـاف إليه اختصارًا من أجـل النظـم. وطريقتُهم هي: طريقةُ القـرآنِ الكريمِ التي وَصَفَ اللهُ بها نفسَـه، ووَصَفَه بهـا رسـولُه ﷺ في الأحاديث الصحيحـة بصفاتٍ لائقةٍ به، ولا أحدَ أعلمُ بنَفْسِـه وبغَيْرِه منه سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ١٤٠].

و(النُّصُوص) جَمْعُ نَصٍّ، سواءٌ من الكتابِ أو السُّنة.

(في الصِّفَاتِ) الـمُراد بها صِفاتُ الله تَعَالَىٰ بأنواعها، كما ستَأْتِي مُفَصَّلة إن شـاء اللهُ تَعَالَىٰ.

(الجمْـعُ بَـيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَـاتِ) هذه الجملةُ بَـدَلُ بعضٍ، إذ من جُمْلـةِ طَرِيقةِ أهل السُّنة هذه القاعدةُ، وهي:

الجمـع بين (النَّفْـيِ)، وهو ما يَتَقَدَّمُ الجملةَ من أدواتِ النفـي، مثل «لَيْسَ» و«ما»، و«لم»، وما فيه معنى النفي.

---

(١) انظر: «مختار الصحاح قاموس الجيب» للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي (حرف الطاء) .

(والإثبات) هو الجُمْلة التي لم تُسْبَقْ بأداةِ نَفْيٍ. فيَجْمَعُونَ بينَ النفي الـمُجْمَل، والإثباتِ المُفَصَّل، وقد يُفَصِّلون في النفيِ لرَدِّ قولٍ، أو دَحْضِ شُبْهةٍ، والنفيُ لا يكونُ مَدْحًا حتى يَثْبُتَ كَمَالُ ضِدِّهِ؛ لأن النَّفْيَ عَدَمٌ، والعدمُ ليسَ بشيءٍ.

«ويَنْبَغِي أن يُعْلَمَ أن النَّفْيَ ليسَ فيه كمالٌ ولا مَدْحٌ، إلا إذا تَضَمَّنَ إثباتَ كمالِ ضِدِّهِ، وكُلَّما نَفَى اللهُ عن نَفْسِه من النقائصِ ومشاركةَ أَحَدٍ له في خَصَائِصَ فَإِنَّهَا تَدُلُّ على إثباتِ ضِدِّهِ من أنواعِ الكمالاتِ»[1] كما في الأمثلة الآتية:

٢- المثال الأول:

(أ) الشرح:

قال تَعَالَىٰ جَامِعًا بين النفي والإثبات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ففي هذه الجملةِ جَمَعَ بينَ النَّفْيِ، وهو قولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وبين الإثباتِ، وهو قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهي من الجمل الـمُجَرَّدة من النفي، وهي نفي لأيِّ احتمال قد يَرِد مع الجملة المُجَرَّدة من النفي، فلو قُلتَ بدُونَ نَفْيٍ: «محمدُ حَاضِرٌ». لوَرَدَ احتمالُ حُضورِ غَيْرِه، ولكن لو قُلتَ: «مَا قَامَ أَحَدٌ إلَّا محمدٌ». لانتفتْ تلك الشُّبْهة في حُضورِ غيرِ محمد، أما في هذه الجملةِ فقد قُصر الحُضورُ على محمدٍ، وثَبَتَ عند الـمُتَلَقِّي ذلك المعنى.

ومَعْنَى الآيةِ وَاضِحٌ وظَاهِرٌ: وهو نفيُ المثل عن الله في كلِّ شيءٍ. في ذاتِه، وصفاتِه، وأفعالِه؛ باعتبار أن الكاف صلة زيدت للتأكيد وعليها قول الشاعر:

ليس كمثل الفتى زهيرٌ ... خلقٌ يوازيه في الفضائلِ

(١) انظر: «التدمرية» (ص: ٥٧)، تحقيق - محمد بن عوده- الطبعة الأولى.

....

وذلك لكمالِه الدالِّ عليه النَّفْيِ الـمُجْمَلِ في الآيةِ؛ وذلك لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُماثِلُه شيءٌ لكمالِه، وهو من الصفات السَّلبيَّةِ التي يُقْصَدُ بها إثباتُ كمالِه الـمُطْلَقِ، وفيها الردُّ على الـمُغالِينَ والـمُسْرِفينَ في الإثباتِ إلى درجةِ التمثيلِ والتشبيهِ، وهو إيجادُ مَثيلٍ أو مُشابِهٍ له. تعالى اللهُ عن أقوالهم عُلُوًّا كبيرًا. وقولُه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ إثباتٌ للأسماءِ والصفاتِ على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيه الردُّ على الـمُتطَرِّفةِ المبالغة في التنزيهِ إلى دَرجةِ التَّعْطيلِ، وتُسَمَّى الـمُعَطِّلة، فعندَ أهل التمثيل أنهم لا يَعْرِفون من الصفات إلا ما هو مَوْجودٌ في الـمَخْلوقِينَ؛ فيُثْبِتون له الصفاتِ على نحوِ ما يَعْرِفون، فيُثْبِتونَ لله (وَجهًا ويدًا) كما يَعْرِفُونها في المخلوقات، فمَثَّلوا أولا. ثم عطلوا ثانيا؛ لأن مِثْلَها يُوجَدُ في المخلوقات، في زعمهم فنَزَّهوه كُلِّيَّةً عنها، فوقعوا فيما هو أدهى منها وأمَرُّ، وهو التعطيلُ بأن لا تكونَ له صِفَاتٌ. فأما عندَ أهلِ السُّنة فتَنْزِيهٌ بلا تعطيلٍ، وإثباتٌ بلا تَمْثيلٍ. ومَن جَعَل صفاتِ الخالقِ كصفاتِ المخلوق فهو المُمَثِّل المُشَبِّه، ومَن عَكَسَ فكالنَّصارى في كُفْرِهم.

وليسَ في الآيةِ المُتقَدِّمة عندَ أهل السُّنة والجماعة نفيٌ مُطْلَقًا، ولا إثباتٌ مُطْلَقًا؛ وذلك لأن النفيَ المُطْلَق نقصٌ وتعطيلٌ، ومطلقُ الإثباتِ نقصٌ وتمثيلٌ. فهي من أوضحِ الآياتِ البيِّناتِ التي لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ.

والآيةُ عندَ أهلِ السُّنة والجماعة كفَلَق الصُّبْح، يَرَوْنَ به الحَقَّ والحقيقةَ عِيانًا في باب الأسماءِ والصِّفاتِ.

(ب) فوائد من الآية:

الأولى: إثباتُ صِفَةِ الكمالِ، وذلك من الطريقةِ، وهي النفيُ الـمُجْمَل الدالُّ على الكمالِ، الذي لا يُماثِلُه شيءٌ من الكمالاتِ.

الثانيةُ: إثباتُ اسْمَيْنِ من أسماءِ الله تَعَالَىٰ، هما: السميعُ، ومعناه: الـمُدْرِكُ لجميعِ المسموعات، وقد يكون السَّمِيعُ بمعنى الـمُجِيبِ، مِثْلَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [ابراهيم: ٣٩]. أي لـمَجِيبٌ. وقولـه: «سَمِعَ اللهُ لِـمَنْ حَمِدَهُ». أي: أجاب، أو سَمْع إجابةٍ، وقد يكونُ سَمْعَ إدراك و نَصْرٍ وتأييدٍ، مثلَ قولِه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، أي: لا تخافا فإنكما على مَرأى ومَسْمَعٍ مِنِّي، ومن كان كذلك فلا يخافُ ولا يَخْشَى. وقد يُراد بالسَّمعِ الوعيدُ، مثلَ قولِه تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٨٠].

وإذا وَرَدَ السمع بمعنى إدراكِ جَميعِ المسموعاتِ، فهو من الصِّفاتِ الذَّاتيَّةِ التي لا تَنْفَكُّ عن الله بحالٍ. وما وَرَدَ بمعنَى الإجابةِ والنصر والوعيدِ، فهو من الصفات الفِعْليَّةِ.

والثاني: اسمُه البَصِيرُ: وهو إدراكُ عُمومِ الـمُبْصَراتِ، وهو من الصِّفَاتِ الذَّاتيَّة، وقد يكونُ بَصِيرًا بمعنى عَلِيمًا، كما في قولِه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] ومن فوائدِ الآية فَوْقَ ما تَقَدَّمَ رقم ١، ٢ ما يلي:

الثالثة: في الآيةِ إثباتٌ لصِفَتَيِ السَّمْعِ والبَصَرِ.

الرابعة: إثباتٌ للصِّفاتِ الذاتيَّةِ والفِعْليَّةِ.

الخامسة: الردُّ على الـمُمَثِّلةِ والـمُعَطِّلةِ من الجَهْمِيَّةِ والـمُعْتَزِلَةِ والأشاعرةِ.

السادسة: امتثالُ ما دَلَّتْ عليه الآيةُ من أنه سُبْحَانَهُ يَسْمَعُ ويُبْصِرُ، فَلْيَحْذَرِ الْمُقِيمونَ على الـمَعَاصِي.

السابعة: الحَذَرُ من الوُقوعِ فيما وَقَعتْ فيه الـمُمَثِّلةُ والـمُعَطِّلةُ.

....

الثامنـة: تَعْظِيمُـه إذْ لا شيءَ مـن مَخْلوقاتِه يُماثِلُـه، فَلْيُقْدَرْ حَقَّ قَـدْرِهِ، ويُعَظَّمْ حَقَّ تَعْظِيمِه.

التاسعة: أنَّ طريقةَ أهلِ السُّنة والجماعة في الصفات هي طريقةُ القرآنِ، وهي الجمعُ بـينَ النَّفْي والإثبـاتِ، وأنها أقدرُ على إقنـاعِ الـمُتلَقِّي، وأبلغُ من حيـثُ إنها نفي لوُجودِ الاحتمالاتِ الـمُمْكِنَةِ في الجُمْلةِ الـمُجَرَّدة من النَّفْي، وهي من أقوى صِيَغِ الحَصْرِ.

العاشرة: فيها الردُّ على مَن يُثْبِتونَ الأسماءَ دونَ الصِّفاتِ، وهم الـمُعْتَزِلَةُ.

الحادية عشرة: الردُّ على مَن يُثْبِتونَ بعضَ الصفاتِ ويُئَوِّلونَ البَعْضَ الآخَرَ.

الثانية عشرة: أن تَقْدِيمَ النَّفْي على الإِثْباتِ من بابِ التَّحْلِيَةِ والتَّخْلِيَةِ.

الثالثة عشرة: الردُّ على مَن زَعَمَ أن السَّمْعَ والبَصَرَ بمعنًى واحِدٍ، هو العِلْمُ.

الرابعة عشـرة: وُجوبُ مراقبةِ العبدِ نفسَه؛ لاطلاعِ الله عليه ظَاهِرًا وباطنًا، حيث يُبْصِرُهُ ويَسْمَعُهُ.

الخامسـة عشـرة: الإيمانُ بما وَصَفَ اللهُ به نفسَه من صِفاتٍ، وما وَصَفَهُ بِهِ رسولُه ﷺ من صِفَاتٍ، وكفى بوَصْفِه لنَفْسِه، ووَصْفِ رَسُولِه ﷺ لهُ.

السادسة عشرة: تَنْزِيهُ الله عمَّا لا يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ.

٢- المثال الثاني:

(أ) الشرح:

الجَمْعُ بينَ النفي والإثباتِ في قولِه تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص].

فهذه السورةَ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ في الثوابِ، أي: تساويه؛ لأن القرآنَ يَشْتَمِلُ على ثلاثةِ أنواعٍ: أحكام، وتوحيدٍ، ووعد ووعيد[(١)].

وهذه السورةُ فيها صِفَةُ الرحمن، في التوحيد وَحْدَه؛ لهذا كانتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ؛ لما رواه البخاريُّ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُها، فلَمَّا أصْبَحَ جاءَ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكَرَ له ذلك، وكأنَّ الرجُلَ يَتقَالُّها، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»[(٢)].

قال الإمامُ ابنُ القَيِّمِ: «الأحاديثُ بكونِها تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ تكادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، وهي في الثوابِ، لا في الإجزاءِ».

يعني لو قَرَأَ إنسانٌ بَدَلًا عن الفاتحةِ سُورةَ الإخلاصِ خَمْسَ مَرَّاتٍ لَمْ تُجْزِئ عن الفاتحةِ.

وسببُ نزولِ هذه السورةِ ما رواه الإمامُ أحمدُ في مُسْنَدِهِ[(٣)]. عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ المُشْرِكينَ قالوا: يا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فأنزلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

---

(١) ذكر ذلك ابن تيميه في كتاب «جواب أهل العلم والإيمان» (ص: ١١٣).

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري البخاري كتاب «فَضَائِلِ القُرْآنِ» باب «فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» (٦/ ١٨٩) رقم (٥٠١٣). «صحيح البخاري» (رقم: ٥٠١٣).

(٣) أخرجه من حديث أبي بن كعب الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الإخلاص» (٥/ ٤٥١) رقم (٣٣٦٤)، وأحمد في «مسند الأنصار» (٣٥/ ١٤٣) رقم (٢١٢١٩). وأعله بالإرسال البخاري في «التاريخ الأوسط» (٢/ ٢٨٠)، والترمذي: (٥/ ٤٥٢)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير»: (٤/ ١٤٠). وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١١/ ٣٥٠): صححه الحاكم والذهبي! وفيه أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف. لكن لحديثه شواهد تقويه.

وأما اشتمالُ السورة على التوحيدِ، فمن قولِه تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلَفْظُ الجلالةِ يَشْتَمِلُ على أنواعِ التوحيدِ الثلاثةِ، فالألُوهيَّةُ نَصًّا، والرُّبوبيَّةُ تَضَمُّنًا، والأسماءُ والصفات نَصًّا أيضًا.

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾. دَلَّ على تَفَرُّدِه بالكمالِ في التوحيدِ من كُلِّ وَجْهٍ، فهو وَاحِدٌ أحَدٌ في ذاتِه، لا شَرِيكَ له في ذَاتِهِ أو أسمائِه أو صفاتِه أو أفعالِه، وأيضًا قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ يَدُلُّ على انفرادِه بصفاتِ الكمالِ من كل وجهٍ، وبالعظمةِ والجلالِ والـمَجْدِ والكمالِ، وهو مُخْتَصٌّ به سُبْحَانَهُ، فلا يُطْلَقُ على سواهُ في الإثباتِ، وهو أبلغُ من واحدٍ؛ ولهذا وما سيأتي عندَ تفسيرِ بَقِيَّةِ مفردات السورةِ، صَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ.

وفي السورة إثباتُ تَفاضُلِ القرآنِ باعتبارِ ما يَدُلُّ عليهِ من مَعَانٍ وموضوعاتٍ، فقد وَرَدَ في الحديثِ أنَّ آيَةَ الكُرْسِيِّ أَعْظَمُ آيةٍ، كما وَرَدَ في حديثِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ قال: «**أيُّ آيةٍ في كِتَابِ الله معك أعْظَمُ**» فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فضَرَبَ على صَدْرِهِ وقال: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ العِلمُ أبا المُنذِرِ**»[١]. كما وَرَدَ أنَّ سُورةَ الإخلاصِ تَعْدِلُ ثلث القرآنِ[٢].

وقول الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقوله في وَصْفِ القرآنِ كُلِّه إنه: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، و﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو واضحٌ، فإن التالي الـمُتَدَبِّر لآياتِ الله يَجِدُ من الآياتِ ما تَهُزُّ مشاعره

---

(١) أخرجه من حديث أبي بن كعب، مسلم كتاب «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ» (١/ ٥٥٦) رقم (٨١٠/ ٢٥٨). رواه مسلم في صحيحه (رقم: ١٣٤٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة. انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٢).

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري البخاري كتاب «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» باب «فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» (٦/ ١٨٩) رقم (٥٠١٣). «صحيح البخاري» (٨، ٥٨، ٥٠١٣).

وتَمْلِكُ عليه قَلبَه، وتأخُذُ عليه جميع أقطاره وأفكاره، ومن الناس من لا تؤثر فيه الآيات ولا تَأْخُذُهُ؛ فالنفس قد تكون في حال إعراض وإقبال ولا تخلوا آية في كتاب الله من عبرة.

واسْمَعْ لهذه الآيةِ والتي سَمِعها بعضُ قُضاةِ المسلمين فَخَرَّ صَعِقًا، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فلم يُكْمِلِ الآيَةَ حتى سقط على الأرض.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قَرَأَ آيةً، فمَرِضَ بسَبَبِ تَأَثُّرِه منها، وعاده الناسُ لمَرَضِه، فالقرآنُ يَتفاضَلُ من حيثُ مَوَاضِيعُه ومَعَانِيه.

(ب) شرح مفردات سورة الإخلاص:

﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، أي: قُل يا مُحَمَّدُ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ المُتكَلِّم غيرُ مُحَمَّدٍ، وهو اللهُ، ففيهِ الرَّدُّ على مَن يَنْسُبُه إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، والخطابُ لكلِّ مَنْ يَصْلُحُ له.

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: مُنْفَرِدٌ في ذاتِه وأسمائِه وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ، لا شَرِيكَ لَهُ، ولا مَثِيلَ، ولا نَظِيرَ، وهما بمعنًى واحدٍ، ولا يُطْلَق هذا اللفظُ في الإثباتِ إلا على الله سُبْحَانَهُ، وإذا جاءَ مُعَرَّفًا فهو: اسمٌ لأَحَدِ أَيَّامِ الأُسْبوعِ، وكلمةُ ﴿أَحَدٌ﴾ تَدُلُّ على نفي المشاركةِ والمُماثَلَةِ من كلِّ وَجْهٍ.

ولفظُ الجلالةِ عَلَمٌ على الذات المُقدَّسَةِ، ولَمْ وَلَنْ يَتَسَمَّى به أَحَدٌ عَبْرَ مَوَاكِبِ البَشَرِيَّةِ، ومعناه: ذُو الأُلوهيَّةِ المُسْتَحِقُّ للعبادةِ حُبًّا، وتَعْظِيمًا. وأصلُ لفظِ ﴿ٱللَّهُ﴾ الإله: نقل سبويه عن الخليل أن أصله (إله) مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلًا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله (أناس). (وَأَحَد) لا ثَانِيَ له في أيِّ شَيْءٍ.

وقولـه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾ قد فَسَّرَها ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقولِه: «السَّـيِّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدُدِهِ، والشَّرِيفُ الذي كَمُلَ في شَرَفِه، والعظيمُ الذي كَمُلَ في عَظَمَتِه، والحليمُ الذي قـد كَمُـلَ في حِلمِه، والغَنِـيُّ الذي قد كَمُلَ في غِنَـاهُ، والجَبَّارُ الذي قد كَمُـلَ في جَبَرُوتِه، والعليـمُ الذي قد كَمُلَ في عِلمِه، والحكيمُ الذي قد كَمُلَ في حِكْمَتِه، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواعِ الشَّرَفِ والسُّـؤْدُدِ، وهو اللهُ سُبْحَانَهُ، هذه صِفَتُه، لا تَنْبَغِي إلا له، ليسَ له كُفْـءٌ، وليسَ كمِثْلِهِ شَيْءٌ»(١).

وقـد فُسِّرَ الصَّمَـدُ بأنه الذي لا جَوْفَ لـه، وبأنه الذي تَصْمُدُ إليـه الخَلِيقَةُ في جَميعِ ما تَحْتَاجُه وتَقْصِدُه.

والعَـرَبُ تُسَـمِّي أَشْرَافَهـا الصَّمَدَ لكَثْـرَةِ الأوصـافِ المحمودةِ للمُسَـمَّى بهِ، قال الشاعر:

أَلَا بَكَّرَ النَّـاعِي بِخَـيْرَيْ بَنِـي أَسَـدْ ... بِعَمْرِ بْـنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّـيِّدِ الصَّمَدْ

والصَّمَدُ مَن تَصْمُدُ إليه الخَلِيقةُ بقُلوبِها لجميعِ حَوَائِجِهم؛ فهو كاملٌ من كلِّ وَجْهٍ، والخلـقُ مُفْتَقِرُونَ إليـهِ في كلِّ شيءٍ؛ فهي قَاصِدَةٌ له، ما دَقَّ مـن مخلوقاتِه، وما عَظُمَ كُلُّها مُفْتَقِرَةٌ إليه في إيجادِها وإعدادِها، وإمدادِها.

وقولُه: ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ۝٣ وَلَـمْ يَـكُن لَّهُۥ كُـفُوًا أَحَـدٌۢ﴾ ما سبق من الأحدية نَفْيٌ للمُشارَكَةِ والـمُماثَلَةِ من كلِّ وَجهٍ، وأن الصَّمَدِيَّةَ: كَمالُه في كلِّ الصِّفَاتِ، وافتقارُ كلِّ المخلوقاتِ إليه، هذا المعنى تُؤَكِّدُه هذه الجُمَل في بَقِيَّةِ السُّورةِ، وتُقَرِّرُه، فَلَمْ يَلِدْ أيَّ أَحَدٍ؛

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٥٦) رقم (٩٨)، وابن أبي الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٨٣) رقم (٩٦). رواه ابن جرير في «تفسير سورة الإخلاص» (٢٧/ ٧٨٦).

لأن الإيلادَ فيه تكْمِيلٌ لنَقْصٍ، وفيه مُشابَهَةُ الخَلقِ ومُماثَلَتُهم، من حيثُ الضعفُ والحَاجَةُ ولافتقارُ، واللهُ (الأَحَـد) ليسَ له ثـانٍ، ولا شَرِيكٌ، ولا نَظِيرٌ، كـما تَقَدَّمَ، وَ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾ هـو الـذي قد كَمُـلَ في الذاتِ، والصفـاتِ، والأفعالِ، وجميـعُ الخلـقِ يَقْصِدُونَه في جميعِ مـا يَحْتَاجونـه. وقضية الولد والتوالد أساسُـه الحاجةُ والافتقارُ لتكميلِهـم لآبائِهم. واللهُ مُنَـزَّه عـن كلِّ نَقْصٍ وحَاجَةٍ، ولأن الوَلَدَ يَكُونُ على غِرَارِ الوالِدِ، أي يُماثِلُه، واللهُ ليسَ له مَثِيـلٌ لكمالِه في الـذاتِ والصِّفَاتِ ﴿لَمْ يَـلِدْ﴾ حَتَّى يُكَمِّلَـه الوَلَدُ. و﴿وَلَـمْ يُولَـدْ﴾ أي: لم يَكُـنْ لَه وَالِدٌ، ولو وُلِدَ لكان مَسْـبُوقًا بوَالِدٍ - وهو عَـيْنُ النَّقْصِ والضَّعْفِ والحَاجَةِ - واللهُ كاملٌ في ذاتِه وصِفاتِه، وليسَ له مُعِينٌ أو نَظِيرٌ.

وقد نَفَى ذلك عنه لكمالِه وتَنْزِيهِهِ عن المِثْلِ والوَلَدِ، يقولُ ابنُ القَيِّمِ في نُونِيَّتِه:

وَهْـوَ الإلَـهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذي ... صَمَدَتْ إلَيْـهِ الخَلقُ بِالإذْعَانِ

الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو ... ه كَمَالُه مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ الكُفْوُ: الـمِثْلُ، والشَّبِيهُ. و﴿أَحَدٌ﴾ نَكِرةٌ في سِيَاقِ النَّفْـيِ تُفِيـدُ العُمومَ، أي: نَفْي الـمُكافِئِ والـمُماثِلِ من أيِّ كانَ، ومَن ثَبَتَ له الكمالُ التامُّ انْتَفَى عنه النُّقْصانُ الـمُضَادُّ له.

(جـ) ما يستفاد مِنْ هذه السُّورة: (سُورةِ الإخْلاص)

١- فيها الرَّدُّ على مَن يَزْعُم أنَّ القرآنَ مِن لَدُنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وذلك من قولِه: ﴿قُلْ﴾. فَدَلَّ على أنه كلامُ اللهِ؛ لأنه لو كانَ كلامَه، ما قال: ﴿قُلْ﴾.

٢- فيها الردُّ على الـمُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة القَائِلِينَ أنَّ القُرْآن كلامُ مُحَمَّد، بدأه من نَفْسِه.

٣- فيها دَلِيلٌ على الجَهْر بالعَقِيدةِ.

٤- فيها دَلِيلٌ على أن القُرْآن يَتفاضَلُ في نَفْسه باعتبارِ ما يَحْمِلُه بعضه من معانٍ ومَوْضُوعَاتٍ.

٥- فيها إِثْباتُ ثَلاثةِ أسماءٍ: هي الله، وأَحَد، والصَّمَد.

٦- فيها إِثْباتُ تَوْحِيدِ الرُبُوبِيَّة، والأُلوهِيَّة، والأسماء والصِّفَات.

٧- فيها إثباتُ صِفَات الكمال لله مِن كُلِّ وَجْه من اسْمَيِ الأَحَدِ والصَّمَد.

٨- فيها تَنْزِيهُ الله عن كُلِّ نَقْصٍ وحَاجَةٍ، من قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

٩- فِيهَا نَفْيُ الـمُشارِكِ والشَّبِيهِ والنَّظِيرِ من كلِّ وَجْهٍ.

١٠- فيها الردُّ على اليَهُود والنَّصَارى والـمُشْرِكِينَ، فإنَّ اليَهُود قالوا: عُزَيْرٌ ابنُ الله، وقالت النَّصَارى: المسيحُ ابنُ الله، ومُشْرِكوا العَرَب قالوا: الـمَلائكةُ بَناتُ الله. تعالى اللهُ عن قولِهِم عُلُوًّا كَبِيرًا، من قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

١١- فيها إثباتُ كُلِّ كَمَالٍ، ونَفْي كُلِّ نَقْصٍ عن الله تَعَالَىٰ من قولِه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

١٢- فيها الجَمْعُ بينَ النَّفْيِ والإثباتِ (وهذا مَوْضِعُ الشَّاهِد من السُّورة) الإجمالُ في النَّفْيِ والتفصيلُ في الإثباتِ، وهو الثابتُ شَرْعًا، والمناسِبُ عَقْلًا، وهذا عَكْسُ ما عليه أهل البِدَعِ من الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة.

١٣- فيها إثباتٌ مُفَصَّل.

١٤- فيها نَفْي المُفَصَّل، وهو خلافُ طريقةِ القُرْآن العامَّة؛ لأنها قَضِيَّة عَيْن، احتيج إلى نفيها لأهميَّة الردِّ على قضية الوَلَدِ، مثل قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، و﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ﴾.

١٥- فيها إِثْبَاتُ تَوْحِيدِ الـمَعْرِفَةِ والاعتقادِ.

....

١٦- الحَثُّ على التوكُّلِ على الله والاعتمادِ عليه، إذ هو الوَاحِدُ، المقصودُ في جميعِ الحوائجِ.

١٧- تَلَقِّي العقيدةِ من كتابِ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ.

١٨- إثبات أَوَّلِيَّةِ الله، فهو ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأنه الأَوَّلُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ، لا وَالِدٌ، ولا غَيْرُه.

١٩- إن هذه السورةَ تَضَمَّنَتْ أَهَمَّ رَكَائِزِ الإسلامِ وجَوْهَرِه الحَقِيقِيِّ وهو أنواعُ التوحيدِ الثلاثةُ.

٢٠- كما تَضَمَّنت نَفْيَ الشريك في أيِّ صورةٍ، فتَعَدُّد الآلهة نفاها عنه بقولِه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. والحاجةُ والنَّقْصُ نَفَاهَا عنه بقولِه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. والـمُشابَهَةُ والـمُماثَلَةُ نَفَاهَا عنه بقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾. وإثباتُ أَوَّلِيَّتِه ونَفْيُ الحُدوث عَنْهُ بقولِه: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾. والأندادُ والأشباهُ نَفَاهَا عنه بقولِه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

٤- المثال الثالث:

(أ) الشرح:

الدلالة على الجَمْعِ بين النَّفْي والإثباتِ قولُه تعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

في هذه الآيةِ وصَفَ اللهُ نَفْسه بصِفَاتٍ، وعلى طريقةِ الجمع بينَ النَّفْيِ والإثبات، الإثبات بالتفصيلِ، والنَّفْي بالإجمال وهي أعظمُ آيةٍ، كما وَرَدَ في الحديثِ عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، أن النبيَّ ﷺ سألَه: «أيُّ آيةٍ في كتابِ الله أعظمُ؟». قال: اللهُ ورَسولُه

أَعْلَمُ. فرَدَّدَ مِرَارًا، ثم قال أُبَيٌّ: آيةُ الكُرْسِيِّ. قال: «**لِيَهْنِكَ العِلمُ أَبَا الـمُنْذِرِ**»[(١)]. «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الـمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ**»[(٢)].

(ب) شَرْحُ مُفْردات آيةِ الكُرسِيِّ:

فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. هذا جَمْعٌ بينَ النَّفْيِ والإثباتِ فيما وَصَفَ به نَفْسَه، وهو الشاهدُ من الآيةِ، وفيها الردُّ على الـمُلحِدِينَ والـمُشْرِكِينَ. فـ«لا إِلَهَ» رَدٌّ على الـمُلحِدِينَ حيثُ هم يُنْكِرونَ الإلهَ، ورَدٌّ على الـمُشْرِكِينَ حيث إنَّهم يَجْعَلون معَ الله شَرِيكًا.

وقولـه: ﴿ٱللَّهُ﴾ أي: ذو الإِلَهِيَّـةِ الـمُسْتَحِقُّ للعِبَـادَةِ حُبًّا وتَعْظِيـمًا، ويَتَضَمَّنُ مَعَانِيَ أسماءِ الله الحُسْنَى، وهو عَلَمٌ على ذاتِ الله الـمُقدَّسَةِ، ولم يَتَّسِم به أحَدٌ. وكثيرٌ من العلماء يَذْهَبـونَ إلى أنَّ لفـظ الجلالـة (الله) هو اسْـمُ الله الأعظمُ، الذي إذا دُعِـيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أَعطَى.

وقولـه: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ نَفْـي لجميعِ الآلهة البَاطِلَةِ. ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إِثْبـاتٌ للمَعْبودِ بحَقٍّ، أو: لا إِلَهَ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ إلا هو سُبْحَانَهُ، وفيه الجَمْعُ بينَ النَّفْيِ الـمُجْمَل والإثباتِ الـمُفَصَّل.

وقوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ هذا اسمٌ من أسماءِ الله، ومعناه: الدائمُ الباقي الذي لا سبيلَ للفناءِ عليـه، فلـه الحياةُ الكاملةُ التي لـن يَعْقُبَها زَوالٌ، فهي أَزَلِيَّةٌ؛ لأنهـا من لوازمِ ذاتِه سُبْحَانَهُ، أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، وكمالُ حَيَاتِه يَسْتلزِمُ ثُبوتَ جميعِ صِفَات الكمال الذاتيَّة؛ من القُدْرةِ، والعِلمِ، والحِكْمةِ، والعِزَّةِ، والسَّمْعِ، والبَصَرِ، والإرادةِ، والمشيئةِ، فله الكمالُ الـمُطْلَق في الحياةِ،

---

(١) أخرجـه مـن حديث أبي بن كعب مسـلم كتـاب «صَلَاةِ الْـمُسَـافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «فَضْلِ سُـورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ» (١/ ٥٥٦) رقم (٨١٠). رواه مسلم في صحيحه (رقم: ١٣٤٩) عن أبي بكر ابن ابي شيبة. انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٢).

(٢) أخرجـه بهذه الزيادة أحمد «مسـند الأنصار» (٣٥/ ٢٠٠) رقم (٢١٢٧٨)، وقال الأرنؤوط: إسـناده صحيح على شرط مسلم. روى هذه الزيادة عبد بن حميد في مسنده (١٧٩).

ويَتْبَعُـهُ الكَـمالُ الـمُطْلَـقُ في الصِّفَـات اللازمة للحـيِّ. ومعنى هذا الاسـم: الحَيُّ الذي لم يُسْبَقْ بعَدَمٍ ولا يَلحَقُهُ عَدَمٌ ولا يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ من أيِّ وجهٍ. وقد يُطْلَقُ على غَيْرِ الله، لكن على ما يَلِيقُ به من نَقْصٍ وضَعْفٍ قال تَعَالَىٰ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] والاشتراكُ في لفظ الاسمِ لا يَلزَمُ اشتراكٌ في الـمُسَمَّى. وهو أصلٌ للصِّفَات الذاتيَّة.

و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: اسمٌ من أسماءِ الله تَعَالَىٰ، قَائِمٌ بنَفْسِه مُقِيمٌ لغَيْرِه، لا يحتاج إلى خَلقِه، وهم مُحْتاجون إليه. فهو القيوم القائم بنَفْسـه الـمُستغْنِي عن جميعِ مخلوقاتِه، قام بالموجودات خَلقًا وتَدْبيرًا، وبقاءً وتيسيرًا، وفناءً ونُشـورًا، وأن هذا الاسـم أصل للصِّفَات الفعليَّةِ، وقد ورَدَ أن الحيَّ القَيُّوم هو الاسمُ الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِل به أعْطَى؛ لأن الحـيَّ تَرْجِـعُ إليه الصِّفَاتُ الذاتيَّـةُ كُلُّها، والقَيُّوم ترجعُ إليـه الصِّفَات الفعلية كلُّها. قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِـهِ الـقَـيُّومُ وَالـ ... ـقَـيُّومُ فِي أَوْصَـافِـهِ أَمْـرَانِ
إِحْـدَاهُـمَـا الـقَـيُّومُ قَـامَ بِنَفْسِهِ ... وَالـكَـوْنُ قَـامَ بِـهِ هُـمَـا الأَمْـرَانِ
فَـالأَوَّلُ اسْـتِـغْـنَـاؤُهُ عَـنْ غَـيْرِهِ ... وَالـفَـقْـرُ مِـنْ كُـلٍّ إِلَـيْـهِ الـثَّـانِي
وَالـوَصْـفُ بِـالـقَـيُّومِ ذُو شَـأْنٍ كَـذَا ... مَـوْصُـوفُـهُ أَيْـضًـا عَـظِـيمُ الـشَّـانِ
وَالـحَـيُّ يَـتْـلُـوهُ فَـأَوْصَـافُ الكَمَا ... لِ هُـمَـا لأُفْـقِ سَمَـائِـهَـا قُـطْـبَـانِ

فهذان الاسمان فيهما الكمالُ الذَّاتِيُّ، ومن كمالِه سُبْحَانَهُ وغِنائِه وعَظَمتِه أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والسِّـنَةُ مُقدِّمَةُ النوم، ويُسَـمَّى بالنُّعَاس والنوم الخفيـفِ، والنومُ الثقيلُ في الـرأس والقلـب، والسِّـنَةُ في العَيْنِ. وهذه الجملة تأكيـدٌ للقَيُّومِ. والنَّوْمُ والسِّـنَةُ هي من صِفَات النقصِ والافتقار، ولذلك نَفَاهُما اللهُ عنه سُبْحَانَهُ في الآيةِ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ اللهَ لا يَنَـامُ، ولا يَنْبَغِـي لَهُ أَنْ يَنَامَ»**، ولأن النوم أخو الـمَوْتِ ونَفْيُه عنه سُبْحَانَهُ لكمالِ حياتِه

وكمالِ قَيُّومَتِه. وفي الحديثِ عن أَبِي مُوسَى الأَشْعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعِ كلماتٍ، فقال: **«إنَّ اللهَ لا يَنَامُ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عَمَلُ الليلِ قبلَ عَمَلِ النهارِ، وعَمَلُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إليهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلقِهِ»**[1].

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخَلقًا وعَبِيدًا، وتحتَ قَهْرِه وسُلطانِه تقديره وتدبيره.

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. ﴿مَن ذَا﴾: اسمُ استفهامٍ، وفيه معنى التَّحدِّي والعظمةِ، أي: ليسَ لأحدٍ أن يَشْفَعَ عندَه لعَظَمَتِه وكبريائِه، إلا بأَمْرِه سُبْحَانَهُ وهذا من تَمامِ سُلطانه وكمالِ عَظَمتِه وقَهْرِه.

﴿عِندَهُۥٓ﴾ أي: عندَ الله، وقد تَضَمَّنَ هذا النَّفْيُ والإثباتُ إثباتَ الشفاعةِ، وهي التي تكُونُ بأَمْرِهِ لـمَن رَضِيَ قولَه وعَمَلَه. و فيه إبطالُ الشَّفَاعَةِ الشِّرْكيَّة التي هي بدُونِ إذنٍ منه سُبْحَانَهُ، وهي ما كانَ يَدَّعيها المشركون.

وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾. وفي هذه الجُمْلَةِ الشَّاهِدُ الجَمْعُ بينَ النَّفْيِ والإثباتِ أيضًا، ومعناها: أن الخلق لا يُحِيطونَ بأَيِّ شيءٍ مِمَّا يَعْلَمُه إلا بما أَعْلَمَهم إيَّاه، وقيل: مِنْ عِلمِ أَسْمائِهِ وصِفَاتِه، أي: ما يَعْلَمُ الخَلْقُ عن ذاتِ الله وصِفاتِه إلا ما أَعْلَمَهُم هو سُبْحَانَهُ إيَّاه على أَلسِنَةِ رُسُلِه، قال تَعَالَىٰ عن الملائكةِ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البَقَرَة: ٣٢].

(١) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري، مسلم كتاب «الإيمان» باب «في قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ اللهَ لا ينامُ» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩/ ٢٩٣). رواه مسلم (١/ ١٦١-١٦٢) ح (١٧٩) في «الأيمان» باب «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لا ينام»».

وقولـه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وَسِـعَ، أي: الـشيءُ لم يَضِقْ عَنْهُ. والكُرْسِـيُّ: مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ(١)، وهو خَلقٌ عظيمٌ، ومع ذلك فهو بالنِّسبةِ للعَرْشِ كحَلقةٍ مُلقاةٍ في فَلاةٍ.

وهـذا يَدُل على عِظَم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الـذي خَلَق هذه المخلوقات العظيمةَ التي لا تَتَصَوَّرُهـا الأذهـانُ ولا تُدرِكُها الأفهامُ، ولا تُحِيطُ بها الإبصـارُ، وتَقْصُرُ عن تَصَوُّرِها الأفكارُ.

وقولُه: والسـمواتُ والأرضُ معروفةٌ ومُشـاهَدَةٌ ومَحْسوسـةٌ لا يُنْكِـرُ عظَمتَها إلا مجنونٌ، فالسماءُ فوقَنا تراها الأبصارُ، والأرضُ تحتنا تَطَؤُها الأقدامُ، وفيما بينهما من عوالِمَ وأكوانٍ لا يَقْدِرُ قَدْرَها إلا عَظِيمُ القُدْرةِ والشَّأْن.

وقولـه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يُثْقِلُـه ولا يُعْجِـزه حِفْظُهـما، أي السـمواتُ والأرضُ رغـم عِظَمِهما بل ذلك عليه سـهلٌ ويسـيرٌ لكمالِ قُدْرتِه وعَظَمتِـه، وهذا النَّفْي وما بعدَه من الثُّبوت يَدُل على كمالِ القُدرة وتمامِ العلم والعظمةِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ عُلُـو قَهْر، وعُلُو قَـدْر، وعُلُو ذاتٍ وصِفَات، هذا هو الإثباتُ. (والعَلِـيُّ) صفةٌ مُشَـبَّهة على وزن فَعِيـل، لملازمة العُلُو لذاتِه سُبْحَانَهُ، وليس اسـمَ فاعِلٍ، والفرقُ بينَهما: أنَّ الصِّفة الـمُشَـبَّهة تُفِيدُ الثُّبوت، واسـمَ الفاعلِ حَادِثٌ مُتَجَدِّدٌ، ويُمْكِنُ زَوالُه، أما الصِّفة الـمُشبَّهَة فهي مُلازِمَةٌ له لا يَنْفَكُّ عنها الـمَوصوفُ. و(العَلِيُّ) يكونُ اسمًا من أسماءِ الله تَعَالَىٰ. والصفةُ منه العُلُو بأقسامه الثلاثةِ:

فعُلُو الذات كونه فوق جميع المخلوقات بذاتِه مُستويًا على عرشِـه، وعُلو الصِّفَات

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم»، للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، (ت: ٧٧٤هـ)، (١/ ٩١٦)، دار المعرفة، بيروت، وانظر: «تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: ٢٢٤هـ) - ٣١٠هـ (٥/ ٣٩٨).

وهـو مـا دلَّ عليه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. بمعنى أن كلَّ كمالٍ في صِفَةٍ، فللَّه منها أعلاها وذُروتُها، وهي كلُّها عُليا، ليس فيها نَقْص بوَجْهٍ من الوُجوهِ.

وعُلـو القَهْر والشَّـأْن، كـما في قولِـه تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، و«أل» في قوله: (العَلِيُّ) للشمول والاستغراقِ لأنواعِ العُلو، كما تَقَدَّم.

والعُلو من الصِّفَات الذاتيَّة، كما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنة والإجماعُ والعَقْل والفِطْرةُ، وسيأتي له مَزِيدُ بيانٍ.

وقولـه: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا أعظمَ ولا أجَـلَّ منه، لا في ذاتِه، ولا في صِفاتِه، ولا في أفعالِـه، وله التعظيمُ الكاملُ في قلوبِ أنبيائِه وملائكتِه وأوليائِه. والعظيمُ صِفةٌ مُشَـبَّهةٌ: فالعظمـةُ ملازمـةٌ لـه لا تُفارِقُه بحالٍ، ومـن معانيها: القـوةُ، أي إنَّه ذو القُـوَّةِ والكِبْرياءِ والعِزَّة والجَلالِ.

(جـ) ما يُستفادُ من هذه الآيةِ: (آيةِ الكُرسيّ):

١- إثباتُ أُلوهيَّته وبُطلانُ أُلوهيَّة غيرِه.

٢- إثباتُ صِفَةِ الحياةِ التامَّةِ له التي لا يَلحَقُها فَنَاءٌ، ولم يَسْبِقْهَا عَدَمٌ.

٣- إثْبَاتُ صِفَةِ القَيُّوم وكَمَالِ عِنَايَتِه وحَاجَةِ الخَلق إليه.

٤- تنزيهـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن صِفَات النقص؛ كالسِّـنة، والنوم، وغيرِهما، كالعَجْزِ والتَّعَبِ والنَّصَب.

٥- سَعَة مُلكِه وعظمته وقوة سُلطانه.

٦- إثبات الشفاعة بشُروطها وهي الإذن من اللهِ للشافعِ ورضاه عن المشفوع له.

٧- وفيه الردُّ على المُشْرِكِينَ الذين يَزْعُمون أن أصنامَهم تَشْفَع.

....

٨- فيه إثباتُ صِفة العلم وإحاطته بكلِّ معلوم، الماضي والحاضر والمستقبل، والرد على القَدَريَّة والرافضة الذين يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حُدوثها. وعلى من قال: إنه لا يعلم إلا الكُلِّيات. تعالى الله عن قَوْلِهم عُلُوًّا كَبِيرًا.

٩- فيه إثباتُ عظمةِ هذه الآيةِ لِمَا تَدُلُّ عليه من أسماءٍ وصِفَات، وأنها أعظم آيةٍ في القُرْآنِ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة فيها.

١٠- فيها دليلٌ على تفاضل القُرْآن نَفْسِه بعضه على بعض.

١١- فيه اختصاصُ الله بالعلم والتعليم لإحاطته بعلم ما بين الأيدي والخلف والمستقبل.

١٢- فيه إثبات عظمته وقُدرته التي لا يُعْجِزها شيء، وأنها من الصِفَات الذاتية، وذلك من خلقه لعظيم مَخْلوقاتِه كالعرش والكُرْسيِّ.

١٣- فيه إثبات عظمة العرش والكرسي، لقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

١٤- فيه إثباتُ صِفة المشيئةِ، لقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

١٥- إثبات تَعَدُّد السموات.

١٦- أن هذه الآية يُسْتَحَبُّ قراءتها قبل النوم، فإنَّ من قَرَأها لم يَزَل في حِفْظِ الله من الشيطان وغيره؛ للحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَكَّلَنِي رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحِفْظِ زكاةِ رَمَضَانَ، فأتاني آتٍ فجعل يَحْثُو من الطَّعَام، وقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: دَعْنِي؛ فإنِّي مُحْتَاجٌ وعَلَيَّ عيال، ولا أَعُودُ. فرَحِمْتُه وخَلَّيْتُ سَبِيلَه، فأصبحتُ فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا أبا هُرَيْرَة، ما فَعَلَ أَسِيرُك البَارِحَةَ؟»** قلتُ: يا رسولَ الله، شكا حَاجَتَهُ وعِيالًا فرَحِمْتُهُ، وخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قال: **«أَمَا إِنَّه قَدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ»**. فعَرَفْتُ أنه سَيَعُودُ، فرَصَدْتُهُ، فجَاءَ يَحْثُو من الطَّعَام فأَخَذْتُه، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: دَعْنِي فإني مُحتاجٌ وعَلَيَّ عيالٌ، ولا أعودُ. فرَحِمْتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فأصبحتُ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

....

«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟». فقلتُ: يا رسولَ الله شَكَا عِيالًا وحاجةً، فرَحِمْتُهُ، فخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: «إنَّه قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ». فرَصَدْتُهُ الثالثةَ، فجاء يَحْثُو من الطَّعَامِ، فأَخَذْتُهُ، فقُلتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله ﷺ، وهذه آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أنَّك لا تعودُ، ثم تَعودُ، فقال: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قلتُ: وما هي؟ فقال: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فإنك لن يزال عليك حافظٌ ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتى تُصْبِحَ. وكانوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الخيرِ، فقال النبيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟». قلتُ: لا. قال: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»[(١)].

١٧- فيه التَّرَقِّي من النَّفْيِ الأدنى إلى الأعلى، فمَن لا تَغْلِبُه السِّنَةُ قد يَغْلِبُه النومُ، فنَفَى ذلك كُلَّه عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٨- تَضَمَّنت هذه الآيةُ من الصِّفَات السلبيَّة التي تدل على الكمال كنفي السِّنة والنوم، لكمالِ قَيُّومِيَّتِه، وكمالِ حَياتِه تَعَالَى.

١٩- إثباتُ العِنْدِيَّة لله تَعَالَى، بمعنى أنه ليسَ في كلِّ مكانٍ، كما تقول الحُلوليَّةُ: إنه بذاتِه في كلِّ مكان. ولا عندَ مَن يقولون: إنَّ اللهَ لا دَاخِلَ العَالَمِ ولا خَارِجَه، ولا مُتَّصِل ولا مُنْفَصِل؛ بل هو فَوْقَ عرشِه بذاتِه، بائنٌ من خِلقه، يَعْلَمُ ما هم عليه، ونكتفي بهذه الأمثلةِ الثلاثةِ.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري معلقًا كتاب الوَكَالَةِ باب «إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا» (٣/ ١٠١) رقم (٢٣١١)، ووصله النسائي في «الكبرى» كتاب «عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ذِكْرُ مَا يَكُبُّ العِفْرِيتَ وَيُطْفِئُ شُعْلَتَهُ» (٩/ ٣٥١) رقم (١٠٧٢٩)، وابن خزيمة في صحيحه كتاب «الزَّكَاةِ» باب «الرُّخْصَةِ فِي تَأْخِيرِ الإِمَامِ قَسْمَ صَدَقَةِ الفِطْرِ...» (٤/ ٩١) رقم (٢٤٢٤). وصححه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (٣١)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٠). البخاري رواه البخاري مُعَلَّقًا (٤/ ٤٨٧)، رقم (٢٣١١).

٥- أمثلة للإثباتِ على جِهَةِ التفصيل مثل:

قال اللهُ تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢].

وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله تعالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]،وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] إلى غير ذلك من الآياتِ الدَّالَّةِ على أن طريقة أهل السُّنة التي هي طريقة القُرآن هي الإثبات مفصلًا والنَّفي مُجْمَلًا، عكس طريقة أهل الكلام المَذْموم، فإنهم يأتون بالنَّفْي مُفَصَّلًا، مثل قولهم - وتعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا - قال شارحُ الطَّحَاويَّة يقولون: «ليسَ بجِسْمٍ، ولا شَبَحٍ، ولا جُثَّة، ولا لَحْمٍ، ولا رُطُوبةٍ، ولا شَخْصٍ، ولا بِذِي حَرارةٍ، ولا بُرودةٍ، ولا رُطوبةٍ، ولا يُبوسةٍ، ولا طُولٍ، ولا عَرْضٍ، ولا عُمْقٍ، ولا اجتماعٍ، ولا افتراقٍ، ولا يَتحَرَّكُ، ولا يَسْكُنُ، ولا يَتبَعَّضُ، وليسَ بِذِي أبعاضٍ، وأجزاءٍ وجَوارِحَ، وأعضاءٍ، وليس بِذِي جِهاتٍ، ولا بِذِي يَمينٍ، ولا شِمالٍ، ولا أمامٍ، ولا خَلفٍ، ولا فَوْق، ولا تَحت، ولا الحلول في الأماكنِ، ولا يُوصَف بشيءٍ من صِفَات الخلقِ الدَّالَّةِ على حُدوثِهم، ولا يُوصَفُ بأنه مُتَناهٍ، ولا يُوصَفُ بِمساحةٍ، ولا ذَهابٍ في الجِهَاتِ، وليسَ بمَحْدودٍ ولا وَالِدٍ ولا مَوْلودٍ ولا تُحِيطُ به الأقدارُ، ولا تَحْجُبُه الأَسْتَار»[1] إلى آخِره. اهـ.

---

(١) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز، الطبعة التاسعة (١٤٠٨ - ١٩٨٨)، المكتبة الإسلامية.

وقَوْلُنا:

٢٩- فَمَا لإثْبَاتٍ وَنَفْيٍ قَدْ وَرَدْ نُثْبِتُهُ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ جَحَدْ
٣٠- وَنَصِفُ اللهَ بِمَا قَدْ وَصَفَا لِنَفْسِهِ وَحَسْبُنَا ذَا وَكَفَى

٦- إثباتُ ما أثْبتَه اللهُ لنفْسه من صِفاتٍ:

(فما لإثبات ونفي قد ورد نثبته) أي: ونُثْبِتُ ما وَرَدَ في كتابِ الله من صِفَاتٍ اتَّصَفَ بها سُبْحَانَهُ، فهو أعْلَمُ بنفْسه من غيرِه، نُثْبِتُها له كما وردتْ في القُرْآنِ من دُونِ تَعطيلٍ ولا تَشْبيهٍ ولا تأويلٍ ولا تمثيلٍ قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإليكَ أمثلةٌ لبعض الصفات من ذلكَ مَقْرُونةٌ بالدَّليلِ:

الصفة	الدليل
١- إثبات صفة النفس	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].
٢- صفة الاسم لله	﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].
٣- فعل الإرادة لله	﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].
٤- صفة الاستواء لله	﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].
٥- المحبة لله تَعَالَىٰ	﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].
٦- الوجه لله تَعَالَىٰ	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].
٧- العين لله تَعَالَىٰ	﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].
٨- السمع لله تَعَالَىٰ	﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].
٩- الكره لله	﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].
١٠- الغضب لله	﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

فهـذه الآياتُ وغيرُها تُقـرِّرُ إثباتَ صِفَات الله على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من دونِ تعطيلٍ، ونُثْبِتُها له من دُونِ تحريف ولا تمثيلٍ على حَدِّ قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هـذه الصِفَـات وردتْ من القرآنِ، وما ورد من نَفْيٍ في القُرْآن - فكما تَقَدَّمَ - نَفْيٌ مُجْمَلٌ كقوله تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ونفـي مفصـل مثـل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وغيرهـا مـن الآيـات تنفـي عنـه ما نَفَى عن نَفْسِه، أو نفاهُ عنه رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْيًا يَتَضَمَّنُ كمالَ المَدْحِ والثناء، أما النَّفْي الـمُجَرَّد فليسَ بشيءٍ.

(بِرَغْمِ أنف) **الرَّغام بالفتح التُّراب**: رَغِمَ أَنْفُه رَغْمًا، أي: على ذُلٍّ منه وكُرْهٍ نُثْبِتُ لله ما أَثْبَتَهُ لنَفْسِـه. (مَنْ جَحَد) أي: الذي أنْكَرَ معَ عِلمِه بأنَّ إثباتَنا لِـمَا أَثْبَتَه اللهُ لنَفْسِـه حَقٌّ، فعَلَى ذُلٍّ منه وكُرْهٍ نُثْبِتُ ذَلِكَ.

وقولُنا: (ونَصِفُ الله بما قد وصفا لنفسه) أي: نُثْبِتُ له الصِّفَات التي قد وَصَفَ بها نَفْسَه من غَيْرِ تَحْرِيفٍ ولا تَأْوِيلٍ ولا تَكْيِيفٍ ولا تَعْطِيلٍ.

(وَحَسْـبُنَا ذا) أي: يَكْفِينا طريقةُ القُرْآنِ، إذ وَصَفَ اللهُ نَفْسـه بصِفَاتٍ - ومَن أَعْلَمُ منـه بنَفْسِـه؟! - وكفـى، فنحن تَكْفِينا هـذه الطريقةُ، وهـي أَنَّنا نَصِفُ اللهَ بـما وَصَفَ به نَفْسـه، قـال تَعَالَى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وبـما وصَفَـه بـه رسـولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنـه لا يَصِفُه بعدَ الله أحَدٌ أعلمُ به من رسـولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قـال عنه في مُحْكَمِ كِتَابِه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

❁❁❁

٣١- وَمَا لَهُ قَدْ أَثْبَتَ الرَّسُولُ نُثْبِتُهُ نَصًّا وَلا نَمِيلُ

٧- تَعْرِيفُ التَّحْرِيفِ:

أيُّ حديثٍ صحيحٍ ثَبَتَ عن الرسولِ ﷺ فنحن نُثْبِتُه بنَصِّه، (ولا نَمِيلُ) المَيْلُ هو: التَّحْرِيفُ، وهو تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها وهو لَفْظِيٌّ ومَعْنَوِيٌّ، كما قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، بالفَتْحِ للفظِ الجلالةِ ليكون المُتَكَلِّمُ مُوسَى، وليسَ هو الله فِرارًا من إثباتِ صِفَةِ الكلام، كما فَعَلَتْهُ الجَهْمِيَّةُ والمُعْتَزِلَة، ولفظُ الجلالةِ في الآيةِ مَرْفوعٌ، وهي قراءةٌ مُتواتِرَةٌ، وقد عُرِضَ ذلك على أبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ فقال: ما قَرَأَ هذا - يعني لَفْظَ الجلالةِ - بِالنَّصْبِ إلا كَافِرٌ. ثم قال: قرأتُ على أَبِي عبد الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ وقد قرأ عبدُ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ على عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ على رسولِ الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، يعني برَفْعِ لفظ الجلالةِ على الفاعليَّةِ، وهو مُجْمَعٌ عليه بَيْنَ القُرَّاءِ.

وروى ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن بعضَ المشائخ قرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ محرفا القراءة بنصب لفظ الجلالة فرد عليه ابن كثير قائلا: يا ابن اللخناءِ كيف تَصْنَعُ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهذا لا يَقْبَلُ التحريف.

وكذلك الجَهْمُ بنُ صَفْوانَ قال في الاستواء: «الاستيلاء». فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

أي: اسْتَوْلَى، وقال: لو وَجَدْتُ سَبِيلًا إلى حَكِّها لحَكَكْتُها من المُصْحَفِ، ولأَبْدَلْتُها: اسْتَوْلَى. ومن قَبْلِه اليَهُودُ، حَرَّفوا «حِطَّة» إلى «حِنْطَة»، حينما قال الله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، فدَخلوا يَزْحَفُون على أستاههم، وقالوا: «حِنْطَة»[1]. فعاقَبَهم الله بما يَسْتَحِقُّون ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا..﴾ [البقرة: ٥٨] (٦/ ١٩) رقم (٤٤٧٩)، بلفظ: حطة، ومسلم كتاب «التفسير» (٤/ ٢٣١٢) =

وخلاصةُ التحريف: أنه التَّغْيِيرُ لَفْظًا ومعنًى، واللفظيُّ قد يَتَغَيَّر معَه الـمَعْنَى، وقد لا يَتَغَيَّرَ معه المعنَى، فما يَتَغَيَّر معه المعنى قولُه تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ إذا قُرِئت على المفعوليَّة. وما لا يَتَغَيَّرُ معه المَعْنَى كفَتْحِ الدَّال من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وتَحْرِيفٌ مَعْنَوِيٌّ، وهو صَرْفُ اللَّفْظِ عن ظَاهِرِه بدُونِ دَلِيلٍ، كتَحْرِيفِ اليَدِ إلى النِّعْمةِ والقُوَّة، والاستواءِ إلى الاستيلاءِ، والوَجْهِ إلى الثَّوابِ. ولا نُحَرِّفُ لَفظَه ولا معناه، بل نُثْبِتُه إثباتًا يَلِيقُ به سُبۡحَانَهُ.

ومن الأحاديثِ الثابتةِ فيما وصَفَ بها رسولُه ﷺ رَبَّه قولُه ﷺ: «**أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»[1]، وقولُه: «**مَثَلُ المُجَاهِدِ في سَبِيلِ الله ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله مَثَلُ القَائِمِ المُصَلِّي حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ**»[2]. وقولُه ﷺ: «**سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ**»[3]. وقولُه: «**لَمَّا قَضَى اللهُ**

= رقم (٣٠١٥/ ١)، بلفظ: حبة، والنسائي في «الكبرى» كتاب «التفسير» قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ (١٠/ ١٠) رقم (١٠٩٢٢). بلفظ: حنطة. رواه البخاري (٣١٧٥) عن إسحاق، «تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٣).

(١) أخرجه من حديث عمار بن ياسر النسائي كتاب «السهو» (٣/ ٥٤) رقم (١٣٠٥)، وأحمد «مسند الكوفيين» (٣٠/ ٢٦٤) رقم (١٨٣٢٥). وصححه ابن حبان: (١٩٧١)، وقال الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (١٠٦): إسناده صحيح. وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حديث صحيح. رواه النسائي (٣/ ٥٤ - ٥٥)، وأحمد (٤ - ٣٦٤)، إسناده جيد، «صحيح النسائي» (١/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ...» (٤/ ١٥) رقم (٢٧٨٧)، ومسلم كتاب «الإِمَارَةِ» باب «فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ» (٣/ ١٤٩٨) رقم (١٨٧٨/ ١١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» بَابُ «ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ لله جَلَّ ثَنَاؤُهُ» (١/ ٣٢) وتفرد ابن خزيمة عن الصحيحين بلفظ: «ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ». رواه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (٣٤٧٩)، والنسائي (٤٢١٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه من حديث أم المؤمنين جويرية مسلم كتاب «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ» باب =

الخلقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي»(١)، وعن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قـال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُـوذُ بِوَجْهِكَ». قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقـال النبـيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُـوذُ بِوَجْهِكَ». قـال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فقـال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَـذَا أَيْسَـرُ»(٢). وقولُـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَـلا تَلْتَفِتُوا؛ فَـإِنَّ اللهَ يُقْبِـلُ بِوَجْهِـهِ إِلَى وَجْهِ العَبْدِ»(٣). وقولُه فِي صِفَةِ الدَّجَّـال: «ألا إِنَّه أَعْوَرُ، وَإِنَّ

= «التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ» (٤/ ٢٠٩٠) رقم (٢٧٢٦/ ٧٩). بلفظ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠] (٩/ ١٢٠) رقم (٧٤٠٤)، ومسلم كتاب «التَّوْبَةِ» باب «فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى...» (٤/ ٢١٠٧) رقم (٢٧٥١/ ١٤). واللفظ عند البخاري: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي». أخرجه البخاري(٦/ ٢٨٧)، ح (٢٩٤٧) في «بدء الخلق» في باب «قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ [الروم: ٢٧] ومسلم (٤/ ٢١٠٧) ح (٢٧٥١) في «التوبة»، باب «في سعة رحمة الله وإنها سبقت غضبه».

(٢) أخرجه من حديث جابر البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] (٩/ ١٢١) رقم (٧٤٠٦). «صحيح البخاري مع الفتح» (٨/ ٢٩١) ح (٤٦٢٨) باب «هو القادر على أن يبعث..الخ» ورواه في «التوحيد» ورواه ابن حبان في صحيحه، ورواه ابن جرير في تفسيره وغيرهم.

(٣) أخرجه من حديث الحارث الأشعري الترمذي أبواب الأمثال باب «مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ» (٥/ ١٤٨) رقم (٢٨٦٣)، وأحمد في «مسند الشاميين» (٢٩/ ٣٣٥) رقم (١٧٨٠٠)، وابن خزيمة في صحيحه - واللفظ له - كتاب «الصِّيَامِ» باب «ذِكْرِ تَمْثِيلِ الصَّائِمِ فِي طِيبِ رِيحِهِ بِطِيبِ رِيحِ الْمِسْكِ إِذْ هُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ» (٣/ ١٩٥) رقم (١٨٩٥). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وصححه ابن حبان: (٦٢٣٣). والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٥٢)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على «مسند أحمد»: حديث صحيح. وقال الأعظمي في تعليقه على ابن خزيمة: إسناده صحيح. رواه ابن خزيمة (١٧٤٩)، والبيهقي (٣٢٤٨).

رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[١]. مِن حَدِيثِ أَنسٍ في قِصَّةِ الدَّجَّالِ. وفي حديثِ الشَّفاعةِ يقولُ الناسُ لآدَمَ: «أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ»[٢]. وحديث: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ»[٣]. وحديث مَنْ قَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، إن اللهَ تَعَالَىٰ يُمْسِكُ السَّمواتِ على إِصْبَعٍ والأَرَضِينَ على إِصْبَعٍ والجِبَالَ على إِصْبَعٍ والشَّجَرَ على إِصْبَعٍ والخَلائِقَ على إِصْبَعٍ، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ. فضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا وتَصْدِيقًا لَهُ»[٤]. وحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الفِتَنِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ» (٩/ ٦٠) رقم (٧١٣١)، ومسلم كتاب «الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ» (٤/ ٢٢٤٨) رقم (٢٩٣٣/ ١٠١). رواه البخاري (١٣/ ٨٩)، في «الفتن» باب «ذكر الدجال» ح (٣٢٠٩). ورواه مسلم (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) في باب «ذكر الدجال».

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (٩/ ١٣١) رقم (٧٤٤٠)، ومسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٠) رقم (١٩٣/ ٣٢٢). رواه مسلم (١/ ١٨٢ - ١٨٤) ح (١٩٣) في «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزله».

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] (٦/ ١٢٦) رقم (٤٨١٢)، ومسلم كتاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ» (٤/ ٢١٤٨) رقم (٢٧٨٧/ / ٢٣). ولفظ مسلم: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟». رواه البخاري (٨/ ٥٥١)، في تفسير سورة الزمر ح (٦٨٩٠)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨) ح (٢٧٨٧) «في صفات المنافقين» باب «صفة القيامة، والجنة، والنار».

(٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] (٩/ ١٢٣) رقم (٧٤١٤)، ومسلم كتاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ» (٤/ ٢١٤٧) رقم (٢٧٨٦/ ١٩). البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٣٩٣) ح (٦٩٨٥)، «في التوحيد» باب «قوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ومسلم (٤/ ٢١٧٤) ح (٢٧٨٦) «في المنافقين» باب «صفه القيامة، والجنة، والنار».

نَادَى جِبْرِيـلُ: إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ فُلانًـا فَأَحِبَّـهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيـلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيـلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ»[(١)].

❁ ❁ ❁

وقولُنا:

٣٢- وَمَـا نَفَـاهُ اللهُ أَوْ رَسُولُـهُ نَنْفِيهِ عَنْهُ لَيْسَ شَيْئًا مِثْلُهُ

أي ما نفاهُ اللهُ عن نَفْسِـه من نَقْصٍ أو وَلَدٍ أو سِـنَةٍ أو نَوْمٍ أو غيرِ ذلك من صِفَات النَّقْصِ، فنحن كذلك طَرِيقَتُنا نَنْفِي ما يَنْفِيهِ عن نَفْسِه، أو نفاه عنه رسولُه ﷺ.

وقولُنـا: (لَيْس شَيْئًا مِثْلُهُ) إشـارةٌ للآيـةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا في الذاتِ، ولا في الصِّفَـات، ولا في الأفعـالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وما وَصَفَ به نَفْسـه أو وَصَفَه به رسـولُه ﷺ مـن صِفَـاتٍ ذاتيَّةٍ أو فِعليَّه - سـواءٌ ثَبَتَتْ بالقُـرْآنِ أو بصحيحِ السُّـنةِ - فإِنَّنا نُثْبِتُها كما أَثْبَتَها لنَفْسِـه وأَثْبَتَها له رَسـولُه ﷺ، ونُمِرُّهَا على ظَاهِرِها مع عقل أصل المعنى وأما كمال المعنى والكيف فنفوضه إلى الله.

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الأَدَبِ» باب «الـمِقَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى» (٨/ ١٤) رقم (٦٠٤٠)، ومسلم كتاب «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ» باب «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ» (٤/ ٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧/ ١٥٧). رواه البخاري (١٣/ ٤٦١) ح (٥٦٠٩)، «في التوصية» باب «كلام الرب مع جبريل»، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠) ح (٢٦٣٧) «في البر والصلة» باب «إذا أحب الله عبدًا حببه لعباده».

٣٣- مِنْ دُونِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلِ وَدُونَ تحـريـف وَلَا تـعْـطِـيـلِ

٨- تعْريفُ التّكْييف:

وقولُنا: (من غير تكييف) لم يَرِدْ في الكتابِ والسُّنة بهذه اللفظةِ، ولكن وَرَدَ ما يَدُل على النَّهْيِ عنه، ومعناه: أن تُذْكَرَ حَالَةُ الصِّفَةِ أو كُنْهُها ويُسْأَلَ عنها بكَيْفَ. والكَيْفِيَّةُ للصِفَات مَوْجودةٌ في الأصلِ ومَعْروفةٌ في اللغة، والـمَنْهِيُّ عنها التكييفُ وإدراك كُنْهِهَا أو حَالِها بالسؤالِ.

وقد نَهَى اللهُ عن ذلك في قولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، لأن مَن كَيَّف الصِّفَة فقد ادَّعَى العِلمَ بحَالِهَا وهَيْئَتِها، وهو ادِّعاءٌ بغيرِ دليلٍ سَمْعِيٍّ ولا عَقْلِيٍّ. أمَّا أهلُ السُّنة فالدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ ما تَقَدَّمَ، والعَقْلِيُّ هو أنَّ أيَّ كَيْفِيَّةٍ لأَيِّ صِفَةٍ من الصِّفَات لا تُدْرَكُ إلا بوَاحِدٍ من ثلاثةِ أُمورٍ كما قاله عُلماؤُنا.

١- خَبَرٌ صَادِقٌ. ٢- أو مُشاهَدَةُ الـمَوْصُوفِ. ٣- أو بوُجودِ مثيلٍ له.

وكل ذلك لم يرد فنمرها على ظاهرها مع عقل أصل المعنى وأما حقيقة المعنى والكيف فنفوضه إلى الله.

(ولا تمثيل) وهو إثبات مماثل لله من كل وجه وهو ما نفاه الله تَعَالَى في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، (دون تحريف) وهو الميل وقد تقدم.

وقولنا: (ولا تعطيل) معناه سلب الصفات ونفيها عن الله تَعَالَى كليًا أو جزئيًا.

وقد سئل الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ عن قولِه تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف اسْتَوَى؟ فأطْرَقَ مالكٌ برأسِه حتى علاه الرُّحَضَاءُ - العَرَقُ - ثم رفَعَ رأسَهُ، وقال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ مَعْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعَةٌ».

وقال العلماء: إن جوابَ مالكٍ هذا هو مِيزانٌ في هذا البابِ.

وقولُنا:

٣٤- وَحَيْثُمَا قَدْ عُدِمَ الدَّلِيلُ ... فَأَصْلُنَا التَّوْفِيقُ وَالتَّفْصِيلُ

٣٥- فَإِنْ يَكُنْ فِيمَا نَقُولُ مَدْحَا ... فَحَقُّهُ الإِثْبَاتُ قَوْلًا صَحَّا

٣٦- وَإِنْ يَكُنْ نَقْصًا فَجَلَّ وَعَلا ... عَنْ كُلِّ عَيْبٍ أَوْ مَثِيلٍ فِي الملا

هَذِهِ الأَبْيَاتُ تُشِيرُ إلى طريقةِ أهلِ السُّنة والجماعةِ في الألفاظِ والكلماتِ المجملة التي لم يـأتِي عليها دليلٍ من الكتاب والسُّـنة نفيًا أو إثباتا، فالأَصْـلُ فيها التوقُّفُ ثم التفصيلُ، فـإنَ كان المعنَـى الـمُراد صحيحًا وحَقًّا لائقًا بالله أطلقناهُ عليـه؛ لأنه من الـمَدْحِ والثناءِ على الله سُبْحَانَهُ وأما اللفظ فلا نطلقه على الله لا نفيا ولا إثباتا لعدم الدليل على ذلك.

وإن كان المعنـى الـمُـرادُ غـيرَ صحيحٍ وغيرَ حَقٍّ، فإننا نُنَـزِّهُ اللهَ عنه؛ لأن الله أعظمُ وأجـلُّ مـن أن يُوصَفَ بـما لا يَلِيقُ بـه سُبْحَانَهُ .وإن كان المعنى الـمُراد مُحْتَمِـلًا لأنْ يكونَ صَحِيحًا أو بَاطِلًا فإنَّنا نَقْبَلُ الصحيحَ ونَرُدُّ البَاطِلَ.

٩- الأمثلة:

لفظ الجهة: لا تطلق على الله لا نفيا ولا إثباتا لأنها مجمله ولابد من التفصيل(١)، إن كان المعنَـى الـمُـرادُ منها السُّـفْلَ، فهذه صِفَـةُ ذَمٍّ ومَعْنًى غيْرُ لائقٍ بـه، فنُنَزِّهُ اللهَ عنه؛ لأن اللهَ قـد وَجَـبَ له العُلُـوُّ الـمُطْلَقُ بالـذاتِ والصِّفَات. وإن كانَ المَعْنَـى الـمُراد منها ذاتَ اليَمِينِ أو الشِّمال أو الإحاطةَ به سُبْحَانَهُ فهذا المعنى هو عينُ النقص، وغيرُ لائقٍ بالله تَعَالَىٰ، وتعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، وهو مُمْتَنِعٌ في حقِّه سُبْحَانَهُ، فإن اللهَ أعظمُ وأجلُّ من أنْ يُحاطَ به مِن بعضِ مخلوقاتِه، وإن كان المعنَى المرادُ العُلُوَّ المُطْلَقَ، فهذا مُرادٌ صحيحٌ.

---

(١) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» لابن تيمية (ص: ٣٣ / ٣٨)، «شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

ولفظُ الجِسْم مجمل: فإن كانَ المَعْنَى المُرادُ منه هو الجِسْمَ المُرَكَّبَ من الأعضاء المُفْتَقِر جُزؤُه إلى كُلِّه، والمُرَكَّب من غيرِه المُفْتَقِر إلى غيرِه، فهذا المعنى باطلٌ، وغيرُ لائقٍ بالله، ونُنَزِّهُ اللهَ عنه؛ لأنه ليسَ كمثلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ. وإن كان المعنَى المُرادُ من الجِسْم أنه القائِمُ بنَفْسه المقيمُ لغيرِه، وأنَّ غيرَه محتاجٌ إليه، ويُشارُ إليه، ومَوْصُوفٌ بصِفة الكلام، والسمعِ والبصرِ؛ فهذه المعاني مَقْبولةٌ، وثابتةٌ لله تَعَالَىٰ، ولائقةٌ به، فنُطْلِقُها عليه.

لَفظ الحَيِّز مجمل: فإنْ كانَ المَعْنَى المُرادُ منه أنه تَعَالَىٰ تَحُوزُه المخلوقاتُ، فاللهُ أجَلُّ وأعظمُ من ذلكَ، فإن كُرسِيَّه - وهو بعضُ مخلوقاتِه - وَسِعَ السَّمواتِ والأرضَ، وقد قالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقد ثَبَتَ في الصَّحِيحَيْنِ أنه قال: «**يَقْبِضُ اللهَ الأرْضَ، وَيَطْوِي السَّموَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟!**»(١).

وإن كانَ المَعْنَى المُرادُ من الحَيِّز أنه مُنْحازٌ عن المخلوقاتِ مُبايِنٌ لهم ومُنْفصِلٌ عنهم وليسَ بحالٍّ فيهم، فهذا المعنى المُرادُ صَحِيحٌ ومقبولٌ، وهو قولُ أئِمَّةِ السُّنةِ، فهو فوقَ سماواتِه على عَرْشِه مُسْتَوٍ بَائِنٌ من خَلقِه، يَعْلَمُ ما هم عليه(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] (٦/ ١٢٦) رقم (٤٨١٢)، ومسلم كتاب «صِفَةِ القِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ» (٤/ ٢١٤٨) رقم (٢٧٨٧/ / ٢٣). ولفظ مسلم: «**يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**».
رواه البخاري (٨/ ٥٥١) «تفسير سورة الزمر» باب «قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]» ورواه مسلم(٤/ ٢١٤٨) ح (٢٧٨٧) في «صفات المنافقين» باب «صفة القيامة والجنة والنار».

(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٥/ ١٥٣ - ١٥٤)، و(٥/ ٣٠٣ - ٣٠٧).

وقولُنا:

٣٧- والنَّفْيُ لا يَكُونُ مَدْحًا فَاعْلَمِ   إلَّا إذا احْتَوى كَمالًا فَافْهَمِ

إن النَّفْيَ الـمُطْلَق عَدَمٌ، والعدمُ ليسَ بشيءٍ، فَضْلًا أن يُمْدَحَ به، ولا يكونُ النَّفْي مَدْحًا حتى يَتضَمَّنَ إثباتَ ضِدِّه من الكمالِ، فكلُّ الصِّفَات الـمَنْفِيَّة مُتَضَمِّنَةٌ لثُبوتِ كمالِ ضِدِّها، مثل قولِه تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمالِ حياتِه وقَيُّومِيَّته، وقولِه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمالِ عَدْلِه، وقولِه تَعَالَى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، لكمالِ قُوَّتِه وقُدْرَتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وذلك لأنَّ النَّفْيَ قد يكونُ صَادِرًا عن عَجْزٍ أو عن جُبْنٍ أو عَنْ عَدَمِ اسْتِعْدَادٍ له وقَابِلِيَّةٍ، مثالُ ذلك قولُ الشاعر:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ   لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

فهم جُبَناءُ؛ لنَفْيِ الشرِّ عنهم؛ وأيُّ مَخْلوقٍ يَخْلُو منه. وكقولِه:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ   وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقد نَفَى الشَّاعِرُ عن قبيلتِه كاملَ الغَدْرِ وكاملَ الظُّلْم لجُبْنِهم ولعَدَمِ قُدْرتِهم، فما تَرَكُوا الغَدْرَ عن قُدْرةٍ أو عن عَدْلٍ، ولو كانَ كذلك لكانَ مَدْحًا.

ومثال عدم القابلية: الجدار لا يَظْلِمُ أَحَدًا[1].

وبالجُمْلَةِ فالواجبُ علينا في باب الصِّفَات عدمُ التَّعَمُّق والتَّقَعُّر فيها بالأسئلةِ، ويكفينا نِبْراسًا نورُ القُرْآن الكريم وهَدْيُ سَيِّدنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسير على ضوئِهما، ونُصَدِّقُ ونؤمنُ بما دَلَّا عليه من إثباتٍ أو نَفْيٍ.

❁❁❁

(١) انظر: «فتح رب البرية بتلخيص الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ» (ص: ١٤)، ط: ٤.

٦- الإيمانُ بالله ويدخُل فيه أنواعُ التَّوحيدِ الثلاثة

تعريف الإيمان بالله:

٣٨- وَوَاحِدٌ فَرْدٌ وَلَيْسَ مِثْلَهُ ... في الذَّاتِ أَوْ فِي الوَصْفِ أَنْدَادًا لَهُ
٣٩- وَلَيْسَ شَيْئًا يَا تُرَى يُعْجِزُهُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ شَاءَهُ قَدَّرَهُ

تعريفُ الإيمان بالله: هو الاعتقادُ الجازمُ والتصديقُ التامُّ بتوحيدِ أفعالِ الله، وأنه المُستحِقُّ للعبادةِ وَحْدَه دونَ سواهُ، وأن له الأسماءَ الحُسْنَى والصِّفَاتِ العُليا، وأنَّ له الخَلقَ فيها والأمرَ، كما قال تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقوله تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقد تَقدَّم عندَ الكلامِ على الأركان السِّتَّةِ ركنُ الإيمانِ بالله، وذلك التعريفُ يَتضمَّنُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثةَ المذكورةَ، كما في قولِه تَعَالَى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فقولُه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥] هذا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّة.

الأول- توحيد الربُوبِيَّة:

تعْريفُ الرُبُوبِيَّة في اللُغةِ[1]: إنَّ الرَّاءَ والباءَ يَدُلُّ على أصولٍ: فالأول إِصْلاحُ الشيءِ والقيامُ عليه، فالربُّ المالك، والخالقُ، والصاحبُ، والربُّ المُصْلِحُ للشيءِ، يقالُ: رَبَّ فُلانٌ ضَيْعَتَه. إذا قامَ على إصلاحِها، وهذا سِقاءٌ مربوبٌ بالرُّبِّ، والرُّبُّ للعِنَبِ وغَيْرِه.

والأصلُ الثاني: لزومُ الشيءِ والإقامةُ عليه وهو مناسبٌ للأصلِ الأَوَّل، يقال: أَرَبَّت السحابةُ بهذه البَلدةِ إذا دامتْ، وأرض مُرِبٌّ، لا يزالُ بها مَطَرٌ.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٨١).

والأصلُ الثالثُ: ضمُّ الشيء.

والخلاصةُ: أنَّ كلمة رَبٌّ تدُلُّ على عِدَّة معانٍ: منها المالكُ، والخالقُ، والصاحبُ، والـمُصلِحُ، والـمُرَبِّي، والدوام، والتنشئة، والإنماءُ وكلها تُطلق على الربِّ، وتَتَناولُ جوانِبَ من عطاءِ الرُّبُوبِيَّة.

والمقصودُ هنا بتوحيدِ الرُّبُوبِيَّة في الشرع هو: توحيدُ الله بأفعالِه، أي الاعتقاد الجازم بأنه ربُّ كل شيء ومليكُه، وخالقُه ورازقُه، والـمُتصرِّفُ فيه. لا رادَّ لأمرِه ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا مُضادَّ له، ولا مثيلَ له، ولا سَمِيَّ له، ولا مُنازِعَ له في رُبوبيَّته ومُقْتضياتِ أسمائِه وصفاتِه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١ - ٤]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(وَاحِدٌ فَرْدٌ وَلَيْسَ مِثْلَهُ): (واحدٌ): لا ثانِيَ له في الذاتِ والصِّفَاتِ والأسماءِ والأفعالِ، فلا نِدَّ له ولا ضِدَّ، ولا شريكَ له في الرُّبُوبِيَّة، ولا مثيلَ ولا شَبِيهَ له في أسمائه وصفاته، بل هو واحد مُتفرِّدٌ بالكمال والعظمة، فلا مُعترِضَ على حُكمِه، ولا رادَّ لقضائِه، وهو واحدٌ في أُلوهيته، فلا مَعبودَ سواهُ يستحق العبادةَ.

ووحَّد اللهَ سُبْحَانَهُ أقرَّ به وآمن بأنه واحدٌ، والشيءَ: جعَلَه وَاحِدًا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢].

(فَرْدٌ) هو صفةٌ لـ «وَاحِدٌ» ومعناهُ: الواحدُ الـمُتفرِّدُ بالكمالِ الـمُطلَقِ، والـمُتصرِّفُ الحقُّ في ملكوتِه بأنواعِ التصرفات، والـمُدبِّرُ لجميع أكوانِه بألوانِ التدبيراتِ الحكيمةِ فهو

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] هـو وَحْدَه، وليسَ معَه مُعِينٌ أو شريكٌ، فهو وحدَه مُتفرِّدٌ، يُعِزُّ مَن يشـاء، ويُذِلُّ مَن يشـاء، ويهدي من يشـاء، ويُضِلُّ مَن يشـاء، ويُغْني من يشـاء، ويُفْقِر مَن يشاء، ويُمْرِض من يشاء، ويَشْفي من يشاء، بيده الأمرُ كلُّه، وإليه يُرْجع الأمرُ كلُّه، أمرُ الدنيا والآخرةِ، فله التصرفُ المطلقُ في مخلوقاته بما شاء، وكيف شاء، لا مُعَقِّبَ لحُكمِه، ولا رادَّ لعطائه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلو اجتمعتِ الأمة على أن ينفعوا مَن لا يشاء اللهُ نفعَه لم يحصُل لهم ذلك، أو أرادوا مجتمعـين ضُرَّ من لا يريد ضُرَّه لم يكن ذلـك، بل حكمه فيهم ماضٍ، وعدلُه فيهم قاضٍ، مُتفرِّدٌ فيه بالتقديرِ والتدبيرِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(لَيْـسَ مِثْلَـهُ) إشـارةٌ للآيةِ، وهـي قولُـه تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقـد اتفق أهل السُّـنة والجماعة[١] - وهو منطق القُـرْآن قبلَ اتِّفاقهم - على أن اللهَ ليسَ كمثلِه شيءٌ، لا في الذاتِ، ولا في الصِّفَات، ولا في الأفعال، والمنفيُّ هنا هو مماثلة الخلق للخالق، والخالقِ للخلقِ. تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

ومعنـى البيت: أنه واحدٌ متفـرد بالوحدانية في ذاتِه، فليسـت كذوات المخلوقين، ولا وجوده كوجود المخلوقين، وواحد فرد في أسمائه وصفاته، فليست أسماؤه كأسمائهم، ولا صفاته كصفاتهم، بل كلٌّ على ما يليق به، وإن وقع الاشـتراك في الأسماء فليس معنى ذلك التسويةَ في الـمُسمَّيات، وهذا معروف في اللغة، والقُرْآن والسُّنة، وفي عُرف الناس، أن مَن اشترك في لفظ الاسمِ لا يتفق مع الـمُسَمَّى، فاللهُ موجودٌ، والخلقُ مَوْجودون، والله قديـرٌ، والخلق عندهـم قُدرةٌ، والله حيٌّ، والمخلوقون أحيـاءٌ. فهل وجود الخالق كوجود

(١) حكى ذلك شارح «الطحاوية» ابن أبي العز (ص: ٩٨) المكتبة الإسلامية.

المخلوقين؟! وهل حياته كحياتهم؟ وقدرتُه كقدرتهم؟! الجواب: لا، نقلًا وعقلًا ولُغةً وعُرفًا وواقعًا.

وإذا ثبت الفرقُ بين من يَشْتركون في الأسماءِ ويختلفون في كلِّ شيء من المخلوقات، فمن بابِ أولى التَّفْرِقةُ بينَهم وبينَ خالِقِهم.

(وَلَيْسَ شَيْئًا يَا تُرَى يُعْجِزُهُ) نعم؛ لكمالِه المُطْلَقِ في مشيئتِه وقُدرتِه وعلمه وغناه وحِكْمته، فكل شيءٍ أوجده بقدرتِه ولا يَنِدُّ شيءٌ عن علمِه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقالَ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

والنَّفْيُ في القُرآن إنما يَجِيء لإثباتِ كمالِ الضِّدِّ، مثل قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، وذلك لكمالِ عِلمِه وشمولِه وإحاطتِه بكلِّ معلومٍ، وقوله تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمالِ حياتِه وقَيُّوميَّتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] لكمالِ عدله وتمامِ قُدرتِه، ولهذا كانت القاعدةُ العامَّةُ النَّفْي يكون مُجْمَلًا والإثباتُ مُفَصَّلًا، وهو أُسلوب في قِمَّةِ الفَصاحةِ وذروة البلاغة إنَّه كلامُ الله وكَفَى.

(وكلُّ شَيْءٍ شَاءَهُ قَدَّرَهُ) أي: شَاءَه كونًا وقَدَّرَ إِيجَادَهُ وَفْقَ المَشيئةِ، أو عَدَمُ إيجاده لمشيئتِه؛ لا لعدمِ قُدْرتِه؛ فاللهُ لا يُعْجِزُه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ. وكلُّ شيءٍ مُتحرِّك

أو ساكن أو ناطق أو سَاكِن حيوان أو إنسان من وجميعُ المخلوقاتِ العُلويَّة والسُّفْلية ما نراه أو نَسْمَع به في الماضي والحاضر الـمُشاهَدِ كلُّها قد شاءها اللهُ كونًا فوُجِدتْ، ولو لم يَشْأها لم تُوجَدْ، ولكنها قد وُجِدتْ بمشيئةِ الله النافذةِ وقدرتِه الكاملةِ، وليس لوجود هذه الأكوانِ وما فيها والأعراض والأشخاص والأحوال ليس لها مُوجب وُجود ولا عِلَّة ظهور إلا مشيئةُ اللهِ فقط، كما قال ابن تَيْمِيَّة في تَائِيَّتِه[1]:

وَأَصْلُ ضَلالِ الخَلقِ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ ... هُوَ الخَوْضُ فِي فِعْلِ الإِلَـهِ بِعِلَّةِ

فَإِنَّ جَمِيعَ الكَوْنِ أَوْجَبَ فِعْلَهُ ... مَشِيئَةُ رَبِّ الخَلقِ بَارِي البَرِيَّةِ

وكلُّ ما لم يُوجَدْ بعدُ فلعدمِ مشيئتِه سُبْحَانَهُ، لا لعدمِ قُدرتِه، فما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يكن، وما أحسنَ قولَ القائلِ، ويقالُ: إنه للشافعي:

فَمَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

وأَحْسَنُ من ذلك كلِّه قولُه تعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقولُه تعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقولُه تعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وقولُه تعَالَى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. وهذه المشيئة كونية، ولا تنقسم مثل الإرادة، بل ما شاءه كان فعلًا ووُجِدَ واقعًا، وما لم يشأ لم يكن فِعْلًا ولا يُشاهَدُ وَاقِعًا، وكيف يكون في مُلكِه ما لا يشاء؟! ومَن زعَمَ أن اللهَ شاءَ الإيمانَ من الكُفَّار وهم شاءوا الكُفْر فغَلَبَتْ مَشِيئتُهم مشيئةَ الله، فلا أَبْشَعَ من هذا الزَّعْم، ولا أظلمَ من هذا الظُّلم، تعالى اللهُ عن قولِهم هذا عُلُوًّا كَبِيرًا، فإن صَحَّت هذه المقالةُ من أحدٍ، فهي مقالةُ كُفْر، والعياذُ بالله.

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٢٤٦).

....

(قَدَّرَهُ) أي: ما شاءه اللهُ قَدَّره وقضاهُ؛ فما كان منه كَوْنًا فإنه يُوجَدُ وَفْقَ ما قدَّره الله سواء أحبه أو لم يحبه، وما كان منه شَرْعِيًّا فقد يُوجَد وقد لا يُوجَد، لا لعدم قُدرتِه، بل لعدمِ سَبْقِ المشيئةِ الكونيَّة له. والمشيئةُ[(١)] متعلقة بخلقه وأمره الكوني وبها يحب ويكره، وأما القدرة فان الله قادر على ما شاء وما لم يشأ قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وأما صفات الفعل فهي متعلقة بالمشيئة قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧] وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] والقُدْرةُ والمشيئة يَجْتمعانِ فيما كان، وما سَيكونُ، ويَفْترِقان فيما لم يَكُنْ، ولا هو كائنٌ، فما شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ كونه فهو كائن، بقدرته لا محالة. قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وما لم يَشَأْ لم يكن؛ لعدم مشيئة الله تَعَالَىٰ إياه، ليس لعدم قدرته[(٢)]. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥] وما تمَّت مَشِيئتُه نَفَذَ بقُدرتِه سُبحانَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

❁❁❁

---

(١) «شفاء العليل» (١/ ١٤٢).

(٢) «معارج القبول» (٣/ ٩٤٠).

٤٠- وَكُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٍ قَدْ يَخْلُقُ   وَغَيْرُ مُمْكِنٍ مُحَالًا يَخْلُقُ

١- الموجودات قسمان:

(أ) واجبُ الوُجودِ[1]: هو الذي لا يحتاج في وُجودِه لغيرِه؛ بل هو قائمٌ بذاتِه مقيمٌ لغيرِه، غَنِيٌّ عن غيرِه مُحْتاجٌ إليه غيرُه في كلِّ شيءٍ، فهو الغنيُّ المُطلق، وسواه الفقير المطلق، وهذه الصفة لا تتحقق وتوجد إلا في الله تَعَالَىٰ، وهو واجب الوجود، ولم يُسْبَق بعَدَم ولم يَلحَقْهُ فَنَاءٌ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

(ب) مُمْكِنُ الوُجودِ: وهو ما يَجُوزُ عليه الإيجادُ والإعدامُ وهو الذي قد سُبق بعدمٍ وسيَلحَقُه الفناءُ حَتْمًا، فهذا القسم - وهو ما عدا اللهَ سُبْحَانَهُ - يسمى بالـمُمْكِنِ؛ فإذا تَعَلَّقت به مشيئةُ الله إيجادًا أو عَدَمًا أو إعدادًا أو إِمْدادًا؛ فإنَّ هذا مُمْكِنٌ يُوجَدُ وَفْقَ المَشيئةِ العُليا، وقد لا يُوجَدُ هذا المُمْكِنُ لا لعدمِ قُدرةِ الله عليه، ولكن لعدم مشيئتِه له سُبْحَانَهُ.

وما قد وُجِدَ من الأعيانِ والأحوال والجماداتِ وغيرها من المَخْلوقاتِ والموجودات بصفة عامَّة، هي التي قد شاءها اللهُ فعلًا وأنفذها بقدرته وَاقِعًا، وليس لها هناك من عِلَّةٍ إلا مشيئة الواحد الأحد الفرد الصمد، لحكمة بالغة أوجدها فاللهُ على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، ولا يُعْجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فله المشيئةُ الشاملةُ، والقدرةُ الكاملةُ، الذي من قُدرتِه خَلقُ الناس وبعثُهم جَمِيعًا كنفسٍ واحدةٍ، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وأن بليغَ حكمتِه وكمالَ قدرتِه تجعل إعادةَ الخلقِ أهونَ عليه من بدايتِه، وأن من كمالِ قدرتِه أنه يُمْسِكُ السماءَ أن تقع على الأرضِ إلا بإذنِه ﴿ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]. وكلُّ الممكنات والموجودات فعلًا وغيرُ الموجودات إذا شاءَ اللهُ أوجد المعدوماتِ وأعدم الموجوداتِ، كما

---

(١) «التحفة المهدية شرح التدمرية» للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٦٠).

قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(وغير مُمْكِنٍ مُحالًا يخْلُقُ) وغير ممكن من الأحوال المستحيلة لذاتها التي لا يُقِرُّها النقل، ولا العقلُ، ولا المنطق السليمُ، الأشياء المستحيلة لذاتها؛ مثل كون الشيء غائبًا وحاضرًا في آنٍ واحد، ومَيِّتًا وحَيًّا في آن واحد، وقَائِمًا وقاعدًا في آن واحد، وأبيضَ وأسودَ في آنٍ واحدٍ، فهذه الأمثلةُ وأمثالها من المستحيلات لذاتها ولا حقيقةَ لها ولا يتصور وجودها؛ لأنها جمعٌ بين النقيضين أو الضدين، وهذا معدومٌ، والمعدوم ليس بشيء.

ومن هذا الباب قول بعض المتعنتين: «هل يَخلُقُ اللهُ مِثْلَ نَفْسِه أو يعدم نَفْسَه؟». وأمثال ذلك من المحالات غير المعقولات، ولا المقبولات، والأصل في هذا هو: الإيمان برُبُوبِيَّة الله العامة، فمن يؤمنْ بها يؤمنْ بأنه على كلِّ شيء قدير.

والمستحيلات عقلًا من هذا البابِ لا أنه لا قدرة لله عليها، ولكنها غيرُ مَنْطِقِيَّةٍ، ولا يُمْكِن أن تَبْرُزَ صُورتُها للعقلِ البشريِّ، ولا أن يَسْتوعِبَها، أو حتى يَتصَوَّرَها.

وأصل هذه المسائل منتفيةٌ شَرْعًا، وغيرُ واردةٍ أو مُتصوَّرةٍ عقلًا، والتكليف لم يأتِ بالـمُحال، ولكن في حدودِ الطاقة والوُسْع، أو بما جاء به النقل وتابعه فيه العقلُ؛ لأن مجرد خلق الله لمثله يصير معه المخلوق أضعف من الخالق؛ وليس مثله بحال.

فهذه المستحيلات، وما يتبعها من بلبلات في الأفكار، وزعزعة في ثوابت الإسلام والإيمان يَجِب أن تُغْلَق أبوابُها وأن لا تُطْرَقَ، فضلًا عن أن تُفْتَح، ولولا مسألتي عن هذا اللون ما طَرَقْته؛ لدخوله في عدم المنطقية.

أما سـؤال: مَن خلقَ اللهَ؟ فليسَ للعبد أن يسـأله لأنه من وساوس الشيطان، وإنما هـو إن حَصَـلَ من المؤمنـين فليتتهوا عنه، وذلك صريـح إيمانهم وعَجْز الشـيطان عنهم مـن أن يَتَوَلَّاهم سـلطانُه؛ فـإذا ما وَجَـدْتَ مثل هذه الأسـئلةِ والوسوسـة عند المؤمنين والمسـلمين، فهـي دالةٌ على إيمانهم أولًا، وأن الشـيطان قد يَئِسَ منهـم ثانيًا، وعليهم ثالثًا عدم الاستمرار في التفكير في مثل هذا، والاستعاذةُ من الشيطان الرجيم، فقد حصل مثل هـذا للصحابة، وقد قال لهم رسـول الله ﷺ: «**ذَاكَ صَرِيـحُ الإِيمَانِ**»(١). وأمَرَهم بالاستعاذةِ وقَطْع المتابعة فورًا.

والمقصـود أن كل ممكـن يتعلـق بمشـيئة الله، فـإن الله قادر على إيجـاده، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وإذا لم يوجد فلعدم مشيئته سُبْحَانَهُ، لا لعَجْزِه عنه.

❁❁❁

(١) أخرجـه مـن حديث أبي هريرة مسـلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «بَيَانِ الْوَسْوَسَـةِ فِي الْإِيـمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا» (١/ ١١٩) رقم (١٣٢/ ٢٠٩). رواه مسلم رقم (١٩٢).

٤١- وَدُونَ حَاجَةٍ لِخَلْقِهِ خَلَق   وَدُونَ مُؤْنَةٍ تَعَالَى قَدْ رَزَقْ

(ودون ما حاجة لخلقه خلق) أي: خلق اللهُ الخلق لا لحاجةٍ إليهم أو عليهم، ولا من ضعف فيتَقَوَّى بهم، ولا من ذُلٍّ فيَنْتَصِرَ بهم، ولا من فَقْرٍ فيَسْتَغْنِيَ بهم؛ بل لحاجتِهم هم إليه، وفقرِهم إليه في كلِّ شيء، فهم الفقراءُ إلى الله ذاتًا، وصفةً، وحقيقةً، وطَبْعًا، وفي كلِّ شيءٍ. فهم فقراءُ في إيجادِهم، وإعدادِهم، وإمدادِهم، ولهدايتِهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فهم لا بدَّ لهم من محبوب يَسْعَوْنَ لتحقيقِه لهم، ومرهوب يخشونه ويَهْرُبون منه، ولا بُدَّ لهم مِمَّن يَجْلُب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المرهوب، وليس ذلك لأحدٍ إلا الله تَعَالَى، فهو محبوبُهم ومطلوبُهم، وهم المحتاجون إليه، والمفتقرون إليه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، أي: ليس حاله كحالِ العبادِ إذا أَعْطَوْا فإنما لمصلحةٍ تعود عليهم من قريبٍ أو بعيدٍ، بل هو يَمْنَحُهم ويُحْسِن إليهم، ولا يُريد منهم عِوَضًا من رزقٍ؛ لأنه الغني المطلق ذو القوة العظيمة، فلا يحتاج إلى أحدٍ؛ إذ الغِنَى في حقه غِنًى ذاتيٌّ، كما أن الفقر في الخلق فقر ذاتيٌّ، هم فيه نسب عريق، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وفيما رواه عنه عبده ورسوله محمد ﷺ قال: «**يَا عِبَادِي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أتْقَى قَلبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم، ما زادَ ذلك في مُلكِي شَيْئًا، يَا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أفْجَرِ قلب رَجُلٍ واحدٍ منكم، ما نَقَصَ ذلك من مُلكِي شَيْئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألته**

....

ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عندي إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ»(١). وأنه لا تَزِيد في ملكه طاعةٌ، ولا تَضُرُّه أو تنقُصُه معصيةٌ، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم، وأنه لو شاء لم يخلقهم، ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرِهم. وأنهم لم يكونوا موجودين وقد أوجدهم لكمال غناه وقدرتِه وسَعَة فَضْلِه وإحسانِه. قال ﷺ: **«يَدُ الله مَلأى لا تَغِيضُها نفقةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أفَرَأَيْتُم ما أنْفَقَ رَبُّكم منذُ خلَقَ السمواتِ والأرضَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يَمِينِهِ»**(٢).

(وَدُونَ مُؤْنَـةٍ) أي: بلا كُلفة ولا ثِقَل ولا تَعَب ولا نَصَب، بل بقولِه: كن. فيكون، ما يريدُه.

(تعالى) أي: علا اللهُ وارتفع عما يقوله الظالمون، ويصفه به الجاحدون عُلُوًّا كبيرًا.

(قَدْ رَزَق) مَن خَلَقَ في السمواتِ والأرضِ ومَن فِيهِنَّ رِزقًا مُتناسِبًا مع كلِّ مَن خَلَقَ سُبْحانَه، وعلى اختلاف مآكلهم ومشاربهم، وبما يَسُد حاجاتِهم كَمًّا وكيفًا، وهو يفعل ذلك منذُ أن خلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ الأَرَضِينَ ومن فيهن، والسمواتِ ومَن فيهنَّ، وكلُّ ذلك لم يَنْقُص مما عنده شَيْئًا، إلا إذا نَقَصَ المِخْيط إذا أُدْخِلَ البَحْرَ.

---

(١) أخرجه من حديث أبي ذر مسلم كتاب «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ» باب «تَحْرِيمِ الظُّلْم» (٤/ ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧/ ٥٥). رواه مسلم (٤/ ١٩٩٤ إلى ١٩٩٥) ح (٢٥٧٧) «في البر والصلة» باب «تحريم الظلم».

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]» (٦/ ٧٣) رقم (٤٦٨٤)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ» (٢/ ٦٩١) رقم (٩٩٣/ ٣٧). ولفظ البخاري: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**» وعند مسلم «يمين» بدل «يد» في الموضعين. رواه البخاري (٨/ ٣٥٢) في تفسير سورة هود. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وفي النفقات في فاتحته، وفي «التوحيد» باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وفي «الزكاة» باب «الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف»، ولفظ مسلم (يمين الله).

٤٢- يُحْـيِـي، يُمِـيـتُ دُونَمـا عَنَاءِ   وَبَـاعِـثُ الخَـلْـقِ بِـلَا مِـرَاءِ

(يُحْيِي، يُمِيتُ دونما عناءٍ)، أي: بيده الحياةُ والموتُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فلا مُحْيِيَ غَيْرُه، ولا مُميتَ غَيْرُه، مهما تكالبت قوى الهلاك، فلن يُهْلَكَ من له الحياةُ، ومهما تَضَافَرَت الجُهود على إبقاءِ نفسٍ في الحياةِ وقد حَضَرَ الأجلُ فلن تمنحها بقاءً. وكلُّ ذلك يفعلُه الله دون عناءٍ أو تعبٍ أو نَصَبٍ، فهو كما يُحْيِي ويُمِيت، يَغْفِرُ ويُغْنِي ويَرْفَعُ ويَخْفِضُ ويُذِلُّ ويُعِزُّ ويَهْدِي ويُضِلُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ذا الذي يُشارِكُه في مُلكِه أو عظَمَتِه؟! ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. والموت صفةٌ وُجوديةٌ دالة على وجودِ الله، وكمالِ قدرته، وبلاغةِ حكمتِه، وكذلك صفةُ الحياة وجودية، تَعُجُّ بالحركة الكبيرةِ لكل شيء، الدالة على عظمة مُحَرِّكها، وعلى غِنَى خالقِها، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١ - ٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

(وباعِثُ الخَلق) البعثُ: الإثارةُ والإرسالُ. وفي الاصطلاح: إعادة الأرواح إلى أجسادها بعد موتها مَرَّةً أخرى، ثم بعثُها وإرسالها للمُقاضاةِ بها لها وعليها. فباعث الخلق: يعني مُعِيدَهم بعد موتهم مرةً أخرى، وهو أهون عليه سُبْحانَه ذلك؛ لأن البداية أصعبُ من الإعادةِ في كل شيءٍ، لكنها في حق الله أهونُ عليه من البداية، قال تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥ - ٦]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ

....

﴿نُعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩]. **(بـلا عَنَاءِ) اي: دُونَما** تعبٍ ولا نَصَبٍ؛ لكمال قُدرته، وتمامِ قُوته، فإنه ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

❁❁❁

٤٣- لَـهُ مَـقَـالِـيـدُ الأُمــورِ وَحْــدَهُ   وَلا شَـفِـيـعَ دُونَ إِذْنٍ عِـنْـدَهُ

(لـه مقاليـد الأمور وحده) أي: هـو مُخْتَصٌّ بتدبير ملكوت السموات والأرض، عُلويها وسُـفْليها، جامدها وناطقها، ومتحركها وسـاكنها؛ فهو قائم على كل نفس، وهو خالقهـا ومالكها، ومدبرها، وآمرها، وهاديها لما يُصْلِحها في الدنيا والآخرة، وهو وَحْدَه لا شريكَ له في أيِّ تصرف في ملكوته، ولا أحد ينازعه في عظمته وجلاله، ولا يستحق غـيرُه العبادةَ، قال تَعَالَىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

(وَلا شَـفِيعَ دُونَ إِذْنٍ عِنْـدَهُ): لأنَّ الشـفاعة مِلـك لله سُبْحَانَهُ، ولا يجرأ أحـد عـلى الخـوض فيهـا عنـده سُبْحَانَهُ؛ لعظمتـه وجلالـه وهيبتـه، وهـذا من تمام الـمُلـك وكمال السـلطان، ولا تكون إلا بإذن الله للشـافع، ورضاه عن المشـفوع بأن يكون مُوَحِّدًا، وهما شَرْطـا قَبول الشـفاعة، كما قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وعَمَّن رَضِيَ عنه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأصلُ الشفاعة في اللغة: الوَسيلة. وفي الشرع: طلبُ الخيرِ للغيرِ لجلب مَنْفعةٍ، أو دفع مَضَرَّةٍ.

❁❁❁

٤٤- سُبْحانَه فَمَا يَشَاءُ يَفْعَلُ   وَمَا يُرِيدُهُ يَقِينًا يَحْصُلُ

(سُبْحانَه) أي: نُنَزِّهُه عن كلِّ نقص، وعن كل ما لا يليق به من صِفَات النقص، (فما يشاء) ما: موصولةٌ بمعنى: الذي، أي الذي يشاؤه (يَفْعَلُ)، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعَقِّب لحكمه، والمشيئة هنا هي الكَوْنيَّة، وهي واحدة، ولا تنقسم، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن؛ لأن مُراد المشيئة الكونية يتحقق ولا بُدَّ.

٢- الإرادة وأقسامها:

(وما يُرِيدُهُ يَقِينًا يَحْصُلُ) الإرادة من صِفَات الفاعلِ، وإرادةُ الله متعاقبةٌ قديمةُ النوعِ، حادثة الآحاد، وهي على قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية. وهي هنا كونية بمعنى المشيئة، وهي التي مرادها لا يتخلف. (يَقِينًا) اي: مقطوع باليقين.

❁❁❁

٤٥- وَهْيَ عَلَى قِسْمَيْنِ يَا ذَا فَاسْمَعِ كَوْنِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ هُمَا فَعِ

(وهي على قسمين) أي: أن الإرادة تنقسم إلى قسمين في كتاب الله، (يا ذا) المنادى وكل من يسمع الخطاب ويصلح له، (فَاسْمَعِ) سماعَ فَهْم ووَعْيٍ وإجابةٍ.

أي الإرادة قسمان:

(أ) (كَوْنِيَّة)، وهذا هو القسم الأول، وهي التي لا يتخلف مرادها، وقد تكون محبوبة ومكروهةً، وهي لغير ذاتها.

(ب) (شَرْعِيَّةٌ هُمَا فَعِ) وهذه القسم الثاني، وهي الإرادة الشرعية، فهي لا بد أن تكون محبوبة ومرضيا عنها، ومرادها قد يتخلف، وهي لذاتها.

والدليل على الإرادة الكونية التي هي بمعنى المشيئة قولُه تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وقوله تعالى عن نُوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]. وهذه الآيات الـمُتقدِّمة في الكونية تَرُدُّ على طائفتي القَدَريَّة؛ لإنكارهم القدرة. وعلى طائفة الجَبْريَّة لاحتجاجِهم بالقَدَرِ.

والدليل على الإرادة الشرعية التي هي بمعنى الـمَحبَّة قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وغير ذلك من الآيات.

٣- الفرق بين آيات الإرادة الكونية والشرعية في القرآن وأمثلتها:

أن آيات الإرادة الكونية بمعنى المشيئة لو وُضع في تفسيرها كلمة (شاء) بدلًا من كلمة (إرادة)، فإن تأدى المعنى فهي بمعنى المشيئة. وكذلك الإرادة الشرعية تضع بدلًا من فعل الإرادة «كلمة» (المَحَبَّة)، فإن تأدى المعنى فهي شرعية، وإلا فلا.

ومثالهما:

❁ مثال الإرادة الكونية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٦]. فقوله: ﴿أَرَدۡنَآ﴾ أي: شئنا. فنعرف أن الإرادة هنا كونية؛ لأن فعل «شاء» حل محل أراد.

❁ مثال الشرعية: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ أي: يحب لكم اليسر. فنعرف أن الإرادة في الآية شرعية؛ لأن فعل المحبة حل محل الإرادة.

والإرادة - أعني الشرعية - هي المذكورة في قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله.

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول عامة الناس: «ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكن»(١).

٤- الفرق بين الإرادتين:

١- الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها.

٢- والإرادة الشرعية: يحبها الله ويرضاها.

---

(١) ملخص من «شرح الطحاوية» (ص: ١١٤).

٣- الكونيــة: مقصودة لغيرهـا؛ كخلقه الشرور ليتبين الطائع مـن العاصي. أما الشرعية فمقصودة لذاتها.

٤- الكونية لا بد من وقوع مرادها، أما الشرعية فقد يتخلف مرادها.

٥- تجتمع الإرادتـان في حق إيـمان المؤمن، وتنفرد الشرعية في حق إيـمان الكافر وطاعة العاصي. وتنفرد الكونية في حق الكافر والعاصي.

هذا ومن لم يُثْبِت الإرادتين كما هما في القُرْآن ولم يفرق بينهما فقد ضل، مثل الجبرية والقدريـة، إذ الجبريـة نظروا إلى الكونيـة وأن مرادها لا يتخلف، فقالـوا: نحن مجبورون على الأفعال، والمجبور لا يحاسب بذنب أُجْبِر عليه. والقدرية نظروا إلى الإرادة الشرعية، وقالوا أن الله لا يأمر بالمعاصي والكف والمفاسد لأنها غير محبوبة له فهي إذا ليست مقدرة بـل هي من فعل العبيد. وأخـذوا بها دون الكونية، وهو منشـأ ضلالتهم في عدم التفرقة بين الإرادتين[١]. أما أهل السُّنة فقد أثبتوا الإرادتين، وفَرَّقوا بينهما.

❁❁❁

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (ص:١٠٥). المكتب الإسلامي.

٤٦- كَوْنِيَّةٌ تُرَادِفُ المَشِيئَهْ مُرَادُهَا مَجِيئُهُ حَقِيقَهْ

وقولنا: (كَوْنِيَّةٌ تُرَادِفُ المَشِيئَة) نعني بها أن الإرادة - كما تقدم - تنقسم إلى قسمين: قسم منها بمعنى المشيئة، وهي الكونية. وقسم آخر نعني به الشرعية.

وقولنا: (مُرَادُهَا مَجِيئُهُ حَقِيقَة) نَقْصِد به مُراد الكونية، فإنه لا يتخلف، بخلاف الشرعيَّة، فقد يتخلف.

❁❁❁

٤٧- شَرْعِيَّةٌ مُرَادُهَا لا يَلزَم وُقُوعُهُ مُحَبَّبٌ مُحَتَّم

وهو معنى قولنا: (شَرْعِيَّةٌ مُرَادُهَا لا يَلزَم) أي لا يلزم منه التحقق، فقد يتحقق وقد لا يتحقق. والفرق بين الإرادتين قد تقدم قريبًا.

وقولنا: (وُقوعُهُ مُحَبَّبٌ مُحَتَّم) أي: أن مُراد الإرادة الشرعية لا يكون إلا مَحْبوبًا. فهي محبوبةٌ لله مرضيٌّ عنها، بعكس الكونية، فقد تكون محبوبةً ومرضيةً، والعكس.

❁❁❁

٤٨- وَمَا أَرَادَهُ لِحِكْمَةٍ بَرَا لِوَفْقِهَا أَوْجَدَهُ قَدْ أَخْبَرَا

(وما أراده لحكمة) أي: ما أراده اللهُ كَوْنًا وشرعًا في ملكوت السموات والأرض لا يخرج عن حِكْمة الله تَعَالَىٰ التي عَرَف بعضَها مَن عَرَف، وجَهِل أكثرها مَن جَهِل، ولو تأمل الإنسان ما في خلق الله من أسرارٍ وما فيها من حِكَم لانْبَهَرَ وعاش في عالم آخر من الشفافية والروحانية.

وكل فعل من أفعاله قد بلغ الغاية من الحِكْمة، فقد خلق خلقه منهم كافر، ومنهم مؤمن، وألهم كلَّ نفس فجورها وتقواها، وجمع أفعاله من الهداية والإضلال، والشقاوة والسعادة، والفقر والغنى، وما في الدنيا والآخرة، وكل أفعاله في جميع مخلوقاته وفي أرضه وسمائه كلها لم تكن إلا بمقتضى الحِكْمة العليا العادلة وموجب اسمه الحكيم ومعطيات الرب الكريم، وكل ذلك من مراده المحبوب، والحِكْمة إحدى صفاته القائمة به كسائر الصِّفَات، فهو سُبْحَانَهُ الحكيم في خلقه وتكوينه، والحكيم في قضائه وقدره، وفي أمره ونهيه وجميع شرعه وجزائه؛ فإن أسماءه وصفاته كمال وجلال، وأفعاله كلها عدل وحِكْمة.

وإن كانت وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نَفْسه وذاته، مُراد له من حيث أمره وقضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما؛ كالدواء فهو مكروه محبوب، وكخلق إبليس، فقد يجتمع الأمر بالشيء مع أنه لا يرضاه ولا يحبه[(١)].

وما أراده كونًا وقَدَرًا من الأفعال فكلها خير وحِكْمة، وما يُرَى من شرٍّ في مفعولاتِه ومقدراته فبإضافتها إلى غيره، أما نسبتها إليه فخير؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، لذلك بني الفعل للمجهول؛ لأنه لا شر ينسب

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٢٥٣) ط: ٩، المكتب الإسلامي.

إليه، كما قال النبي ﷺ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ كلُّه في يَدَيْكَ، والشَّر لَيْسَ إِلَيْكَ»[١]. فنفى أن يضاف الشرُّ إلى الله تَعَالَى، وإن كان خالقًا له، وإنما يضاف إلى العبد.

والسبب في ذلك: أن المعاصي والعقوبات عليها للنفوس شرٌّ؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «نَعُوذُ بالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنا وسَيِّئاتِ أعمالِنا»[٢].

وفي حديثٍ آخر يقول: «أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ»[٣]. ويقول الله تَعَالَى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾ [غافر: ٩].

وكون الجزاء على السيئة عُقوبةً هي في غاية العدل بالنسبة لله، وإنما يحس بها المسيء شَرًّا لشدة ألمها عنده.

---

(١) أخرجه من حديث علي مسلم كتاب «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ» (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧١/ ٢٠١). طرف من حديث عَلِيٍّ في دعاء الاستفتاح أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه من حديث ابن مسعود أبو داود كتاب «النِّكَاحِ» باب «فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ» (٢/ ٢٣٨) رقم (٢١١٨)، والترمذي أَبْوَابُ النِّكَاحِ باب «مَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ» (٣/ ٤٠٥) رقم (١١٠٥)، والنسائي كتاب «الْجُمُعَةِ» باب «كَيْفِيَّةِ الْخُطْبَةِ» (٣/ ١٠٤) رقم (١٤٠٤). وابن ماجه كتاب «النكاح» باب «خطبة النكاح» (١/ ٦٠٩) رقم (١٨٩٢). وقال الترمذي: حديث حسن، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧/ ٥٣١): حديث صحيح. وقال الألباني في «صحيح أبي داود -الأم» (١٨٤٣): حديث صحيح. جزء من خطبة الحاجة، رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن والدارمي والحاكم وغيرهم، انظر: «المسند» (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، و«سنن أبي داود» كتاب «النكاح» (٢/ ٢٣٨) رقم (٢١١٨)، و«سنن الترمذي» رقم (١١٠٥) (٣/ ٤١٣)، و«سنن النسائي» (١/ ٦٠٩) رقم (١٨٩٢)، و«سنن الدارمي» (٢/ ٦٦) رقم (٢٢٠٨)، و«المستدرك» للحاكم (٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٣) أخرجه من حديث شداد بن أوس البخاري كتاب «الدَّعَوَاتِ» باب «أَفْضَلِ الِاسْتِغْفَارِ» (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٦). جزء من حديث دعاء سيد الاستغفار، رواه البخاري (٦٣٠٦)، والترمذي (٣٣٩٠)، والنسائي (٨/ ٢٩٧).

ويقول تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، فكل فعل من أفعال الله هو خير وعدل وإحسان.

(بـرا) أي: خلق ما خلق لِحِكْمـةٍ، وكل فعل يخلو من الحِكْمة فهو عَبَث، وتعالى اللهُ عـن كل عيـبٍ أو نقصٍ أو عَبَث، وإنما برأ الخلـق وأوجدهم وَفْقَ الحِكْمة العُليا التي هي صِفَتُه والملازمة لفعله سُبْحَانَهُ، وفي جميع مخلوقاته.

(قَـدْ أَخْـبَرَا) كـما قـال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقـال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وغـير ذلـك من الآيـاتِ الدالة على حِكْمة الله البالغةِ وحُجَّته الدامغة في جميع أفعاله وفي جميع مخلوقاته.

٥- قضية الإضلال والهداية:

وهـي لُبُّ اللُّباب في هذا الباب، فلا أعْظَمَ من تفضله بالهداية، ولا أعظم خسـارةً وابتـلاءً ممن قَدَّر عليه الضلال والغِواية، وذلك أنه قد اتفقت جميع الرسـل والكتب على أن مـن يشـأ الله يهده بفضله، ومَنْ يشـأ يضلَّـه بعدلِه، وأن مـن يَهْدِه فلا مُضِـلَّ له، ومَن يُضْلِله فلا هادي له سـواه، وأن الهُدَى والإضلال بيَـدِه وَحْدَه سُبْحَانَهُ، والعبد إما مُهْتَدِيًا وإما ضالًا، أو كافرًا أو مؤمنًا؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، وأن الشـقي مـن شـقي في بطن أُمِّه، وكذلك السـعيد. والله يعلم حيث يجعل رسالتَه.

❁❁❁

٤٩- وَمَنْ لَهُ أَرَادَ كَوْنًا أَنْ يَضِلْ   فَصَدْرُهُ لِلضِّيقِ نَصًا قَدْ جُعِلْ
٥٠- كَأَنَّمَا إِلَى السَّمَاءِ يَصْعَدُ   وَحَرَجًا أَيَّ مَكَانٍ يَقْعُدُ

(و مَنْ لَهُ) أي: للعبد، (أرادَ اللهُ) كونًا وقدرًا، (أن يُضِلْ) اي: أن يَعْدِل عن الطريق المستقيم بسبب ما عَلِمَ اللهُ من حاله أنه ليس أهلًا لهداية التوفيق، أو بسبب إعراضه عن الحق والهُدى، فعلامة ذلك أن يكون (صَدْرُه) ضَيِّقًا، لا يَتَّسِع للحق وقبولِه، (نصًا)، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(قَدْ جُعِل) أي: صَدْرُهُ.

(حَرَجًا). والحَرَجُ هو: الشدةُ والضيقُ، كما قال الشاعر: لا حَرَج الصُّدور ولا عَنِيف.

والحَرَجَةُ الشَّجَر الكثيف الذي لا طريق فيه، وهو معروف عند العامة بهذا المفهوم، أن الحرجة التفاف الأشجار حتى لا يوجد فيها طريق. ويقال: حَنبَة. لشدة ضيقها، فلم يمر بها أحدٌ إلا ويجنب فيها لتشابك أغصانها، وهي في اللغة بنفس هذا المعنى.

وقد قرأ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآية فقال: «ائتوني برجل من كِنَانة، واجعلوه راعيًا». فأتوا به، فقال عمر: «يا فتى، ما الحرجة فيكم؟». فقال: الشجرة تُحْدِقُ بها الأشجارُ الكثيرةُ فلا تَصِل إليها راعيةٌ ولا وَحْشِيَّةٌ. فقال عمر: «كذلك قَلْبُ الكافر، لا يَصِل إليه شيء من الخير»[1].

وقال ابن عباس: يجعل صدره ضَيِّقًا حَرَجًا إذا سمع ذِكْر الله اشمأزَّ قلبُه، وإن ذُكِر شيءٌ من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ» (٢/ ١٩٦) طبعة جديدة مصححة.

أي: فإذا أراد الله إضلالَه جعله كما وصف ضَيِّقًا حَرَجًا، كأنما يَصَّعَّدُ في السماء من شِدَّة الضِّيق والاختناقِ، لا يجد محَلًا خاليا من الضيق والشدة، وفي أي مكان يكون الضِّيقُ له مُلازِمًا قائمًا أو قاعدًا.

وهذه إشارة للإرادة الكونية، والآية المتقدمة دليل عليها، وهذه الفضاءات ما بين السماء والأرض تكون عليه أضيق من حدقة البعير، ويظل دائمًا في كرب وشدة، نسأل اللهُ السلامة.

❀ ❀ ❀

٥١- وَمـنْ بـهِ الخَيْـرَ أَرَادَ اللهُ فَهْـوَ لِنُـورِ الـدِّيـنِ قَـدْ هَـدَاهُ

(ومـن بـه الخـير) أي: بالعَبْدِ (أراد الله) كَوْنًا وشرْعا أن يكـون مُهْتديًا، وهو الخير الذي لا أجملَ منه، ولا أفضلَ منه.

(فهو لنور الدين قد هداه) أي: من أرادَ الله به الخيرَ سَلَفًا، فإنه سَيَتَعَرَّض لأسبابِ الهُـدى، وسـينالُها من الله، وهي التوفيـقُ له بقَبولِه لهدايـةِ البيان، ومكافئتـه عليها بهداية المعونـة والتوفيـق، وسـيكون له نـور الدين، وضيـاؤه مُتَقَدِّمًا وهاديًا لـه إلى صراط الله المستقيم، وَفَّقَنا اللهُ وجميعَ المسلمين لذلك.

❁ ❁ ❁

٥٢- لأَنَّـهُ قَـدْ صَـدَّقَ الرَّسُـولا فَـيـسـر اللهُ لَـهُ الـسَّـبِـيـلا

(لانه قد صدق الرسـولا) أي: أنه استحقَّ التوفيقَ والإعانةَ إلى هدايتِه إلى الصراط المسـتقيم ولزومه إياه وتمسـكه به جزاءَ تَصْديقِه بالرسـول وتَلَقِّي دَعوتِه بالقَبول، وكان مُطِيعًا لبيانِه، مُتَّبِعًا لهدايته وإرشـاده، (فيسـر الله له السبيلا) أي: ومَن يُصَدِّقِ الرسول ﷺ ويُخْلِـصْ لـه في الإذعـانِ والقبـول بالمتابعة يُعِنْهُ عـلى سَـفَرِه إلى الله، ويُذَلِّل له الصعاب، ويَجْعلها سهلةً مُعَبَّدةً.

❁ ❁ ❁

٥٣- وَمَــنْ لِهَــدْيِ اللهِ وَالـرَّسُـولِ لَمْ يَمْـتَـثِلْ فَـلَـيْـسَ بِـالمَقْـبُولِ

(ومـن لهدي الله والرسـول لم يمتثل) هَدْي الله هو الامتثـالُ لِـمَا جاءَ في الكتابِ العزيز وسُـنَّة الـمُصْطَفَـى ﷺ من أوامِرَ ونَواهٍ من حقٍّ وبَيِّنـاتٍ، فهذا هو المقبول عندَ الله؛ لأن مَن أعرض عن هَدْي الله ورسوله ولم يأخذ به ورفَضَ ما جاءَ به رسولُ الله ﷺ عن الله تَعَالَىٰ في أُمور الإسلام، ولم يُصَدِّق دعوةَ الرسول ولم يُصْغِ لهديه وبيانِه ونُصْحِه وإرشـادِه، (فَلَيْـس بالـمَقْبُـولِ) عَمَلُه عند الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذا غيرُ مَقْبولٍ في أعمالِه، ومَرْدودةٌ عليه؛ ولأنه لم يَسْتَفِدْ من دعوةِ الرسولِ ولا من نُصْحِه وإرشادِه، فهو غيرُ مُسْتحِقٍّ للإعانةِ والتوفيقِ، بل يُحْرَم منها لعَدَمِ قَبُولِه للأُولَى.

وهذه مُفْرداتُ الأَبْياتِ:

مَحَاوِرُ الأَبْياتِ، فهي كما يَلِي:

١- الإِرادة وما يتعلق بها. ٢- الهداية وما يتعلق بها.

٦- الإرادةُ وما يتعلَّقُ بها:

١- هـل هناكَ تَلازُم بينَ الإرادتين الكَوْنِيَّة والشرعيَّة وما يَتعلَّق بكلٍّ منهما؟ نَتحَدَّثُ عن ذلك باختصارٍ.

فالجواب:

(أ) أنـه لا تـلازم بـين الإرادتـين، ولا بين الأمرين فإنـه قد يأمر كونًا بـما لا يريده شرعًـا، مثـل أمره لأبي لهب وأبي جهل بالإسـلام، ولم يُـرِدْه منهما كونًا، ولـو أراده منهم كونًـا - لِعِلمـه بعصيانهم - لوقع. ومتعلق الإرادة الكونية والأمـر الكوني بباب الرُّبُوبِيَّة ألصق، ومتعلق الإرادة الشرعية والأوامر الشرعية بالإلهية أوقع.

(ب) ثم إن إرادة الله متعاقبة قديمة النوع حادثة الآحاد، وهي من صِفَات الفاعل، فتكون كالكلام ذاتية فعلية، وهي قسمان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

(جـ) أن مُراد الله نوعان[1]:

١ - مُـراد الله مَحْبـوبٌ لـه، ومرضي عنـه؛ فهذا النـوع هو ما يحب فاعله ويمدحـه ويثني عليـه، وهو المتعلـق بتنفيذ أوامر الله حُبًّا وامتثالًا، والانتهـاء عَمَّا نهى عنه طاعةً وحُبًّا وامتثالًا، فالموافقة لـمُراد الله هي محبة الله، وإرادةُ خلافه هي عينُ معارضتِه ومُشاقَّتِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. وما في هذا النوع من خير فهو مُراد إرادة الغايات والمقاصد.

٢ - ومـراد لغـيره قد لا يكون مقصودًا لذاته، وما فيه من الخير لا يعود إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى تحقيق مقصوده ومراده. فهذا النوع على قسمين:

الأول: أن يأمر الله عباده بفعل أمر، ويريد إعانتهم عليه بعد تعرضهم لأسبابها.

والثانـي: يأمرهـم الله بفعـل شيء ولا يلـزم من أمـره إعانتهم عليـه؛ لأن الحِكْمة اقتضت ذلك، فمن امتثل الأمر، وتعرض بالسبب، وبرهن على صدق إرادته للفعل، فإن الله يعينه على فعل الفعل ويوفقه فيخلق له إرادة الفعل وفعله. ومن لم يتعرض للسبب أو أنـه أصلًا غير أهل للمعونة أو أنه تسبب في حرمانـه منها كالإعراض عن الهُدَى، لم يعنه الله وإن كان يريده منه شَرْعًا، ويكون جهة أمره تَعَالَىٰ إلى العبد جهة نصح وإرشاد وبيان فقط، وليس جهة توفيق وإعانة لرفضه أسبابها أولا.

ويندرج في هذا القسـم أنه قد يجتمع عند الإنسـان الأمران: حـبُّ الشر، وبغضه؛ وذلك لاختلاف متعلقهما. مثال ذلك: أن المصاب بأي مرض في أحد أعضائه - عافانا الله

(١) «شرح الطحاوية» (٢٥٢ - ٢٥٣)، ط: ٩، المكتبة الإسلامي.

وإياكم منه - إذا قرر الأطباء بتر هذا الجزء خَوْفًا من السريان لبقية الجسم؛ فإن المصاب قد يريد ذلك المكروه رغم بغضه له، وهو العملية وبتر العضو؛ لما يأمله من مصلحة وعافية منتظرة بعد العملية. فقد اجتمع الأمران، وإذا اجتمع هذا في حق الإنسان، ففي حق الله من باب أولى. وكذلك الكي بالنار وكل العمليات الجراحية من هذا القبيل مكروه من جهة، ومراد من جهة.

فللَّه أن يأمر غيره ولا يعينه؛ لأنه - وهو العليم الحكيم - قد يكون من مصلحة العبد المأُمور أن لا يعان، فيكون جهة الأمر له نُصْحًا وإرشادًا، ولا يكون إعانة له؛ لأن حكمته اقتضت ذلك لحصول الحِكْمة في إيجاد ضده، ومعلوم أن خلق أحد الضدين ينافي الضد الآخر. فخَلق المرض يضاد خَلق الصحة، والفقر يضاد الغنى، والقوة الضعف، فالمرض ربما بسببه يعرف الطريق إلى الله، وكذلك الفقر والضعف ونحو ذلك. والصحة والغنى والقوة ربما أنست العبد الطريق إلى الله، فيكون في غاية من الخسران في الدنيا والآخرة، لذا فقد أعان الأول عندما أراد العبد فعل المأمور، وترك الثاني عندما لم يرد العبد أن يفعل، وهذا عين الحِكْمة والعدل. وإذا ساغ مثل هذا بين المخلوقين ففي حق الله من باب أولى.

ففي حق الأول اجتمع القدر الكوني، والشرعي. وفي حق الثاني انفرد القدر الكوني فقط، (ولله المثل الأعلى)، فمراده لذاته المحبوب والمتعلق بفعل نَفْسه لا يسأل عنه سُبْحَانَهُ. أما مُراد غيره فقد يكون حكمة الله أن لا يعين العبد. وقد يعين من شاء بفضله، وقد لا يعين من شاء بعدله، ومن أعانه فقد تعلق به خلقه وأمره، ومن لم يعنه فقد تعلق به أمره دون خلقه. ومنشأ ضلال من ضل هو التسوية بين الإرادتين، وعدم التفريق بينهما. أقصد الإرادة الكونية بمعنى المشيئة، والإرادة الشرعية بمعنى المحبة.

١ - إذ قالت الجبرية: كل ما هو موجود ومخلوق بقضاء الله وقدره، وما كان كذلك فهو محبوب له؛ لأنه قد أراده، ولم يرد إلا ما أحبه الله. فتمسكت بالإرادة الكونية، وعزفت على هذا الوَتَر.

٢ - وقالت القدرية: إن الله لا يأمر بالمعاصي والمفاسد؛ لأنها غير محبوبة له، ولا مرضي عنها،وكل شيء غير محبوب له ولا مرضي عنه فهو ليس مقدر ولا مقضي ولا مرضي عنه بل خارجُ عن مشيئة الله وقدره؛ بل هو من فِعْلنا نحن العبيد. ولهذا فقد ضلت الفرقتان[١].

٣- وأهل السُّنة فَرَّقوا بينهما بعد إثباتهما، وذلك بتوفيق الله، إذ هداهم إلى إثابتها والتفريق بينهما، ففرقة الجبرية فسرت الإرادة بالكونية، فكل ما أراده الله كونًا عندها يكون محبوبًا ومَرْضيًّا عنه، ومن ضمن ذلك المعاصي والشرور وجميع الآثام، وفرقة القدرية قالت: إن الله لا يأمر بالمعاصي والآثام، فهي غير مقدرة وخارجة عن إرادته الله الكونية، بل هي من خلق العبيد. وقد فسرت الإرادة بالشرعية، فالأولى أعملت الكونية ورفضت الشرعية، والثانية أعملت الشرعية ورفضت الكونية، وكلاهما وقع في الضلال. أما أهل السُّنة: ففرقوا بين الإرادتين. فقالوا: إن مُراد الكونية لا يتخلف، وأما الشرعية فإنه قد يتخلف، وقد يجتمع الأمران في الشرعية، والأمثلة موجودة فيما بعد هذا.

٧- مسائل للعبرة، قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]:

١ - وقد رَوَى عُمر بن الهَيْثَم قال: خَرَجْنا في سَفِينةٍ وصَحِبنا فيها قَدَرِيٌّ ومَجُوسِيٌّ،

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢٥٠-٢٥١)، ط: ٩، المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (ص:٢٥٠-٢٥١)، انظر: «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول» تأليف العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)، =

....

فقال القدريُّ للمجوسي: أَسْلِمْ. قال: الـمَجُوسِيُّ حتـى يريد اللهُ. فقال القدري: إن الله يريـد، ولكن الشـيطان لا يريـد. فقال المجوسي: أراد الله وأراد الشـيطان، فـكان ما أراد الشيطان! فقال المجوسي: هذا شيطان قوي. وفي رواية: فأنا مع أقواهما.

٢- وقف أعرابي على حَلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء، إن ناقتي سُرِقت، فادعـوا الله أن يَرُدَّهـا عليّ. فقال عمرو بن عبيد: اللَّهم إنك لم ترد أن تُسرق ناقته فسرقت فارددهـا عليـه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تُسْرق فسُرِقت أن يريد رَدَّها فلا تُرَدُّ.

٣- وقال رجل لأبي عصام القسـطلاني: أرأيت إن مَنَعَنِي الهُدَى وأوردني الضلال ثـم عَذَّبَنِـي أيكون مُنْصِفًا؟ فقال أبو عصام: إن يكن الهدى شـيئا هو له فله أن يعطيه من شاء ويمنعه ممن يشاء.

٤- ودخل القاضي عبد الجبار الهَمْداني أحد شيوخ الـمُعْتَزِلَة، دخل على الصاحب ابن عَبَّاد وعنده أحد أئمة أهل السُّـنة وهو الشـيخ أبو إسحاق الإسفراييني، فلما رآه قال القاضي المعتزلي: سـبحان من تنزه عن الفحشـاء. فقال الإسـفراييني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشـاء. فقال المعتزلي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ فقال الإسفراييني: أَيُعصى ربنا قهرا.

فقـال القـاضي المعتـزلي: أرأيـت إن منعني الهدى، وقـضى عليَّ بالردى أأحسـن أم أسـاء؟ فقال الشـيخ الإسفراييني: إن منعك ما هو لك فقد أساء إليك، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فبهت القاضي المعتزلي.

= (٣/ ٩٤٦-٩٤٧)، رقمه وعلق عليه وخرج أحاديثه، عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم.

٥- وفي تاريخ الطبراني أن غيلان الدمشقي قال لميمون بن مِهْران بحضرة هشام بن عبد الملك: أشاء الله أن يُعصى؟ فقال له ميمون: أفعُصِي كارهًا؟ فبُهِت.

فمعنى هذه القصص أن الله يُقَدِّر المعاصي والشرور والمفاسد كونًا، وينهى عنها شرعًا؛ لأنها مبغضة له في ذاتها ومرادة له كونا لما في ذلك من الحكمة التي يعلمها الله سُبْحَانَهُ.

٨- الهداية:

تعريفها لغة وشرعًا، أنواعها، الأدلة عليها من القُرْآن والسُّنة:

١- **الهداية في اللغة**: الدلالة بلُطْف، ومنه الهدية، وهوادي الوحش، أي: متقدماتها الهادية لغيرها، وخُص ما كان دَلالةً (بهَدَيْتُ) بدون همز، وخُص ما كان عطاءً (بأَهْدَيتُ) بالهمز، مثل: هديتُ فلانًا للدار وأهديته الدار. فالأولى: دللته على طريق الدار، والثانية: منحته الدار. وقد ورد لفظ: هدى. ومشتقاته في القُرْآن الكريم ثلاثمائة وتسع مرات.

أنواعها: أربع:

١- **الهداية العامة** كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٣] وقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

٢- الهداية بمعنى الدلالة والبيان، وهي ما تقوم بها الأنبياء والرسل والمصلحون من بعدهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

٣- هداية التوفيق، وهذه خاصة بالله تَعَالَىٰ، ولا يمنحها إلا لمن قبل هداية الدلالة الإرشاد، وانقاد لها، مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ

قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. وغير ذلك من الآيات. فبالإيمان يهتدي الإنسان وبالمجاهدة للنفس يدله الله على السبيل القويم، وبالهداية يزداد هدى وتقوى.

والتوفيق والهدى شيء يملكه هو سُبْحَانَهُ، ويختص به، فهو يمنحه من يشاء بفضله، ويمنعه من يشاء بعدله.

فاللَّهم خُصَّنا بمَنِّك وفضلك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام بالهداية إلى الصراط المستقيم والطريق القويم وجميع المسلمين.

٤- الهداية في الآخرة إلى الجنة، وهي لمن اهتدى في الدنيا واستقام على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥].

٩- الضلال:

تعريفه لغة وشَرْعًا، أنواعه، الأدلة من الكتاب والسُّنة:

تعريفه لغة: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، ويقول ابن فارس: «إن الضاد واللام: أصل صحيح يَدُل على معنًى واحدٍ، وهو ضياع الشيء وذهابُه في غير حَقِّه، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ. لغتان، وكلُّ جَائِرٍ عن القصدِ ضَالٌّ، والضلال والضلالة بمعنًى واحدٍ: الغوايةُ. ورجل ضليل ومُضَلَّل إذا كان صاحبَ ضلال وباطل»[1].

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٣٥٦) مادة ضل.

ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عَمْدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا.

قال الراغب الأصفهاني: «وهو قسمان: ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله، ووحدانيته، ومعرفة النبوة، وهو ما يشار إليه بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وضلال في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات[١].

أسباب الضلال:

١- قد يكون من تزيين الشيطان للإنسان الباطل، فيضل بسببه كما، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، إن ما يفعلونه ضد غيرهم يرجع عليهم بما فيه ضلال أنفسهم.

٢- وقد يكون الضلال سببه الإضلال، مثل أن يضل الإنسان ويَعْدِل عن طريق الحق، فيحكم الله عليه بذلك في الدنيا، ويعدل عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة، وهذا حق وعدل، ومن أحسن من الله حكمًا؟! فالحكم على الضال بضلاله، والعدول به عن الجنة إلى النار حق وعدل.

٣- وقد يكون المحل غير قابل للهُدَى، ويكون مجبولًا على غير طريق الهدى، أو على طريق مذموم قد ألفه واستطابه ولَزِمه ولم يَنْزِع عنه، وتَعَذَّر صرفه عنه وانصرافه، ويصير ذلك عليه كالطبع أو الختم الذي يتأبى على الناقل نقله؛ ولذلك قيل: العادة طبع ثانٍ، وهي في الإنسان فعل إلاهي.

(١) انظر: «مفردات الراغب» الأصفهاني (ص: ٥٠٩).

ويقول ابن القيم: «الإضلال إضلالان:

١ - إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى ولا يليق به، وأن محله غير قابل له. فالله أعلم حيث يضع هداه، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته.

كما أنه ليس كل محل أهلًا لتحمل الرسالة عنه وأدائها إلى الخلق، فكذلك ليس كل محل أهلا لقبولها والتصديق، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٢ - إضلال عقوبة على المعاصي، وهو كل من ردَّ الحق وأعرض عنه وصدَّ عن السبيل، فيعاقب هذا العاصي بعدم الاهتداء وهو الضلال، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، والمعنى: إن لم تستجيبوا لله ورسوله فسَيَحُول بينكم وبين الإجابة بعد ذلك[١]».

الأدلة على الهدى والضلال:

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] وقوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(١) «شفاء العليل» لابن القيم، الجزء الأول (ص: ٢١٥).

....

وقول الرسول ﷺ في خطبته: **«مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلِ فلا هَادِيَ له»**[١]. وقوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ آتِ نفسي تَقْواها، وزَكِّها أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»**[٢].

الثاني- تَوْحِيدُ الإلهيَّة:

١- (تَوْحِيدُ الإلهيَّة):

توحيد الإلهية بالنسبة لإضافته إليه: هو إفراد الله بالعبادة جميعها، ونفيها عمن سواه كائنًا مَن كان، ويُسمى بتوحيد الشرعِ والقدر، لما يتضمنه من أوامر ونواهٍ، ويُسَمَّى بالتوحيد الطلبي الإرادي[٣]؛ لما يقوم في القلب من إرادة وقَصْدٍ، ويُسمى بالتوحيد الفعلي نِسْبةً إلى فعل العباد، ويُسَمَّى بتوحيد القصد والعمل.

وكل هذه التعريفات والألقاب تَصُبُّ في قالبٍ واحد وهو التوجه بالأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة في الحياة والممات لله رب العالمين، وهو لازم

---

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود أبو داود كتاب «النِّكَاحِ» باب «فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ» (٢/ ٢٣٨) رقم (٢١١٨)، والترمذي أَبْوَابُ النِّكَاح باب «مَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ» (٣/ ٤٠٥) رقم (١١٠٥)، والنسائي كتاب «الْجُمْعَةِ» باب «كَيْفِيَّةِ الْخُطْبَةِ» (٣/ ١٠٤) رقم (١٤٠٤). وابن ماجه كتاب «النكاح» باب «خطبة النكاح» (١/ ٦٠٩) رقم (١٨٩٢). وقال الترمذي: حديث حسن، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧/ ٥٣١): حديث صحيح. وقال الألباني في «صحيح أبي داود -الأم» (١٨٤٣): حديث صحيح. هذه جزء من خطبة النبي ﷺ التي كان يعلمها أصحابه وقد تقدم تخريجه (ص: ١٣٥).

(٢) أخرجه من حديث زيد بن أرقم مسلم كتاب «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ» باب «التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ» (٤/ ٢٠٨٨) رقم (٢٧٢٢). رواه مسلم(٤/ ٢٠٨٨) ح (٢٧٢٢) في «الذكر والدعاء بالتعوذ من شر ما عمل، ومن شر مالم يعمل».

(٣) انظر: «معارج القبول»، للشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٩٨).

عقلي لتوحيد الرُّبُوبِيَّة وحده لا شريك له، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، كما أن توحيد الرُّبُوبِيَّة يُسمى أيضًا التوحيد العلمي الخبري الإعتقادي ويسمى بتوحيد المعرفة والإثبات، وبتوحيد الربوبية والأسماء والصفات(١).

وتوحيد الإلهية: هو الذي بُعِثت من أجله الرسل، وأنزلت لتحقيقه الكتب، وهو أول ما أمر به كل رسول، وهو بداية الطريق ونهايته، ولأجله قامت سوق الجنة والنار، وانقسم الناس من أجله إلى شقي وسعيد، وبه يكون الإسلامُ، وبعدمه يكون الكفرُ، وهو الذي قامت بسببه الخصومةُ بين الرسل وأممهم، ولم يدخلهم في الإسلام رغم ما معهم من الإقرار بالرُّبُوبِيَّة بل قاتلهم واستباح نساءهم وذريتهم حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون.

تعريف توحيد الإلهية باختصار: هو توجه العبد بأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته لله رب العالمين دون سواه، حُبًّا وتَعْظِيمًا. وهذه تُسَمَّى عبادةً بمفهومها العامِّ الصحيح، والتوجه بها لله دون سواه هو عينُ توحيد الإلهيَّة الذي أُنْزِلت من أجله الكتب، وأُرْسِلت بموجبه الرسل، وفُرِض الجهاد لتحقيقه.

❁❁❁

(١) نفس المصدر السابق ونفس الرقم (١/ ٩٨).

٥٤- هَـذَا وَنَحْـنُ لِـلإِلَـهِ نَشْهَدُ ... بِـأَنَّـهُ اللهُ بِحَـقٍّ يُـعْـبَـدُ
٥٥- نُـفْـرِدُهُ بِـهَـا تَـعَـالَى وَعَـلا ... حُـبًّـا وَتَـعْـظِـيـمًـا وَخَـوْفًـا وَوَلا
٥٦- ثُـمَّ اسْـتِـعَـانَـةٌ بِـهِ رَجَـاءُ ... كَـذَلِـكَ اسْـتِـغَـاثَـةٌ دُعَـاءُ

وقولنا: (هَـذا) (هـ) حرف تنبيه و(ذا) إشارة إلى ما سبق من تقرير توحيد الرُّبُوبِيَّة وما يتعلق به، وفيها معنى الاستئناف والشروع في الكلام في توحيد القسم الثاني وهو الإلهية، (ونحن) أهل السُّنة والجماعة.

(للإلـه) المألوه المُستحِق للعبادة؛ لكماله في الذات والصِّفَات، ولعظمته وجلاله وقوة ملكه وسلطانه، فهو المستحق للعبادة، ولأن تُعَفَّر له الوجوه في التراب وتُحْنَى له الظهور والجباه، لما له من خَلقٍ وأمرٍ، وهو المُتحَيَّر في كنه ذاته، وما له من قوة هائلة لا يدرك مداها إلا الله تَعَالَىٰ، وهو الصمد الذي يمد من سواه بمقومات حياته، وكل الموجودات مفتقرة إليه في إيجادها وإمدادها وإعدادها، ولا يحتاج إلى أحد، غَنِيٌّ كامل بنَفْسه، وغيره فقير إليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

١٠- قال بعض العلماء: قد تعيش الأمم والشعوب بدون ثقافة ولكنها لا تعيش بلا دين.

إن مواكب الإنسانية جمعاء من لدن آدم؛ إلى نبينا محمد ﷺ ما أتى عليها حين من الدهر دون ديانة ودون إله، سواء هذه الديانة صحيحة أو باطلة، وسواء كان الإله بحق أو بباطل، وذلك أن التأله غائر وساكن في أعماق الإنسانية لِـمَا رُكِّب فيها من ضعف وحاجة وفقر ورغبات، وما تنطوي عليه من تطلعات لما تحبه فيسعدها، وما تتوقعه من مخاوف ومكروهات فتتقيها، وكل أسباب السعادة والمخاوف لا تملك الإنسانية أن تحقق

لها شَيْئًا من الإسعاد أو تدفع عنها شيئًا من المكروهات، لذلك ما فتئت الإنسانية تبحث عَمَّن يلبي لها الرغبات ويدفع عنها المكروهات ويروي ما تحسه من خواء روحي وشوق قلبي يرضي المتطلبات الروحية والجسدية والدينية للإنسان. وقد مرت الإنسانية في تاريخ وجودها الطويل إبَّان بحثها عمن يلبي لها أشواقها الدينية ومتطلباتها الحياتية في صورة إله قادر فاستقرأت بفطنتها وفطرتها أكابر المخلوقات وأعظمها، كالشمس والقمر والكواكب، والسموات والأرض، والسيول والبروق والرعود والرياح، وغيرها من عظائم المخلوقات، فلم تجد واحدًا منها يصلح إلها يتصف بالبقاء والكمال، وبالقدرة والعطاء وأنها كلها تَحْيَا وتموت، وتطلع وتأفل، وتُشْرِق وتَغْرُب، وأنها تختفي، ولم تجد ما يلبي أشواقها الدينية ورغباتها الرُّوحية وحاجاتها الجسدية إلا فيما نزلت به الكتب وجاءت به الرسل من عند الله جل جلاله. عندها انقشعت غيوم الجهل، وأدركهم النور الحقيقي والعلم الحقيقي بأنه لا إله ينفع ويأتي بالخير ويدفع الضر والشر إلا هو سُبْحانَه، فاستحق العبادة دون سواه استحقاقًا مصحوبًا بالحب والتعظيم **«رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا»**(١).

و(نشهد) شهادة علمٍ ويقينٍ، هذه الشهادة بلغت من اليقين مرتبة الـمُشاهَدَة بالعيان، (بأنه الله) و(اللهُ) هو العَلَم على الذات المُقَدَّسة، وكثير من العلماء يرون أنه مشتق من أله يأله ألوهة، ولكن لا يعني بذلك أن شيئًا قبله اشتق منه، بل الاشتقاق للفظ.

---

(١) أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص مسلم كتاب «الصلاة» باب «بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْـمُؤَذِّنِ لِـمَنْ سَمِعَهُ»، (١/ ٢٩٠) رقم (٣٨٦/ ١٣)، بلفظ: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا». جزء من الحديث الذي رواه احمد (٤/ ٣٣٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٠)، وابن السني برقم (٦٨)، وأبو داود (٤/ ٣١٨)، والترمذي (٥/ ٤٦٥) وحسنه ابن باز في «تحفة الأخيار» (٣٩).

....

هذا رأي من قال: إنه مشتق. ولا نظنه يقصد أن مادة قبل الله قد اشتق منها، ويتضمن هذا الاسم جميع معاني الأسماء الحسنى، وهو الاسم الأعظم عند كثير من العلماء.

(بحَقٍّ يُعْبَدُ) اي: لِـمَا له من الكمال المُطْلق في الذات والصِّفَات والأفعال، وأن ما سواه بحاجةٍ إليه، وهو صاحبُ الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة؛ فهو المعبود بحقٍّ، وهو يستحق أن يعبد وتُطَأطأ له الرءوس، وتَذْرِف له العيون، وتَخْضَع له الرِّقابُ، فالعبادة بمفهومها الواسع هي له بحقٍّ، فإن صُرِفت لغيره فباطلةٌ، والعبادة: اسم جامع لكل ما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوال والأفعال والنِّيَّات، كما ذَكَرَ علماؤنا.

(نُفْرِدُه بها) أي: في كلِّ أنواع العبادة نَجْعَلُه واحدًا، فكما هو واحدٌ في رُبوبيته، فهو واحد في أُلوهيته، فلا نعبد ولا ندعو إلا الله، ولا نرجو سواه، ولا نتعلق بغيره، فبيده النفع والضر، والحياة والممات، ومن كان كذلك فهو المستحق لإفراده بالعبادة جميعًا، وهو حق له سُبْحَانَهُ أن نعبده لا نشرك معه أحدًا.

(تَعَالَى وَعَلَا) تَبارَكَ وتَنَزَّه وعلا ذاتًا وصِفَةً، وكمالًا وجلالًا وعظمةً، ولم يكن له شريكٌ، لا نبيٌّ مُرْسَلٌ، ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وأن العبادة له وَحْدَه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

(حُبًّا وتَعْظِيمًا) هذان هما رُكْنا العِبادة، فمن أحببته ولم تكن مُعَظِّمًا له لم تكن عابدًا له، ومن عَظَّمْتَه ولم تكن مُحِبًّا له لم تكن عابدًا له، فلا بدَّ من جمع الركنين المحبة والتعظيم.

(وخوفًا) وهو نوعٌ من أعمال القلوب، سَبَبُه التعظيمُ لله، فمَن خاف انتهى عن المنهيات وائتمر بالمأمورات، والحب والتعظيم والخوف كلها من أعمال القلوب، والإخلاص فيها واجب، وإلا لا تكون عبادة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال النبي ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُم كَثِيرًا، وما تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشاتِ، ولَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعداتِ تَجْأَرُونَ»**[(١)].

(رَجَاءً): والرجاءُ هو ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مَسَرَّة[(٢)]، والمُراد به هنا أنه نوع من أنواع العبادة القَلبيَّة التي يَجِب أن تكون مصاحبةً للإنسان مع ما تَقَدَّم من حُبٍّ وخَوْفٍ، إذ لا تصح عبادةُ الله بالخوف وَحْدَه، ولا بالرجاء وَحْدَه، ولا بالحبِّ وَحْدَه، وقد مَثَّل العلماء العبادة الصحيحة بالطائر، فجعلوا المحبة الرأس، والخوف والرجاء جناحين، فكما أن فقدان واحد منها في الطائر يُخِلُّ بتوازنه، فكذلك افتقاد واحد من هذه الأنواع الثلاثة يُخِلُّ بتوازن العبادة، وربما أعدمها، والدليل عليه:

---

(١) أخرجه من حديث أبي ذر الترمذي أبواب الزهد باب «في قول النبي ﷺ **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا»** (٤/ ٥٥٦) رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه كتاب «الزهد» باب «الحزن والبكاء» (٢/ ١٤٠٢) رقم (٤١٩٠). وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الألباني: حسن. رواه أحمد (٥/ ١٧٣) وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢) ح (٤١٩٠) في «الزهد» باب «الحزن والبكاء» ورواه الترمذي (٤/ ٥٥٦) ح (٢٣١٢) «في الزهد» باب «قول النبي ﷺ **«لو تعلمون ما أعلم... الخ»** وسنده حسن.

(٢) «مفردات الراغب» للأصفهاني (ص: ٣٤٦).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

(كَذَلِكَ اسْتِغَاثَةٌ دُعَاءُ) وهي طلبُ الغَوْث من الله من جَلب خيرٍ ودفع الشر، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وحديث الاستسقاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»(١).

الدعاء هو العبادة، كما ثبت في الحديث، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]»(٢). وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة:

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الجمعة» باب «الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة» (٢/ ٢٨) رقم (١٠١٤)، ومسلم كتاب «صلاة الاستسقاء» باب «الدعاء في الاستسقاء» (٢/ ٦١٢) رقم (٨٩٧/ ٨). رواه البخاري (١/ ٢٢٤)، ورواه مسلم (٢/ ٦١٣) من حديث أنس.

(٢) أخرجه مرفوعًا من حديث النعمان بن بشير أبو داود كتاب «الصلاة» باب «الدعاء» (٢/ ٧٦) رقم =

«إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»(١). أي: كذلك الحكم المتقدم يكون في الاستغاثة وهي طلبُ الغوث من الله ودعاؤه دعاءَ ثناءٍ أو مسألةٍ، يجب أن يُفْرَد به سُبْحَانَهُ ولا يُعْدَلَ به عنه، قال تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وطَلَبُ الغَوْثِ مِمَّن لا يَقْدِر عليه إلا الله هذا هو الشركُ، أما من استغاث بمن يقدر على إغاثته، أي كأنْ يكون في حُدود قدرته وطاقته فجائزٌ، كما قال تَعَالَى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

❁❁❁

= (١٤٧٩)، والترمذي أبواب تفسير القرآن باب «ومن سورة البقرة» (٥/ ٢١١) رقم (٢٩٦٩)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «التفسير سورة غافر» (١٠/ ٢٤٤) رقم (١١٤٠٠). وابن ماجه كتاب «الدعاء» باب «فضل الدعاء» (٢/ ١٢٥٨) رقم (٣٨٢٨). وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه ابن حبان: (٨٩٠). وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٤٩): سند جيد. وقال الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» (٥/ ٢١٩): إسناده صحيح. رواه الترمذي في سننه ح (٣٢٤٧)، وفي «المسند» (٤/ ٢٦٧) وفي «الأدب المفرد» ح (٧١٤) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» ح (١٧٥٧).

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب الدعوات (٥/ ٤٥٦) رقم (٣٣٧٣). وابن ماجه بلفظ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ ...» كتاب «الدعاء» باب «فضل الدعاء» (٢/ ١٢٥٨) رقم (٣٨٢٧). وقال الألباني: حسن. رواه الترمذي (٣٣٧٣).

٥٧- وَمَــنْ بِهَـا يَـغْـدُو لِـغَـيْـرِ الله فَــذَاكَ مِــنْ أَكَـابِــرِ الـمَنَاهِـي

(وَمَن بها يغدو) أي: من يصرف أيَّ نوع من أنواع العبادة.

(لغيرِ الله) كائنًا مَنْ كانَ، كالسادة والأولياء والقُبوريين والدَّجَّالين والمُشعوِذين.

(فـذاك) العمل منهـم شركٌ، أي اتخاذ ندٍّ معه في العبادة وهو خَلَقَهم، وجَعْل نظيرٍ لـه ومُقاسـم في الـمُلـك، وهـذا العملُ شركٌ أكـبرُ مُخْرِجٌ مـن الـمِلَّة، وهو (مِـن أكابرِ الـمَنَاهِـي) مـن أعظمِ ما نَهَى اللهُ عنه في كتابـه العزيز، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالـشِّرْكُ أعظمُ الظُّلم؛ لأن الظلـم وَضْع الشيء في غيرِ مَحَلِّه. وقال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقولـه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]؛ وذلـك لأن الـشرك من أعظم ما نهـى الله عنه، ولا أظلم مِمَّن يُشْرِك بالله؛ لأنه يشكو الرحيم إلى مَن لا يَرْحم، ويَشْكُوه إلى مَن لا يَمْلِك لنَفْسه ضَرًّا ولا نفعًـا، فضـلًا عن غيرِه، وما تقدَّم من أنواع الدعاء هـو أمثلةٌ، وإلا فكثير من الأنواع لم نأتِ بها اختصارًا، وكلها يجب أن تكون لله، وصرفها لغير الله شركٌ أكبرُ.

❁❁❁

٥٨- قَدْ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ وَالأَمْطَارَا وَأَنْبَتَ الـزُّرُوعَ وَالأَشْجَارَا

٥٩- ثُمَّ لَهُ الإِعْطَاءُ وَالحَيَاةُ وَالمَنْعُ وَالتَّدْبِيرُ وَالمَمَاتُ

طريقة القُرْآن في الاستدلال بتوحيدِ الرُّبُوبِيَّة على توحيد الإلهية، فمتى ما ثَبَت حقُّ الرُّبُوبِيَّة لَزِم منه ثُبوتُ حقِّ الإلهية، وهو بيانُ انفرادِه بالـمُلك والرزق والخلق والتدبير، وما له من أسماءٍ حُسْنَى وصِفَاتٍ عليا، وما له من كمالٍ مُطْلق وغِنًى مُطْلق وحياة كاملة وقدرة كبيرة، فإذا أثبت اختصاصه بهذه الصِّفَات دلَّ ذلك على تَفرُّده بالإلهيَّة، مثل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٥ - ٦].

وكلُّ أنواع التوحيد الثلاثة بينَها تلازمٌ، لا ينفكُّ بعضُها عن بعضٍ، ففي هذين البيتين سَلَكْنا ما سَلَكَه القرآنُ، فمن يَبْعَث الرياحَ ويُوجِدها من العدمِ ويَجْعَلُها سببًا في سَوْق السحاب وحاملات الأمطار والسيول، ويُنْبِت بسببها الزروع، فيأكل الخلقُ من بني آدم وغيرهم من الحيوانات والحشرات وسائر المخلوقات، إذ بحياة الأرض تحيا الكائنات الحية؛ لارتباطها أكلًا وشُرْبًا وظلا وغير ذلك. وكذلك سبب الأمطار وما ينشأ عنها من أشجار مختلفة الثمرة والأسواق والأرزاق والطعوم وتفاوتها قِصَرًا وطولًا وظِلًّا وثمرة. ثم من له وَحْدَه الإعطاءُ، بَدْءًا من الإيجاد وما تحتاجه الموجودات من لوازم بقائها في حياتها وما تحتاجه في الكينونة والبقاء وما لها من أثر فعال على الحياة والأحياء وكذلك إيجادهما ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وكذلك المنع والإيجاد وغيرهما، وكذلك التدبير لكل ما في السموات والأرض، وتدبيرها في غاية الحِكْمة والإحكام والدقة والإتقان ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

....

إلى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولا يَلحَقُه عدمٌ، ولا يَسْبِقُه عدمٌ، ولا يطرأ عليه نَصَب ولا تَعَب، ومن بيده الحياةُ الكاملةُ والمنعُ والإعطاءُ، فمَن يَمْلِك هذه الأشياء ويُوجِدها هو المستحقُّ للعبادة وَحْدَه دون سواه، وهذه طريقة القُرْآن في الإقناع، فالذي أوجد تلك الأشياء بقدرته هو الإله الحق دون سواه يستحق العبادة.

❁❁❁

١١- الشهادة:

٦٠- وَنُعْلِنُ الإِقْرَارَ بِالشَّهَادَهْ   وَنُخْلِصُ التَّوْحِيدَ وَالعِبَادَهْ

(ونُعْلِن) إعلانُ الأمرِ إشاعتُه وإذاعتُه خلافَ الإخفاءِ له، فنحن نُظْهِر الإقرارَ، ونَجْهَر به ونَنْشُره، (الإقرار) هو الاعترافُ بالحقِّ والإثباتُ له، من قَرَّ الشيءُ في مكانِه إذا ثَبَتَ ثُبوتًا جامدًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

وهذا الإقرار إما بالقَلب فتَثْبُت فيه العقيدة ثُبوتًا رَاسِخًا مُلازِمًا للقلبِ لا يَنْفَكُّ عنه، وكذلك باللسان فلا ينفكُّ عنه، ولم ولن يزل به لاهِجًا، وفي باب التوحيد بالذات، لا يُغْنِي اللسانُ عن القلب، ولا القلبُ عن اللسانِ، بل لا بدَّ منهما معًا، ويضادُّ الإقرارَ الإنكارُ. وأما الجحودُ فإنما يقال فيما ينكر باللِّسان دون القلبِ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]، وما كان باللسان دون القلب فهو نِفَاقٌ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وما كان بالقلب دون اللسان فهو نوع من الإرجاء.

١- الإقرار بالشهادة:

(بِالشَّهَادَة) الشهودُ والشَّهَادة: الحضورُ مع المشاهدةِ بالبصر والبصيرة، وقد يقال للحضور مُفْرَدًا: شهادة. كما قال تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة: ٦]، لكن الشهود بالحضور أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى.

والشهادة في اللغة: قول صادر عن عِلم حَصَلَ عن مشاهدةٍ ببَصَرٍ وبَصِيرةٍ.

الـمُراد بالشهادةِ هي التي شَهِد اللهُ بها لنَفْسِه، وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من البشر، وكذلك شهادةُ أن مُحَمَّدًا رسولُ الله ﷺ، وجعلتُهما شهادةً واحدةً لتلازُمِهما؛ ولأن العمل لا يُقْبَل إلا بهما، ولأنه مُبَلِّغ عن الله ومشهودٌ له بالرسالة من

قِبَلِ الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

٢- بعض أسماء الشهادة في القرآن:

وقد وَرَدَ كَثِيرًا اقترانُ شهادةِ أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

وهذه الشهادة من أسمائها:

١- الكلمةُ الطَّيِّبَةُ، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] قال علي بن أبي طلحة: «أصلُها ثابتٌ في قلبِ المؤمنِ، وفرعُها العملُ الصالح». رَزَقَنا اللهُ وإيَّاكم ذلك بمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

٢- وهي الحَسَنةُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، قال ذلك زَيْنُ العابدين، وإبراهيمُ النَّخَعِيُّ.

٣- وعن أبي ذَرٍّ مرفوعًا: «**إِنَّهَا أَحْسَنُ الحَسَنَاتِ**»(١).

٤- وهي تمحو الذنوب والخطايا.

(١) أخرجه من حديث أبي ذر أحمد مسند الأنصار (٣٥/ ٣٨٥) رقم (٢١٤٨٧)، والطبراني في «الدعاء» -واللفظ له - باب «تأويل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾» (ص: ٤٣٩) رقم (١٤٩٨). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧٣): إسناد حسن، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حسن لغيره. المسند (٥/ ١٦٩).

٥- وهي الـمَثَلُ الأعلى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

٦- وهي كلمةُ التقوى، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

٧- وهـي العهد الذي ذَكَـرَه اللهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

٨- وهـي العُـرْوة الوُثْقَى المذكورةُ في قولـه تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا[(١)]﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٣- مكانة الشهادة في الدين الإسلامي:

فمن أجلها أُرْسِـلت الرُّسُلُ، وأُنْزِلت الكُتُب وخُلِقت الجَنَّةُ والنارُ، وانقسمَ الناسُ إلى فَرِيقَـيْنِ، وعليهـا قامـت السـمواتُ والأرضُ ومن فيهـنَّ، وعليها تُـدار رَحَى الدنيا والآخرة، فهي الأمرُ كلُّه، وأوله وأحبه وأعظمه على الإطلاق، وهي شـعارُ المسـلمين في أذانهم وإقامتهم، وفي خُطَبِهم ومحادثاتهم؛ ولأجلها نُصِبت الموازينُ، ودُوِّنت الدواوينُ، وقـام سُـوق الجنة والنار، وهي منشـأُ الخلـق والأمرِ والثـواب والعقـاب، وعليها وعن حقوقها تكون المسـائلة، فلا تزول قَدَمَا عبدٍ بينَ يَدَيِ الله حتى يُسْأَل الأولون والآخرون عن مسألتين هما: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

وجـواب الأولى بتحقيـق كلمـة الإخـلاص، وجـواب الثانيـة بتحقيـق أن محمدًا رسول الله ﷺ معرفة وتعبدًا[(٢)].

ومعناهـا: أن لا معبـود بحقٍّ إلا اللهُ تَعَالَىٰ، وأن يسـبقها علمٌ، سـواء مكتسـب أو غريـزي، فـلا بد من ذلك، كـما قـال تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]،

(١) انظر: «عجائب القرآن» لفخر الدين الرازي (ص: ٤٤)، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان.
(٢) «حقيقة لا إله إلا الله»، للعلامة الدكتور: صالح الفوزان (ص: ٥٧).

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ: تصديقه فيما أخبر، و طاعتُه فيما أمَرَ واجتناب ما نَهَى عنه وزَجَرَ، وألا يعبد الله إلا بما شرع. وهذه الشهادةُ في صِدْقِها والجَزْمِ بثُبوتها حتى لكأنها تُعاين المشهود به، وذلك لارتفاع درجة اليقين عند مَن شَهِد، والشهادةُ الفِطْرِيَّةُ بذلك حاضرةٌ لَدَى كلِّ شخصٍ، كما قال ﷺ: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»**(١).

فالإقرارُ بالتوحيدِ والشهادةُ به أمرٌ فِطْري لا يُنْكره إلا مَن انْسَلَخَت فِطْرَتُه عن الحقِّ، وطُمِس على قلبِه، وخُتِم عليه، نسأل الله السلامة.

وقد يكون العلم بالشهادةِ يَسْبِقه تَفَكُّر وتَدَبُّر في الآيات الكونيَّة والآيات الشرعيَّة ومن خلال ذلك تكون الشهادةُ عن علمٍ ويقينٍ وصدقٍ. والعلم بها دون إقرار بها وشهادةٍ لا ينفعُ، كما حصل أول الإسلام من الـمُشْرِكِينَ، فهم يعترفون بأن الله الخالق الرازق المبدئ المحيي المميت، ومع هذا لم يدخلوا في الإسلام، وجاهدهم الرسول ﷺ واستباح أموالهم وذَرَارِيَّهم حتى يُسْلِموا أو يَدْفَعوا الجِزْية، وكذلك حالُ مَن يَعْلَم من علوم الدنيا ما يُقْنِعه بوجودِ إلَهٍ حكيمٍ عظيمٍ قديرٍ خبيرٍ سميعٍ عليمٍ، ومع هذا لم يشهد لله بالوَحْدانيَّةِ وللرسول بالرسالة، فلا بد مع العلم النطق بالشهادة.

وليس معنى الإله: القادر المخترع، كما هو عند المتكلمين، والأشاعرة، بل معناه: المألوه الـمُسْتحِقُّ للعبادة حُبًّا وتعظيمًا وخَوْفًا ورجاءً.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجنائز» باب «ما قيل في أولاد المشركين» (٢/ ١٠٠) رقم (١٣٨٥)، ومسلم كتاب «القدر» باب «معنى كل مولود يولد على الفطرة...» (٤/ ٢٠٤٧) رقم (٢٦٥٨/ ٢٢). رواه البخاري (٢/ ٩٦) في «الجنائز»، ومسلم برقم (٢٦٥٨) «في القدر».

٤- فضل كلمة الشهادة:

أما فضل هذه الكلمة فهو عظيمٌ ولا يُحاطُ به، فالتَّلفُّظِ بها يدخلك الإسلام، وبه تُحقَنُ الدماءُ، وتُصانُ الأعراضُ، وتُحفَظ الأموالُ[١]، ومَن قالها صَادِقًا من قَلبِه أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ[٢].

ومَن قالها صِدْقًا من قلبه حَرَّمَه اللهُ على النارِ[٣]، ومن شهد أن لا إله إلا الله مُستَيْقنًا بها قلبُه بُشِّر بالجنة[٤]، ومَن قال: لا إله إلا الله. ثم مات على ذلك، أدخله اللهُ الجنة، وإن زنى وإن سرق[٥]، وهي سبب النجاة من النار، كما في صحيح مسلم أن النبي

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» (١/ ١٤) رقم (٢٥)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله» (١/ ٥٣) رقم (٢٢/ ٣٦).

(٢) أخرجه من حديث رفاعة الجهني أحمد مسند المدنيين (٢٦/ ١٥٢)رقم (١٦٢١٥). وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٧): إسناد لا بأس به. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١): رجاله موثقون. وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ١٠٣): صحيح. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه. رواه البخاري(١/ ١٩٣) في «العلم» باب «الحرص على الحديث وفي الرقاق» باب «صفة الجنة والنار» (١١/ ٤١٨).

(٣) متفق عليه من حديث معاذ، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من خص بالعلم قوما ...» (١/ ٣٧) رقم (١٢٨)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه...» (١/ ٦١) رقم (٣٢/ ٥٣). رواه البخاري في «العلم» (١/ ٢٢٦) باب «من خص بالعلم قومًا دون قوم»، ورواه مسلم (١/ ٣٢) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا».

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ..» (١/ ٥٩) رقم (٣١/ ٥٢). رواه مسلم (١/ ٥٩-٦٠) ح (٣١) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة».

(٥) متفق عليه من حديث أبي ذر أخرجه البخاري كتاب «اللباس» باب «الثياب البيض» (٧/ ١٤٩) رقم (٥٨٢٧)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ...» (١/ ٩٥) =

ﷺ سمع مؤذنًا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال ﷺ: «**خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ**»(١).

وعن عُبادةَ بنِ الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**»(٢).

وحديث الشفاعة: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٣).

من فَضْلِها أنها سببٌ لدخول الجنة من أيِّ أبوابها الثمانية شاءَ، كما في الصحيحين عن عُبادة بنِ الصامتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ**

= رقم (٩٤/ ١٥٤). رواه البخاري (١٠/ ٢٨٢) في «اللباس»، ورواه مسلم (١/ ٩٥) ح (١٥٤) في «الإيمان» باب «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة».

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ...» (٤/ ٤٧) رقم (٢٩٤٣)، ومسلم كتاب «الصلاة» باب «الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان» (١/ ٢٨٨) رقم (٣٨٢/ ٩). رواه مسلم، ورمز له بالصحة الشيخ الألباني وهو في «الجامع الصغير» تحت رقم (٦٣١٩)، ورواه احمد والترمذي عن عبادة، انظر: «مختصر مسلم» (١١).

(٢) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ...» (١/ ٥٧) رقم (٢٩/ ٤٧). رواه مسلم(١/ ٢٨٨) ح (٣٨٢) في «الصلاة» باب «الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان» من حديث أنس.

(٣) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قول الله تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]» (٩/ ١٢١) رقم (٧٤١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزلة فيها» (١/ ١٨٢) رقم (١٩٣/ ٣٢٥) بلفظ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**». البخاري (٦٨٨٨). ورواه مسلم (١/ ٥٧ - ٥٨)، ح (٢٩) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من ما على التوحيد دخل الجنة».

....

إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». وفي رِوَايَةٍ: «أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»(١). وهي أفضلُ ما ذُكِر اللهُ به، وأثقلُ شيءٍ في الميزانِ يومَ القيامةِ.

ومن فضائلها كما في المسند عن عبدِ الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لابْنِهِ عندَ مَوْتِه: آمُرُكَ بِلا إِلهَ إلَّا اللهُ: فإنَّ السمواتِ السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(٢).

وحديث البطاقة في المسند، عن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتي عَلَى رُءُوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ، فيَنْشُرُ عليه تِسْعةً وتِسْعِينَ سِجلًا، كلُّ سِجلٍّ مثلُ مَدِّ البَصَرِ، ثم يقول: أَتُنْكِرُ مِن هذا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فيقول: لا يا رب. فيقال: أفلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟ قال: فبُهِتَ الرجُل، فيقول: لا يا ربِّ. فيقولُ: بلى إنَّ لك عندنا حسنةً

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء» باب «قوله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم» (٤ / ١٦٥) رقم (٣٤٣٥)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ...» (١ / ٥٧) رقم (٢٨/ ٤٦). رواه البخاري (٦/ ٤٧٤) في «الأنبياء» باب «قول الله ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، ورواه مسلم (١/ ٥٧) ح (٣٨).

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو أحمد في «مسند المكثرين من الصحابة» (١١/ ١٥٠) رقم (٦٥٨٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٠): رجال أحمد ثقات. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٥٩): سند صحيح. رواه أحمد في مسنده (٦٥٤٧) صحيح.

واحدةً، لا ظُلمَ عليكَ اليومَ. فيُخرجُ له بطاقةً فيها أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله، فيقول: أحْضِرُوا. فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلَّاتِ؟ فيقول: إنَّك لا تُظْلَمُ. قال: فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ، قال: فطَاشَتِ السِّجلَّاتُ وثَقُلَتِ البطاقةُ، قال: ولا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ اسم الله شيء»[1].

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، ولكن سَنَدَه صحيحٌ كما في تُحْفَةِ الأشرافِ.

(ونُخلِص) أي: نُفْرِد الحقَّ سُبۡحَانَهُۥ بالعملِ الخالصِ، ولا نَجْعَلُ لأحدٍ فيه سواه نَصِيبًا، أو هو تصفيةُ العملِ من ملاحظةِ الآخَرِينَ، وهو حقيقةُ الدِّينِ ورُوحُهُ، ومِفْتَاحُ دَعْوةِ الرُّسُلِ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

وعليه: فإنَّ الإخلاصَ هو التوجُّه بعملِ الجوارحِ والقلوبِ إلى اللهِ وَحْدَه دون سواه، ومتى وُجِدَ إحساسٌ بالغيرِ في العمل، فإن صاحبه في خَطَرٍ، فليُدْرِك نَفْسَه، فهو على نارٍ تَحْرِق العملَ.

---

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو الترمذي أبواب الإيمان باب «مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (٥/ ٢٤) رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه كتاب «الزُّهْدِ» باب «مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢/ ١٤٣٧) رقم (٤٣٠٠)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان (٢٢٥). والألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦١). سنده صحيح كما في «تحفة الأشراف»، وقد رواه الترمذي وحَسَّنه، والنسائي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

(التَّوْحِيـد) هو جَعْلُ الشيء وَاحِدًا هذا لُغةً. وشَـرْعًا: إفـرادُ الله بالرُّبُوبِيَّة والإلهيةِ والعظمةِ والجلالِ.

(والعِبادَة) بمَفْهُومِها الواسـع وتعريفها: اسـمٌ جامعٌ لـكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ.

والعبادةُ يقولُ ابنُ القَيِّم: رَحَى العُبوديَّةِ، تَدورُ على خَمْسَ عَشْرَةَ قاعدةً، مَن كَمَّلَها كَمَّلَ مَراتِبَ العُبوديَّةِ[١]، وبيانها: أن العُبوديَّة مُنقسِمةٌ على القلبِ، واللسانِ، والجوارحِ، وعلى كلٍّ منها عُبوديَّـةٌ تَخُصُّـه، والأحـكام التي للعُبودية خمسـةٌ: واجب، ومسـتحب، وحـرام، ومكـروه، ومباح، وهنَّ لـكلِّ واحدٍ من القلبِ واللسـان والجـوارح، ثلاثةٌ في خمْسَةٍ، لتصبح خَمْسَ عَشَرَة عبادةً.

❁❁❁

(١) «مدارج السالكين» الجزء الأول، (ص:١٠٩)، بتحقيق محمد حامد الفقي.

٦١- وَمُطْلَقُ النُّطْقِ بِهَا لَا يَنْفَعُ ... مَـنْ قَـالَهَـا إِلَّا بِـشَـرْطٍ تُسْمَعُ

وردت أحاديثُ كثيرةٌ تُبشِّر مَن نطَقَ بهذه الكلمة بلسانِه بالجنَّةِ، مثل حديث: «مَنْ قَالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ».

وحديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأن عِيسَى عبدُ الله ورسولُه، وكَلِمتُه ألقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، والجنةَ حقٌّ، والنارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على ما كانَ مِنَ العَمَلِ»[(١)].

وحديث: «مَا مِنْ عَبْدٍ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(٢)].

وحديث مُعاذٍ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ الله إلا حَرَّمَهُ اللهُ على النارِ»[(٣)].

ولمسلم عن عُبادة مرفوعًا: «وَمَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، حَرَّمَهُ اللهُ على النارِ»[(٤)]. وأمثال هذه الأحاديث كثيرة.

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء» باب «قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾» (٤/ ١٦٥) رقم (٣٤٣٥)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ...» (١/ ٥٧) رقم (٢٨/ ٤٦). رواه مسلم (ص: ٤٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبي ذر أخرجه البخاري كتاب «اللباس» باب «الثياب البيض» (٧/ ١٤٩) رقم (٥٨٢٧)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ...» (١/ ٩٥) رقم (٩٤/ ١٥٤). الحديث في الصحيحين بطوله، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري (١٠/ ٢٨٢) في «اللباس» باب «الثياب البيض»، ورواه مسلم (١/ ٩٥) ح (١٥٤) في «الإيمان» باب «من مات لا يشرك بالله شيئًا أدخله الله الجنة».

(٣) متفق عليه من حديث معاذ، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من خص بالعلم قوما ...» (١/ ٣٧) رقم (١٢٨)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه..» (١/ ٦١) رقم (٣٢/ ٥٣). رواه مسلم (ص: ٢٩).

(٤) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك =

إن هـذه الأحاديـث وأمثالَهـا مما فيهـا البِشـارةُ بالجَنَّةِ والبُعْـدُ عن النـارِ لـمَن نَطَقَ بالشـهادةِ باللسـان، ولما قد يحصل من سـوء فهم أو التباس في المُراد من هذه الأحاديث، فإننا نُبيِّنُ بقدر طاقتِنا المُرادَ منها ببيانِ النصوصِ الأخرى لها باختصارٍ.

إن هذه النصوص التي ذَكَرْنَاها يَدُل ظَاهِرُها على أن النُّطْقَ بها كافٍ لدخول الجنةِ، والحقيقـةُ أن هـذا الظاهـر مُبَيَّن ومفسر في أحاديثَ أخـرى أنه لا يكفي ذلـك؛ بل لا بُدَّ مـن شروطٍ تقال، وإليـك بَعْضًا من الأحاديث التي تُبيِّن ذلـك الظاهر الـمُوهِم، وتزيل الوَهْم، وتُبيِّن الـمُرادَ.

ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَشْهَدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ، وأنـي رسـولُ الله، لا يَلقَـى اللهَ بهما عبدٌ غَيْرَ شَـاكٍّ فيهمـا إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»**. وفي رواية: **«لَا يَلقَى اللهَ بِهِمَا عبدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فيهما فيُحْجَبُ عن الجَنَّةِ»**[١].

فأنـت ترى هذا القَيْد فيمن يَشْـهَدُ، فـلا بُدَّ أن يكون من المؤمنـين حَقًّا الذين ليس عندهـم شـكٌّ ولا ريـبٌ، وإلا فما أسـهل التلفظ بهـذه الكلمة على المجرمـين والمنافقين، وتلـك الأحاديث ليس الـمُرادُ منها عَدَّ ألفاظها وحفظهـا، فكم من عامِّيٍّ اجتمعت فيه شروطها من اليقين والصدق وغير ذلك، ولو قيل له: اعددها. لم يحسن ذلك، وكم ناطقٍ لها وحافظٍ لحروفها وتراه وَاقِعًا فيما يناقضها صباحَ مَسَاء[٢].

= فيـه...» (١/ ٥٧) رقم (٢٩/ ٤٧). رواه مسـلم (١/ ٥٧ - ٥٨) ح (٢٩) في «الإيمان، بالدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة».

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ...» (١/ ٥٥، ٥٦) رقم (٢٧/ ٤٤)، رقـم (٢٧/ ٤٥). رواه مسـلم (١/ ٥٥-٥٧) ح (٢٧) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا».

(٢) «تيسـير العزيـز الحميـد في شرح كتـاب التوحيـد»، تأليـف الشـيخ سـليمان بـن عبد الله بـن محمد بن =

والخلاصة: أن النُّطْق بها لا يَكْفِي، بل لا بُدَّ مع النُّطق استيقانُ شُروطِها التي ستأتي إن شاء الله. والحديث هذا يُبَيِّن أن النُّطق مع اليَقِينِ يُدْخِل الجَنَّةَ، وليس التلفظ بها فقط، وفي هذا الحديث الآتي يُبَيِّن أن يكون المتلفظ صادقًا، وليس مُجَرَّد نطق: «**وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ**»(١).

فأنت ترى أن الحديث اشْتَرَطَ أن يكون النَّاطِقُ بالشَّهادةِ صادِقًا من قلبِه، وإلا فلن يُحَرَّم على النار. وفي حديث عِتْبان اشترط أن يكون الناطق بالشهادة يَبْتَغِي بها وَجْهَ الله، أي الإخلاصَ لوَجْهِ الله، ونَصُّه في الصحيح: عن عِتْبان بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ. يَبْتَغِي بذلك وَجْهَ اللهِ**»(٢).

وحديث: «**مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إلا اللهُ قَطُّ. مُخْلِصًا، إلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ السَّمَاءِ**»(٣).

= عبد الوهاب (٨٧)، المكتب الإسلامي، وهو ما قرره شيخنا حافظ الحكمي في «معارج القبول».

(١) متفق عليه من حديث معاذ، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من خص بالعلم قوما...» (١/ ٣٧) رقم (١٢٨)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه...» (١/ ٦١) رقم (٣٢/ ٥٣). رواه البخاري في «العلم» (١/ ٢٢٦) باب «من خص بالعلم قوما دون قوم»، ورواه مسلم (١/ ٣٣) في «الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا».

(٢) متفق عليه من حديث عتبان بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الصلاة» باب «المساجد في البيوت» (١/ ٩٢) رقم (٤٢٥)، ومسلم كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» باب «الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر» (١/ ٤٢٥) رقم (٣٣/ ٢٦٣). البخاري (١١/ ٥١٨).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب الدعوات باب «دعاء أم سلمة» (٥/ ٥٧٥) رقم (٣٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب «أفضل الذكر وأفضل الدعاء» =

كذلك اشترط فيه الإخلاصَ، وإلا لا تفتح له أبوابُ السماءِ.

فاتضح لنا من هذه النصوص أنها تُبيِّن ما أُطْلِقَ هناك بما قُيِّدَتْ هنا، فحذارِ أن يُفْهَم أن النطق باللسان كافٍ في الشهادة، وأنه يُحَرِّم على النار، أو يُدْخِل الجنة دون الإتيان بشروطها.

قال الشيخُ سليمان بنُ عبدِ الله آل الشيخِ: وأحسن ما قيل في معنى حديث عِتْبان هو ما قاله شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وغيرُه: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها مُخْلِصًا من قلبِه، مُسْتيقنًا بها قلبُه غيرَ شاكٍّ فيها بصدقٍ ويقينٍ، فإن حقيقة التوحيد انجذابُ الرُّوح إلى الله جُمْلةً، فمَن شَهِد أن لا إلهَ إلا اللهُ خَالِصًا من قلبه دخَلَ الجنة؛ لأن الإخلاصَ هو انجذابُ القلب إلى الله تَعَالَىٰ بأن يتوب من الذنوب توبةً نَصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يَخْرُج من النار من قال: لا إلهَ إلا اللهُ. وكان في قلبِه من الخيرِ ما يزن شَعِيرةً، وما يزن خَرْدلةً، وما يزن ذَرَّةً، وتواترتْ بأن كثيرًا ممن يقول: لا إلهَ إلا اللهُ. يدخُلُ النارَ ثم يَخْرُجُ منها. وتواترتْ بأن اللهَ حَرَّم النارَ أن تأكُلَ أثَرَ السُّجودِ من ابنِ آدمَ، فهؤلاء كانوا يُصَلُّون ويَسْجُدونَ لله. وتواترت بأنه يَحْرُمُ على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ومَن يَشْهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ الله. لكن جاءتْ مُقَيَّدةً بالقيودِ الثِّقالِ.

وأكثرُ مَن يقولُها وهو لا يَعْرِفُ الإخلاصَ ولا اليقينَ، ومَن لا يَعْرِفْ ذلك يُخْشَ عليهِ أن يُفْتَن عنها عندَ الموتِ، فيُحال بينَه وبينها. وأكثرُ مَن يَقولُها تَقْلِيدًا وعادةً

= (٩/ ٣٠٧) رقم (١٠٦٠١). وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٢٤): حسن. الترمذي (٣٥٩٠). وحسنه النسائي والحاكم وقال على شرط مسلم. انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٩٥).

ولم يخالط الإيمانُ بشاشةَ قلبِه فغالبُ مَن يُفْتَن عندَ الموتِ وفي القبورِ من أمثالِ هؤلاءِ، كما في الحديثِ: «سَمِعْتُ الناسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فقُلتُهُ»[1]. إلى أن يقول، وحينئذ فلا منافاةَ بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاصٍ ويقينٍ تامٍّ، لم يكن في هذه الحال مُصِرًّا على ذنبٍ أصلًا، فإن كمال إخلاصِه ويقينه يُوجِب أن يكون اللهُ أحبَّ إليه من كلِّ شيء[2].

وكذلك لا تَنَاقُضَ بينَ النصوصِ التي فيها تَحْرِيم أهلِ هاتين الشهادتين على النارِ وبينَ النُّصوصِ التي فيها إخراجُهم منها بعدَ أن صاروا حُمَمًا لإمكان الجمعِ بأنَّ تَحْرِيمَ مَن يَدْخُلُها بذنبِه من أهلِ التوحيدِ بأنَّ تحريمَه عليها يكونُ بعدَ خُروجِه منها برحمة الله، ثم بشُفاعةِ الشافِعِينَ، ثم يغتسلون في نَهَرِ الحياةِ، ويَدْخُلُون الجَنَّةَ، فحينَئِذٍ قد حُرِّموا عليها؛ فلا تَمَسُّهم بعدَ ذلك، أو يكون المُرادُ أنهم يَحْرُمُونَ مُطْلَقًا على النارِ التي أُعِدَّت للكافرين، التي لا يَخْرُجُ منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقةَ العليا من النار التي يدخلها بعضُ عُصاةِ أهل التوحيدِ، ممن شاء اللهُ عِقابَهُ، ثم يَخْرُجونَ فلا يَبْقَى فيها أحدٌ...:

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس» (١/ ٢٨) رقم (٨٦)، ومسلم كتاب «الكسوف» باب «ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار» (٢/ ٦٢٤) رقم (٩٠٥/ ١١).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (٨٨).

٦٢- وَمَنْ يَرَى الدُّخُولَ لِلجِنَانِ ... بِلَفْظِهِ لَهَا مِنَ اللِّسَانِ

٦٣- فَذَاكَ قَدْ ضَلَّ بِلَا ارْتِيَابِ ... عَنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ وَالكِتَابِ

و ذلك كما تراهُ المُرْجِئة والأشاعرةُ، أنَّ مُجَرَّد النطق يكفي لدخول الجِنان، وقد خالفوا بهذا ما عليه أهل السُّنة والجماعة، ورأيهم بلا شكٍّ مخالفٌ لِـمَا يَدُلُّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

❁❁❁

٦٤- وَخالَفَ الإِجْمَاعَ فِي الحَقِيقَهْ ... فَافْهَمْ - هُدِيتَ - أَقْوَمَ الطَّرِيقَهْ

هذا عطف على ما تقدم، أن من يرى مجرد النطق بلا اله إلا الله كاف لدخول الجنة، فقد ضل الطريق، وأخطأ التحقيق بل لابد لمن نطق بهذه الشهادة، أن يكون عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، ظاهرا وباطنا، وان من نطق بها من غير ذلك فقد خالف الإجماع[1] في حقيقة الأمر ولم يفهمه، ثم الدعاء للمخالف والمخطئ الهداية والدلالة، لأحسن الطرق وهي ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالأمر بالعلم، ونطقه، وثنى بالعمل لمقتضى ذلك الأمر، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وقولنا: فافهم. أي فَهْم إدراكٍ. و(هُدِيتَ) جملةٌ دُعائيَّةٌ. (أَقْوَمَ الطَّرِيقَة): أحسنَها وأصوبَها. ومعنى افهم: افقه حقوقها الأولى مُطْلقًا كما تقدم عالـمًا بمعناها، عاملا بمقتضاها.

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص: ٧٢).

٦٥- حُقُوقُهَا الإِيمَـانَ بِـالإِطْلاقِ   وَلَيْسَ قَصْدَ الفِكْرِ فِي الآفَاقِ

وهو أن تشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له، وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله ﷺ، دون أي مقدمة، وما لها من شروط وأركان ومقتضيات.

(وَلَيْسَ قَصْدَ الفِكْرِ فِي الآفَاقِ) أي: ليس من أُولَى حُقوقِها الشكُّ والنَّظَرُ ثم تصحيحُ الشكِّ بالتَّفَكُّرِ والنظرِ (في الآفاقِ) جمع أُفُقٍ، ومنها السماء والأرض والكونُ جميعُه، بما في ذلك أقطارُ النفس الإنسانية، لتصل من هذه الاستعراضات الفكرية والجولات النظرية إلى حقيقةِ لا إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، بل أول ما يجب على الإنسان النطق بشهادة أن لا إله إلا الله والإيمانِ بها لا النَّظَرُ ولا القَصْدُ، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، وقد اتفق أئمةُ السلفِ على أن أول ما يُؤْمَر به العبدُ الشهادتان؛ لأنه بالشهادتين يَدْخُلُ في الإسلامِ، كما في حديثِ ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أوصى معاذا حين بعثه إلى اليمن بوصايا منها: «**إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1].

وهي أَفْضَلُ آخِرِ ما يُخْرَجُ به من الدنيا، كما قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إلهَ إلا اللهُ وجبت له الجنَّةَ**»[2].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «الزكاة» باب «أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا» (٢/ ١٢٨) رقم (١٤٩٦)، ومسلم كتاب باب «الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام» (١/ ٥١) رقم (١٩/ ٣٠). رواه البخاري (٣/ ٣٥٧) ح (١٣٨٩) باب «أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد على الفقراء حيث كانوا، وفي المغازي والمظالم والتوحيد». ورواه مسلم (١/ ٥٠ - ٥١) ح (١٩) في «الإيمان» باب «الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام».

(٢) أخرجه من حديث معاذ بن جبل أبي داود كتاب «الجنائز» باب «في التلقين» (٣/ ١٩٠) رقم (٣١١٦)، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ١٨٩): حديث صحيح، وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٦): حسن. «مسند الإمام أحمد» (٢١٥٢٩) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).

٦٦- أَرْكَانُهَا إِثْنَانِ يَا ذَا فَاعْلَمِ   النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ نَصًّا فَالْزَمِ

نعم أركانُها اثنان: النَّفْي والإثبات مُجْتَمِعَيْنِ؛ لأن النَّفْي المحض تعطيلٌ، والإثباتَ وَحْدَهُ تمثيلٌ، ولا ينفي ورود الاحتمال للغير. والمُراد بالنَّفْي نَفْيُ الإلهيَّة عمَّا سِوَى الله تَعَالَىٰ، وبالإثباتِ إثباتُ الإلهيَّةِ لله تَعَالَىٰ؛ لأنَّ الإلهَ الحقَّ هو اللهُ، وما عداه فباطلٌ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]؛ ولأن قولك: «لا إله». هذا إنكارٌ لكلِّ إلهٍ بحقٍّ وباطلٍ، فإذا قلتَ: «إلا الله». فهذا إثباتٌ للإلهِ الحقِّ. ولكن لو أفرد كل منهما، لكان الأول تعطيل، والثاني يحتمل وجود غيرِه معه.

وقولنا: (نَصًّا فَالزَم) النصّ قولُه تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فالزمْها واعمل بمُقْتضاهَا.

❁❁❁

٥- شروط تحقيق الشهادة:

٦٧- وَسَبْعَةٌ شُرُوطُهَا مَذْكُورَهْ   وَفِي الكِتَابِ قَدْ غَدَتْ مَشْهُورَهْ

أي أن شروط كلمةِ التوحيدِ سبعةٌ، قد ذكرها القُرآنُ، وقد اعتنى بها العلماءُ، فاستخرجوها من الكتاب، وجعلوها في مؤلفاتهم، فلم تَعُدْ تَخْفَى على أحدٍ لشُهْرتِها، إذ كتبوها نَظْمًا ونَثْرًا، في الكتب مسطورة، وفي الصدور محفوظة، وعلى الألسنة مشهورة، وهي:

❁❁❁

٦٨- (عِلمٌ) (يَقِينٌ) وَ(مَحَبَّةٌ) نُقِل (إِخْلاصُ)(صِدْقٍ)وَ(انْقِيادٌ)قَدْ(قُبِل)

وإليك بيانُها مع الأدِلَّةِ عليها من الكتاب والسُّنة:

فأولها (علم): وهو أن تَعْلَمَ معناها وما تَدُلُّ عليه من النَّفْيِ والإثبات، فليسَ هناك مِن إلهٍ يُطاعُ ويُعْبَدُ ويُؤَلَّه ويُرْجَى ويُخْشَى ويُحْيِي ويُمِيت ويُتَوَكَّل عليه إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ، القَدِيرُ المُستحِقُّ للعبادةِ بالحبِّ والتعظيم، وأن يعلم هذا عِلمَ يقينٍ وصِدْقٍ، وأن لا يَجْهلَ عِلمَها بحالٍ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي مَن شَهِد بلا إلهَ إلا اللهُ وهم يَعْلَمون ذلك، أي قُلوبُهم تَتَواطأ مع نُطْقِهم.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، بلا إلهَ إلا اللهُ ومقتضياتها.

وفي الصحيح: عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

فالعلم بمعناها نَفْيًا وإثباتًا من الضَّروريَّات للمسلمِ، فلا بُدَّ من معرفةِ ذلك بالقلبِ واللسانِ معرفةً تَتمثَّل في صحة العملِ والسلوك.

الشرط الثاني: (يقين)، هو من صِفَةِ العلمِ فوقَ المعرفةِ والدِّراية، وهو سُكون الفَهْم مع ثَباتِ الحُكْمِ. قاله الراغبُ في مُفرداتِه(٢). فاليقينُ المطلوبُ في أجلِّ مشهودٍ به هو أن تَعْلَم بحقيقةِ لا إلهَ إلا اللهُ عِلمًا لا يُخالِطُه شَكٌّ، ولا أدنى ريبٍ، بل عِلمًا يَتمحور

---

(١) أخرجه من حديث عثمان بن عفان مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه...» (١/ ٥٥) رقم (٢٦/ ٤٣). الحديث صحيح. انظر: «مختصر مسلم» (٩). وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٢/ ١١١٦).

(٢) ص: (٨٩٢).

في الأعماقِ، ويَخْتلِطُ باللحمِ والدمِ، عِلمًا يَصِلُ في يقينِه إلى درجةِ الـمُشاهَدَةِ كعِلمِكَ بأن الواحدَ نِصْفُ الاثنينِ، والكلَّ أكبرُ من الجزءِ، والنَّارَ شيءٌ مُحْرِقٌ.

بهـذا اليقين يَثْبُتُ الحكم، ويَتجَذَّرُ في الأعماقِ البعيدةِ والأطوارِ الغائرةِ في النفسِ الإنسـانيةِ بمدلولِ هـذه الكلمةِ ومُقتضياتِها ولازمها وملزومها، وذلـك أن الـمَغِيبات والإيـمانَ بهـا لا يُثمِـرُ إلا إذا كان الإيمانُ عن علـمٍ يَقينِيٍّ مجزومٍ به، يَنْفِي الشـكَّ، ويدعو للعملِ، قـال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فقوله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾. شَرْطٌ لصِـدْقِ ويَقـينِ إيمانِهم، وذلك أن التذبـذب والتَّردُّدَ والرَّيْبَ والشـكَّ من صِفَات المنافقين، قـال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وفي الصحيح: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّـي رَسُـولُ اللهِ، لا يَلقَـى اللهَ بِهِمَـا عَبْـدٌ غَـيْرَ شَـاكٍّ فِيهِمَـا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»**[١].

وحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»**[٢].

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه ...» (١/ ٥٥، ٥٦) رقـم (٢٧/ ٤٤)، رقم (٢٧/ ٤٥). رواه مسـلم (١/ ٥٥-٥٧) ح (٢٧) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا».

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسـلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شـاك فيه..» (١/ ٥٩) رقم (٣١/ ٥٢). رواه مسلم (١/ ٥٩-٦٠) ح (٣١) في «الإيمان» باب «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا».

ففي الحديث الأول اشترط لدخول الجنة أن يكون إيمانُه سالـمًا من الشكِّ، وفي الثاني أن يكون إيمانه على درجةٍ عاليةٍ من يقينِ القلبِ، وإذا تَحقَّقَ الشرطُ، وانتفى المانعُ، وُجِدَ الـمَشْروطُ، والله المستعانُ.

الشرط الثالث: (ومَحبَّة) والمحبة معناها: تقديمُ ما لله ورسولِه من حقوقٍ على كلِّ ذي حَقٍّ، وتقديمُ حُبِّ الله ورسولِه على حب الأنفس والأهل والولد والمال وجميع المنافع والمصالح تقديمًا لا هَوادةَ فيه، ولا تَرَدُّدَ فيه بأيِّ صورة من الصور.

ومعناها هنا: أن تُحِبَّ هذه الكلمةَ وما تَدُلُّ عليه من لوازمَ ومقتضياتٍ، ولمن يَقُومُ بها من أهلها، والبغض لكلِّ مَن يُضادُّها بقولٍ أو فعلٍ أو عملٍ أو اعتقادٍ بُغْضًا لا هَوادةَ فيه، ولو كان الآباء أو الأمهات أو الزوجات أو الأبناء أو البنات. والامتثالُ الكامل لِـمَا أمَرَ اللهُ به في حدودِ الاستطاعةِ، والانتهاءُ الكامل عَمَّا نَهى اللهُ عنه، وإلا فليستْ بمَحبَّةٍ صادقةٍ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الحديث: **«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الـمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[1].

---

(١) متفق عليه من أنس بن مالك أخرجه البخاري كتاب «الإِيمَان» باب «حَلَاوَةِ الإِيمَانِ» (١/ ١٢) رقم (١٦)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ» (١/ ٦٦) رقم (٤٣/ ٦٧). رواه البخاري (١/ ٧٢) ح (١٦) في «الإيمان» باب «من كره أن يعود إلى الكفر، وفي =

وقال رسـول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

والـمَحَبَّـةُ رَأْسُ العِبـادةِ، فمنها يَنْشَـأُ الرجاءُ، ومحبةُ الله - كـما تقدم - طاعةُ الله في امتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي، وتقديمُ ذلك في كلِّ حالٍ.

ومَحَبَّـةُ الرسـولِ تقتضي إتِّباعَه وطاعتَـه فيما أمر، واجتنابُ ما نَهَى عنه وزَجَرَ، وأن لا يعبد اللهُ إلا بما شَرَعَ.

الشرط الرابع: (إخلاص)، والإخلاصُ هو التوجُّهُ بالعمل إلى اللهِ وحدَه لا شريكَ لـه، سـواء اعتقادًا أو قولًا أو فعلًا أو عملًا، وأن لا ترى معـه فيه أحدًا، والإخلاصُ هو مِفْتاحُ دعوةِ الرسلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقـال تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. **والخالـصُ**: السالمُ مـن الشـوائبِ. وقوله تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وفي الصحيـح: عـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبـي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٢).

= الأدب» بـاب «الحب في الله» (١/ ٤٦٣) ورواه مسـلم (١/ ٦٦) ح (٦٨) في «الإيمان» باب «خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان..».

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حب الرسول ﷺ مـن الإيـمان» (١/ ١٢) رقم (١٥)، ومسـلم كتاب باب «وجوب محبة رسـول الله ﷺ أكثر من الأهـل والولـد»، ... (١/ ٦٧) رقـم (٤٤/ ٧٠). رواه البخـاري (١/ ٥٨) في «الإيـمان» باب «حب رسـول الله ﷺ من الإيمان»، ورواه مسـلم (١/ ١٧) في «الإيمان» باب «وجوب محبة رسول الله ﷺ».

(٢) أخرجـه من حديـث أبي هريرة البخاري كتـاب «العلم» باب «الحرص على الحديـث» (١/ ٣١) رقم =

وفي الصحيح: عن عِتْبانَ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إلهَ إلا اللهُ يَبْتَغِي بذلكَ وَجْهَ الله»**[١].

الشرط الخامس: (صِّدق)، والصدق هو مطابقةُ الحالِ للواقعِ، وهنا: مطابقةُ نُطْقِ اللسانِ لِـمَا في الجَنان من صِدْقٍ ينافي ما عداه من الشكِّ والكذب والنفاق. والصدق فيها اعتقادًا، ونطقًا، وعملًا مُوافِقًا لما تَدُلُّ عليه في كلِّ مجالات الحياةِ، والصِّدْقُ من أجلِّ المَقاماتِ قَدْرًا وأعظمِها خطَرًا، فقد يكونُ الصِّدْقُ في العقيدةِ والثباتُ عليها سَبَبًا لإزهاقِ الروح، وإزهاقها عند الصادق فيها الساكن حبها في سويداء قلبه لها يكون رَوْحًا واسترواحًا لنسيم الجنةِ وطعمها: **«إنِّي لأَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ»**[٢]. وقول الآخر وفي يده تَمَرَاتٌ قليلاتٌ، قوله: **«إنَّه لم يَكُن بَيْني وبَيْنَ الجَنَّةِ إلا هذه التَّمَرَاتُ، إنها لحياةٌ طويلةٌ»**، ثم رمى بها[٣]، وقَدَّمَ نَفْسَه صَادِقًا ومُصَدِّقًا بالوعدِ، وقول خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

= (٩٩). رواه البخاري (١/ ١٤٨ - ١٤٩) ح (١١٦) في «العلم» باب «القراءة على المحدث، وفي الإيمان» باب «الزكاة في الإسلام».

(١) متفق عليه من حديث عتبان بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الصلاة» باب «المساجد في البيوت» (١/ ٩٢) رقم (٤٢٥)، ومسلم كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» باب «الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر» (١/ ٤٢٥) رقم (٣٣/ ٢٦٣). رواه البخاري (١١/ ١٩٣) في «العلم» باب «الحرص على الحديث وفي الرقاق، باب «صفة الجنة والنار» (١١/ ٤١٨).

(٢) من كلام أنس بن النضر، متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «المغازي» باب «غزوة أحد» (٥/ ٩٥) رقم (٤٠٤٨)، ومسلم كتاب «الإمارة» باب «ثبوت الجنة للشهيد» (٣/ ١٥١٢) رقم (١٩٠٣/ ١٤٨).

(٣) من كلام الصحابي الجليل عمير بن الحمام الفدائي في غزوة بدر الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه من حديث أنس ابن مالك مسلم كتاب «الإمارة» باب «ثبوت الجنة للشهيد» (٣/ ١٥٠٩) رقم (١٩٠١/ ١٤٥).

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

إن هذه الشجاعةَ وذلك الإقدامَ بِنْتٌ وابنُ شَرْعِيَّانِ للصِّدْقِ، وأثران من أثر تَلاحُمِ الجوارحِ واللسان مع صدقِ النيةِ في الجَنَان.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

ومن السُّنة: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن مُحمدًا عَبْدُه ورسولُه صِدْقًا من قَلبِهِ إلا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ**»(١).

وحديث الأعرابي، وقصته: أنه سأل رسولَ الله ﷺ عن شرائعِ الإسلامِ، فأخبره بها، فقال: هَل عَلَيَّ غيرُها؟ قال: «**لا، إلا ان تَطَّوعَ**». قال: والله لا أَزِيدُ عليها ولا أَنْقُصُ مِنْهَا. فقال الرسول ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». وفي بعض الروايات: «**إِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ**». فعَلَّق دُخولَه الجَنَّة على الصِّدْقِ، وكذلك الفلاحُ: «**أفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث معاذ، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من خص بالعلم قوما...» (١/ ٣٧) رقم (١٢٨)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه...» (١/ ٦١) رقم (٣٢/ ٥٣). رواه البخاري (١/ ١٩٣) في «العلم» باب «الحرص على الحديث وفي الرقاق» باب «صفة الجنة والنار» (١١/ ٤١٨).

(٢) متفق عليه من حديث طلحة، أخرجه البخاري كتاب «الصوم» باب «وجوب صوم رمضان» (٣/ ٢٤) رقم (١٨٩١)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام» (١/ ٤٠) رقم (١١/ ٨). رواه البخاري (١/ ١٠٦) ح (٤٦) باب «الزكاة من الإسلام».

الشرط السادس: (انقيادُ)، والانقياد هو الخُضوعُ والاستسلامُ لما تَدُلُّ عليه هذه الكلمةُ من مَعانٍ عِظَامٍ انقيادًا يَرفُضُ الترك، ويُرَحِّبُ بالطاعةِ بمعطياتِ الأمرِ والخلق والشرع. والإنابةُ إلى الله تَعَالَىٰ والتسليمُ له، وعدم الترك أو الرفض لأيِّ مدلولٍ من مدلولاتها، سواء في المعتقداتِ أو الأعمالِ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

الشرط السابع: (القَبُول) وهو قولنا (قد قبل) لهذه الكلمةِ ولِـمَا تَدُلُّ عليه، قَبُولًا ورِضًا يَتواطَآنِ مع القلبِ في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ، واليُسْرِ والعُسْرِ، والحل والسفر، قبول مَن يَفْتَخِر بنسبتِه إليه والاعتزاز بتَحمُّلِه وتَقَبُّلِه عن طَواعِيَةِ نَفْسٍ ورضى وقبول هَوًى، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وجه الاستدلالِ أن الرسول والمؤمنين آمَنوا بما أنزل اللهُ، وقَبِلوا ما جاء به، ومن ضِمْن ذلك هذه الكلمةُ العظيمةُ التي هي دستورُ حياةٍ، ومَشْروعٌ متكاملٌ لِـمَا يُصْلِحُ الدنيا والآخرةَ، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، وقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكلمةُ الإخلاص قلبُ الإيمان.

وفي الصحيح: عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكثيرِ، أصابَ أرضًا فكانَ منها نقيةٌ**

قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أَجادبُ أَمْسَكَتِ الماءَ، فنَفَعَ اللهُ بها الناسَ، فشَرِبوا منها وسَقُوا ورَعَوْا، وأصابَ منها طَائِفَةً أُخْرَى إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلًا، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ الله، ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلك رأسًا ولم يَقْبَل هُدَى الله الذي أُرْسِلتُ به»[(١)].

٦- مُقتضياتُ الشهادة العملية:

مقتضيات هذه الشهادة العملية أن تكون حركةُ الإنسان في الحياة وعقلُه وذكاؤُه وبيانه وحفظه يكونُ كلُّ ذلك على وَفْقِ ما في كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِه ﷺ، سواء المتكلم عاديًا أو مُتَعَلِّمًا، وسواءٌ كان المتعلم شاعرًا أو أديبًا أو فَقِيهًا أو لُغويًّا أو قَاضِيًا أو مُفَسِّرًا أو مُوحِّدًا أو حَاكِمًا أو محكومًا، يجب على هذا المسلم أن يكون مُؤتمِرًا بأمرِ الله ومُنتهيًا عن نواهيهِ، في كلِّ ما يقولُ أو يَكْتُبُ أو يفعل أو يعمل، وأن يكون نَظَره وفِكْره وسلوكه نابعًا من مَعِينِ الكتابِ والسُّنة، وأن تُجَنَّد مواهبُ المسلمِ لخدمة الإسلام؛ لأن مقتضى هذه الكلمة هي أول واجب وآخر واجبٍ، وأول مأُمور وآخر مسئول عنه، إنها كلمة الإخلاص، والعُروة الوثقى.

وتُعْتبر كلمة الإخلاص ومقتضياتها شاملةً لحركة القلبِ واللسان والجوارحِ دُنيا ودِينًا، فلينظر ما يَعتقِدُه المسلمُ أو يَنْطِقُه أو يَسْمَعُه، فإنَّ ذلك كلَّه من الدينِ المسئولِ عنه عقيدةً وشريعةً.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ» (١/ ٢٧) رقم (٧٩)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ» (٤/ ١٧٨٧) رقم (٢٢٨٢/ ١٥). رواه البخاري مع «الفتح» (١/ ١٧٤) ح (٧٩) باب «فضل من علم وعلَّم ومسلم» (٢٢٨٢).

الثالث- توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ:

٦٩- اللهُ وَاحِـدٌ وَجَـلَّ عَـنْ وَلَـدْ وَعَـنْ نَـظِـيرٍ أَوْ كُـفِـيٍّ مِـنْ أَحَـدْ

٧٠- مُـنَـزَّهٌ عَـنْ شَـبَـهٍ أَوْ نِـدِّ أَوْ زَوْجَـةٍ أَوْ نَـاصِـرٍ أَوْ ضِـدِّ

(الله) هو الاسم الأعظم، وهو عَلَم على الذات الإلهيَّة، ومعناه: ذو الإلهيَّةِ الحقَّةِ على عِبادِهِ أجمعينَ، وهذا الاسمُ - كما تَقَدَّمَ شَرْحُه - جامعٌ لمعاني الأسماءِ الحُسْنَى كلها تَضَمُّنًا، ولذلك فجميعُ الأسماءِ تَتْبَعُه ولا يَتْبَعُها، إلا في آيةِ سورة إبراهيمَ،كما في قوله تَعَالَى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢].

الشاهدُ من الآيةِ: أن لفظ الجلالة «الله» جاء تَابِعًا لما قبله في هذه الآيةِ على قراءة الجمهور، أما في بَقيَّةِ الآياتِ فلم يكن إلا في الصدر لما لهذا الاسم من هيبة وجلال، وغيرُه تابعٌ له. مثل قوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ويقال: من أسماءِ الله الرحمنُ الرحيمُ، والقُدوس، والسلامُ... الخ، ولا يقال العكسُ: اللهُ من أسماءِ الرَّحْمَنِ. فمن قام بحقِّ هذا الاسمِ عِلمًا وعَمَلًا وتَعبُّدًا أغناه اللهُ به عَمَّن سواهُ، وأصبحَ كما يقولُ الشاعرُ:

غَنِيتُ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِم وَإِنَّ الغِنَى العَالِيَ عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

وذلك حينما نَتَمَثَّلُ مَشهَدَ الإلهيَّةِ والعُبوديَّة فيما يَدُل عليه هذا الاسم نُصْبِحُ حقًّا مُسْتَغْنِينَ به عَمَّن سواهُ، فيكفي المحبة له، والشوق إليه، والتنافس فيما يقرب من جَنابه،

والأنس الحقيقي بمناجاته، والهُتاف في كلِّ حالٍ بهذا الاسمِ العظيم؛ لأنه مُتَضَمِّنٌ لجميعِ معانِي الأسماءِ الحُسْنَى، وكفى بها حُسْنًا وكمالًا، وجلالًا وجمالًا، وقُدرة وحِكْمة، وغناءً، فاللَّهم ارزقنا حفظ هذا الاسم، وفَهْم معناه، ومعرفة عُبوديته، والعمل بمدلوله، فإنك وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

(وَاحِد) لا شريكَ له في رُبوبيته، فالتفرد بالخلق والإبداع والسنن الكونية واضحةٌ في جميع أكوانه، وصفة الخلق في جميع أكوانه، فالناظر إلى أيِّ مخلوق من مخلوقات الله إنسانها وحيوانها ونباتها، ومختلف أصناف مخلوقات الله يجد صُورةَ التفرد بالخلق وطَابَع الوَحْدة في الخلق، كلُّ جنس له طَابَعُه وخواصُّه وقوانينه وسِماتُه، كلُّها تشهد أن الذي خلقها واحدٌ، بدليل اتحاد المخلوقات في كمال خلقها وتمام صورها وإعطائها وسائل بقائها في معاشها وآخرتها، وربطها جميعًا برباط الوَحْدة فيها، وأنه ليس معه في هذا الخلق مُشارِكٌ، بل واحد أَحَدٌ في وَحْدانيته.

وقد وَرَدَ اسمُه الواحدُ في اثنتين وعشرين آيةً في كتابِ الله تَعَالَى. وواحدٌ في (إلهيَّته) فهو المستحق للعبادة دون سواه. بما له من أسمائه، وصفاته وأفعاله، فليس معه من يَتَصَرَّف في كونه من بَدْئِه إلى نهايتِه بأدنى تَصرُّفٍ، ولو بمِثْقالِ ذَرَّةٍ أو أَقَلَّ من ذلك، فالوجود عُلويُّه وسُفْليُّه، وجميعُ ما فيه مُدَبَّر مُسَخَّر بأمرِ الواحدِ الأحدِ المُتفرِّد بالخلقِ والأمرِ، والعلمِ، والحُكْم، والقُدْرة، والمَشيئةِ.

والواحد في اللغةِ قال الزجاج: «الواحدُ في أصلِ وَضْعِ اللُّغة إنما هو الشيءُ الذي ليسَ لاثنينِ، ولا أكثرَ منهما»(١).

(١) انظر: «تفسير الزجاج للأسماء الحسنى» (ص: ٥٧ - ٥٨).

....

والفرق بين الواحد والأحد: أن الواحد يُفِيدُ وحدة الذاتَ فقط، والأحد يفيد الذات والمعنى. وقال أبو حَاتِمٍ: (أَحَدٌ) أكمل من الواحدِ، ألا تَرَى أنكَ إذا قلتَ: فلانٌ لا يقومُ له واحدٌ. جاز في المعنى أن يَقوم له اثنانِ فأكثرُ، بخلافِ قولكَ: لا يقوم له أَحَدٌ؛ فإنَّه لا يُتصَوَّرُ غيرُ ما ذُكِرَ.

وفي (الأحد) خُصوصِيَّةٌ، مثل: ليسَ في الدار واحدٌ؛ فيَجوزُ أن يكونَ من الدوابِّ وغيرِها من الوحوشِ والناس، بخلاف قولك: ليسَ في الدارِ أحدٌ. فإنه الخُصوصُ بالآدَمِيِّينَ دونَ غيرِهم.

وكذلك (الأَحَدُ) ممتنعٌ دُخولُه في العددِ والضَّرْبِ والقِسْمةِ، وفي أيِّ شيءٍ من الحِسَابِ بخِلافِ الواحدِ.

(والواحد) دالٌّ على تَفرُّده بصِفَاتِ الرُّبُوبِيَّة والإلهية والعظمةِ والجلالِ، فليس له مَثِيلٌ قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهو (الواحد) المُطْلَقُ أَزَلًا وأَبَدًا، المُتفرِّدُ بالوجودِ إيجادًا وعَدَمًا، وتَصرُّفًا وإمدادًا، لا يُشاركه فيه سواه.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوَاحِدُ هو الذي تَوَحَّدَ بجَميعِ الكمالاتِ، بحَيْثُ لا يشاركُه فيها مُشاركٌ»(١).

وقولُنا: (وَجَلَّ عَنْ وَلَد) أي: تَنَزَّهَ وتَقَدَّس عن أن يكون له ولدٌ؛ لكمال غناه في ذاته وجل في صفاته وأفعاله، وهو إشارة إلى قوله تَعَالَى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسر كلام المنان»، للعلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٧-١٣٧٦هـ)، (٥/ ٢٩٨-٢٩٩).

﴿مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤].

وقولنا: (وَعَنْ نَظِير) النَّظِيرِ والمَثِيلُ والشَّبِيهُ ألفاظٌ متقاربةٌ، والله تَقدَّس في علاه، وكَمُل في ذاته وصفاته أن يكون له مُساوٍ أو مثيلٌ أو شَبِيهٌ؛ لكماله سُبْحَانَهُ الذاتيِّ عما سواه.

وبين هذه الألفاظ المتقاربة فروق، ذكرها بعضُ العلماء، فقالوا: النظير: المُساوي والمِثْل، وفلان مُنْقَطِعُ النظير، أي: مُنْفرد في بَابِه. والمثيل: الشبيهُ والنظير.

والخُلاصَةُ: أن النَّظِيرَ والمُساوِيَ والمثيلَ بمعنًى واحدٍ، وكلُّها تعني المُساواةَ من كلِّ وَجْهٍ، والمماثلةَ من كلِّ وَجْهٍ. أما الشبيهُ فيَعْنِي الاتفاقَ في كثيرٍ من الصِّفَات، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

والمُراد بالنَّفْي في الآياتِ نَفْيُ المعايب والنقائصِ كالندِّ والضدِّ، والنظيرِ، والمساوي. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [البقرة: ٦٥] أي: نظيرًا، فاللهُ جَلَّ وَعَلَا مُنَزَّه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ؛ لكمالِه من كلِّ وَجْهٍ في الذاتِ والصِّفَات والأفعالِ.

وقولنا: (وَعَنْ كَفِيٍّ مِنْ أَحَد) أي: الواحدُ الأَحَدُ، جَلَّ عن المُكافِئِ، وتَقَدَّسَ عن النظيرِ وتَنَزَّهَ عن المُشارِكِ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

(ومن) هنا مُؤَكِّدة لزيادةِ معنَى النَّفْي، (وَأَحَد) نكرةٌ في سياقِ النَّفْي، فتكونُ عامَّةً لنفيِ أيِّ مكافئٍ أو مُشاركٍ من أيِّ أحد كان. هكذا تكون مُطْلَقةً لتُشِيعَ هذا المَعْنَى في إفرادِ صُورِ المُكافأة ونفيها عن الله.

وأبلغ من تعبيري هذا التعبيرُ القرآنيُّ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وقولُنا: (مُنَزَّه عن شَبَهٍ أَوْ نِدٍّ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ نَاصِرٍ أَوْ ضِدٍّ)

أي: تَقَدَّسَ وَعَلَا عن (شَبَهٍ)، أي عن مُشَابِهٍ في الصِّفَات، (أو نِدٍّ) والنِّدُّ هو النَّظِيرُ والـمُساوِي، وعن (الزَّوْجَةِ) لغناه الذاتيِّ، وفَقْرِ غيره الذاتيِّ إليه. (والضِّد) الـمُخالف والمنافي والمثلُ والنَّظِيرُ والكفءُ، وجمع الضِّدِّ: أضدادٌ، والله مُنَزَّهٌ عن كلِّ ما فيه عيبٌ أو نقصٌ، وكلُّ ما عداه ففيه من النقص ما فيه، والكمالُ للهِ وَحْدَه تَعَالَىٰ.

ومعنى البيتين: أن اللهَ كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، ومُنَزَّهٌ عن كلِّ ما لا يليق به من المعائب والنقائص والصِّفَات التي لا تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁❁❁

٧١- الأَوَّلُ الحَـقُّ بِـلا ابْـتِـدَاءِ وَالآخِـرُ البَـاقِـي بِـلا انْـتِـهَـاءِ

(الأَوَّلُ) هذا اسمٌ من أسماءِ الله الحُسْنَى، ومعناه: الذي ليسَ قبلَه شيءٌ أَزَلًا، و(الحقُّ) هنا نعتٌ أو صفةٌ للأولِ، ومعناه: الحقُّ الموجودُ الثابتُ قبلَ كلِّ شيءٍ حَقًّا وحقيقةً بذاتِه، ومنه يؤخذ كل شيءٍ حقيقته. وقد وَرَدَ أنه اسمٌ من أسماءِ الله الحُسْنَى، ويَدُلُّ على أن ما صَدَرَ منه حقٌّ، وهو أصلُ كُلِّ حقٍّ في العبادات والمعاملات، ونقيضُ الحقِّ الباطلُ، وقد ذَكَرَه اللهُ مُطْلَقًا في القُرْآنِ مائتين وسَبْعًا وعِشْرين مرةً، ووَرَدَ عَشْرَ مَرَّاتٍ مُرادًا به اسمُ الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، إلى غير ذلك من الآياتِ الدَّالَّةِ على أنَّ (الحقَّ) اسمٌ من أسماءِ الله الحسنى.

وهو حقٌّ في ذاتِه وصِفاتِه، وهو واجبُ الوُجودِ، ووجودُه من كمالِ لوازم ذاتِه العَلِيَّة، ولا وُجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلا به سُبْحَانَهُ، فهو الذي لم يَزَل ولا يَزَالُ بالجلالِ والكمالِ مَوْصوفًا، وبالجمالِ والإحسانِ مَعْروفًا، فقولُه حَقٌّ، وفِعْلُه حَقٌّ، ولقاؤُه حَقٌّ، ورُسُلُه حقٌّ، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وَحْدَه لا شريكَ له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ صَحَّ نسبتُه إليه فهو حقٌّ، قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

هذا واسْمُه (الأَوَّل) هو نقيضُ الآخِرِ، والمُتَرَتِّب عليه غيرُه، ويَدُلُّ على أَوَّلِيَّتِه، وأن كلَّ شيءٍ سواهُ حادثٌ كائنٌ، بعدَ أن لم يكنْ كانَ، وأنه صاحبُ الفضلِ في كلِّ نِعْمةٍ دينيةٍ ودُنيويةٍ، فقد بدأ المخلوقاتِ بكلِّ خيرٍ وفضلٍ، وأَغْدَقَ عليهم نِعَمَهُ الظاهرةَ والباطنةَ بِدايةً واستمرارًا ونهايةً.

وقد جاء هذا الاسـمُ الكريمُ في سورةِ الحديدِ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: ٣].

وقد فَسَّرها رسولُ الله ﷺ، حيث قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبعِ ورَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَـرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَـيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى ومُنْزِلَ التَّوراةِ والإِنْجِيلِ والفُرْقانِ، أعوذُ بِكَ مِن شَـرِّ كلِّ شـيءٍ أنت آخِذٌ بنَاصِيَتِه، اللَّهُمَّ أنت الأَوَّلُ فليسَ قبلك شـيءٌ، وأنت الآخِرُ فليسَ بعدَك شـيءٌ، وأنت الظاهرُ فليسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِني مِنَ الفَقْرِ**»(١).

وفي هذا التفسير النبويِّ العظيمِ نَلحَظُ وُضوحَ المعنى، ونَفْيَ ما يضادُّه، فدَلَّت هذه الأسماءُ على الكمالِ الـمُطْلَقِ، كما دَلَّت على الإحاطةِ الزمانية، كما في الأَوَّل والآخر، وعلى الإحاطة المكانية، كما في الظاهر، والباطن. كما تَدُلُّ على أَزَلِيَّتِه وأَبَدِيَّتِه، كما في اسْمَيْهِ الأَوَّل والآخِـر، كما أن اسـميه الظاهـر والباطن يَدُلَّانِ على كـمالِ قُرْبِه، وكمالِ عُلُـوِّه، ولا تَنَافِيَ بـينَ الظاهـرِ والباطنِ، ولا بينَ عُلُـوِّه وقُرْبِـه؛ لأن الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقولُنـا: (بِـلا ابْتِـدَاءِ) لا أَوَّلَ لبدايتِـه، ولا نهايـةَ لآخِرِيَّتِه، (والآخـر) الذي ليسَ بعـده شيءٌ. وقـال الخَطَّابيُّ: هو الباقي بعدَ فناءِ الخلقِ. وقـال البَيْهَقِيُّ: (الآخِرُ) هو الذي لا انتهـاءَ لوُجـودِه، والباقي صِفـةٌ للآخِرِ، والآخِرُ هـو خـلافُ الأَوَّل، (والباقي) يعني لـه صفة البقاء بعـدَ كلِّ شيءٍ مُطْلَقًـا، وغَيْرُ فانٍ مُطْلَقًـا ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي: صفة البقاء له على الدوام، والآخِرُ هو خلافُ الأَوَّلِ، وهو اسمٌ مِن أسماءِ

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «ما يقول عند النوم وأخذ المضجع» (٤/ ٢٠٨٤) رقم (٢٧١٣/ ٦١). رواه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء» رقم (٢٧١٣).

الله الحُسْنَى، ويَـدُلُّ على أنه هو الغايةُ، وأنه هو المَرْجِـعُ للمخلوقاتِ في قَضاءِ حَوائِجِهم الخاصَّة والعامَّة، وأنه هو المقصود لعبادتها ولرغبتها ورهبتها ولجميع مطالبها.

وقد فَسَّره رسولُ الله ﷺ كما تقدم.

وقال الزَّجَّاج[1]: «في اللغة: الآخِرُ هو المُتأخِّرُ عن الأشياءِ كُلِّها، ويَبْقَى بعدَها، و(الباقي) ليس من أسماء الله الحسنى بل من صفاته الذاتية الباقية بعدَ كلِّ شيءٍ، وهو باقٍ وغيرُه فانٍ. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] هذا من باب الصفة ولا يشتق من الصفة اسم، وإنما يشتق من كل اسم صفة لان باب الصفة والخبر أوسع من باب الأسماء، وقد أورد بعض العلماء على أن الباقي (اسم من أسماء الله الحسنى كالزجاج، والغزالي، والبيهقي وابن منده) ولكن الصحيح ما ذكره المحققون من أنه ليس باسم لله وإنما هو صفة من صفاته الذاتية نثبتها له على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ.

وقولنا: (بلا انْتِهَاءِ) يعني ان صفة البقاء له ليست لها نهاية، وهو الوارثُ الذي ليسَ بعدَه شيءٌ.

وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي**»[2].

❁❁❁

---

(١) «تفسير الأسماء الحسنى» (ص: ٦٠) للزجاج.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب الدعوات (٥/ ٥٨٣) عقب رقم (٣٦٠٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ٢٤٣): صحيح. أخرجه الترمذي في صحيحه (٢/ ١٨٨)، وأخرجه الحاكم وصححه (١/ ٥٢٣).

٧٢- حَيٌّ وَقَيُّومٌ وَلَا يَنَامُ قَدْ عَزَّ أَنْ تُشْبِهَهُ الأَنَامُ

(حَيٌّ): والحي اسمٌ من أسماءِ الله الحُسْنى، له الحياةُ الكاملةُ، ومن لازم الحياةِ بقِيَّةُ الصِّفَاتِ التي لا تكونُ إلا بها، كالقُدْرةِ والإرادةِ، ويُشْتَقُّ من هذا الاسمِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ مُلازِمَةٌ لله لا تَنْفَكُّ عنه سُبْحَانَهُ، ومن آثار هذه الصفة والاسمِ إعطاءُ كلِّ نوعٍ من أنواعِ الأحياء حياتَهم ومُقوِّمات حَياتِهم إيجادًا وإعدادًا وإِمْدادًا وتَرْبِيَةً، وإعطاءُ كلِّ ذَرَّة حياتَها ووُجودَها ومقوماتِ بَقائِها، هو ما يَتَضَمَّنُه اسمُه الحيُّ، وحياته خَاصَّة به سُبْحَانَهُ، ولا تُشْبِهُ حياةَ غَيْرِه، فكلُّ أنواعِ الأحياءِ وحياتهم هي على ما يَليقُ بهم من محْدوديةٍ وضَعْفٍ وفناءٍ وفَقْرٍ. أما حياة الله فهي لائقةٌ به، لها من الكمال ذُروتُه في الذاتِ والصِّفَات والأفعالِ والأقوالِ على حَدِّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا الاسمُ - كما تَقَدَّمَ - أصلٌ للصِّفَات الذاتية، كالقدرة والعلم، والعِزَّة والإرادة، وغيرها.

(وقَيُّومٌ): والقيوم اسمٌ من أسماءِ الله، وهو معطوف على اسمه الحَيِّ. وقد وَرَدَ اقترانُهما في الدعاءِ، مثل: يا حَيُّ، يا قَيُّومُ، وهو أصل للصِّفَات الفعليَّةِ، ومعناه: القائم بنَفْسِه، المُقِيمُ لغيرِه، فهو مُسْتَغْنٍ عن غَيْرِه، وغَيْرُه مُحتاجٌ إليه، قائمٌ به، إذ هو الذي أَوْجَدَه من العَدَمِ، وأَمَدَّه بما يحتاج من مُقوِّمات البقاءِ، وأَعَدَّه بما لا غِنَى له عنه من بقاءٍ وصلاحٍ، وهو الغنيُّ عنها بكلِّ حالٍ، وجميعُ المخلوقات والكائنات هي المحتاجةُ إليه بكلِّ حالٍ، ومفتقرةٌ إليه في كلِّ شيءٍ، وقد جمعتُ بين هذين الاسمين لوجودِ هذا الجمع في النَّظْمِ القرآنيِّ، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والحَيُّ والقَيُّومُ اسمانِ يَجْمعانِ الصِّفَات والكمالَ والعظمةَ والجلالَ؛ إذ حياةُ ما في السموات والأرض وما بينهما مُسْتَمَدَّةٌ من اسمِه تَعَالَىٰ (الحيّ)، وقِيَامُ أمر السموات والأرض وما بينهما من إيجادٍ وإمدادٍ وإعدادٍ هو من آثارِ اسمه تَعَالَىٰ (القَيُّوم). هو القائمُ

على كلِّ شيءٍ، ولا قيام لشيءٍ بدونِ أمْرِه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

وهو القائم على كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ، ومن دعائه ﷺ في صلاة الليلِ: «**اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ، أنت ربُّ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت قَيِّمُ السمواتِ والأرضِ ومَن فِيهِنَّ، ولك الحمدُ أنت نُورُ السمواتِ والأرضِ...**» إلخ(١).

وفي الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ فقالَ: «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينْبَغِي له أن ينامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عَمَلُ الليلِ قبلَ عَمَلِ النهارِ، وعَمَلُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجابُهُ النُّورُ - أو النَّارُ - لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إليه بَصَرُه مِنْ خَلقِهِ**»(٢).

(قَدْ عَزَّ) من العِزَّةِ، وهي حالةٌ مانعةٌ للإنسانِ من أن يُغْلَبَ، من قولهم: أرضٌ عَزازٌ. أي: صُلبَة(٣)، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، ومنه العزيزُ، وهو الذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَر، ولا يُوجَدُ من يُشْبِهه في الصِّفَات من الأنام، وهم الخلق، وذلك لكمالِ الخالقِ ونقصِ المخلوقِ، وقد نفَى اللهُ ذلك عنه بقولِه تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «الجمعة» باب «التهجد بالليل» (٢/ ٤٨) رقم (١١٢٠)، ومسلم كتاب «صلاة المسافرين» باب «الدعاء في صلاة الليل وقيامه» (١/ ٥٣٢) رقم (٧٦٩/ ١٩٩). رواه البخاري (٣/ ٣) في «التهجد»، ومسلم (١/ ٥٣٢-٥٣٣) في «صلاة المسافرين».

(٢) أخرجه من حديث أبي موسى مسلم كتاب «الإيمان» باب «في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «إن الله لا ينام» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩). رواه مسلم (١/ ١٦١-١٦٢) ح (١٧٩)، في «الإيمان» باب قوله: «إن الله لا ينام».

(٣) «مفردات الراغب» مادة «عزّ» (ص٥٦٢).

٧٣- وَهُوَ الإِلَـهُ المُنْعِمُ الكَرِيمُ   لا سِـنَـةٌ تَـأْخُـذُهُ أَوْ نَـوْمُ

(وهو الإله) قال ابن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإلهُ هو الـمَألوهُ، أي: الـمُسْتَحِقُّ للعبادةِ، ولا يَسْتَحِقُّ أنْ يُؤَلَّـهَ أو يُعْبَـدَ إلا اللهُ وَحْدَهُ، وكلُّ مَعْبودٍ سـواهُ من لَدُنْ عَرْشِـه إلى قرارِ أرضِه باطلٌ، فهو الإلهُ الحقُّ لا إِلَهَ غَيْرُه».

فـإذا عبده الإنسـان فقد وَحَّده ولم يَجْعَل معه إِلهًـا آخَرَ، ولا اتَّخَذَ إلهًا غيرَه، وقد نهى القُـرْآنُ الكريمُ أن يُتَّخَذَ معه إلهٌ آخـرُ، أو يُدَّعَى معه إلهٌ آخرُ، قال تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] وقولـه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وكلُّ مـن جعـل لنَفْسـه سُـلطانًا غَيْبِيًّا يقدم طاعتَه عـلى طاعةِ الله في الأمـرِ والنَّهْي والسـلب والإيجاب فقد اتَّخذه إلهًا من دون الله تَعَالَى، ولكنه باطل باطل، وما أكثرَ الآلهةَ الباطلـةَ المنتـشرةَ في عَـرْضٍ وطولِ البَسـيطةِ، وبـينَ كلِّ الأممِ والشُّعوبِ وتختلفُ تلك الآلهات كثرةً وقلةً ونوعًا وجِنْسًـا، وقد وَرَدَ هذا الاسـمُ في القُـرْآنِ الكريم كثيرًا، كقوله تَعَالَى: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩].

ولهذا كان القول الصحيح من أقوال أهل اللغة أن لفظ الله أصله الإلهُ، و أن اسـم الله كما تَقَدَّمَ يَتضَمَّنُ جميعَ أسـماءِ الله الحسـنى والصِّفَات العُلا، وأن مَن دَعَا بلفظِ الجلالةِ (الله) فكأنما دَعَا بجميعِ أسمائِه الحُسْنَى، لتَضَمُّنِ ذلك الاسمِ لها.

(المنْعِم): نعتٌ للإلهِ، والمعنى: أن لا إله إلا هو الـمُنْعِمُ على خَلقِه بجلائل النِّعم، فـما من أحدٍ من خَلقـه إلا وعليه حُلَلٌ من النِّعَمِ وتاجاتٌ مـن أصناف الكَرمِ، ومن أُولَى النِّعم نِعْمةُ الإسلامِ ونِعْمةُ إرسالِ الرسل، وإنزال الكتب، والنِّعم على جميع خَلقِه إمدادًا

وإعدادًا، ولا يُحْصِيهـا أحدٌ إلا اللهُ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والنِّعَم عامَّةٌ على جميعِ خَلقِه وخَاصَّتِه وأوليائِه من المُؤْمِنِينَ والمؤمنات، وهذه النِّعَم صغيرُها وكبيرُها يَحتاجُ لبقائِها دوامُ الشُّكر للمُنْعِم؛ لأنه بمَثابةِ التَّقْيِيدِ للنِّعْمةِ وبَقَائِهَا.

والمُنْعِـم: هو المنعم على عباده بكثرةِ الإنعـامِ بجميعِ صُنوفِها، وما أكْثَرَها، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومُتعَلِّـق الإنعـام جميـع المنْعَمِ عليهم، وخاصَّة الإنسـان، فقد سُـخِّر لـه كلُّ شيءٍ، والـمُنْعِـم صاحبُ الإحسـانِ الذي لا يُحْـصَى والنفحات التي لا تُسْـتَقْصَى، والإنعام في الدنيـا بتوفير وسـائل الراحـة والأمن والغذاء والهـواء والصِّحة في الأجسـام، والصِّحة في العقـولِ والرُّؤى، وفي أي مـكان حَلَّ أو ارتحل، وبجميع أصنـاف التفضل، والإنعامُ وفنونهـا وأصنافُها كثيرةٌ، وأهمُّها الإسـلامُ والهدايـةُ إليه، والبقاء عليـه، وإنزال الكتب، وإرسـال الرسـل، والأمـن في الأوطـان، والصحة في الأبدان، والسـلامة مـن الآفات، والأمن من المرهوب، والظَّفَر بالمرغوب.

والخلاصـةُ: أنَّ أصنـاف النِّعم كثـيرةٌ، ولا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ويَحْتـاجُ بَقاؤُها فينا إلى لسـانٍ شـاكرٍ، وقلبٍ ذاكرٍ، ليُقَيِّدَها مـن النفورِ، وقَلَّما نَفَرت نعمـةٌ ورَجَعَتْ لأصحابِها، وما تَقَدَّمَ هو أنواعٌ من أصنافِ النعم العامَّةِ.

وهنـاك نِعَمٌ خاصَّة، وهي الخاصة بعبادِه المؤمنين وأوليائه الصالحين، وهو سـوى ما تقدم فينعم عليهم بحفظ إيمانهم وثبات يقينهم من الشـبهات والشـهوات مثل ما ذُكِرَ للأنبيـاء وللرسـل والصِّدِّيقين والشـهداء والصالحين ممن أنعم عليهـم بالهداية للصراط

المستقيم ، فَنِعْـمَ الـمُنْعِـمُ، ونِعْمَ الـمُنْعَـمُ عليهم، ونِعْـمَ الصُّحبةُ والرُّفقةُ، ويا حُسْـنَها وجمالَها، اللَّهم اجعلنا ووالدينا والمسلمين منهم.

(الكَريمُ) اسْـمٌ مِنْ أَسْـمَاءِ الله تَعَالَى دالٌّ على صفةِ فِعْلِ الكرمِ، والكرمُ كلُّه من الله، وكـرمُ الله بـلا حُـدودٍ، وخَاصَّةً على الإنسـانِ، فقد خَلَقَهُ وسَـوَّاه في أحسـنِ تَقْويمٍ، وفي أحسنِ صُورةٍ رَكَّبَه، كما في الآية، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

وحَتَّى على الكَافِرِينَ لا يَحْجُبُ عنهم كَرَمَهُ الرُّبوبيَّ، وإحسانَه الدائم عليهم، فالهواءُ والشـمسُ والقمرُ والنورُ والغذاءُ والصحةُ وتوفيرُ مُقوِّمـات الحياةِ ودَوامها على الخلقِ، هذا من كرمِه سُبْحَانَهُ على المخلوقاتِ منذُ بدايتِها إلى نهايتِها.

والكريم من المخلوقين الذي يُعْطِي بلا سُؤالٍ، ويُعْجِبُه السَّخَاء والأَرْيَحِيَّة، أما كَرَم الله تَعَالَى فقـد شَـمِل جميعَ مَن في السـمواتِ والأرضِ من مخلوقـاتٍ، وإن كلَّ مخلوقٍ لو نَطَـقَ في آخِرِ يومِه، لقال: الحمـدُ الله على ما أنا فيه من حالٍ. حتى لكأنه مَخْصوصٌ وَحْدَهُ بكامل الرِّعاية وبالغ العناية.

وهـو سُبْحَانَهُ مولي النِّعـم، قديمها وحديثهـا، وهو صاحبُ الإحسـانِ بدايةً ونهايةً بجميعِ النِّعم الظاهرةِ والباطنةِ، فلا يَسْتغْنِي مخلوقٌ عن كرمِه وإحسانِه طَرْفةَ عينٍ أو أقلَّ من ذلك، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

والكريمُ في لُغةِ العربِ: الجَوَادُ والصَّفوحُ والعزيزُ، هذه ثلاثةُ أَوْجُهٍ كُلُّها جَائِزَةٌ[١]، ومتعلـق الجَـوَادِ والصفـوح الإنسـانُ، أي أنـه يَصْفَـحُ ويجودُ عـلى الإنسـانِ وعلى جميعِ المخلوقاتِ الـمُحتاجةِ إلى الجُودِ والصَّفح، وهو تَعَلُّقٌ بالمفعولِ.

(١) الزجاج في «شرح الأسماء الحسنى» (ص: ١٧٦ - ١٧٧).

أمَّا إذا أُرِيدَ به العزيزُ، فلا يَقْتَضِي تَعَلُّقَه بالمفعولِ، والكريمُ إذا وُصِفَ اللهُ به فمعناه: اسمٌ لإحسانِه وإنعامِه الدَّائِمَيْنِ الشاملين الكاملين؛ فإنه لم يَزَل كَرِيمًا، ولا يَزَالُ كَرِيمًا.

وهو سُبْحَانَهُ كريمٌ ذَاتًا وصِفَاتًا وأَفْعَالًا، كثيرُ العطايا، دائمُ الهدايا، سَنِيُّ الأُعْطياتِ لِمَن شاءَ، ومتى شاءَ، وبما شاء، وكيف شاء، بغيرِ سؤالٍ ولا وَسيطٍ، تَصِلُ الهباتُ والأعطياتُ لأصحابها على أيِّ حالٍ كان، حتى على الكافرين والمُلحِدينَ.

والخلاصةُ: أن الكريمَ اسمٌ لكمالِ الإحسانِ وبليغِ الإنعامِ، وإذا وُصِفَ به اللهُ فهو فوقَ ما تُدْرِكُه العقولُ من كمالاتِ الكرمِ، ونَفَحاتِ الإحسانِ، ودوامِ الإنعامِ، وهو من بابِ صِفَةِ الفعلِ لله تَعَالَى، قال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أما إذا وُصِفَ به الإنسانُ، فهو اسمٌ للأخلاقِ العاليةِ، والأفعالِ الساميةِ، التي تَظْهَرُ من الإنسانِ، وإن جاءَ بصِفَةِ التَّفْضِيل، فيعني الدَّلالةَ على الذاتِ العَلِيَّة، مثل قوله تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

(لا سِنَةٌ تأْخُذُهُ أَوْ نَوْمُ) أي: أن الله تَعَالَى مُنَزَّه عن السِّنَة، التي هي مُقَدِّماتُ النَّوم. وإذا نَفَى عن نَفْسِه السِّنَةَ، فمِن بابِ أَوْلَى النَّوْم؛ وذلك لكمالِ الله الذاتيِّ، وكمالِ غناه الذاتيِّ، وعدمِ حَاجَتِه لغيرِه، وحاجةِ كلِّ الأغيارِ إليه، لفَقْرِهم الذاتيِّ لكلِّ شيءٍ، وحاجتِهم الضروريةِ إليه في كلِّ شيءٍ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

❀❀❀

٧٤- الحَاكِمُ الحَقُّ العَلِيُّ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ الأَعْلَى لِكُلِّ قَاهِرُ

(والحَاكِمُ) في اللُّغةِ بمعنَى الحَكَمِ والحَكِيمِ، وهو القاضي، وهو الذي يُحْكِمِ الأشياءَ ويُتْقِنُها. والحَكَمُ والحَاكِمُ بمعنًى واحدٍ. وأصلُ حَكَمَ (ح ك م) في اللُّغةِ: المَنْعُ، وسُمِّيَ الحاكمُ حَاكِمًا؛ لأنه يَمْنَعُ الخَصْمَيْنِ[1]، وورَدَ اسمُه الحكم من أسماء الله الحسنى، وورد قوله خير الحاكمين وأحكم الحاكمين، قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، وقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وإذا أطلق على الله، فلا حَاكِمَ أعدلُ منه، ولا قائلَ أصدقُ منه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

أَمَّا إذا أُطْلِقَ على البَشَرِ فهو اسمٌ لمن يَفْصِلُ بينَ الناسِ ويَمْنَعُهم، وقد يكونُ غيرَ عادلٍ، وقد يكونُ غيْرَ صَادِقٍ.

وإذا أُطْلِقَ على الله فلا مُعَقِّبَ لحُكْمِه ولا رَادَّ لقَضَائِهِ وإرادتِه، ولا مُناقِضَ لإرادتِه وقَدَرِه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ولا يُسْأَلُ عن حُكْمِه، ولا عن فِعْلِه وهم يُسألون. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

(الحَقُّ) الشيءُ الثابتُ وُجودُه، وكلُّ شيءٍ صَحَّ وُجودُه وكونُه، فهو حقٌّ. وقال الحَلِيمي في كتاب المنهاج في شعب الإيمان: (الحقُّ) ما لا يَسَعُ إنكارُه، ويَلزَمُ ثُبوتُه والاعترافُ به.

وقال القُشَيْري: الحَقُّ من أسمائِه، وهو بمعنَى الموجودِ الكائنِ، وكذا معناه في اللُّغة وقد تَقَدَّمَ.

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٩٥١ - ٩٥٤).

والله هو العَلَم على ذاتِه العَلِيَّة، ولم يَتَسَمَّ به أحدٌ سِواهُ، وهو مُتَضَمِّنٌ لجَميعِ أسماءِ الله الحُسْنَى، ويقال: إنه هو الاسمُ الأعظمُ، الذي إذا سُئِلَ به أعْطَى، وإذا دُعِيَ به أجابَ.

وهو الحقُّ المبينُ الذي لا يَسَعُ أحدًا إنكارُه؛ لظُهورِ دَلائلِ وُجودِه، وكيف يَخْفَى وُجودُه وكلُّ موجودٍ شاهدٌ له على وُجودِه سُبْحَانَهُ؟! وهو الحقُّ الثَّابِتُ في ذاتِه وصِفاتِه الذَّاتِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ، وهو واجبُ الوُجودِ، ووُجودُه من لوازمِ كمالِ ذاتِه، ولا وُجودَ لـمَوْجودٍ إلا بـه سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وفي الحديثِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قال: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، ولكَ الحمدُ، لكَ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ ومَن فِيهِنَّ، ولكَ الحمدُ، أنتَ نُورُ السمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ، أنتَ مَلِكُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ، أنتَ الحقُّ، ووَعْدُكَ الحقُّ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ، وقولُك حقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، والساعةُ حَقٌّ...**» الخ[1].

(العَلِيُّ) اسمٌ من أسماءِ الله تَعَالَى يَدُلُّ على العُلُوِّ بذاتِه وصِفاتِه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «الجمعة» باب «التهجد بالليل» (٢/ ٤٨) رقم (١١٢٠)، ومسلم كتاب «صلاة المسافرين» باب «الدعاء في صلاة الليل وقيامه» (١/ ٥٣٢) رقم (٧٦٩/ ١٩٩). أخرجه البخاري (٣/ ٣) ح (٧٤٩٩) «في التهجد في الليل وفي الدعوات وفي التوحيد». ورواه مسلم(١/ ٥٣٢) ح (٧٦٩) .«في صلاة المسافرين» باب «الدعاء في صلاة الليل وقيامه».

قال ابنُ كثيرٍ عندَ تفسيرِ قَوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

قال: «كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [غافر: ١٢]، فكلُّ مخلوقٍ تحتَ قَهْرِه، وكلُّ حالٍ تحتَ سُلطانِه، وكلُّ شيءٍ تحت عظمتِه وقدرتِه، لا إلهَ إلا هو، ولا ربَّ سواه؛ لأنه العظيمُ الذي لا أعظمَ منه، والعليُّ الذي لا أعلى منه، ذاتًا، وصفاتًا، وشأنًا، والكبيرُ الذي لا أكبرَ منه، تعالى وتَقدَّسَ، وتَنزَّه عَزَّوَجَلَّ عمَّا يقولُه الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا» اهـ[1].

والعُلُوُّ ثلاثةُ أنواعٍ: عُلُوُّ ذَاتٍ، وعُلُوُّ صِفَاتٍ، وعُلُوُّ القَهْرِ والغَلَبةِ. وسيأتي له مَزِيدُ بيانٍ في بابِ العُلوِّ، إن شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

(وَالظَّاهِر) كما تَقَدَّمَ تفسيرُه عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه: «لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ». (والباطن) قد تَقدَّم تفسيرُه أيضًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو: «لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ»[2]. و(الأَعْلَى) العُلُو المُطْلَق. نُثْبِتُه له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غيرِ تأويلٍ ولا تَعْطِيلٍ.

و(لِكُلِّ قَاهِرٍ) إشارةٌ إلى عُلُوِّ القَدْرِ، والقَهْرِ، فهو على عَرْشِه استوى، وعلى مُلكِه احْتَوَى، وبجميعِ صِفَات الكمالِ والعظمةِ والكبرياءِ ارْتَدَى.

❁❁❁

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «ما يقول عند النوم وأخذ المضجع» (٤/ ٢٠٨٤) رقم (٢٧١٣/ ٦١). بلفظ «لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» مسلم من حديث سهل بن سعد (٢٧١٣).

٧٥- وَالعَالِمُ الرَّزَّاقُ وَالقَدِيرُ وَسَامِعُ الأَصْوَاتِ وَالبَصِيرُ

(والعالم) العالمُ والعليمُ بمعنًى واحدٍ[(١)]، والعليمُ أبلغُ من عَالِمٍ، ويَشْتركانِ في كثيرٍ من الصِّفَات - فَعِيلٍ وفَاعِلٍ - وفي فَعِيلٍ زيادةُ مَعْنًى، هذا في اللُّغَةِ.

أما في الشَّرعِ: فعالمٌ وعليمٌ اسمانِ من أسماءِ الله الحُسْنَى، يَدُلَّانِ على صِفَةِ العلمِ لله تَعَالَى، العِلمِ الذي يُحِيطُ بكلِّ شيءٍ، فلا يَخْرُجُ عن عِلمِه سُبْحَانَهُ أيُّ مَعْلومٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ وما فيهما وما بينَهما، عَلِمَ ما قد كانَ، وما يكونُ، وما لم يَكُنْ لو كانَ كيفَ يَكُونُ، فهو اللهُ العالمُ بما كانَ وما يَكونُ قَبْلَ كونِه، وبما يَكونُ لو كانَ كيفَ يكونُ بعدَ وقبلَ أن يكونَ، لم يَزَل عَالِمًا ولا يَزَالُ عَالِمًا بما كانَ وما يكونُ، ولا يَخْفَى عليهِ خَافِيَةٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، أحاطَ عِلمُه بجميعِ الأشياءِ بَاطِنِها وظَاهِرِها، دَقِيقِها وجَلِيلِها على أَتَمِّ الإمكانِ» ا.هـ. ولا يختلفُ مَعْنَاهُ الشرعيُّ كثيرًا عن معناه اللُّغويِّ[(٢)].

وهي صِفةٌ ذَاتِيَّةٌ لله تَعَالَى، وقد ورَدَ هذا الاسمُ في القُرآنِ الكريمِ ثلاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، مثل قوله تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقوله تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

ووَرَدَ في الحديث: عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ الله، مُرْنِي بشَيْءٍ أَقولُه إذا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قال ﷺ: «قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرضِ، رَبَّ كُلِّ شيءٍ ومَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ، أعوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسِي، وشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ». قال ﷺ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وإذا أَمْسَيْتَ، وإذا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[(٣)].

---

(١) ذكره الزجاج في «تفسير أسماء الله الحسنى» (٣٩).

(٢) «اللسان» لابن منظور (٤/ ٣٠٨٢ - ٣٠٨٣).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة عن أبي بكر أبو داود كتاب «الأدب» باب «ما يقول إذا أصبح» (٤/ ٣١٦)
=

أما معناه: فهو إحاطةُ علمِ الله بكلِّ شيءٍ، ولا يَخْرُجُ عن عِلمِه شيءٌ في السمواتِ ولا في الأرضِ وما فيهما وما بينَهما.

قال الشيخُ عبدُ الرحمن السعدي: «العليمُ: الخَبيرُ، هو الذي أحاطَ عِلمُه بالظواهِرِ والبواطنِ والإسرارِ والإعلانِ، وبالواجباتِ والمُستَحيلاتِ والمُمْكناتِ، وبالعِلم العُلويِّ والسُّفليِّ، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ من الأشياءِ»(١).

(الرَّزَّاقُ) اسم من أسماء الله الحسنى ومعنَى الرِّزْق: إباحةُ الانتفاعِ بالشيءِ على وَجْهٍ يُحَسِّن ذلك(٢).

والرَّزَّاق فيه دَلالةٌ على كَثْرةِ الرزق مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، وأنه شاملٌ لجميعِ خلقِه. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. فتكَفَّل بإيصالِ ما يُقِيمُها من رزقِها.

واللهُ وَحْدَه هو الرزاقُ لعمومِ خَلقِه، سواء رِزْقُه العامُّ أو الخاصُّ بالأبدانِ، أو رِزْقُه الخاصُّ بالقلوبِ والأرواحِ، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

والـرِّزْقُ كلُّه من عنـدِ الله، فما أَذِنَ في تَناوُلِه فهو الحَلالُ، ومـا لم يَأْذَنْ في تَناوُلِه فهو الحـرامُ. والـرِّزْقُ لا يَقْتَـصِر على مـا يُصْلِح الأبـدانَ، بل هـو ذاك، وما يُصْلِـحُ الأرواحَ والقلوبَ، وهو خَاصٌّ بالـمُتَّقِينَ.

والـرِّزْقُ الحـلالُ والحرامُ كُلُّه رِزْقٌ من الله، بخلافِ ما تقولُـه الـمُعْتَزِلَةُ: إن الحرامَ

= رقم (٥٠٦٧)، والترمذي أبواب الدعوات (٥/ ٤٦٧) رقم (٣٣٩٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٣): حديث صحيح. رواه الترمذي (٣٣٩٢) وأبو داود (٥٠٦٧).

(١) «تفسير كلام المنان» للسعدي (٥/ ٤٨٥).

(٢) الزجاج (ص: ٣٨) «تفسير أسماء الله الحسنى».

ليسَ رِزْقًا، وإنما الرِّزْقُ فقط هو الحلالُ، والرازق من باب الإخبار هو من يرزق جميع خلقه.

(وَالقَدِيرُ) اسمٌ من أسماءِ الله الحُسْنى، ورَدَ ذِكْرُه كثيرًا في القُرآن العظيم، مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقوله: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٤٨].

ويُشْتَقُّ منه صِفَةُ القُدْرةِ، وهي صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ، فهو لا يَزَالُ قَدِيرًا، وكلُّ مَوْجودٍ في الماضي والحاضرِ والمُسْتقبلِ إنَّما وُجِدَ ويُوجَدُ بقُدْرَتِه؛ فالسمواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ والبِحَارُ والمحيطاتُ، والجبالُ، والأحياءُ كُلُّها أثَرٌ عن قدرتِه الكاملةِ الذي يقولُ للشيء: كن. فيكون.

(وَسَامِعُ الأَصْوَاتِ) سامعٌ اسمُ فاعِلٍ مِن: سَمِعَ يَسْمَعُ. فهو سَامِعٌ. الاسمُ منه السَّمِيعُ، والصفةُ منه السَّمْع، ومعناها: يَسْمَعُ جميعَ الأصواتِ، ولا تَختلِفُ عندَه اللُّغاتُ، ولا الأصواتُ.

وقد ورَدَ في القُرْآنِ الكريم سَمِعَ ويَسْمَعُ وَاسْمَعْ، لتَشمَلَ المَسْموعَ في كلِّ الأزمنةِ الماضيةِ والحاضرةِ والمستقبلِ. قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٦١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ [الكهف: ٢٦] وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

....

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «الحمدُ لله الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْواتَ، لَقَدْ جاءَتِ المُجادِلَةُ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُكَلِّمُه، وأنا في نَاحِيَةِ البيتِ، ما أَسْمَعُ ما تَقولُ، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]»(١).

والسمعُ على نَوْعَيْنِ: سَمْعُ إجابةٍ، وسَمْعٌ لإدراكِ الأصواتِ، وقيل: سَمْعٌ عامٌّ لكلِّ المسموعاتِ من الأصواتِ، مثل قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾. وسَمْعٌ خاصٌّ لأوليائِه ولأعدائِه، فأما أولياؤُه فيُجِيبُهم بالنصرِ والتأييدِ، ومنه (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)، كما قال تَعَالَىٰ في حَقِّ مُوسَى وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وأما أعداؤه فسَمْعُه لهم على وَجْهِ التهديدِ حينما يُخالِفونَ أمرَه ونَهْيَهُ، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

(وَالبَصِيرُ) اسمٌ من أسماءِ الله الحُسْنَى، ومعناه: أن اللهَ يُبْصِرُ جَمِيعَ المُبْصِراتِ، ويَرَى دَبِيبَ النملةِ السوداءِ على الصَّخْرةِ الصَّماءِ في اللَّيْلةِ الظلماءِ، ويَرَى ما هو أَدَقُّ من ذلكَ، يَرَى جَرَيانَ الدمِ في الشَّرايينِ، وسَرَيانَ الماءِ في الأَغْصانِ، وتَفاصِيلَ جِسْمِ الذَّرَّةِ وعُروقَها، ولَحْمَها، وحَرَكَتَها(٢)، ويرى مَدَّ البَعُوضةِ جَناحَها في ظُلمةِ الليلِ، كما يَرَى

---

(١) أخرجه من حديث عائشة البخاري معلقًا كتاب «التوحيد» باب «قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] (٩/ ١١٧)، ووصله النسائي كتاب «الطلاق» باب «الظهار» (٦/ ١٦٨) رقم (٣٤٦٠)، وابن ماجه كتاب «الإيمان وفضائل الصحابة» باب «فيما أنكرت الجهمية» (١/ ٦٧) رقم (١٨٨). وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٨/ ١٤٥)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٩): حديث صحيح. رواه البخاري (١٣/ ٣٧٢) في «التوحيد»، ووصله النسائي في «النكاح» (٦/ ١٦٨)، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٨١)، وصَحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم (ص: ٦٧).

....

مـا تحتَ الأَرَضِينَ السَّبْعِ، ويـرى ما تَنْطَـوِي عليه من حَـرَكاتِ الضَّمائِرِ، ومـن تَقَلُّباتِ السَّرائِرِ، وخافياتِ الصُّدور، وخَائِنَاتِ النَّواظِر.

والخلاصةُ: أن سَـمْعَ الله وبَصَرَه صِفتانِ من صِفَـات الله الذاتيةِ التي لا تُفارقُه، إذ لا يخرج مسموعٌ عن سمعِه، ولا موجودٌ عن بَصَرِه، ويَسْمَعُ ويُبْصِر حقيقةً على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ، على حدِّ قولِه تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❁❁❁

٧٦- وعِلْمُهُ أحَاطَ بِالأَشْيَاءِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَفِي السَّمَاءِ

(وعِلمُهُ) أي: صِفَةُ عِلمِه (أحَاطَ بِالأَشْيَاءِ) مِنَ الكُلِّيَّاتِ وَالجُزْئِيَّاتِ وهو من صِفاتِه الذاتيَّة، فلم يَخْرُج شيءٌ عن عِلمِه في البرِّ أو البحرِ، وبجميعِ مَن في السماءِ وفي الأرضِ وما بينَهما.

❁❁❁

٧٧- وَقَدْ أَحَاطَ بِالأُمُورِ كُلِّهَا دَقِيقِهَا كَمَا رُوِي وَجُلِّهَا

وقد شَمِلَ عِلمُه جميعَ الأمورِ، فلا تَخْفَى عليه خافيةٌ صغيرُها وكبيرُها، كما ورَدَ في الكتابِ والسُّنة، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(وجُلِّها): أي عَظِيمُها، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّم أصحابه الاستخارةَ في الأُمور كلِّها كما يُعَلِّم السورة من القُرْآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدُكم بالأمرِ فليَرْكَعْ رَكْعتَيْنِ من غيرِ الفريضةِ، ثم ليَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعلمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وانت عَلَّامُ الغُيوبِ...**» الخ[1].

وحديث: «**يَتعاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنَّهارِ...**» الخ[2]، وغيرها من الأحاديثِ الدالَّةِ على إثباتِ صِفَةِ العلمِ وإحاطته بالأشياء.

(١) أخرجه من حديث جابر البخاري كتاب «الدعوات» باب «الدعاء عند الاستخارة» (٨/ ٨١) رقم (٦٣٨٢). رواه البخاري (٦٣٨٢)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٦/ ٨٠-٨١) في «المجتبى وفي اليوم والليلة» (٤٩٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «مواقيت الصلاة» باب «وقت العصر» =

٧٨- فَلَمْ يَفُتْهُ عِلمُ مَا قَدْ ظَهَرَا كَلَّا وَلَا عِلمُ الَّذِي قَدْ سُتِرَا

(فَلَمْ يَفُتْهُ) اي: لم يَخْفَ عليه شيءٌ من علمِ الأشياءِ في الأرضِ، ولا في السماءِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]. (عِلمُ مَا قَدْ ظَهَرَا) يعني الأُمورَ الجَلِيَّةَ الظاهرةَ، (كلَّا) كلمةُ رَدْعٍ وزَجْرٍ لمَن يظُنُّ ذلك، (ولا عِلمُ) أي خَبَرُ (الذي) أي ما (قد سُتِرَا) عن الأعينِ، والمعنى أن الظاهر والباطن أمامَ علمِ الله سواءٌ، مكشوفٌ له نهايتُه وبدايتُه، فيَرى ما وراء خيانات الأعين، وما بعد تَقَلُّباتِ الأجفانِ، وما في حَرَكاتِ الجَنَان، وما وراءَ الهمزِ واللَّمْزِ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠]. وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفرٍ، فكنا إذا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فقال: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا، وإنما تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إن الذي تَدْعونَه أقربُ إلى أحَدِكم من عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(١). وقد تقدمت كثيرٌ من الآيات والأحاديثُ.

❁❁❁

= (١/ ١١٥) رقم (٥٥٥)، ومسلم كتاب «المساجد» باب «فضل صلاتي الصبح والعصر» (١/ ٤٣٩) رقم (٦٣٢/ ٢١٠). رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يتعاقبون...». الحديث.

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب «الدعاء إذا علا عقبة» (٨/ ٨٢) رقم (٦٣٨٤)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «استحباب خفض الصوت بالذكر» (٤/ ٢٠٧٧) رقم (٢٧٠٤/ ٤٦). رواه البخاري (٦٦١٠)، ورواه مسلم (٢٧٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٢) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧٩- وَقَدْ أَحَبَّ اللهُ كُلَّ مُؤْمِنٍ   وَمُقْسِطًا أَحَبَّهُ مَعْ مُحْسِنِ

من عقيدةِ أهلِ السُّنة والجماعة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوفٌ بالـمَحبَّةِ وأنه يُحِبُّ حقيقةً، وأن محبَّتَه على ما يليقُ به سُبْحَانَهُ، وأن هذه الـمَحبَّةَ على ما تَقْتَضِي أسماؤُه وصفاتُه، والمؤمنُ من آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ وجميع الأركان السِّتَّةِ فاللهُ يُحِبُّه.

(ومُقْسِطًا) مفعولٌ مُقَدَّم للضميرِ في الفعلِ (أَحَبَّه) ويعودُ على الله تَعَالَى. والقِسْط العدل ومنه أقْسَطَ يُقْسِطُ قِسْطًا إذا عدل. قال تَعَالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وقَسَطَ يَقْسِطُ قَسْطًا إذا جار[١]. والْقَسْطُ الجور، والقُسُوْطُ العدول عن الحق تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] والمقسطُ: هو الذي يَعْدِل في حُكْمه وفي أهله وما وَلِيَ عليه، فاللهُ يُحِبُّه، لذلك قال تَعَالَى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وفي الحديث: «**الـمُقْسِطُونَ عندَ الله يومَ القيامةِ على مَنَابِرَ مِن نُورٍ على يَمينِ العرشِ، الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهم وَأَهَالِيهم وَمَا وُلُّوا**»[٢].

(مع محسن) أي: ويُحِبُّ اللهُ الُمحْسِنَ من عِبَادِهِ، وهو الذي يَعْبُدُه كأنه يَرَاهُ، فإن لم يكنْ يَراهُ فإن اللهَ يَرَاهُ، قال تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآيات كثيرةٌ التي تُثْبِت محبَّتَه للمؤمنين والمحسنين والـمُقسطِين، وكذا في السُّنة، وهي مقامٌ عظيمٌ، ودرجةٌ عاليةٌ يَخْتَصُّ بها المحبون والمقربون من رَبِّهم ومليكهم يوم

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٨٥-٨٦). وانظر: «مفردات الراغب الأصفهاني» (ص: ٦٧٠).

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو مسلم كتاب «الإمارة» باب «فضيلة الإمام العادل...» (٣/ ١٤٥٨) رقم (١٨٢٧/ ١٨)، بلفظ «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**». رواه مسلم والنسائي من حديث سفيان ابن عيينة، انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٢٦).

القيامة، وهي على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كمالٍ وجلالٍ، كما أن مَحَبَّةَ المؤمنين والمحسنين والمقسطين بحَسَبِ حَالِهم من الضَّعْفِ والافتقارِ.

والمحبَّة: عقيدةُ أهل السُّنة يُثْبِتون صفةَ المَحَبَّةِ لله سُبْحَانَهُ على ما يليق به سُبْحَانَهُ، وهي فِعْليَّةٌ مُتعلِّقةٌ بمشيئتِه تَعَالَىٰ، وعلى حقيقتها دون تأويلٍ أو إنكارٍ، وأن الله يُحِبُّ حقيقةً، ويُحب حقيقةً إذا وُجِدَتْ أسبابُها من الامتثالِ للأوامر والانزجار عن النواهي في حدودِ طاعةِ الله واتباع رسول الله ﷺ، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فأما مَحَبَّةُ الله لعباده المحسنين والمتقين وغيرهم فكما أثبتها القُرْآن من غير تأويلٍ ولا إنكارٍ، وأما مَحَبَّةُ عبادِه له فهي تحقيقُ معنَى لا إلهَ إلا اللهُ، وهي مَوافَقةُ المحبوبِ في مَحابِّهِ وعدمُ المخالفةِ، أما مَن هو مُقِيمٌ على معاصي الله ويَدَّعي محبةَ اللهِ فهو كما قيل:

تَعْصِي الإِلَـهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

ولكن عن طريق الاتِّباع لشرعِه والانقيادِ لِمَا جاءتْ به رسلُه وأُنْزِلَتْ به كُتُبُه.

وليس كما تقول الجَهْمِيَّة: أن معنى محبةِ الله لعباده المحسنين يعني الإحسان إليهم وإثابتهم، ومحبة العبد لربه ومولاه طاعتُه وعبادتُه. ونحوَ ذلك، وهذا تأويلٌ باطلٌ.

وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ»(١).

(١) أخرجه من حديث ابن عمر ابن حبان باب «صوم المسافر ذكر الخبر الدال على أن الإفطار في السفر أفضل من الصوم» (٨/ ٣٣٣) رقم (٣٥٦٨)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ٩)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: إسناده قوي.

أو: «كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»[١]. وقوله: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَني»[٢].

وأما تأويل الجَهْمِيَّة لصفة المحبة خوفًا من المشابهة للمخلوقين، فهذا من أبطلِ الباطلِ، إذ لا يلزم عَقْلًا إثباتُ لوازم صفةِ المخلوقينِ لصفة الخالقِ، إذ لا مُناسبةَ بينَهما.

كيف وقد ثبتت بالكتابِ والسُّنة وإجماعِ الرَّعيلِ الأَوَّلِ من السَّلفِ وأئمَّة السَّلَفِ، وبعدَ هذا وليسَ لأحدٍ كلامٌ معَ كلامِ الله تَعَالَىٰ وكلامِ رسولِه ﷺ، وقد قَدَّمْنا بعضًا من ذلك.

❁❁❁

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر أحمد «مسند المكثرين من الصحابة» (١٠/ ١١٢) رقم (٥٨٧٣)، وابن حبان «فصل في صلاة السفر ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ قَبُولِ رُخْصَةِ اللهِ، إِذِ اللهُ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ قَبُولَهَا» (٦/ ٤٥١) رقم (٢٧٤٢). وصححه ابن خزيمة (٢٠٢٧)، و الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ٩)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حديث صحيح، وقال في تعليقه على صحيح ابن حبان: إسناده قوي. رواه ابن حبان في صحيحه (٣٥٤) وصححه الألباني «إرواء الغليل» (١٠/ ٣).

(٢) أخرجه من حديث عائشة الترمذي أبواب الدعوات (٥/ ٥٣٤) رقم (٣٥١٣)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب «مَا يَقُولُ إِذَا وَافَقَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ» (٩/ ٣٢٢) رقم (١٠٦٤٢)، وابن ماجه كتاب «الدعاء» باب «الدعاء بالعفو والعافية» (٢/ ١٢٦٥) رقم (٣٨٥٠). وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٣٧). «سنن الترمذي» (رقم: ٣٥١٣) وابن ماجه رقم (٣٨٥٠) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (رقم: ٣١٠٥).

٨٠- بِالنَّصِّ قَطْعًا يُبْغِضُ الكُفَّارَا   وَيَكْرَهُ الفُسَّاقَ وَالفُجَّارَا

في هذا البيتِ إثباتٌ لصِفتَيِ البُغضِ والكُره، وأن الله يُبْغِض الكفر قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

ولا يَرْضَى الكفرَ لعِبادِهِ، ويكره الفِسْق ولا يُحِبُّه لعبادِه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، أي: أبغضَ خُروجَهم معكم إلى الغزو.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]، فيه إثبات الكُره والسُّخْط لله على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ. والدليل من السنة على صفة البغض قوله ﷺ: **«أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»**(١)، وقال ﷺ: **«أبغض الناس إلى الله ثلاثة، ملحد في الحرم، ومبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلبي دم امرئ بغير حق ليهرق دمه»**(٢).

(الفُسَّاق) هم الخارجون عن الجادَّةِ والصوابِ، وقد يكونُ فِسْقًا مُخْرِجًا من المِلَّةِ، كمَن خَرَجَ عن أهلِ التوحيدِ إلى الشركِ الأكبرِ ونحو ذلك، وفِسْقًا لا يُخْرِجُ عن المِلَّةِ كمَن يَرْتَكِبُ بعضَ الأخطاءِ أو المعاصي كالكَذِب والغِيبةِ ونحوِها.

(الفجارا) والفُجور ارتكابُ الإثمِ والحِنْث في الأيمانِ وغيرها.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «المظالم والغضب» باب «قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] (٣/ ١٣١) رقم (٢٤٥٧)، ومسلم كتاب «العلم» باب «في الألد الخصم» (٤/ ٢٠٥٤) رقم (٢٦٦٨/ ٥). الحديث رمز له الألباني بالصحة، وقد رواه البخاري وسلم والإمام أحمد والترمذي، والنسائي. انظر: «صحيح الجامع الصغير» (١/ ٩٦).

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس البخاري كتاب «الديات» باب «من طلب دم امرئ بغير حق» (٩/ ٦) رقم (٦٨٨٢). الحديث رواه البخاري ورمز له الألباني بالصحة. انظر: «الصحيحة» (٧٧٨)، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» (١/ ٩٦).

٨١- وَالكُرْهَ وَالرِّضَا وَوَصْفَ الغضَبِ وَاللَّعْنَ وَالسُّخْطَ فَأَثْبِتْ تُصِبِ

من عقيدةِ أهل السُّنةِ والجماعةِ أنهم يُثْبِتونَ صِفَةَ الكُرْهِ، وهي صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ لله تَعَالَىٰ، تتعلق بمشيئةِ الله وقُدْرتِه، وكذلك الرضا، وهي صفةُ فِعْل لله متعلقة بمشيئةِ الله وقُدرتِه، وكذلك صفة الغضب، وهي صفة فِعْلٍ كذلك متعلقةٌ بمشيئةِ الله تَعَالَىٰ وقُدرتِه، وكذلك اللَّعْن والانتقام من المجرمين والسُّخْط، كلُّ هذه صِفَات أفعالٍ يُثْبِتها أهلُ السُّنة والجماعة من غير تأويلٍ على حقيقتِها على حدٍّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨] وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمَقْت: هو البُغْض، ففي هذه الآياتِ إثباتٌ لتلك الصِّفَات الفعلية التي وردتْ في البيتِ، وأهل السُّنة يُثْبِتونها على ما يليقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غيرِ تأويلٍ.

❁❁❁

١- إثبات صفة المكر لله على ما يليق به:

٨٢- وَالمَكْرَ وَالكَيْدَ مع الخِدَاعِ نُثْبِتُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نِزَاعِ

مِن عقيدةِ أهلِ السُّنة والجماعة إثباتُ ما يُثْبِتُه اللهُ لنَفْسِه من صِفَاتِ الأفعالِ وصِفَات الذات. ومن صِفَات الأفعال: المَكْرُ، والكيدُ، ونحوُهما. فإطلاقُها على الله من بابِ الأفعالِ ومن بابِ المقابلة، والفعل بابُه أوسعُ من بابِ الأسماء، وقد وَصَفَ نَفْسَه بالمكرِ والكيدِ من بابِ المجازات والمقابلة.

وتعريف المكر والكيد والخداع: هو إيصالُ الضرر إلى الغيرِ بطريقٍ خفيٍّ، فإن كانَ بحقٍّ، فهو الحسن الممدوح، وهو الذي يُطْلَق على الله، وإن كان لمن لا يَسْتَحِقُّه فهو قَبِيحٌ، واللهُ مُنَزَّه عنه.

❁❁❁

٨٣- لَكِنْ بِمَا يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ مِنَ الكَمَالِ وَعُلُوِّ الشَّانِ

ومـا يفعله الربُّ هو مِمَّا هو حَسَنٌ وممدوحٌ وهو ما يُحْمَدُ عليه عدلًا منه وحِكْمَةً، وهو تَعَالَىٰ يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب، لا كما يفعل الظلمة بعباد الله، وكل هذه يُثبتها أهل السُّنة والجماعة من غيرِ نزاعٍ، ولا اختلافٍ.

❁❁❁

٨٤- وَكُلُّهـا فِـي ذِرْوَةِ الكَمَالِ   فِي الحُسْنِ وَالتَّمْجِيدِ وَالجَمَالِ

أي إننا معشرَ أهل السُّنة والجماعة نُثْبِت تلك الصِّفَات الفعلية لله تَعَالَىٰ على ما يَلِيقُ به من كمالٍ، فخالقُ الكمالِ هو أولى بالكمالِ، فمَكْرُه وكَيْدُه وخِداعُه نُثْبِتُها له؛ لأنه يُوصِلُ الكيدَ والمكرَ والخداعَ إلى من يَستحِقُّه شَرْعًا وعـدلًا، ويُحْمَدُ عليه حِكْمةً وقَدَرًا، ونثبتها مـن غيرِ تأويـلٍ، ومن غيرِ تمثيل عـلى حدِّ قولـه تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(وكلُّهـا) الضميـرُ يعود على صِفَات الله المتقدمة، (في ذُروةِ) الذُّروة الأعلى من كلِّ شيءٍ، وهو هنا من كلِّ كمالٍ أعلاه، ومن كلِّ حُسْـن أَسْـناهُ، ومن كل ثناءٍ أبلغُه، ومن كلِّ جمال أحسنُه. والصِّفَات على العموم تَوقيفيَّةٌ على المشـهورِ من أقوالِ أهل العلمِ في ذلك؛ لأنها فرعٌ من الأسـماءِ، والفرعُ يَتْبَعُ الأَصْلَ. نمرها كما جاءت بإثبات لفظها وما دل عليه من المعنى اللائق بالله.

وعلى هذا التقسـيم تنقسـم الصِّفَات إلى ثلاثة أقسـام: قسـم صفات كمال مطلقه، وقسم صفات كمال مقيدة، وقسم صفات نقص مطلقة.

(أ) فصفات الكمال المطلقة ثابتةٌ لله، كالكلام والخلق والقدرة، ونحو ذلك.

(ب) وأمـا صفـات الكمالِ المُقَيَّدة فهـذه لا يُوصَفُ اللهُ بها إلا عـلى طَريقةِ المقابلةِ، وعلى ما قُيِّدت به في النصِّ، مثل المكر، والخداع، والاسـتهزاء، والكيد، وما أشـبه ذلك؛ لأنهـا في مقابلة فعلهـم، فهي كمال. وإن ذُكِرت مُطْلَقةً فلا تَصِحُّ بالنسبةِ لله تَعَالَىٰ. ولهذا لا يَصِحُّ إطلاقها عليه من غير تقييدٍ. كوَصْفِه بالماكرِ والمستهزِئِ أو الخادعِ أو الكائد؛ بل تُقَيَّدُ، فنقول: ماكر بالماكرين، ومستهزئ بالمنافقين، ومخادع بالمخادعين، وكائد للكافرين. فنقيدها بما قُيِّدت به، وهذا هو القسم الثاني.

والأمثلة للمكر، وللكيد، وللمخادعة، فتقول: يمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين. ويَكيدون كيدًا وأَكيدُ كيدًا، وتقول: يخادعون الله وهو خادعهم.

(جـ) وأما صفات النقص المطلقة، مثل الخيانة، فلا يوصف الله بها؛ لأنها خداع في مقام الائتمان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١].

❁❁❁

٨٥- وَمِـثْـلُـهَـا صِـفَـاتُـهُ عَلِيَّة كَـامِـلَـةٌ ذَاتِـيَّـةٌ فِـعْـلِـيَّـة

(ومِثْلُهـا) أي: مثل صِفَات الأفعال صِفَات الذات، في علاها، وكمالها، وجمالها. أما البشر فليس عندهم إلا تعريفات لفظية لا تُوصل إلى حقيقة الذات الإلهية التي حجبت بأوصاف الأفعال، أما الصِّفَات التي تؤخذ من الأسماء فكلها كمال، وبالغة الذروة في الحسن والجمال.

وقوله: (ذَاتِيَةٌ) أي: أن الصِّفَات تنقسم إلى قسمين - كما سيأتي - القسم الأول: صِفَات ذاتية، وهي التي لا تنفك عن الله بحالٍ، وثانيها قولنا: (فعلية) وهي التي تتعلق بمشيئةِ الله وقدرته تَعَالَىٰ، فمتى شاء فعلًا أحدثه وأوجده، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فصِفَات الحياة والعلم والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلو هذه ذاتية. والخلق، والإحياء، والإماتة، والغضب، والكره، والمحبة، والرزق، والاستواء، صِفَات فعليةٌ، ومتعلقة بمشيئةِ الله وقدرتِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❀❀❀

٨٦- هَـذَا وَمَـا يُضَـافُ لِلرَّحْمَنِ مِـنَ الـنُّصـوصِ فهمـا قِسْمَان

(ها) حرفُ تَنْبيهٍ، (وذا) اسمُ إشارةٍ. (وما يضاف) إلى الله من الصِّفَات إما أن يكون ذوات أو معاني والذوات إما أن تكون مستقلة بنفسها أو غير مستقلة بنفسها فما كان مستقل بنفسه من الذوات فإضافته إلى الله أضافه تشريف كبيت الله وناقة الله وعبد الله وروح الله. وما كان غير مستقل بنفسه من المعاني فإضافته إضافة صفة إلى موصوف كوجه الله وعين الله ويدي الله وسمع الله وهذا معنى البيت.

وقد ورد في الحديث في سنن أبي داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أَعُوذُ بالله العَظِيمِ، وبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وسُلطَانِهِ القَدِيمِ من الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**»(١).

ففَرَّق في هذا الحديثِ بينَ الاستعاذةِ بالذاتِ، وبينَ الاستعاذةِ بوجهِهِ الكريمِ، أي الصفة؛ ليقرن بين الذات والصفةِ، وليبطل قول من قال: إن الوجه هو الذات. وقول من قال: إنه مخلوق. أو من يقول: معناه الثواب. وغير ذلك.

أثبت في الحديث أن الوجه صفة من صِفَات الله الذاتية، وأنه وجه حقيقي يليق به سُبْحَانَهُ من غيرِ تأويلٍ ولا إنكارٍ ولا تمثيل، وهذا مذهب أهل السُّنة والجماعة.

(للرَّحْمن) أي لله، (من النُّصوصِ) التي وردتْ في القُرْآنِ الكريم، مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، هذه النصوصُ وأمثالها قد جاءت على قسمين:

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو أبو داود كتاب «الصلاة» باب «فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد» (١/ ١٢٧) رقم (٤٦٦). وقال مغلطاي في شرح ابن ماجه» (ص: ١٢٨٦): رواه أبو داود بسند صحيح، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠٦): صحيح. رواه أبو داود في سننه (٤٦٦). وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٦٠٦)

٨٧- فَمُسْتَقِلٌّ مِنْهُمَا بِنَفْسِهِ فَذَاكَ مَخْلُوقٌ أَتَى بِوَصْفِهِ

٨٨- كَأَنْ تُضِيفَ البَيْتَ وَالعَبِيدَا أَوْ نَاقَةُ اللهِ أَتَتْ أَكِيدَا

الأول وقد تقدم بعض معناه، وهو قولنا (فمستقل منهما بنفسه) أي: قائم منفصل بنفْسه، وهذا (مَخْلُوقٌ) وإضافته إلى الله إضافةُ تشريفٍ وتخصيصٍ، كإضافة البيت إلى الله قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤] أو المساجد إلى الله قال تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧-١٨] أو إضافة العبيدِ إلى الله قال تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٤] قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] قال تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، فهذا القسم مخلوق فأضيف إلى الله إضافة تشريف. أما القسم الثاني فيُعَبَّر عنه ما ورد في البيت الآتي:

❁❁❁

٨٩- وَعَكْسُ هَذَا صِفَةٌ لله كَوَجْهِ رَبِّي، أَوْ يَدَيْ إلَهِي
٩٠- فَلَا تَقُل مَخْلُوقَةٌ وَلتَحْذَرِ مَغَبَّةَ الجَهْلِ ولله اذْكُرِ

(وَعكْسُ هَذَا) أي: القائم بنَفْسه، وعكسه غيرُ القائم بنَفْسه، وحُكْمُه (صفةٌ لله) مثاله: كوجه الله، و يَدَيِ الله، وسمع الله، وبصر الله. وكل هذه صِفَات غير مخلوقة.

وقد تعرَّض البيت لصفة الوجه واليدين وهما صفتانِ خَبَرِيَّتانِ ثابتتانِ حقيقيتانِ لله تَعَالَىٰ على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ، بخلاف مَن يُنْكِرُها أو يؤولها، فيقولون: المُراد بالوجه الذاتُ أو الثوابُ.

واليدين ينكرونها ويؤولونها بالقدرة تارةً، وبالنعمة تارةً، فارِّينَ بزَعْمِهم من التشبيهِ والتجسيمِ، فيَقَعُون في مثل ما فَرُّوا منه، ولا يلزم في حق الخالق ما يلزم في حقِّ المخلوقين. كما ورد في صفة الوجه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] فذو صفة للوجه وليست للذات. وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقد قَرَّر المحققون من المُفَسِّرين أن مَعنى (يَدَيَّ) في الآيةِ: يدان حقيقيتان لله، ينفق بهما كيف يشاء، وأنهما ليستا بمعنى القدرةِ، لا لغةً، ولا شرعًا، ولا عُرْفًا.

إذ القدرة صفةٌ أُخرَى غيرُ اليد، وهي واحدةٌ، ولم تَرِدْ مُثَناةً، ولا مجموعةً، وتفسير اليد بالقدرة يُبْطِل المَزِيَّة لآدم الذي بها فُضِّل على إبليسَ، وإلا فليس لآدمَ على إبليسَ أيُّ فَضْلٍ، فيقول له: أنت خَلَقَكَ بقدرتِه وأنا خلقني بقدرتِه. وهذا غيرُ مقبولٍ، وإنما عَلاقة اليد بالقدرة كعَلاقةِ المحبة بالإرادة والمشيئة.

قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يَلُوحُ لي في معنَى صفة اليد: أنها قريبةٌ من معنى القدرة، إلا أنها أخصُّ منها معنًى، والقدرة أعم». ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كالمَحَبَّةِ مع الإرادة

والمشيئةِ، وكل شيء أحبه فقد أراده، وليس كلُّ شيءٍ أراده فقد أحَبَّه، وكذلك كلُّ شيءٍ حادثٌ، فهو واقعٌ بالقدرةِ، وليس كلُّ شيءٍ واقعٌ بالقدرة هو واقعٌ باليَدِ، فاليد أخصُّ من معنى القدرة، ولذلك كان منها تشريف آدم»[١].

ولِـمَا قَـرَّره المحققـون مـن المُفسِّرين عـلى أن معنى اليديـن لله هما يـدان حقيقيتان للقبض والبسـط والعطاء والإنفاق على مخلوقاته كيف يشـاء، وليـس معناهما النعمة؛ إذ النعـم كثيرة، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، ولو كان معناهما النعمـة لشـارك في ذلك خلق إبليس، ولم يَبْـقَ لآدم مَزِيَّةٌ على إبليس، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، فاسـتكبار إبليـس دليـلٌ على أن لآدم عليه مَيْزةً، ولو كان معنى اليديـن النعمة لَمَا كان هناك أيُّ مَيْزةٍ لآدم وخلقـه بيده، ولبَطَلَ معنَى الأمر بالسـجود لآدم، وفوق ذلك ليس لله نعمتان فقط حتى تُفَسَّر اليدان بذلك، بل يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾.

فدَلَّ ذلك على أن معنَى اليدين في الآية أنهما يدان حقيقيتان، نثبتهما له تَعَالَىٰ من غير تمثيـل لهـما بجوارح المخلوقين ومن غير تأويل لهما بأنهما نعمتان، وهما يدان على ما يليق به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا يلزم من الاتفاق في الأسماء الاتفاقُ في المسميات، وهذا معروف لغةً وشرعًا وعرفًا وعادةً، ولا يُنْكِره إلا مريضُ القلبِ مَيِّت الفِكْرِ سَـاذَجُ الحَسِّ، محرومٌ من المعرفةِ، غيرُ مُوفَّق، قد عمل لحظ نَفْسـه، فلعبت برأسـه الشـياطينُ، فسار إلى ما سار إليه مـن التأويلات والإنكار لهذه الصفة التي نصَّ على إثباتها هو سُبۡحَانَهُۥ، فقد قال: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٠].

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص: ٦).

وليس أحد أعلم من الله بنَفْسه منه سُبْحَانَهُ، ولا أعلم به بعدَ علم الله من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدٌ، إذ قال في هذا المجال وهو حديث احتجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ومحل الشاهد منه: «فقَالَ آدَمُ: أنت مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بكَلامِهِ وخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»(١).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاريُّ أيضًا في هذه الصفةِ صفةِ اليَدِ، وأنها غيرُ القدرة والنِّعْمة، وأنهما حقيقيتان قال: «يَدُ الله مَلأَى، لا تغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ، أرَأيْتُمْ مَا أنفقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ، فَإنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»(٢).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأرْضَ وَيَطْوِي السَّموَاتِ بيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أنَا المَلِكُ أيْنَ مُلُوكُ الدُّنْيَا؟»(٣).

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «القدر» باب «تحاج آدم وموسى عند الله» (٨/ ١٢٦) رقم (٦٦١٤)، ومسلم كتاب «القدر» باب «حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» (٤/ ٢٠٤٢) رقم (٢٦٥٢/ ١٣)، وأبو داود - واللفظ له - كتاب «السنة» باب «في القدر» (٤/ ٢٢٦) رقم (٤٧٠١).
رواه البخاري بروايات متعددة (٧/ ٢١٤) في «القدر» باب «تحاج آدم وموسى عند الله»، ورواه مسلم برقم (٢٦٥٢) في «القدر» باب «محاجة آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»، و«الموطأ في القدر» باب «النهي عن القول في القدر» (٢/ ٨٩٨)، ورواه أبو داود برقم (٤٧٠١) في «السنة» باب «القدر»، والترمذي برقم (٢١٣٥) في «القدر» باب رقم (٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (٦/ ٧٣) رقم (٤٦٨٤)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «الحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْـمُنْفِقِ بِالخَلَفِ» (٢/ ٦٩١) رقم (٩٩٣/ ٣٧). «هداية الباري في ترتيب البخاري» (٢/ ٣٥٠).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] (٦/ ١٢٦) رقم (٤٨١٢)، ومسلم كتاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ» (٤/ ٢١٤٨) رقم (٢٧٨٧/ ٢٣). رواه البخاري (٨/ ٥٥١) ح (١٧٩) في «تفسير سورة الزمر»، باب «قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾».

أما صفة الوجه - فكما تقدَّم - هي صفةٌ خَبَرِيَّةٌ لله تَعَالَىٰ على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ، وليس معناه الذات أو الثواب، وقد دلت على هذه الصفة آياتٌ من القُرْآن وأحاديثُ من السُّنة الصحيحة.

فأمَّا الآياتُ فقولُه تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

ومن السُّنة قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1].

و«**ما بين القومِ وبينَ أن يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إلا رِداءُ الكِبْرِياء على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ**»[2].

وقد اتفق أهل السُّنة والجماعة على الإيمان بهذه الصفة، صفةِ الوجه، وإثباتها على ما يَلِيقُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنهم لا يُفسِّرونها بالذات ولا بالثواب، ولا بأيِّ عُضْوٍ ولا جُزْءٍ، كما يفعله النُّفاة، كما أن العقل الصحيحَ قد وافق النقلَ الصريحَ في إثباتِ هذه الصفةِ من غيرِ تأويلٍ، ولا تمثيل فلا تقل في أي صفه من صفات الله أنها مخلوقة، (ولتحذر) من ذلك فالقول في الصفات كالقول في الذات.

---

(١) أخرجه من حديث أبي موسى مسلم كتاب «الإيمان» باب «في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «إن الله لا ينام» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩). رواه مسلم (٤/ ٢٧٤٨) في كتاب «الإيمان» باب «صفة القيامة والجنة والنار».

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب قوله ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢](٦/ ١٤٥) رقم (٤٨٧٨)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» (١/ ١٦٣) رقم (١٨٠/ ٢٩٦). رواه البخاري (٤٥٠٠)(٨/ ٦٢٣-٦٢٤) في «تفسير سورة الرحمن» باب ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، وباب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]. ومسلم (١/ ١٦٣)، ح (١٨٠) في «الإيمان» باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن الله لا ينام».

٩١- أَسْمَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَرَدَتْ وَهَكَذَا صِفَاتُهُ قَدْ ثَبَتَتْ

٩٢- بِسُنَّةِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ فَاحْفَظْ هُدِيتَ الرُّشْدَ لِلبَيَانِ

(أسماؤه) أي: أسماءُ الله الحسنى غيرُ محصورةٍ في التِّسعةِ والتسعين المذكورةِ في الحديث: «**لله تِسْعةٌ وتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**». وفي روايةٍ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

وقد اختلفَ العلماءُ هل المُرادُ به حَصْرُ الأسماءِ الحسنى في هذا العددِ، أو أنها أكثرُ؟ والجمهورُ يرى أنها غيرُ محصورةٍ في ذلك العددِ المُعَيَّن، وإنما ذُكِرَت لهذا العدد خاصَّةً؛ لأنها أشهرُ الأسماءِ في الحديثِ، وأنْ ليس في الحديث ما يُشِيرُ للحصرِ، بل فيه ما يُصَرِّح ويُخْبِرُ بأن هذه الأسماءَ مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ، فهو إخبارٌ بدخولِ الجَنَّةِ لِمَن أحصاها، وليسَ لـمَن يَحْصُرها.

وعليه فإن لربنا تَعَالَىٰ تسعة وتسعين اسما وله أسماء غيرها من أسماء الكمال، ومن أحصى التسعة والتسعين دخل الجنة، فالتقييد بالعدد يعود للأسماء الموصوفة وليس لكل أسماء الله(٢).

وقد وَرَدَ ما يُؤَيِّد هذا في حديثِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وقد ذَكَرَه مُحَمَّدُ ابنُ إسحاقَ - أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب «لله مائة اسم غير واحد» (٨/ ٨٧) رقم (٦٤١٠)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «في أسماء الله تَعَالَىٰ وفضل من أحصاها» (٤/ ٢٠٦٣) رقم (٦/ ٢٦٧٧). أخرجه البخاري مع «الفتح» (٥/ ٣٥٤) و(١١/ ٢١٤) ومسلم (٤/ ٢٠٦٣) واللفظ لمسلم.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣٢).

بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلقِكَ، أو استأثرتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ...»[(١)].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «لم يَرِد في تَعْيِينِها حديثٌ صحيحٌ عن النبيِّ ﷺ». ثم ذكَرَ روايةَ الوليدِ الـمُتقدِّمِ ذِكْرُها، وقال: «وحُفَّاظُ أهلِ الحديث يقولون: هذه الزيادةُ مِمَّا جَمَعَه الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ عن شيوخِه من أهلِ الحديثِ» اهـ[(٢)].

وقال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه، والذي عَوَّل عليه جماعةٌ من الحُفَّاظِ: «إِنَّ سَرْدَ الأَسماءِ في هذا الحديثِ مُدْرَجٌ» اهـ[(٣)].

ولكن قد اجتهد كثيرٌ من العلماء في استخراج كثيرٍ من الأسماء الحسنى على اختلافٍ فيما بينَهم في الضوابطِ التي تُحَدِّدُ الأسماءَ الصريحةَ من غيرِها، فبعضُهم أَوْصَلَها إلى ثمانين اسْمًا من القُرْآنِ، والباقي من السُّنة، وبعضُهم إلى مائةٍ وسِتَّةِ أسماءٍ من الكتاب والسُّنة، وبعضُهم إلى أكثرَ من ذلك.

أما وُرودُ الأسماءِ الحُسْنَى في القُرْآنِ فقولُ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهي مُطْلَقَةٌ وغيرُ مَحْصورةٍ في تِسْعةٍ وتسعينَ اسْمًا المعروفة في الآيات التي ذكرت في القُرْآن.

أما الأسماءُ فقد تتبعت الأسماءَ الصريحةَ في القُرْآن، فعلى حَسْبِ الطاقةِ والجَهْد وَجَدْتُ سبعةً وثمانينَ اسْمًا، ومن السُّنة وجدتُ تِسْعةَ عَشَرَ اسمًا، والجميع مائةٌ وسِتَّةٌ

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود أحمد مسند المكثرين من الصحابة (٧/ ٣٤١) رقم (٤٣١٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٩٩). أخرجه أحمد (٤٣١٨) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٣٣٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٢/ ٤٨٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦٩).

أسماءٍ، وهي من غيرِ المضافة أو الـمُقَيَّدة أو التي لا تدُلُّ على صفةٍ عظيمةٍ كاملةٍ؛ لأن ما ورد من الأسماء مُضافًا ومُقَيَّدًا وغير كاملٍ في دَلالتِه على الكمالِ، فإنها ثَبَتَت على حَسَبِ ما وردتْ في القُرْآن الكريم، وهي طريقةُ أهل السُّنة والجماعة.

وستَعَرَّضُ لشَرْحٍ مُبَسَّطٍ للأسماءِ الحسنى التي استخرجناها من القُرْآنِ والسُّنة مُرتَّبة على حُروفِ الهجاءِ، وفي منهجٍ مُحَدَّد في كتابٍ غيرِ هذا، نسألُ اللهَ الإعانةَ على إكمالِه، والتوفيق والتسديد انه ولي ذلك والقادر عليه.

(وهَكَذا صِفَاتُهُ) مثل أسمائِه، (قد ثَبَتَتْ) أي: بكتابِ الله وسُنَّة رسولِ الله ﷺ الصحيحة، فأسماؤه الحسنى الصريحةُ كلُّها يشتق منها صِفَات له سُبْحَانَهُ، فهي ثابتة له بالقُرْآن وبالسُّنة، وما ثبت بهما فحقُّه التسليمُ والقَبولُ مطلقًا ولا يشتق من الصفات أسماء لله تَعَالَىٰ.

(فاحفظ) ما ذُكِرَ (هُديتَ) دعاءٌ لك بهدايةِ الإرشادِ؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وبهدايةِ التوفيق التي هي خاصَّة بالله تَعَالَىٰ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]. هذا ومَن قَبِلَ هداية الإرشاد استَحَقَّ هدايةَ التوفيقِ.

❁❁❁

٩٣- صِفَاتُهُ مُوغِلَةٌ فِي الأَزَلِ وَأَبَــدًا صِـفَـاتُـهُ لَمْ تَــزَلِ

نَعَم صِفَاتُ الله لا أَوَّلِيَّةَ لها، فهو الأول الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخِرُ ليسَ بعدَه شيءٌ، وكذلك (أبدًا) لا نهايةَ لها في المستقبل، ومعنى هذا البيت هو ما في معنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

٢- الصِّفات على نوعين:

أولًا: سَلبِيَّة، ومعناها تنزيهُ الله عمَّا لا يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على طريقِ النَّفْي المُتَضَمِّنِ ثُبوتَ كَمالِ الضِّدِّ، وهو نَفْيُ كلِّ نقصٍ وعيبٍ عن الله تَعَالَىٰ، مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]، لكمال استغنائِه. وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكماله.

وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] لكمال قُدرتِه ونحو ذلك.

وثانيًا: صفة مَدْحٍ ثُبوتِيَّة، وهي على نَوْعينِ أيضًا كما في البيت.

❀❀❀

٩٤- أَنْـوَاعُـهَـا ذَاتِـيَّـةٌ فِعْلِيَّهْ   وَهْـيَ لَـهُ حَـقِـيـقَـةٌ قَـطْـعِـيَّـهْ

(أنواعُها) أي: أَقْسامُها.

١- (ذَاتِيَّـة) وهي الـمُلازِمةُ لله، والتي لا تُفارِقُـه بحالٍ، فهو دائمًا مُتَّصِفٌ بها، مثل السمع والبصر، والعلم والحياة، والقدرة ونحو ذلك، وقد أثبتها القُرْآنُ، وما أثبته القُرْآنُ فلا يُمْكِن أن يكون فيه نَقْصٌ أو عَيْبٌ أو تَمْثِيلٌ.

٢- (فِعْليَّـة) وهـي له حقيقـةً قَطْعِيَّةً، وهـي الـمُتعلِّقةُ بمشـيئتِه وإرادتِه، كالإحياءِ والخلقِ والإماتةِ، والغَضَبِ، والكُرْهِ، والضَّحِكِ ونحو ذلك.

(وهــي) أي: الصِّفَات بنوعيها (لـه) أي: لله، (حقيقةً) غيرَ مجازٍ يَتَّصِف بها اللهُ على ما يَلِيقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (قَطْعِيَّةً) أي: مَقْطوعًا بصِحَّتِها لوُرودِها في القُرْآنِ الكريمِ وسُـنَّةِ النبيِّ محُمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحةِ، مثل: الحَيِّ، القَيُّومِ، الرحمنِ، الرحيمِ، والسميعِ العليمِ. وهذه الصِّفَات مُتَّصِف بها اتصافًا حقيقيًّا من غيرِ تأويلٍ، ولا تشبيهٍ ولا مجَازٍ.

❁❁❁

٩٥- ثَـلاثَـةٌ لَهَـا مِـنَ الـدَّلائِـلِ لِـلـذَّاتِ وَالاسْـمِ فَـلا تُجَـادِلِ
٩٦- عَلَيْهِمَا تَـدُلُّ بِالمُطَابَقَهْ وَبِـالـتِـزَامٍ وَبِـتَـضْـمِـينٍ احْـذِقَـهْ

٣- دلالة الأسماء الحسنى ثلاث:

أولًا: الدلالةُ على الذاتِ والصفة، وذلك بالـمُطابَقَةِ، وهي تفسيرُ الاسمِ بجميعِ مَدلولِه.

ثانيًا: الدلالـةُ على أحدهما بالتضمين، أو التَّضَمُّن، وهو إذا فَسَّرْنا الاسمَ ببعضِ مدلولِه.

ثالثًا: الدلالةُ بالالتزامِ في بَقِيَّةِ الأسماءِ والصِّفَاتِ، وهو أن يَتَوَقَّف معرفةُ الاسمِ أو الصفةِ على وُجودِه، مثل اسمه الرحمن، فدلالته على الذات والصفة بالمطابقة. ويَدُلُّ على أحدِهما بالتضمين، وهي الرحمة، والاسم هو الرحمن، والصفة هي الرحمة. ويَدُلُّ على غيرِه بالالتزام؛ فالرحمةُ لا تكونُ إلا من وُجودِ حَيٍّ رحيمٍ قادرٍ، إلى غيرِ ذلك.

❀❀❀

٩٧- وكُـلُّ فِـعْـلٍ لِـلإلَـهِ يُطْلَقُ فَـلَـيْـسَ حَـتْـمًـا مِـنْـهُ إِسْـمٌ يُشْتَقَقُ

نَعَـمْ أفعالُ الله أَقْسَـامٌ، منهـا ما يَدُل على الكمال مُطْلَقًا، ومنها مـا يَدُلُّ على المجازاة والمقابلة، ومنها ما هو مُقَيَّد بصِفَةٍ ما ولا يشتق من الأفعال أسماء لله تَعَالَىٰ.

ومـا دلَّ على الكمالِ، مثل قولـه تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، فهـذه الأفعالُ: خَلَقَ، رَزَقَ، يُشْـتَقُّ له منها أسـماء، فيُقالُ: الخالق، والرازق. وأنَّها تَدُلُّ على الكمالِ.

وما يَدُل على المجازاة والمقابلةِ فلا يجوزُ أن يُشْتَقَّ له منها اسمٌ، وإطلاقها على الله كما وردت، مثـل قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦].

وكذلـك كلُّ ما وَرَدَ مُقَيَّـدًا بصفةٍ فلا يُنْطَقُ إلا مُقَيَّدًا بها، وكذلك ما كان مُضافًا أو دَالًا عـلى معنًى خاصٍّ غيرِ عامٍّ فلا يُشْـتَقُّ منه اسـمُ الله تَعَالَىٰ، وهـذا معنى البيت المتقدم باختصارٍ.

ومـا كان غـير ذلك فليس (حَتْمًا) بالضرورةِ أن يُشْتَقَّ له منه اسمٌ؛ لأنه وَرَدَ على صفةٍ خاصَّة فيَتَقَيَّدُ بتلك الصفة، وفككت الإدغام في (يُشْقَقُ) ليَسْتَقِيمَ البيتَ.

❁❁❁

٩٨- وإِنْ يَكُنْ إِسْمَانِ يَا ذَا اتَّحَدَا فَلَيْسَ مَعْنَى ذَا اتِّفَاقًا وُجِدَا

أي: إذا حَصَلَ اتِّفاقٌ في الاسمِ بينَ الخالِقِ والمخلوقِ، فليس معناه اتفاقًا في اللفظ والمعنى، بل إن هذا ليس صَحِيحًا، فقد يَحْصُلُ الاتفاق في الاسم أو اللفظِ وبينَهما بَوْنٌ شَاسِعٌ، فاللهُ موجودٌ والمخلوقُ موجودٌ، وليس وُجودُ المخلوق الفاني كوجودِ الله الباقي. والعينُ اسمٌ للعينِ الباصرةِ وللساقيةِ وللجاسوسِ، ولرمزِ القبيلةِ، وانظُرْ كم الفرقُ بينهم في المعاني. وكذلك الرجل له يَدانِ، والفيلُ له يَدَانِ، والأرنبِ له يدان. الاسمُ واحدٌ والمضمونُ مُخْتَلِفٌ جِدًّا.

فاللهُ سُبْحَانَهُ له سمعٌ وبَصَرٌ وحياةٌ، والمخلوقون لكلِّ واحدٍ منهم سمعٌ وبصرٌ وحياةٌ، ولكن سمع وبَصَر وحَيَاة الله على ما يَلِيقُ به من كمالٍ، وسمع وبصر وحياة المخلوقين على ما يَلِيق بهم من نقصٍ وفناءٍ.

فالاتفاقُ في الاسم لا يعني اتفاقًا في الـمُسمَّياتِ والمضمونِ، بل لكلِّ اسمٍ ما يَدُل عليه صاحبُه إذا أُضِيفَ إليه من الكمالِ والنقصِ، فالكمالُ لله من كلِّ الوجوه، والنقصُ للمخلوقين من كلِّ وَجْهٍ.

❁❁❁

٩٩- وكُلُّ مَا نَقُولُهُ فِي الذَّاتِ فَقُلْ تَمَامُ المِثْلِ فِي الصِّفَاتِ
١٠٠- وَالقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ مِثْلَمَا نَقُولُهُ فِي بَعْضِهَا قَدْ عُلِمَا

أي: ما نقوله في إثباتِ الذاتِ من تَنْزِيهٍ وكمالٍ نقوله في إثبات الصِّفَات من تنزيهٍ وكمالٍ؛ لأن الكلام في الصِّفَات فرعٌ عن الكلامِ في الذاتِ من غيرِ نقصٍ ولا زيادةٍ، خلافًا لما تقوله المُعْتَزِلَةُ والأشاعرة ومَن يُوافِقُهم من نُفاةِ الأسماءِ والصِّفَات، وإثبات ذاتٍ مُجرَّدة لله. تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

وكما أن له ذاتًا لا تُشبه الذواتِ، فكذلك له أسماء وصِفَات لا تشبه أسماء وصِفات المخلوقين، وهذا مذهب أهل السُّنة والجماعة في إثبات الأسماء والصِّفَات، على حدِّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والذين يُثْبِتون سَبْعًا من الصِّفَات ويُؤولون الباقِيَ، وذلك كالإرادةِ، والقُدرةِ، والحياة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، يجعلون هذه صِفَاتٍ حقيقيةً، ويُنْكِرونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ الأخرى، أو يؤولونها كاليدين، والوجه، والمحبة، والاستواء. ويؤولونها بصِفَات أخرى، من الصفات السبع التي يثبتونها ويحرفونها عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ مجازيةٍ، أو بإرادة الإنعام، أو الانتقام، إلى غيرِ ذلك من التأويلات الفاسدة.

فنقول لهم: إن القول في الصِّفَات واحدٌ، ولا فرقَ بين ما أثبتم هناك وما نفيتم هنا، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإثباتكم لتلك الصِّفَات يلزمكم أن تثبتوا باقي الصِّفَات؛ لأن القول في بعض الصِّفَات كالقول في بعضها الآخر، فكما أثبتم هنا لبعض الصِّفَات، فكذلك بقية الصِّفَات، وما هربتم منه وقعتم في مثله، فمثلًا: تنكرون صفة الوجه، وتقولون: هو الذات. فهربتم من إثبات صفة الوجه إلى إثبات صفة الذات أو الوجه؛ إذ القول في بعض الصِّفَات بالإثبات أو الإنكار يلزم منه القول في باقي الصِّفَات، وما تنكرونه هنا يلزمكم إنكار ما أثبتموه هناك، ولا فرق؛ إذ التناقض واضح والمصادمة للنصوص الصريحة بَيِّنة، والعقل السليم يَرُدُّ ما قالوه في التفريق بين الصِّفَات، وإنكار بعضٍ وإثبات بعضٍ.

٧- (إثبات المجيء لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ)

١٠١- حَقٌّ مَجِيءُ اللهِ لِلقَضَاءِ وَفَصْلُهُ بِالحَقِّ فِي الأَشْيَاءِ
١٠٢- فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ يَنْزِلُ بَيْنَ الخَلائِقِ لِكَيْمَا يَفْصِلُ
١٠٣- قَدْ نَزَلَ الأَمْلاكُ مُصْطَفِّينَا وَبِالمُكَلَّفِينَ مُحْدِقِينَا
١٠٤- وَكُلُّ أَمْلاكِ سَمَاءٍ صَفُّوا وَحَوْلَ أَهْلِ الأَرْضِ يَا ذَا التَفُّوا
١٠٥- وَيَنْزِلُ الرَّبُّ لِفَصْلِ الأَمْرِ بَيْنَ العِبَادِ فِي مَقَامِ الحَشْرِ

هذه الأبياتُ تُشيرُ إلى عقيدةِ أهل السُّنة والجماعةِ في مجيءِ الله بذاتِه، وإتيانِه لفصلِ القضاءِ بينَ عبادِه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لِميقاتِ يومٍ مَعْلومٍ أربعينَ سَنَةً، شَاخِصَةً أبصارُهم إلى السماءِ، يَنْتَظِرونَ فَصْلَ القضاءِ، ويَنْزِلُ اللهُ في ظُلَلٍ مِن الغَمامِ من العَرْشِ إلى الكُرْسيِّ**»(١).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، مثل حديث الصُّور والشفاعة(٢) وغيرها، وكلها تُثْبِت المجيءَ والإتيانَ لله بذاته لفَصْلِ القضاءِ بينَ عبادِه إثباتًا دونَ تمثيلٍ وتنزيهًا دون تعطيلٍ

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٢٠) رقم (١٢٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٣٥٧) رقم (٩٧٦٣)، وقال الألباني في «مختصر العلو» للذهبي معلقًا على قول الذهبي: إسناده حسن، قال: هو كما قال أو أعلى. رواه ابن منده (٥٠٣)، وقال الذهبي: إسناده حسن، والطبراني في «الكبير» (٩٦٥٥).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: =

مجيئًا يَلِيق به سُبْحَانَهُ. وليس كما ذكر أهل التعطيل أن الذي يجيء أمره لأن قولهم خلاف طريقة السلف وخلاف ظاهر النصوص.

أما مُفْرداتُ الأبياتِ:

فقولُنا: (حَقٌّ) أي: المجيءُ والإتيانُ حَقٌّ لله، ثابت بالأدلة من الكتاب والسُّنة، كما أشرنا إليها سابقًا. (مَجِيءُ الله) أي: بِذاتِهِ على ما يَلِيقُ به سُبْحانَه (للقضاءِ) للحُكْمِ (وفَصْله بالحقِّ). أي: الحكم بالعدل، وهو الحقُّ الثابت (في الأشياءِ) جمع شيءٍ، وهو ما يقع بين الناس من حقوق بعضِهم على بعضٍ، ومن ظُلم بعضِهم لبعضٍ، (في ظُلَلِ) الظُّلل جمع ظُلَّةٍ، وهو ما يُتَظَلَّلُ به، وفي بمعنى مع، وليست ظَرْفيَّةً، (من الغمام) وهو السحاب الرقيق، (ينزل) أي: اللهُ نزولًا يليق به سُبْحَانَهُ (بين الخلائق) بين ظرفيةٌ مفعولٌ مُقدَّمٌ للفعلِ (يفصلُ). والمعنى: يَنْزِلُ اللهُ بذاتِه ليَفْصِلَ بينَ الخلائقِ. (قد نزل الأملاك) أي أنزل الله الأملاك، جمع مَلَكٍ، (مُصْطفينا) أي: حال كونهم مُصْطَفِّينا صَفًّا بعدَ صَفٌّ (وبالمُكَلَّفِينَ) جمعُ مُكَلَّفٍ، وهو من وَجَبَ عليه التكليفُ الشرعيُّ، وبغير المُكَلَّفِينَ (مُحْدِقين) أي: مُحِيطِينَ بهم إحاطةً كاملةً. (وكل أملاك سماءٍ صَفُّوا) أي: كلُّ ملائكةِ سماءٍ صَفُّوا صَفًّا بعدَ صفٌّ مُحيطين بالخلائق الذين هم (أهل الأرض). (يا ذا) إشارة لمن يقع عليه الخطاب (التفُّوا) صُفوفًا حولَهم.

(وينزل الربُّ) أي: الربُّ المُرَبِّي لجميعِ الخلقِ بنِعَمِه العامَّةِ والخاصَّةِ، والظاهرةِ والباطنةِ، (يفصلُ الأمرَ) أي: أمرَ العباد وما كان بينَهم في الدنيا من حُقوقٍ ومَظالِمَ،

= ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]» (٩/ ١٣١) رقم (٧٤٤٠)، ومسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «أدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٠) رقم (١٩٣/ ٣٢٢). رواه مسلم (١/ ١٨٢-١٨٤) في «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزلة».

وليس يومها من مادَّةٍ تُدْفع، ولكنها حسنات تُسْحب منه، أو سيئات يتحملها، وفي كل ما همهم في ذلك الموقف العصيب.

(بينَ العباد) فيما بينهم (في مَقام الحَشْرِ) أي: يومَ اجتماعِ الناسِ كُلِّهم من أَوَّلهم إلى آخرهم في موقفِ القيامةِ يومَ يجمع بعضهم إلى بعض.

❁❁❁

١٠٦- وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ فَانِي   ولَيس يفنى خالق الأكوانِ
١٠٧- وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ثُمَّ النَّارُ   وَجَنَّةٌ أَتَتْ بِهَا الأَخْبَارُ
١٠٨- وقَلَمٌ وَاللَّوْحُ وَالأَرْوَاحُ   وَالعَجْبُ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الصِّحَاحُ

تُشِيرُ هذه الأبياتُ الثلاثةُ إلى الأشياءِ التي لا تَفْنَى ويَعُمُّها البقاءُ، وهي ثمانيةُ أشياءَ بعدَ بقاءِ الله تَعَالَىٰ، وكلها مُسْتثناةٌ من الفناء، وهي العرشُ، والكُرْسيُّ، والنارُ، والجنةُ، والقلمُ، واللوحُ، والأرواحُ، وعَجْبُ ذَنَبِ الإنْسَانِ.

وعليه الأَدِلَّةُ من الأخبارِ الصحيحةِ، كما ستأتي إن شاء الله تَعَالَىٰ، وقد نَظَمَها قبلي عَلامَةُ زمانِه السيوطي، فقال:

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ البَقَاءِ يَعُمُّهُمْ   مِنَ الخَلقِ وَالبَاقُونَ فِي حَيِّزِ العَدَم
العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ نَارٌ وَجَنَّةٌ   وَعَجْبٌ وَأَرْوَاحُ كذا للَّوْحُ وَالقَلَم[1]

❁❁❁

---

(١) كما في «شرح النونية» لابن عيسى (١/ ٩٦).

٨- إثبات الوجه واليدين وغيرهما على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١٠٩- وَسُنَّةُ الرَّسُولِ كالقُرْآنِ   قَدْ أَثْبَتَا لِلوَجْهِ وَاليَدَيْنِ

نعم بالسُّنة الصحيحة والقُرْآن الكريم قد أَثْبَتَا هاتين الصِّفَتين، كما قال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ قال: أعوذُ بالله العظيم وبِوَجْهِهِ الكَرِيم**»(١).

وحديث مسلم: «**إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ**»(٢). «**أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»(٣).

وقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بوَجْهِكَ الكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي**»(٤).

---

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو أبو داود كتاب «الصلاة» باب «فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد» (١/ ١٢٧) رقم (٤٦٦). وقال مغلطاي في «شرح ابن ماجه» (ص: ١٢٨٦): رواه أبو داود بسند صحيح، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠٦): صحيح. رواه أبو داود (٤٦٦)، وقال الحافظ: حديث حسن غريب، رجاله موثوقون، وهم رجال الصحيح، إلا اثنين إسماعيل بن بشر، وعقبه بن مسلم.

(٢) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري، مسلم كتاب «الإيمان» بَابٌ «فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩/ ٢٩٣). رواه مسلم (١/ ١٦١)، ح (١٧٩) في «الإيمان» باب «قوله ﷺ: «إن الله لا ينام»».

(٣) أخرجه من حديث عمار بن ياسر النسائي كتاب «السهو» (٣/ ٥٤) رقم (١٣٠٥)، وأحمد مسند الكوفيين (٣٠/ ٢٦٤) رقم (١٨٣٢٥). وصححه ابن حبان (١٩٧١)، وقال الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (١٠٦): إسناده صحيح. وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حديث صحيح. رواه أحمد (٤/ ٢٦٥)، والنسائي (٣/ ٥٥) في مسنده. شريك وهو ضعيف ورواه النسائي(٣/ ٤٥-٥٥) والحاكم (١/ ٥٢٤)، وابن حبان (٣/ ٢١٢)من طريق حماد قبل الاختلاط وسنده صحيح.

(٤) لم أقف عليه، ويغني عنه حديث جابر في الصحيح قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -» أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] (٩/ ١٢١) رقم (٧٤٠٦).

وقوله عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن رَبَّكم ليسَ عندَه ليلٌ ولا نهارٌ، نُورُ السمواتِ والأرضِ من نُورِ وَجْهِهِ»(١).

ففي هذه الأحاديث دلالةٌ واضحة على إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ، وفيها الردُّ على من أنكرَ صِفة الوجه أو أوَّلها بتأويلٍ باطلٍ، كمَن أوَّلَ الوجه بالثواب، وهذا لا يصح، وحيث إن الوجه إذا ورد فإنها يرد مضافًا إلى الذات، والمضاف إلى الله - كما هو معلوم - على قسمين: أعيان قائمة بنَفْسها، كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله ونحو ذلك، فهذه مخلوقة ومضافة إلى الله إضافةَ تشريفٍ وتخصيصٍ، وهي من باب إضافة المملوك إلى مالكه.

أما القسم الثاني من الصِّفَات، فهي من بابِ إضافةِ الصفة إلى الموصوف، وهي غيرُ قائمةٍ بنَفْسها، كعلم الله، ووجه الله، وحياته، وقدرته. فهذه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وليست مخلوقةً.

والوجه من هذا الباب، وفي الحديثين السابقين إثبات صفة الوجه وهي صفة ذاتية تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نُثْبِتُها له إثباتًا بدون تمثيل، ونُنَزِّهه تَنْزيهًا بدون تعطيل.

أما من القُرآن قوله تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وقوله تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. قد سَبَقَ الكلامُ على صفة الوَجْهِ مِرارًا.

---

(١) أخرجه موقوفًا على ابن مسعود، الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٧٩) رقم (٨٨٨٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات مَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ صِفَةً» (٢/ ١١١) رقم (٦٧٤). وقال البيهقي: هذا موقوف، وراويه غير معروف. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٨٦).

أما صفة اليدين فقد ثبتت بالسُّنة كما في قول عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «إنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ بِيَدِهِ إلَّا ثلاثًا: خلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وكَتَبَ التَّوْراةَ بِيَدِهِ»(١).

وفي مُحاجَّة آدم لموسى، قال موسى لآدم: «انتَ الَّذي خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فيك من رُوحِه، واسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ»(٢).

وفي حديثِ الشَّفاعةِ: «فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ مَقامًا لا يَقُومُهُ غَيْرِي»(٣).

وقوله ﷺ: «يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وأَرْضَهُ بِيَدِهِ، يَهُزُّهُنَّ». وجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَقْبِضُ يَدَهُ ويَبْسِطُها)(٤).

---

(١) لم أقف عليه مسندا.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «القدر» باب «تحاج آدم وموسى عند الله» (٨/ ١٢٦) رقم (٦٦١٤)، ومسلم - واللفظ له - كتاب «القدر» باب «حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» (٤/ ٢٠٤٢) رقم (٢٦٥٢/ ١٥). رواه مسلم (٤٨٠٢) وفيه روايات متعددة في محاجة آدم لموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، رواه البخاري (٧/ ٢١٤) في «القدر» باب «تحاج آدم وموسى عن الله». ورواه مسلم برقم (٢٦٥٢) في «القدر النهي عن القول في القدر». (٢/ ٨٩٨) وأبو داود برقم (٤٧٠١) في السنة، باب «في القدر». ورواه الترمذي (٢١٣٥) «في القدر» باب (رقم: ٢). انظر: «شفاء العليل» (١/ ٤٦).

(٣) أخرجه من حديث ابن مسعود أحمد مسند المكثرين من الصحابة (٦/ ٣٢٨) رقم (٣٧٨٧)، بلفظ: «فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي»، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. ويغني عنه حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» أخرجه مسلم كتاب «الإمارة» باب «فضيلة الإمام العادل...» (٣/ ١٤٥٨) رقم (١٨٢٧/ ١٨). حديث الشفاعة الطويل متفق عليه، ورواه عن انس البخاري في كتاب «التوحيد» باب «الرؤية» (٨/ ١٨٣-١٨٤) ورواه مسلم في كتاب «الإيمان» باب «الشفاعة» (١/ ١٢٣-١٢٤) وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة وأشار إلى حديث أنس كتاب «صفة القيامة» باب «ما جاء في الشفاعة» رقم (٢٤٣٤)، (٤/ ٦٢٢) ورواة ابن ماجه في كتاب «الزهد» باب «الشفاعة» (٢/ ١٤٤٢)، رقم (٤٣١٢).

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قول الله تَعَالَى: =

أمـا إثباتُ اليدين في القُرآن فكما يأتي، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تَعَالَىٰ في الجمع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١] بل قد ورد لفظُ اليدين لله في السُّنة والقُرآن أكثرَ من مائةِ مرةٍ وُرودًا مُتنوعًا[(١)]، وقد وردت صفتا اليدين مضافة إلى الله تارة مفردة، وتارة مثناة، وتارة مجموعة، والجمع بين هذه الوجوه ما يلي: أن المفرد إذا أضيف يعم فلا يختلف مع المثنى والجمع. أما الجمع فإن كان أقله اثنان فلا خلاف، وان كان أقل الجمع ثلاثة فيقصد بالجمع التعظيم من الضمير (نا) أو بإضافة المثنى إلى ضمير الجمع فإنه يجمع طلبا للخفة كما هو في لغة العرب وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] وعقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون لله يدين اثنتين على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁❁❁

= ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] (٩/ ١٢٣) رقم (٧٤١٢)، ومسلم كتاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ» (٤/ ٢١٤٨) رقم (٢٧٨٨/ ٢٥)، بلفظ: «يَأْخُذُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ». مسلم (١٠٠٥) (٤/ ٢١٨٤) ح (٢٧٨٨) «في صفة القيامة والجنة والنار».

(١) انظر: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٧١ - ١٧٣).

١١٠- مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلِ وَدُونَ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلِ

قولنا (من غير تأويل) التأويل له ثلاثة معاني:

١- التفسير وإيضاح المعنى وبيانه.

٢- والحقيقة التي يؤول إليها الشيء،وهو مذهب أهل السنة والجماعة

٣- تأويل فاسد وهو صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى يخالف ظاهره بدون دليل.

والتأويل الصحيح هو ما دل عليه الكتاب والسنة والفاسد هو ما لم يدل عليه الكتاب والسنة.

وقولنا (ولا تعطيل) معناه نفي الصفات عن الله تَعَالَىٰ وهو قسمان: قسم كلي وهو نفي الصفات وإنكار قيامها بذاته تَعَالَىٰ، وقسم جُزئيٌّ، وهو ما فعله الأشاعرة من نَفْي كلِّ الصِّفَات إلا سبع صِفَات عندهم يُثْبتونها. وهذا هو قولهم في الصِّفَات، وقد ردَّ عليهم أهل السُّنة والجماعة بأن هذه الصِّفَات أثبتها الله لنَفْسه، وما يُثْبته لنَفْسه فلن يكون فيه لأحد مَطْعنٌ قَطْعًا، وليسَ فيه تشبيهٌ ولا تعطيلٌ، وَليس أحد أعلم بالله منه بنَفْسه، وقد وصف نَفْسه بهذه الصِّفَات، فنُثْبِتها له على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كمال.

ولا يعني الاتفاق في الأسماء اتفاقًا في المسميات، فقد تشترك صِفَات الله مع صِفَات خلقه في اللفظ والمعنى العامِّ المطلق قبل أن تضاف صِفَات الله إلى الله وصِفَات المخلوق إلى المخلوق، وعند الإضافة يحصل الفرق العظيم بين الخالق والمخلوق، فالخالق كامل من جميع الوجوه، وصفاته المضافة إليه كذلك كاملة من جميع الوجوه، وعلى ما يليق به، والمخلوق ناقص من جميع الوجوه، وصفاته كذلك ناقصة من كل الوجوه على ما يليق به.

....

(ودون تكييف) أي: دون حكايةِ كَيْفيةِ المعنى، أو تعيين كَيْفية الصفة، أو السؤال عنه بكَيْف، مثل أن تقول: كيف يَدَا الله، أو كيف ينزل. نحن نؤمن باليدين وبنزوله وبجميع الصِّفَات، لكن لا نعلم كيفية تلك الصِّفَات، وإن كانت لها كيفية، ولكن لا يعلمها إلا الله تَعَالَىٰ. وقولنا (ولا تمثيل) أي: نَنْفي الـمُماثلةَ والمشابهةَ عن الله في جميع أسمائه وصفاته، والتمثيل هو إثبات مَثِيلٍ لله من جميع الوجوه، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا. والفرق بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يعني المماثلة للشيء من كل وجه، والتشبيه يعني المشابهةَ في كثير من الصِّفَات.

فعقيدة أهل السُّنة والجماعة إثبات صِفَات الله من دون تشبيهٍ، ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا تكييف، على حدِّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

❁❁❁

١- إثبات بعض الصِّفات:

١١١- وَالسَّمْعُ وَالعَيْنُ لَهُ وَالبَصَرُ وَعَجَبًا وَالضَّحْكَ قُرْبًا ذَكَرُوا

في هـذا البيت جملـةٌ من الصِّفَـات الأولى السـمع، والثانية العـين، والثالثة البصر، والرابعة العجب، والخامسة الضحك، والسادسة القُرْب.

الأولى والثانيـة: صفتا السـمعِ والبَـصَرِ، وهاتان من صِفَات الله الذاتيـة، نُنَزِّهُهما بـدونِ تعطيـلٍ، ونُثْبِتُهما بدونِ تأويلٍ ولا تشبيه، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقد وردت في القُرْآن كثيرًا قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٦١]، وقـال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ [الكهف: ٢٦].

قـال ابـن جريـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلـك في معنـى المبالغـة في المـدح كأنه قيل: مـا أبصره وأسـمعه! وتأويل الـكلام: ما أبصَرَ اللهَ لكلِّ موجودٍ، وأسْـمَعَهُ لكلِّ مَسْـموعٍ، لا يَخْفَى عليه شيءٌ من ذلك».

وقال بن زيد: «أَبْصِرْ به وأَسْـمِعْ، يَرَى أعمالَهم ويَسْـمَعُ ذلك منهم، إنه كانَ سَمِيعًا بَصِيرًا».

وقـال البغـوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآيـة: «أي مـا أَبْـصَرَ اللهَ بـكلِّ موجـودٍ وأسْـمَعَه لـكلِّ مسموعٍ».

والآياتُ في السمعِ والبصرِ كثيرةٌ جِدًّا، وكذلك الأحاديث، وفيها الردُّ على مُنْكِرِي الصِّفَاتِ الذين يقولون: إنه سـميع بلا سـمع، وقدير بلا قدرة، ورحيم بلا رحمة. ونحو ذلك.

الصفة الثالثة: العين أو العينان، أو هما، فذهب أهل السُّنة والجماعة أن لله عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقةً على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ، وهما من الصِّفات الخَبَرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسُّنة، فمن السُّنة قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**[1]. **«يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ قَنِطِينَ، حِجَابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ...»** إلخ[2] ومن القُرآن قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣ - ١٤]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وفي هذه الآيات والأحاديث دلالةٌ على إثبات هذه الصفة الذاتية لله تَعَالَىٰ على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يصح تحريف معناها إلى الرؤية أو العلم؛ لأنه تأويل فاسد، بل باطل لمصادمته النصَّ، ولأنه صرفٌ للنص عن معناه الحقيقي إلى مجازه بدون دليلٍ.

وقد وردت العين في القُرْآن مضافةً إلى الله مفردةً، ومجموعةً، ونطقت بها السُّنة بإضافتها إليه مثناة، وكل ذلك جائز في لغة العرب، ولا منافاة بين ورودها مفردة أو مثناة أو مجموعة، فالإفراد لا ينافي التثنية ولا الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعم فيصدق على الواحد والمتعدد، وعليه فلا منافاة بينه وبين التثنية والجمع.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الفِتَنِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ» (٩/ ٦٠) رقم (٧١٣١)، ومسلم كتاب «الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ» (٤/ ٢٢٤٨) رقم (٢٩٣٣/ ١٠١). رواة البخاري (١٣/ ٨٩) في «الفتن» باب «ذكر الدجال»، ورواه مسلم (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) باب «ذكر الدجال».

(٢) أخرجه من حديث أبي موسى مسلم كتاب «الإيمان» باب «في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله لا ينام»» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩). بدون لفظ: يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ قَنِطِينَ، فلم أعثر عليها. حديث حسن، حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨١٠) كما نقله علي الحلبي في تحقيقه للعقيدة الواسطية (ص: ٤١).

....

وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية والجمع، فإن قلنا: أقل الجمع اثنان. فلا منافاة بينهما؛ لاتحاد مدلوليهما. وإن قلنا: أقل الجمع ثلاثة. وهو المشهور، فالجمع بينهما أن لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر، وإنما يراد به - والله أعلم - التعظيم[١]؛ ولأن في بعض النصوص ما يمنع من ذلك أن تكون له عين واحدة للحديث: «**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ**». وقوله: «**لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إليهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[٢]. وحديث: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[٣].

الصفة الرابعة: قولنا (وعَجَبًا). ومن الصِّفَات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وإرادته وقدرته صِفةُ العَجَب، وأهل السُّنة والجماعة يُثْبتونها كبَقيَّةِ صِفَات الأفعال، على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لورود النصِّ بها من السُّنة الصحيحة، ومن القُرْآن الكريم. يُثْبتونها إثباتًا دون تشبيهٍ، وتنزيهًا دون تعطيل، فيَصفون اللهَ بالعَجَب؛ لأن الله وصف نَفْسه به، ووصفه به رسوله الكريم قال تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢] (**عجبتُ**) بضم التاء للمتكلم وهو الله جل في علاه على قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وهي على هذه القراءة من صفات الأفعال المتعلقة بقدرة الله ومشيئته سُبْحَانَهُ.

---

(١) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ط: الرابعة (ص: ٥٩-٦٠).

(٢) أخرجه من حديث أبي موسى مسلم كتاب «الإيمان» باب «في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن الله لا ينام**»» (١/ ١٦١) رقم (١٧٩). حديث حسن، حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨١٠) كما نقله علي الحلبي في تحقيقه للعقيدة الواسطية (ص: ٤١).

(٣) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الفِتَنِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ» (٩/ ٦٠) رقم (٧١٣١)، ومسلم كتاب «الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ» باب «ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ» (٤/ ٢٢٤٨) رقم (٢٩٣٣/ ١٠١). رواه البخاري (١٣/ ٨٩) في «الفتن»، باب «ذكر الدجال»، ورواه مسلم (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) باب «ذكر الدجال».

....

ثـم صفـةُ العَجَب قد تدُلُّ على محبَّةِ الله للفعلِ المتعجب منه، ويكون قريبًا من معنى الفَرَح قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»(١). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ عَبْدِهِ إذا ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ ووطَائِهِ إلى الصَّلاةِ»(٢). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِن قَوْمٍ يُقادُونَ إلى الجَنَّةِ بالسَّلاسِلِ». وفي رواية: «عَجِبَ رَبُّكَ من قَوْمٍ بأَيْدِيهِم السلاسلُ حتى يَدْخُلونَ الجَنَّةَ».(٣)

وكل ذلـك على مـا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الكمال والجلال، لا كما هو معروف عند البشر مـن النقـص والضعف. وعجبه سُبْحَانَهُ ليس من عـدم العلم بحـال المتعجب منه. والخلاصـة في العجب: أن العجب بأنواعه صفة فعلية لله، متعلقةٌ بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نُثْبِتها له على ما يليق به سُبْحَانَهُ، وننزهه عن معناه في حقِّ البشر؛ لأن الله ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير، فالعَجَب معلومٌ، وكُنْهه مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عن الكيفيـة والكُنْـه بدعةٌ، كما ذكَرَ ذلك إمامُ دار الهجرة مالكُ بن أنسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن جوابه لمن

---

(١) أخرجه من حديث عقبة بن عامر أحمد مسند الشاميين (٢٨/ ٦٠٠) رقم (١٧٣٧١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): إسناده حسن. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٨٤٣). وقال الأرنؤوط: حسن لغيره. رواه الإمام أحمد بسند حسن.

(٢) أخرجه من حديث ابن مسعود أحمد بلفظ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيِّهِ إِلَى صَلاتِهِ ...» مسند المكثرين من الصحابة (٧/ ٦١) رقم (٣٩٤٩)، وصححه ابن حبان (٢٥٥٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٥): إسناده حسن. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: حسن لغيره. وصحح وقفه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٦٧) (٨٦٩). أخرجه أحمدُ من حديثِ ابنِ مسعودٍ، وإسنادُه حسنٌ.

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «الأسارى في السلاسل» (٤/ ٦٠) رقم (٣٠١٠). بلفظ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ». رواه أحمد (٢/ ٣٠٢-٤٠٦ - ٤٤٨ - ٤٥٨) ورواه البخاري (٦/ ١٤٥) «في الجهاد» باب «الأسارى في السلاسل» من حديث أبي هريرة عندهما.

سـأله عن صفة الاسـتواء فقال: (الاسـتواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان بـه واجب، والسـؤال عنـه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا) ثم أمر بـه أن يخرج وقد صار هذا الجواب كالميزان في باب الصفات.

ومثل هذه صفة الفرح، وهي من الصِّفَات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله سُبْحَانَهُ، والتي تُثْبَت بالسُّـنة الصحيحة دون الكتاب، وقد تلقاها أهل السُّـنة خَلَفًا عن سَـلَفٍ بالقَبولِ، وعليها وقَعَ إجماعُهم، وهذه الصفة تدُلُّ على لُطْف الله بعباده ورحمتِه بهم، حيث يُوَفِّق من يشـاء من عباده ليتوبوا، فإذا تابوا تَقَبَّل الله منهم، وفَرِحَ بها فرحًا شـديدًا قال ﷺ: **«لله أَفْـرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَـقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَـدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ»**. وفي رواية لمسـلم: **«لله أشَـدُّ فَرَحًـا بتَوْبَةِ عَبْـدِهِ حِينَ يَتُـوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُـمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَـرَابُهُ، فأَيِسَ منها، فأتَى شَـجَرَةً، فاضْطَجَـعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ يَئِـسَ من رَاحلتِه، فَبَيْنَما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عندَه، فأَخَذَ بخِطَامِهَا، ثم قال مِن شِـدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهم أنتَ عَبْدِي وأنا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِن شِـدَّةِ الفَرَحِ»**[1].

وفي هـذا الحديـث الصحيـحِ إثباتٌ لصفةِ الفـرحِ لله، كما هو ثابـت في الصحيحين البخاريِّ ومسلمٍ، وأنهم يُثْبتون هذه الصِّفة لله كغيرِها من صِفَات الأفعال، ولا يَتعرَّضون لتفسـير كُنْهِهـا وكيفيتهـا، ويُنزِّهون اللهَ عن مشـابهة خلقِه في الفرحِ المعـروف لديهم، بل الفرح صفةٌ مَعْلومةٌ، والكيفُ مجهولٌ والإيمانُ بها واجبٌ كما تقدم.

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب «التوبة» (٨/ ٦٨) رقم (٦٣٠٩)، ومسـلم كتـاب بـاب «في الحـض عـلى التوبة والفـرح بهـا» (٤/ ٢١٠٤) رقـم (٢٧٤٧/ ٧). مسـلم (٤/ ٣١٠)، فؤاد عبد الباقي، البخاري في الدعوات (١١/ ١٠٣) فؤاد عبد الباقي.

الصفةُ الخامسة: قولُنا: (والضحك):

ومن الصِّفَات الفعلية التي يُثبتها أهل السُّنة والجماعة على ما يليق به سُبْحَانَهُ وليس على ما يَدُل عليه الضحك في المخلوقين من الخِفَّة والنشوة، وإن كان قد تَدُل صفة الضحك في البشر على صفة مدح وكمال، فالمرء الذي يضحك في وقت الضحك المناسب أكمل ممن لم يضحك في الوقت المناسب، وهكذا المتكلم أكمل من الذي لا يتكلم، وهذا كله في حق البشر.

أما في حق الله فهو على ما يليق به سُبْحانَه حقيقةً، وهو من صفة الفعل الاختياري، وأحاديث الضحك متواترة عن النبي ﷺ(١).

ففي الصحيحين: عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ آخِرَ أهلِ الجنةِ دُخولًا الجنَّةَ رجلٌ يَمْشِي على الصِّراطِ، فينْكَبُ مَرَّةً، ويَمْشِي مَرَّةً**». وفيه: «**فيَقُولُ اللهُ له: أيُرْضِيكَ أنْ أُعْطِيَكَ مِنَ الجنَّةِ مِثْلَ الدُّنْيا ومِثْلَها مَعَها؟ قال: فيَقولُ: أتَهْزَأُ بِي وأنتَ رَبُّ العِزَّةِ**». فضَحِكَ عبدُ الله بن مسعود حتى بدت نواجذُه، ثم قال: ألا تسألوني لم ضَحِكْتُ؟ قالوا: لم ضَحِكْتَ؟ قال: لضَحِكِ رسولِ الله ﷺ. ثم قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**ألا تَسْأَلُونِي لِمَ ضَحِكْتُ؟**». قالوا: لم ضَحِكْتَ؟ قال: «**لِضَحِكِ الربِّ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حينَ قال: أتَهْزَأُ بِي وأنتَ رَبُّ العِزَّةِ؟!**»(٢).

وقوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إلى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أحدُهما الآخَرَ، كلاهما يَدْخُلُ الجنَّةَ**».

---

(١) «الفتاوى المصرية» (١/ ٢٤٩).

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «صفة الجنة والنار» (٨/ ١١٧) رقم (٦٥٧١)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «آخر أهل النار خروجا» (١/ ١٧٤) رقم (١٨٧/ ٣١٠). رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (١٨٦).

وتمام الحديث: فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال ﷺ: **«يُقاتِلُ هذا في سَبِيلِ الله، فيُسْتَشْهَدُ، ثم يَتوبُ اللهُ على القاتِلِ فيُسْلِمُ، فيُقاتِلُ في سَبِيلِ الله، فيُسْتَشْهَدُ»**(١).

الصفةُ السادسة: قولنا (قُرْبًا) أي صفة القُرْب:

ومن الصِّفَات التي يُثْبتها أهل السُّنة والجماعة لله على ما يَلِيق به سُبْحَانَهُ من غير تشبيهٍ ولا تعطيلٍ صفةُ القُرب لله من عباده الداعين، أو عباده السائلين، ولا يتنافى ذلك القُرب مع عُلُوِّه سُبْحَانَهُ واستوائه على عرشه، فهو قريب مِمَّن دعاه، ويسمع سِرَّه ونجواه، وهو أقرب إليه من حَبْل الوريد، وأقرب إلى العبد من عُنق راحلته، ويعلم ما توسوس به نَفْسُه، والله مُسْتوٍ على عرشه، ولا يخفى عليه شيء من خلقه في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء شهيد، وبكل شيءٍ محيط، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، و: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ من العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ»**(٢).

وإن صفة القرب نُثْبِتها لله على ما يَلِيق به، كما قال الله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم» (٤/ ٢٤) رقم (٢٨٢٦)، ومسلم كتاب «الإمارة» باب «بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة» (٣/ ١٥٠٤) رقم (١٨٩٠/ ١٢٨). متفق عليه واللفظ للبخاري كتاب «الجهاد» باب «الكافر يقتل مسلمًا» (٦/ ٣٩)، ومسلم (٣/ ١٥٠٤)، وأخرجه أحمد والترمذي (٤/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه من حديث عمرو بن عبسة مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «إِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ» (١/ ٥٦٩) رقم (٨٣٢/ ٢٩٤)، والترمذي - واللفظ له - أبواب الدعوات (٥/ ٥٦٩) رقم (٣٥٧٩). أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمر بن عنبسة وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي. انظر: «فيض القدير» (٢/ ٦٩).

....

والقرب نوعان: نوع خاصٌّ، وهو قسمان: قسم خاص، بإجابة العابدين، وقسم آخر خاصٌّ بإجابة السائلين.

أما النوع الثاني: فهو قربٌ عامٌّ[١]، وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حَبْل الوريد، وقد أُخِذ من اسميه المحيط والشهيد، أي أنه شاهد على كل شيء، ومحيط بكل شيء، وهو من العطاء الربوبي، والتربية العامة لجميع خلقه.

وبعض العلماء لا يَرَونَ هذا النوع، وأن ما وَرَدَ في الكتاب والسُّنة هو النوع الخاصُّ بالعابدين والسائلين، والأحاديث المتقدمة تَدُلُّ على ذلك.

❁❁❁

(١) «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية» للشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ٦٤)، دار ابن القيم.

١١٢- وَوَصْفُهُ بِالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ   وَعِزَّةٍ وَرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ

(ووَصْفُه) من قِبَلِ نَفْسه في كتابه العزيز (بالعفو والغفران)، كما قال تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، وغير ذلك من الآيات الدالة على إثبات صفة العفو والمغفرة لله، ولمن شاء من عباده، ومتى شاء، وإثباتهما على ما يليق به سُبْحَانَهُ من غير تشبيهٍ بصِفَات خلقه أو تكييف لمعناها أو كُنْهِها، بل صفة العفو والمغفرة معلومة، والكيفية مجهولة، والإيمان بهما واجب.

وكذلك ثبتت هاتان الصفتان في السُّنة، كما في قوله ﷺ في الدعاء المأثور: «**إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»(١). والعفو من أسمائه سُبْحَانَهُ الدال على صفة العفو ومعناه المتجاوز عن خطايا عباده إذا تابوا إليه وأنابوا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

(وَعِزَّةٍ وَرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ) أي: ومما وصَفَ به نَفْسَه في كتابه العزيز العِزَّةُ، وهي الغلبة والقهر. والرحمة وهي الخير والرحمة. قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨] وقوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ [يونس: ٢١].

والعِزَّة صفة ثابتة لله تَعَالَى على ما يَليق به سُبْحَانَهُ، وكذلك الرحمة ثابتة لله تَعَالَى على ما يليق به، قال تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣].

---

(١) أخرجه من حديث عائشة الترمذي أبواب الدعوات (٥/ ٥٣٤) رقم (٣٥١٣)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب «مَا يَقُولُ إِذَا وَافَقَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ» (٩/ ٣٢٢) رقم (١٠٦٤٢)، وابن ماجه كتاب «الدعاء» باب «الدعاء بالعفو والعافية» (٢/ ١٢٦٥) رقم (٣٨٥٠). وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٣٧). الترمذي (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠).

ومن أسمائه العزيز، ومن صفاته العزة، ومن أسمائه الرحمن الرحيم، ومن صفاته الرحمة.

ومعنى العزة في اللغة: القوة والغلبة والامتناع. وهذا في حق البشر، أما في حق الله فالعزة الكاملة كلها لله تَعَالَىٰ، وليس فيها بعد إضافتها لله أي مشابهة للمخلوقات، ومعناها: القوة الكاملة جميعًا لله وحده، سواء عزة الشدة أو القوة، أو عزة الامتناع، أو عزة الغلبة والقهر، كلها له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد يوصف بها الرجل مضافةً إليه، ويكون عزيزًا عِزَّةً تليق به من الضعف والافتقار.

سئل الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيل له: إنك متكبر. فقال: لست بمُتكبِّر، ولكني عزيز.

وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]. وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أعزَّ اللهُ الإسلامَ بأحَدِ هذين الرَّجُلين»**. وفي رواية: **«بأحَبِّ العُمَرين»**. وفي رواية: **«بِأَبِي الحَكَمِ بنِ هِشَامٍ أو بعُمَر بنِ الخَطَّابِ»**[2].

وفي الحديث: **«وعِزَّتِكَ لا غِنَى بِي عن بَرَكَتِكَ»**[3]. وحديث: **«أَعُوذُ بعِزَّتِكَ الذي لا إلهَ إلا أنت الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتونَ»**[4].

(١) أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «إسلام عمر بن الخطاب» (٥/ ٤٨) رقم (٣٨٦٣).

(٢) أخرجه من حديث ابن عمر الترمذي أبواب المناقب باب «في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب» (٥/ ٦١٧) رقم (٣٦٨١). وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وصححه ابن حبان (٦٨٨١)، وقواه ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٤٨): بشواهده. وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص: ٥٤): لفظ: بِأَحَبِّ الْعُمَرَيْنِ، لا أصل له. سيرة ابن هشام عن خباب بن الأرت (ص: ٣٤٥).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء» باب «قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ..﴾ [الأنبياء: ٨٣] (٤/ ١٥١) رقم (٣٣٩١). أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١٣/ ٤٦٤) في «التوحيد».

(٤) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ =

وقال بعضهم: «من أراد عِزًّا بلا سُلطانٍ، وكُثْرًا بلا عَشِيرةٍ، وغِنًى بلا مالٍ، فَلْيَنْتَقِل مِنْ ذُلِّ الـمَعْصِيَةِ إلى عِزِّ الطَّاعَةِ».

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الـمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأحَبُّ إلى الله من الـمُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وفي كلٍّ خَيْرٌ**»(١). والقوة من العزة، أما صفة الرحمة ففي القُرْآن مئات الآيات الدالة عليها، وكذلك في الحديث.

الخلاصة: أن العزة بأنواعها ومعانيها كلها لله تَعَالَىٰ وحده، لا ينازعه فيها أحد كبقية الصِّفَات، والرحمة الصفة المضافة إلى الله؛ فإن أهل السُّنة والجماعة يُثْبِتونها بدون تشبيهٍ ولا تعطيلٍ على ما يَلِيق به سُبْحانَه، وليس كما هي في المَخْلوقين من الرقة، بل العِزَّة والرحمة صفتان معلومتان، وكُنْهُهما مجهولٌ، والإيمانُ بهما واجبٌ، والسؤال عن الكيف بدعة.

❁❁❁

= ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٩/ ١١٧) رقم (٧٣٨٣)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ» (٤/ ٢٠٨٦) رقم (٢٧١٧/ ٦٧). أخرجه البخاري (١٣/ ٣٦٨ - ٣٦٩) في «التوحيد»، وأخرجه مسلم كذلك (٤/ ٢٠٨٦) حديث (ح ٢٧١٧) في «الذكر والدعاء» باب «التعوذ من شر ما عمل».

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «القدر» باب «فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ» (٤/ ٢٠٥٢) رقم (٢٦٦٤/ ٣٤). الحديث حسن وموجود في «مختصر مسلم» (١٨٤٠)، وفي «السنة» (٣٥٦) الطحاوي.

١١٣- وقُـدْرةُ لله وسْمُـهُ ثَـبَـتْ   والـنَّـفْـيُ لـلـمِـثْـلِ ولـلـنِّـدِّ أتَـتْ

ومـن صِفَـات الله الـمُتَّفَـقِ عليهـا صفةُ القـدرة في قولنا (وقـدرة الله)، قال تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وقد ورد هذا الاسـم في القُرْآن أكثرَ من أربعين مَرَّةً، وهو يَدُل على الاسـمِ والصفة التي هي القدرة.

والمعنـى: أن كل شيء وُجِـد بقدرتـه سُبْحَانَهُ، وهـي صفة تدل عـلى ذُروة الكمال لله تَعَالَىٰ، وأنه لا يُعْجِزه شيء، وأنه على كل شيء قدير.

قال الشـيخ تقي الدين: «فمَن جَعَلَ شَـيْئًا من الأعمالِ خَارِجًا عن قُدْرتِهِ ومَشِيئتِهِ، فقد ألحَدَ في أسمائِه وَآيَاتِهِ».

ومـن أسـمائه القَدِيرُ الذي لا يَخْرُجُ عـن قُدرتِه شيءٌ في الأرض ولا في السماءِ، ومن صفاتـه القُدْرة التي بها وُجِـد كلُّ شيء، وإثباتها على ما يليق به سُبْحَانَهُ من الكمال والجلال، ولا يشـترك المخلوق في مُسَـمَّى القدرة إلا بقدرِ ما يَلِيقُ به من ضَعْفٍ ونَقْصٍ، أما المضافة إلى الله فهي قدرة بالغة الذروة في الكمال؛ لأن الله هو واهب الكمال في غيره، وهو أولى به.

(واسمه ثبت) حقيقةً كما قال تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وغيرها من الآيات الدالة على إثبات الاسم له تَعَالَىٰ، وإثبات التعظيم له والإجلال.

(والنَّفْـي للمِثْـلِ وللنِّـدِّ ثَبَـتْ) كما في قولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقولـه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. **والنـدُّ كمـا تقدم:** المثْلُ والنظيرُ، ومعناهما واحدٌ في اللغة(١).

---

(١) انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٩١٨).

١١٤- بِهِ نُصُوصٌ كُلُّها صَرِيحَهْ وَكُلُّهَا مُثْبَتَةٌ صَحِيحَهْ

أي: نصوص صريحة، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] إلى غير ذلك من الآيات.

❁❁❁

٩- إثبات صفة الاستواء والعلو لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١١٥- وَفَوْقَ عَرْشِهِ استوى الرَّحْمَنُ ... كَمَا يَلِيقُ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ

ومن صِفَات الله الفعلية التي يُثْبِتُها أهل السُّنة والجماعة صفةُ الاستواءِ، والتي وردت في القُرْآن في سبعةِ مواضع، وبصيغةٍ مُوحَّدةٍ، وكلُّها تنصُّ على أنه مُسْتوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، يعلم ما هم عليه من عمل قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] أما صفة العلو فقد تقدمت.

ففي تلك الآيات السبع دلالةٌ واضحةٌ على أنه سُبْحَانَهُ مُسْتَوٍ على عرشِه بائنٌ من خَلقِه، يعلم ما هم عاملون، وقد جاءت في جميع الآيات بلفظ اسْتَوَى وهو دَلِيل على قصد هذا المعنى وتأكيدِه.

❁❁❁

١- معنى الاستواء في اللغة:

١١٦- وَأَنَّ مَعْنَاهُ مُعَيَّنٌ وَرَدْ بِسَبْعِ آيَاتٍ وَيَكْفِي مُسْتَنَدْ

قولنا: (وإِنَ مَعْنَاهُ) أي: معنى الاستواء مُحَدَّد في اللغة بلفظِ: عَلَا، وارتفَعَ، وصَعِد، واسْتَقَرَّ. وقد وردَ أيضًا بلفظٍ واحدٍ في سَبْعِ آيات من القرآن، وقد تقدم إيرادها قريبا.

(وَيَكْفِي) أي: حسبي الآيات السبع من السمع، (مُسْتَنَدُ) أي: ما يسندني ويقوي ما أذهب إليه في صفة الاستواء أنها حقيقية لله تَعَالَى ثابتة بهذه النصوص.

وفي هذه النصوص وغيرها الرد على من يفسر الاستواء بالاستيلاء، وهو تفسير هابط عُمْدته قول أحد الشعراء المولدين المجهولين:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سيف أَوْ دَم مُهْرَاقِ

فلا تُتْرَكُ النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحةُ لقولِ هذا الشاعرِ الذي لا يُحْتَجُّ بقولِه.

❁❁❁

١١٧- وَصِفَـةٌ فِعْلِيَـةٌ مُعَلَّقَهْ   بِـقُـدْرَةٍ مَـشِـيـئَـةٍ مُحَـقَّـقَـهْ

قولنـا (وصفة فِعْليَّة) أي: أن الاسـتواء صفـة فعلية (مُعَلَّقَـة) أي: مرتبطة بقُدرة الله ومشيئته، فمتى شاء شيئًا أحْدَثَه دون أن يسأل عَمَّا يَفْعَل، (مُحَقَّقة) لوُرودِ وَابِلٍ من النصوص بذلك، كالسبع الآيات، وبعض الآثار في ذلك.

❁❁❁

١١٨- وَثَـابِـتٌ بِـالنَّـصِّ وَالإِجْمَـاعِ   مِــنْ دُونِ رِيـبَـةٍ وَلا نِــزَاعِ

نعـم أجمـع أهـل السُّـنة أن الله فوق عرشِـه، ولم يقل أحـد منهم غير ذلـك؛ لدلالة النصوص من الكتاب والسُّنة.

(مِنْ دونِ رِيبَةٍ) أي: من دون شـكٍّ؛ لأن مَن شَـكَّ في النصوص فقد خالَفَ مذهب أهل السُّـنة والجماعة، وهو على خطر عظيم، إن لم يكن متأولًا، (وَلا نِزَاع) بين أهل السُّـنة والجماعة في ذلك.

❁❁❁

٢- ثبوت العلو:

وخلاصة البيت: أن العلو ثابتٌ بنصِّ القُرْآن والسُّنة والإجماع.

١١٩- ثُمَّ العُلُوُّ قَدْ أَتَى أَنْوَاعَا ... ثَلاثَةً كَمَا أَتَتْ إِجْمَاعَا

١٢٠- عُلُوُّ قَهْرٍ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ ... ثُمَّ عُلُوُّ الشَّأْنِ وَالصِّفَاتِ

١٢١- دَلِيلُهُ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ ... وَالشَّرْعِ وَالفِطْرَةِ لِلإِنْسَانِ

١٢٢- وَالعَقْلِ وَالإِجْمَاعِ مِنْهَا فَاعْلَمِ ... وَالحِسّ فادري سَادِسًا فَالتَزِمِ

٣- أنواع العلو:

قَولُنا: (ثُم العُلُوُّ). عطف على صفة الاستواء، وهي صفة ذاتية ملازمة لله تَعَالَىٰ، ولا يكونُ العلو إلا مُلازمًا له في كلِّ حالٍ، (قَدْ أَتَى) أي: قد جاء (أنواعًا ثَلاثَة) أي: أقْسامًا ثلاثة. (كَمَا أَتَتْ إِجْمَاعًا) أي: أن أقسام العلو ثلاثةُ أقسام بإجماع أهل السُّنة والجماعة، وهي: (عُلُوُّ قهر)، (وعُلُوُّ الذَّاتِ) (ثم عُلُوُّ الشأنِ والصِّفَات). علو قهر هذا هو القسم الأول، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وعلو الذات هذا هو القسم الثاني، وعلو الشأن جزء من علو القهر، والقسم الثالث علو القدر في الصِّفَات.

وكل أنواع العلو صِفَات كمال لله تَعَالَىٰ ثابتة كما هي موجودة في نصوص الكتاب والسُّنة والإجماع والعقل والفطرة.

فأما أدلة العلو من الكتاب فقد جاءت منوعة كما تقدم، فتارة يذكر العلو مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وتارة بالفوقية قال تَعَالَىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وتارة بالاستواء مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

ومن السنة: قوله ﷺ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١). وقوله

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «المغازي» باب «بَعْثِ عَلِيِّ بْنِ =

....

للجارية: «**أينَ اللهُ؟**». قالت: في السماء. قال: «**مَنْ أنَا؟**». قالت: رسول الله. قال ﷺ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّها مُؤْمِنَةٌ**»(١).

دليل الإجماع:

ومن الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين خَلَفًا عن سَلَفٍ أن الله فوق سماواتِه مُسْتوٍ على عرشه مُحْتوٍ على مُلكه بائنٌ من خلقه، يعلم ما هم عليه.

وأما العقل: فقد أجمعت العقول السليمة وشهدت بوُجوبِ عُلُوِّ الله بذاتِه على خلقِه، وذلك أن من يخلق الكمال فهو أولى به، وأن الجهة العليا في كل عقل هي أكمل من الجهة السفلى، فتكون صفة العلو أكمل من جهة السفل عقلًا.

وأما الفطرة: فيلاحظ على كل سائل أو داع أو مكروب أو محتاج أنه لا يتوجه في رَغَبِه ورَهَبِه إلا إلى جهة العُلُوِّ، ولا يمكن نَفْسِيًّا ولا عُرْفِيًّا أن يَتوجَّه إلى جهةٍ غيرِ جهةِ العُلُوِّ في أي زمانٍ أو مكانٍ.

وأما الحس: وما تدركه الحواسُّ الظاهرةُ من كلِّ إنسان يشهد بعلوه، فاليدان ترفع عندَ الطلب إلى العُلُوِّ، والبصر كذلك يرتفع إلى أعلى، وكل المشاعر تتوجه بعشمها وحاجاتها إلى جهة العُلُوِّ حيث تعتقد جازمةً أن من يستجيب منها في جلب المرغوب ودفع المرهوب هو في جهة العلو.

= أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ» (٥/ ١٦٣) رقم (٤٣٥١)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «ذكر الخوارج وصفاتهم» (٢/ ٧٤٢) رقم (١٠٦٤/ ١٤٤).

(١) أخرجه من حديث معاوية بن الحكم السلمي مسلم كتاب «المساجد» باب «تحريم الكلام في الصلاة» (١/ ٣٨١) رقم (٥٣٧/ ٣٣). أخرجه عن معاوية بن الحكم السلمي، مسلم وأبو داود والنسائي، «صحيح مسلم» (١٠٦٣)، «سنن أبي داود» باب «تشميت العاطس في الصلاة» (١/ ٢٤٤)، رقم (٩٣٠)، «سنن النسائي» كتاب «السهو» (٣/ ١٤-١٨)، وأخرجه الدارمي عن الشريد الثقفي كتاب «النذور» (٢/ ١٠٨)، وأخرجه أحمد عن أبي هريرة «المسند» (٢/ ٩١)، وعن الشريد (٤/ ٣٨٨-٣٨٩).

١٠- إثبات المعية لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

١- تعريف المعية:

١٢٣- مَـعِـيَّـةُ اللهِ عَـلَـى قِسْمَيْنِ   كَـمَـا أَتَـتْ فِي مُـعْظَمِ الوَحْيَيْنِ

١٢٤- فَلِلخُصوصِ والعُمُومِ وَرَدَتْ   قِـسْـمَـانِ لا غَـيْـرُ بِـنَـصٍّ ثَبَتَتْ

١٢٥- وتَقْتَضِي الأُولَى لَنَا التَّأْيِيدَا   وتُـوجِـبُ الـثَّـبَـاتَ والتَّأْكِيدَا

قولنا: (مَعِيَّة) أي: أثبت الله لنَفْسه المَعِيَّة في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعِيَّة تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تعني بأيِّ حال الاختلاط أو الممازجة للأجسام أو الحلول، ويكون معناها على حسب ما تضاف إليه وما تدل عليه القرائن والأحوال، وما أضيف منها إلى الله فهو على حقيقته، ومعناها جاء في الكتاب والسُّنة: النصر، والتأييد لأنبيائه وأوليائه، والعلم والإحاطة بجميع خلقة.

٢- أقسام المعية:

وهي على قسمين:

(أ) خاصَّة متعلقة بالمشيئة والإرادة.

(ب) وعامة علمية.

(كَمَا أَتَتْ فِي مُعْظَمِ الوَحْيَيْنِ) أي: كما وَرَدَتْ بهما النصوصُ في الكِتَابِ والسُّنة.

فدليلُ الـمَعِيَّة الخاصَّة قول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الغار حين قال له: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

هـذا والمعيـة الخاصة على نوعـين: مَعِيَّة شـخصٍ، مثل قوله تَعَالَىٰ في حقِّ شـخص أبي بكـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وفي حـق شـخص موسـى وهـارون عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ قولـه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ومعيـة وصـف كقولـه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فكل موصوف بالتقوى فإن الله يكون معه بالنصر والتأييد في سفره وإقامته.

ومن السُّنة: قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١).

أمـا المعية العامة فالله مع عموم خلقه بعلمه وقدرتـه وإحاطته وعطائه، دليل ذلك قـول الله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

(فللخُصـوصِ والعُمـومِ وَرَدَتْ) أي: أن المعية انقسـمتْ إلى قسـمين تقـدم ذِكْرُهما وأمثلتها.

وقـد اطَّلَع شَـيْخُنا سـماحةُ المفتي العام عبد العزيز بن عبـد الله بن باز رَحِمَهُٱللَّهُ حينما عرضـت عليه هذه المنظومة وعَلَّق على كلمة ذاتيَّـة، بقوله رَحِمَهُٱللَّهُ: «قُلتُمْ في الـمَعِيَّة: إنها ذاتيـة. والصواب عدم ذكر كلمـة «ذَاتِيَّة»؛ لأنها تُوهِم الاختلاطَ والحُلول وذلك خلاف عقيدة أهل السُّـنة والجماعـة، وإنما يقال: عِلميَّة عامَّة خاصَّة». وقد أجمع أهل السُّـنة على

(١) متفـق عليه من حديث أبي بكر، أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «علامات النبوة في الإسـلام» (٤/ ٢٠١) رقم (٣٦١٥)، ومسـلم كتاب «الزهد والرقائق» بـاب «في حديث الهجرة» (٤/ ٢٣٠٩) رقم (٢٠٠٩/ ٧٥). حديث الهجرة المشهور في «صحيح البخاري» (٣٤١٩).

هـذا المعنى كما حكـى ذلك أبو عمر بن عبـد البر، وأبو عمر الطكنكـي رحمة الله عليهما. انتهى.

وقد عدلتها نَظْمًا وشَرْحًا، ولكن ما ذكرته في النظم أولًا من أنها ذاتية، هو موجود في كتب السَّلَف قَدِيمًا وحَدِيثًا، وخاصة أن فيها معنى العطاء الربوبي على جميع الخلق بالعلم، خاصـة وقد ذكر الشـيخ العلامـة محمد بن عثيمـين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتـح رب البرية بتلخيص الحموية لشـيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه: «فإن قيل: هل المَعِيَّةُ من صِفَات الله الذاتية أو الصِّفَات الفعلية؟ فالجواب: أن المعية العامة من الصِّفَات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله أَزَلًا وأَبَدًا، وأما المعية الخاصَّة فهي من الصِّفَات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسـبابها، تُوجَد بوجودها، وتنتفي بانتفائها»[1].

وحينـما نقول: علمية. فنعنـي إحاطة الله لجميع خلقه بالعلـم، وهل العلم ينفصل عـن الله؟ الجـواب: لا، فيكون قولنا: ذاتية. من هذا الباب، أن الله مع جميع خلقه بالعلم، والعلم لا يَدُل على المخالطة والحلول بأي وجه من الوجوه، لا لُغةً ولا شرعًا ولا عُرْفًا.

هـذا وقد حذفت كلمـة ذاتية من النظم والشرح خوفًا مـن الالتباس أن يفهم منها غـير الـمُراد، واسـتجابةً لما رآه شـيخنا العلامـة عبد العزيز بن بـاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما ذكرت كلمـة (ذاتيـة) مـن بـاب العلم بالـشيء، وأن هنـاك من علـماء السـلف قبلنا قـد ذكروا ذلـك، ولم يقصـدوا الحلول ولا الاختلاط؛ لأن كلمة مع لا تـدل على الاختلاط، لا لغة ولا شرعًا ولا عرفا، كما تقدم.

(وتقتضـي) توجب وتلـزم (الأولى) المَعية الخاصة، لمن آمن بها النَّصْرَ والتأييدَ على الأعداء، وتُوجِب لمن آمن بها الثبات على الإيمان والتأكيد بمجيء النصر والتأييد.

(١) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤).

١٢٦- وتُوجِبُ الأُخْرَى عَلَى أَهْلِيهَا رِقَابَةً عَلَيْهِمْ تُحْصِيها

(وتُوجب): تُلزِم، الأخرى: المعية العلمية العامة الرقابةَ الدقيقةَ على كلِّ مَن آمن بها، كما قال ﷺ: **«أفضلُ الإيمانِ أن تعلَمَ أنَّ اللهَ معَكَ»**[1].

وقولنا: (تُحْصِيها) تعدها عليهم وموجبة لتخويفهم، وهذه المعية لا تتنافى مع عُلُوه سُبْحَانَهُ واستوائه على عرشه ومباينته لخلقه، ويعلم ما هم عاملون؛ لأن ظاهر «معكم» في الآية لا يَدُل على الاختلاط والامتزاج بالمخلوقات لا عقلًا ولا حِسًّا، بل كل الأدلة تَنُصُّ على أن المعية تدل على مُطْلَق المقارنة والمصاحبة، ثم هي بعد ذلك حسب ما تضاف اليه من المعاني، وما جاء في الكتاب والسنة لم يخرج عن ذلك، ولأن القران قد جمع بين العلو والمعية، ولا يجمع بين محال، فيسعنا ما أقره الكتاب والسُّنة، وقد تقدم الكلام على ذلك.

❀❀❀

(١) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٣٦) رقم (٨٧٩٦)، وقال المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٨١): إسناده ضعيف. وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» رقم (١٠٠٢): ضعيف. أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩١). وهو حديث حسن.

٣- مقتضى المعيّة العامة:

١٢٧- وَمُقْتَضَاهَا العِلمُ والتَّدْبِيرُ ثُـمَّ إحَـاطَـةٌ بِمَـا يَـدُورُ

الضميرُ في قولنا (مُقْتَضَاهَا) يعود على المَعِيَّة العامة، وهو الإحاطة في العلم والتدبير لكلِّ الأُمور المبني على الحِكْمة والإرادة والمشيئة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]

❁❁❁

١٢٨- وَهْوَ سَمِيعٌ وَقَرِيبٌ مُعْتَلِي وَفَوْقَ عَرْشِهِ تَعَالَى مُسْتَوِي

أي أن من أسماء الله السميعُ المحيطُ بكلِّ المسموعات على اختلاف أنواعها.

(وَقَرِيبٌ) أي: ومن أسمائه القريب، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأقرب من عنق الراحلة لراكبها، ولا يعني هذا القرب الاختلاط بالأجسام، بل هو قُرب يليق به سُبْحَانَهُ، وهو معلوم لنا في اللغة، وكيفية القرب مجهولة لنا، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، والقول فيها كبقية الصِّفَات. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

(ومُعْتَلِي) أي: هو مع قربه اللائق به هو عالٍ على الدوام، وفي كل حالٍ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٤- الجمع بين العلو والمعية:

وقد جمع القران بين العلو والمعية في النصوص القرآنية كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وما دام جمع الله بينهما فليس ذلك بمحالٍ؛ لأنه لا مُنافاة بين معنى العُلو والمَعِيَّة، فإن معنى المعية لا يستلزم الاختلاط والحُلول، فقد يكون الشيء عاليًا بذاته ويضاف إليه المعية، كما قال ابن تيمية، والعرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا. مع أن القمر في السماء، ونحن بالأرض.

ولا يعد هذا تناقُضًا لا في اللفظ، ولا في المعنى، وإذ أصبح هذا في المخلوق جائزًا، فمن باب أولى جوازه في حق الخالق(١).

(وفَوْقَ عَرْشِهِ تَعَالَى مُسْتَوِي) أي: أنَّ الله سميعٌ وقريبٌ وعَلِيٌّ، ومع ذلك هو فوق عرشه مستوٍ استواءً يليق بعظمته وجلاله، ولا يلزم من عُلوه واستوائه على عرشه وقربه من خلقه وسماعه لكلِّ مسموع منهم، لا يلزم من ذلك الاستحالةُ ولا الاختلاطُ، فهو سُبْحَانَهُ عاليٌّ في دنوه، وقريب في علوه بعلمه، ومحيطٌ بجميعِ خلقِه في العلم والقدرة والسماع والتدبير والسلطان وغير ذلك.

❁❁❁

(١) «فتح رب البرية» بتصرف (ص: ٤٨).

١٢٩- يَسْمَعُ لِلصَّوْتِ يُجِيبُ مَنْ دَعَا مِـنْ فَـوْقِ عَـرْشِـهِ لَـهُ قَـدْ سَمِعَا

معنى البيت تأكيدٌ لِـمَا تَقَـدَّمَ أنه لا مُنافاةَ بينَ سماعٍ وقربِ الله وبينَ عُلُوِّ الله على خلقه ومُباينتِه لهم؛ لأن تلك الصِّفَات على ما يَلِيق به سُبْحَانَهُ.

❁❁❁

١٣٠- وَكُـلُّ نَـصٍّ أَثْـبَـتَ المَعِيَّهْ فَـلَا يُـنَـافِي صِـفَـةَ الـفَـوْقِـيَّـهْ

نعم، إن نصوص المَعِيَّة الموجودة في القُرْآن لا تُنافي نُصوصَ الفَوْقيَّةِ؛ لأن النصوص جَمِيعَها قطعيةٌ، والنصوصُ القطعيةُ لا تَعارُضَ بينَها.

❁❁❁

١٣١- وَلَيْسَ مَعْنَاهَا اخْتِلاطٌ فَانْتَبِهْ وَلَـيْـسَ لِـلـشَّـكِّ فَـخُـذْهُ وَاجْـتَـبِهْ

وهذا زيادةٌ أيْضًا أن معنَى الـمَعِيَّة هو على حَسَبِ ما تُضاف إليه، مع مُراعاةِ القرائن والأحوالِ. أما ما وَرَدَ في كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آياتٍ في إثباتِ الـمَعِيَّةِ فمعناها، النصر والتأييد لأوليائه، والإحاطة بجميع الخلق.

(ولَيْسَ للشَّكِّ) اي: ليس لفظُ المَعيَّةِ يعني الاختلاط والحلول، لا لُغةً ولا شَرْعًا ولا عُرْفًا ولا عَقْلًا، وليس أيضًا مَحَلًا للشَّكِّ والريب، (فخُذْهُ) اي: اخْتَرْه، (واجْتَبِهْ): تأكيدٌ لأخذه، فليس هذا اللفظ من قبيل الألفاظ الـمُشَكِّك فيها، ولكنه من قَبِيل المتواطئ الذي قد وُضِع له هذا اللفظ في أصل اللغة.

١٣٢- لَكِنَّهَا لِمُطْلَقِ المُقَارَنَهْ وضعًا لها في اللغة المُبِيَنَهْ

وقولُنا: (لكنَّها لمُطْلَقِ المُقَارَنه) أي: معنى المعية في نصوص الكتاب والسنة جاءت لمطلق المقارنة، وليست للاختلاط كما تقدم.

(وضعًا لها في اللغة المُبيَنة) اي: قد وُضِعَت في أصلِ اللغةِ أنها من قبيل المتواطئ الذي اتَّحد لَفْظُه ومَعْناهُ.

❁ ❁ ❁

١٣٣- وَلا نَقُولُ قَوْلَ مَنْ قَدْ حَلا وَلَيْسَ مِثْلَ قَوْلِ جَهْمٍ جَلَّا

هـذا البيت فيه إشارةٌ إلى قول الحُلوليَّةِ الذيـن يقولون: إن الله حالٌّ في كلِّ مكانٍ بذاته، تعالى اللهُ عن قولهم عُلُوًّا كَبِيرًا، وقَوْلُ جَهْمِ بنِ صَفْوان.

(جَلَّ) اللهُ وتَنَزَّهَ وتَقَدَّسَ عن قولِ جَهْمٍ وغيرِه من الذين قالوا: لا داخل العالم، ولا خارجه، أو من قال: إنه في السماء محاط به، أو أنه محتاج إلى العرش. وغير ذلك، تعالى الله عن تلك الأقوال عُلُوًّا كَبِيرًا.

بل القول الصحيح هو ما ورَدَ في النصوص من الكتاب والسُّنة من إثبات الأسماء والصِّفَات على ما يَلِيق بـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إثباتًا بلا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، وتَنْزِيهًا بلا تَحْرِيفٍ ولا تعطيلٍ، على حَدِّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كما هو عندَ أهل السُّنة والجماعة حيث يقولون: الصفة معلومةُ المعنى، والكيفية مجهولةٌ لنا، والإيمانُ بها واجبٌ، والسؤالُ عنها بِدْعَةٌ.

❁ ❁ ❁

١١- إثباتُ صفةِ الكلامِ للهِ تَعَالَى على ما يليقُ به سُبْحَانَهُ

١٣٤- هَـذَا وَإِنَّ صِـفَـةَ الـكَـلام   قَـدْ ثَـبَـتَـتْ لِخَـالِـقِ الأَنَـامِ

(هَذَا) (ها) حَرْفُ تَنْبِيهٍ، و(ذا) اسمُ إشارةٍ، (وإنَّ صِفَةَ الكلام قَدْ ثَبَتَتْ) بالكِتَابِ والسُّـنة والإجماع، ومما أثبته لنَفْسـه ربُّنا جَلَّوَعَلَا في كتابه وأثبته له رسولُه ﷺ كلامُه الذي هو صِفَتُه اللائقةُ به سُبْحَانَهُ، كما شـاء وعلى ما أراد، يعني أنه متكلم إذا شـاء وكيف شـاء وعلى من شـاء، وأنه لا يزال بالكلام مَعْروفًا ومَوْصوفًا، وأنه قد يكون ذَاتِيًّا وفِعْلِيًّا حسـب متعلقـه، فإذا تعلق الكلام بمشـيئةِ الله وقدرته فالصفة فعليـة، وإذا تعلق الكلام بذاته سُبْحَانَهُ فالصفة ذاتية.

١- إثبات صفة الكلام لله:

والـكلام صفـة كـمالٍ، وعَدَمُها صفةُ نقـصٍ، فمَـن زَعَـمَ أن كلام الله مخلوق، فلم يقـدر الله حـق قَـدْرِه، ومن زعم أنه ينفذ فلـم يقدر الله حق قـدره، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

والكتاب والسُّـنة وإجماعُ الصحابة والتابعون ومَن بعدهم على أن القُرْآن كلامُ الله مُنَـزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، منـه بَدَأَ، وإليه يعودُ، تَكَلَّمَ به حقيقةً، وألقـاه إلى جِبْرِيلَ حقيقةً، فنزل بـه عـلى قَلب محمـد ﷺ حقيقـة[١]. قـال تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال في سـورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السـنة والجماعة من الكتابة السـنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم» للإمام أبي القاسـم هبة الله بن الحسـن بن منصور الطبري اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) (١/ ٣٦٤) تحقيق د. أحمد سعيد بن حمدان الغامدي، دار طيبة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤].

ومن السُّنة ما جاء في الصحيحين في قصة احتجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وفيه قول آدم لموسى: «**أَنْتَ مُوسَى الذي اصْطَفاكَ اللهُ تَعَالَىٰ بِرِسالاتِه وبِكَلامِهِ**»(١).

وأيضًا حديث الشفاعة الذي جاء فيه قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله**»(٢). كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وفي رواية: «**وَلَكِنِ ائتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا**»(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء» باب «وفاة موسى» (٤/ ١٥٨) رقم (٣٤٠٩)، ومسلم كتاب «القدر» باب «حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» (٤/ ٢٠٤٢) رقم (٢٦٥٢/ ١٣). الحديث متفق عليه، وله روايات عديدة وكلها رواها البخاري في «القدر» (٧/ ٢١٤) في باب «تحاج آدم وموسى عند الله»، وكذلك روى بعضها مسلم برقم (٢٦٥٢) في «القدر»، وكذلك صاحب «الموطأ»، والترمذي وأبو داود في «السنة»، وكلهم في باب «القدر».

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «كلام الرب عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم» (٩/ ١٤٦) رقم (٧٥١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٠) رقم (١٩٣/ ٣٢٢).

(٣) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]» (٩/ ١٢١) رقم (٧٤١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٠) رقم (١٩٣/ ٣٢٢).

....

هذه شَذَرات من الأدلة من الكتاب والسُّنة على إثبات صفة الكلام لله تَعَالَىٰ، وهل بعدَ كلام الله تَعَالَىٰ وأحاديث رسول الله ﷺ أيُّ رَيْبٍ أو شَكٍّ، فما بعدَ بيانِ الله ورسولِه من بيانٍ، ولا بعدَ كلامِه وحديثِ رسولِه من كلامٍ، والأحاديثُ والآياتُ في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا، وكلها تُثْبِتُ أنَّ اللهَ تكلَّمَ، ويَتكلَّمُ بما شاء على مَن شاء، وقد كَلَّم محمدًا ﷺ كما في الصحيحين من حديث الإسراء والمعراج حين فرض الله الصلوات الخمس[(١)] وكلم موسى بدون وَاسِطَةٍ، وكلم غَيْرَهما أيضًا بواسطة الملائكةِ.

(قد ثَبَتَتْ لخَالِقِ الأَنَام) أي: ثَبَتَتْ صِفَةُ الكلامِ لخالقِ الأنامِ، وهو الله تَعَالَىٰ، والأنام: الخلقُ، والكتب الـمُنَزَّلةِ بما فيها القُرْآنُ، كُلُّها تُثْبِتُ صفةَ الكلامِ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غيرِ تحريفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ، كما سيأتي معنا إن شاء الله.

❁❁❁

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] (٩/ ١٤٩) رقم (٧٥١٧)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ» (١/ ١٤٥) رقم (١٦٢/ ٢٥٩). رواه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (١٦٢) قال ابن حجر هذا الحديث من أقوى ما استدل به على تكليم الله تَعَالَىٰ لمحمد ﷺ. «فتح الباري» (٧/ ٢١٦)

١٣٥- وَالصِّدْقُ فِي أَخْبَارِهِ قَدْ تَمَّ   وَالعَدْلُ فِي أَحْكَامِهِ قَدْ عَمَّ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤]، والقُرْآن العظيمُ من أوَّلِه إلى آخِرِه كلُّه صِدْقٌ، وعدلٌ، في كلِّ ما يتعلق بجميع مخلوقاتِه من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية، والجزائية. فالأخبار كلها الصِّدْقُ فيها تامٌّ، والأحكام المتعلقة بالخلق من قدرية وشرعية وجزائية العدلُ فيها شائعٌ وعَامٌّ.

❁❁❁

١٣٦- وَنُثْبِتُ الحُرُوفَ وَالمَعَانِي وَالصَّوْتَ وَالنِّدَاءَ فِي القُرْآنِ

مَذْهَبُ أهل السُّنة والجماعة إثباتُ صفةِ الكلام لله تَعَالَىٰ على ما يَلِيق به سُبْحَانَهُ، وأنه تَكَلَّم بكلامٍ بحرفٍ، ومَعْنًى، وصوتٍ، لكن على ما يليق به سُبْحَانَهُ، مُنَزَّه عن مشابهة المخلوقين، ولا يزال بصفة الكلام مَعْروفًا، وبالحرف والصوت والمعنى مَوْصوفًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، هذا بالحرفِ.

أما الصوت، فكما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] بالصوتِ؛ لأن النداء والمناجاة لا تكون إلا بصوتٍ وحرفٍ.

وشُبْهة المُنْكرينَ هو أنَّ اللهَ ما دام يَتكلَّم بكلامٍ بحرفٍ وصوتٍ، فهو يُشْبِهُ المخلوقين، لذلك بادروا بإنكاره، والاختلاف فيما بينهم، ووصلوا إلى فِرَق كثيرةٍ، كلُّها رَفَضَت الدليل القاطع، فضَلَّت عن سواءِ السبيلِ، كما سيأتي.

والتحقيق أن هذا القُرْآن الذي نَقرؤه من المُصْحف ونَحْفَظُه في صُدورنا، ونَقْرؤه بألسنتنا، ونَكْتُبُه في ألواحنا ودفاترنا هو كلام الله حقيقةً لا مجازًا، لفظه ومعناه وحروفه.

والخلاصة: أن كلام الله صفةٌ من صفاته الذاتية، باعتباره أول النوع، فالله جَلَّ وَعَلَا لم يزل ولا يزال مُتكلِّمًا ومَوْصوفًا به، وهي صفة كمال، وباعتباره حَادِثَ الآحادِ صفةٌ فعليةٌ تتعلق بمشيئةِ الله، حيث إنه يتكلم به متى شاء وكيف شاء وبما يشاء وعلى من يشاء بكلامٍ حقيقيٍّ مسموعٍ بحرفٍ وصوتٍ لا يُشْبِهُ أصواتَ المخلوقين، وفي كلا الحالين مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ منه بدأ وإليه يعود.

❀❀❀

١٣٧- وَالصِّدْقُ فِي حَدِيثِهِ وَفِي الخَبَرْ وَفِي وَعِيدِهِ وَفِيمَا قَدْ أَمَرْ

تقدم معنى هذا البيت أن أخبار الله كلها صدق، وأحكامه القدرية والشرعية والجزائية كلها عدلٌ وصدقٌ؛ لأن كلام الله إما أخبار، وهي في غاية الصدق، وإما أمر ونهي، وكلها في غاية العدل و الصدق والكمال. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وأن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] وسواء في الأخبار أو في الوعد أو الوعيد أو في الأوامر والنواهي فهي في كلِّ ذلك غايةٌ في الصدق ونهايةٌ في العدل.

❁❁❁

١٣٨- لَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَشْجَارِ كَانَتْ هِيَ الأَقْلامَ لِلْبِحَارِ
١٣٩- لَنَفِدَتْ تِلْكَ الْبِحَارُ كُلُّهَا وَسَبْعَةٌ تَنْفَدُ أَيْضًا مِثْلَهَا
١٤٠- قَبْلَ النَّفَادِ لِكَلامِ اللهِ فَاحْفَظْ وُقِيتَ الشَّرَّ عَبْدَ اللهِ

هذه الثلاثةُ الأبياتِ تُشير إلى الآيات القرآنية الدالة على إثبات كلام الله وعَدَمِ الإحصاء والإحاطةِ به، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثير في معنى الآية: «يقول الله تعالى مُخبرًا عن عَظَمتِه وكبريائِه وجلالِه وأسمائِه الحسنى وصفاته العلا، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحدٌ، ولا يَطَّلِع على كُنْهِها وإحصائها واحدٌ، كما قال سَيِّدُ البَشَرِ وخَاتَمُ الرُّسل ﷺ: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[(١)]. ولمزيد لمعنى هذه الآية يراجع شرحها في تفسير ابن كثير[(٢)].

وعن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ التي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلتِ مُنْذِ اليومِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «الصلاة» باب «ما يقال في الركوع والسجود» (١/ ٣٥٢) رقم (٤٨٦/ ٢٢٢). رواه أبو داود (١٤٢٧)، والنسائي (٣/ ٢٤٩)، وإسناده صحيح.

(٢) (٣/ ٤٩٦).

(٣) أخرجه من حديث جويرية مسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «التسبيح أول النهار وعند النوم» (٤/ ٢٠٩٠) رقم (٢٧٢٦/ ٧٩). رواه مسلم في صحيحه (٢٧٢٦)، وأبو داود في سننه (١٥٠٣)، والترمذي في سننه (٣٥٥٠)، والنسائي (٤/ ٧٧)، وانظر: هامش «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩٠).

١٤١- قَدْ نَزَّلَ الكَلامَ بِالنَّصِّ الجَلِي وَلا نَقُولُ قَوْلَةَ المُعْتَزِلِي
١٤٢- قَدْ خَلَقَ القُرْآنَ فِي سِوَاهُ بَلْ رَبُّنَا حَقِيقَةً أَلْقَاهُ
١٤٣- مِنْ ربنا العَلِيِّ نَصًّا لِلمَلَكْ وَمِنْهُ لِلنَّبِيِّ يا ذا دُونَ شَكّ

في هذا البيت يُشِير إلى أن كلام الله وهو القُرْآن هنا، وأنه من عند الله مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ، وإليه يعود، كلامه حقيقة، حُروفُه ومعانيه، قال تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(بالنصِّ الجلِي) هو ما جَلَّاه في كتابه وأوْضَحه أكملَ توضيحٍ، كما في الآياتِ التي أوردناها على التنزيل، وغيرِها كثيرٌ.

(ولا نَقُولُ قَوْلَةَ المُعْتَزِلِي): ولا نقول نحن أهلَ السُّنةِ والجماعة بقولِ فرقةِ الْمُعْتزِلَة والجَهْمِيَّة: إن القُرْآن مخلوق. تعالى اللهُ عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا، بل هو صِفتُه تَعَالَى كما قال تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ففي هذه الآيات يُخْبِرُ أن الخَلقَ غيرُ الأَمْرِ، وأن القُرْآن أَمْرُه لا من خَلقِه.

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فكن من كلامه تَعَالَى الذي هو صِفتُه، ليس بمَخْلوقٍ، والشيء المُراد المقول له: «كُن» مخلوق، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فعيسى وآدم مخلوقانِ بـ«كن»، و«كن» قولُ الله، صفةٌ من صفاتِه، وليس الشيء المخلوق هو (كن). ولكنه كان بقول الله: «كن». وقد انعقد إجماعُ الأمة الذين قضوا بالحقِّ وبه كانوا يعدلون على تكفيرِ مَن قال بخلق القُرْآنِ[١].

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ للحكمي (١/ ١٨٧).

وقـد تَقَدَّمَت نُصوصٌ كثيرةٌ تـدل على أنه مُنَزَّلٌ، وليـس بمخلوقٍ، وهي نصوص كثـيرةٌ وجَلِيَّةٌ، كلها تَرُدُّ على المُعْتَزِلَة قولهـم بأنه لم يبدأ منه، وأنه مخلوق منفصل عنه، وأن معنى «متكلم»: عندهم: خالق للكلام، وأن إضافته إلى الله إضافة أعيان، فهو مخلوق.

والحقيقـةُ أن صفـةَ الكلام هي صفـةُ المتكلم، وهي صفـة مَعانٍ غـيرُ مُنْفَصِلةٍ عن الموصوف، مثل: وجه الله، ويد الله، وكلام الله فهي صفات ذاتيه له تَعَالَىٰ.

قـال الطحـاوي: «فإن المضـاف إلى الله معانٍ، وأعيـانٌ، فإضافة الأعيـان إلى الله إضافةُ تشريفٍ، وهي مخلوقةٌ كبيتِ الله، وناقةِ الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، فإن هذه كلها من صفاته[1] تَعَالَىٰ، وصفاته ليست مَخْلوقةً.

٢- الأقوال في مسألة الكلام:

قولنـا: (قـد خَلَقَ القُرآنَ في سِـوَاهُ) هذا أحـد أقوال الـمُعْتَزِلَة في مسـألة الكلام، والقُرْآن جُزْءٌ منه، ولغير أهل السُّنة عِدَّةُ أقوالٍ، نُورِدُها فيما يلي:

أوَّلًا: قالوا: إن القُرْآن مخلوقٌ خَلَقَه اللهُ مُنْفَصِلًا عنه. وهو قول الـمُعْتَزِلَة.

ثانيـا: إن كلام الله هـو ما يَفِيض على النفوس من مَعانٍ، إما من العقل الفَعَّال عندَ بعضِهم، أو من غيرِه، وهذا قول الصابئة من المتفلسفة.

ثالثًا: إنه معنًى واحدٌ، قائمٌ بذاتِ الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عُـبِّرَ عنـه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبِّرَ عنه بالعِبْرية كان توراةً، وهذا قولُ ابن كُلَّابٍ ومَن وَافَقَه كالأشعريِّ وغيرِه.

رابعًـا: إنـه حـروف وأصوات أَزَلِيَّـة مُجْتَمِعـة في الأزل، وهذا قول طائفـةٍ من أهل الكلام، ومن أهل الحديث.

(١) «شرح الطحاوية» (ص: ١٦٩).

خامسًا: إنه حُروفٌ وأصواتٌ، لكن تكَلَّمَ اللهُ بها بعد أن لم يَكُنْ مُتكَلِّمًا، وهذا قول الكَرَّاميَّة وغيرهم.

سادسًا: إن كلامه يرجع إلى ما يُحْدِثُه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا القول لصاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العلية.

سابعًا: إن كلامه يتضمن معنًى قائمًا بذاته، هو ما خلقه في غيره، وهذا قول منصور الماتريدي، وهذا المشار إليه بقولنا: (قد خلق القُرْآن في سواه).

ثامنًا: إنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومَن تَبِعَه[(١)].

وقولنا: (بل رَبُّنَا حَقِيقَةً ألقاهُ). «بل» للإضراب عن قولهم: إن الله خلق القُرْآن في غيره كالشجرة أو الهواء. و(ربنا) خالقنا ومُرَبِّينا حقيقةً لا مجازًا ألقاه.

قال ابن عَبَّاسٍ وغَيْرُه: «أنزل اللهُ القُرْآنَ جُمْلَةً واحدةً من اللَّوْحِ المحفوظِ إلى بيت العِزَّةِ إلى السماءِ الدنيا، ثم نَزَلَ مُفَصَّلًا بحَسَبِ الوَقَائِعِ في ثلاثٍ وعِشْرينَ سَنَةً على رسول الله ﷺ، نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قَلْبِ سَيِّدِ المُرسلِينَ». قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٢]، كما قال ابن عباس مَوْقوفًا: **«أُنْزِلَ القُرْآنُ جُمْلَةً واحدةً إلى السماءِ الدنيا ليلةَ القَدْرِ، ثم أُنْزِلَ بعدَ ذلك بعِشْرِينَ سَنَةً»**[(٢)]. ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٦٨ إلى ١٦٩) المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه موقوفًا على ابن عباس البيهقي في «الأسماء والصفات قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. (١/ ٥٧٢) رقم (٤٩٧).

١٤٤- وَأَوَّلُ الكَلامِ مِنْهُ قَدْ بَدَا ثُمَّ إِلَيْهِ سَيَعُودُ وَرَدَا

قال ابن عَبَّاسٍ: «القُرْآنُ كلامُ الله، ليسَ بمَرْبوبٍ، منه خَرَجَ وإليه يَعودُ»(١).

وقد رُوِيَ هذا الأثرُ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القُرْآنُ ليسَ بخالقٍ ولا مخلوقٍ، ولكنه كلامُ الله، منه بَدَأَ، وإليه يَعودُ»(٢). وهي عبارة مُتداوَلةٌ ومَعْروفةٌ بينَ مَن ألَّفَ في عقيدةِ أهل السُّنة والجماعة.

وقد قال ابن عُيَيْنَةَ: «سمعت عَمْرَو بنَ دِينَارٍ يقولُ: أدركت مَشايخَنا والناسَ منذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرْآنُ كَلامُ الله، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ». أي أن الله تكلم به ابتداءً، والكلام إنما يُنْسَبُ لقائلِه ابتداءً لا لـمُبَلِّغِه ومُرَدِّدِه عن قائلِه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]

ورَوَى أحمدُ وغيرُه عن جُبَير بن نُفَير قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى الله بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ**»(٣).

ورُوِي عن مالك بنِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعةِ العلماءِ بالمدينةِ، فذَكَروا القُرْآنَ فقالوا: «كلامُ الله، وهو منه، وليسَ من الله شَيْءٌ مَخْلوقٌ»(٤). وكونه منه، أي ظهر وخرج منه سُبْحَانَهُ يعني ابتداءً.

---

(١) أخرجه موقوفًا على ابن عباس اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٥٦) رقم (٣٧٥).

(٢) قال الألباني في «مختصر العلو» (١/ ١٧٤): وأقدم من صرح بذلك ممن صرحوا باسمه من السلف عمرو بن دينار ... وأما الصحابة فلم أر نصًّا صريحًا صحيحًا عن أحد منهم.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب «فضائل القرآن» (٥/ ١٧٧) رقم (٢٩١٢)، وقال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ١٠٣): هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٦١): لكنه ورد موصولًا، فأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وعنه البيهقي في «الأسماء الصفات» ... عن جبير بن نفير عن أبي ذر الغفاري مرفوعًا به وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقره البيهقي، ووافقه الذهبي. قلت - أي الألباني-: ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير زيد بن أرطاة وهو ثقة كما في «التقريب». ذكره الحاكم ٢٠٣٩ وقال صحيح الإسناد

(٤) أخرجه عبد الله ابن أحمد في «السنة» (١/ ١٥٦)، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص: ١٤٣): رجاله =

١٤٥- وَاللَّفْظَ إِنْ تَقْصِدْ لِلَفْظِ العَبْدِ فَذَاكَ مَخْلُوقٌ بِدُونِ رَدِّ

١٤٦- وَإِنْ بِهِ يُقْصَدْ مَلفُوظٌ تُلي فَذَاكَ مِن صِفَاتِ رَبِّنَا العَلِي

(وَاللَفظَ) به أو التلفظ به هو فعل العبد، وهذا مخلوقٌ؛ لأنه قُصِد به لفظُ العبد، وهذا معنى البيت الأول.

(وَإِنْ بِهِ يُقْصَد مَلفُوظٌ تُلِي) أي: أراد باللفظِ الملفوظَ والـمَتْلُوَّ، وهو القرآن، فهو من صِفَات الله؛ إذ إن صوت القارئ مخلوقٌ، والمتلوُّ غير مخلوقٍ والتالي مخلوق.

وكونه إليه يعود، أي: يرجع، إما بنَقْصِ العلماءِ أو موت حملته، وإما بنزعِه من الصدور، إذا تُرِكَ العملُ به وهُجِرَ لَفْظًا ومَعْنًى، فَيُسْرَى به في آخر الزمان ويُرْفَع، فلا يَبْقَى في الصدور منه شيءٌ، ولا في المصاحف منه آيةٌ، كما جاء ذلك في بعض الآثارِ، وهو من علامات أشراط الساعةِ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: **«يُسْرَى على القُرْآن، فلا يَبْقَى في المصاحف مِنْهُ آيةٌ، وَلَا فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ»**[1].

❁ ❁ ❁

= ثقات غير أبي بكر أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه. رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في السنة (٢٤ - ٢٥).

(١) أخرجه موقوفًا على ابن مسعود الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٤١) رقم (٨٧٠٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٢): رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة. وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٦): سنده صحيح لكنه موقوف. ذكره الطبراني في «الكبير» (٨٦٩٨).

٣- إثبات المناداة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

١٤٧- هَـذَا وَمُـوسَـى رَبُّـنَـا نَـادَاهُ مِـنْ جَـانِـبِ الـطُّـورِ وَقَـدْ نَـاجَـاهُ

١٤٨- كَـلَّـمَـهُ مُـؤَكِّـدًا تَـكْـلِـيـمَـا حَـقِـيـقَـةً فَـكُـنْ بِـهِ عَـلِـيـمَـا

ومما يُثْبِتُه أهلُ السُّنة والجماعة مناداةُ الله لعبده ونبيِّه موسى بنِ عِمْران، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠ - ١١]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ - ١٢].

ففي تلك الآياتِ السابقة إثباتٌ لصفةِ النداءِ والمناجاة أيضًا، أما إثبات صفة الكلام فقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وتكليمًا هنا مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لنفيِ ما قد يتوهم عدم التكليم، وهو كلامٌ حقيقةً لا مجازًا.

فالقُرْآنُ كُلُّه كلامُ الله، وقد كَلَّم عبدَه وكَلِيمَه موسى بدونِ واسطةٍ، بل أسمعه كلامَه الذي هو من أعظم صِفَات الكمال لله تَعَالَى، وقد سبق أن كلام الله إذا تعلق بذاته فهو صفة ذاتية، وإذا تعلق بالقدرة والمشيئة فهو صفة فعلية، وفي إحدى الروايات في حديث الشفاعة: **«وَلَكِن ائتوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التوراةَ، وكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا»**(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قول الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] (٩/ ١٣١) رقم (٧٤٤٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزلة فيها» (١/ ١٨٠) رقم (١٩٣/ ٣٢٢). متفق عليه وله روايات عديدة وكلها رواها البخاري في «القدر» (٧/ ٢١٤) باب «تحاج آدم وموسى عن الله»، وكذلك روى مسلم بعضها برقم (٢٦٥٢) في «القدر»، وكذلك صاحب «الموطأ»، والترمذي وأبو داود في «السنة» وكلهم في باب «القدر» وفي إحدى الروايات في حديث الشفاعة.

ومناداته للأبوين: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢] وقوله في الحديث: «إِنَّ اللهَ إِذا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ...» إلخ(١). والشاهد أن الكلام صفةُ كمالٍ لله تَعَالَىٰ، وأنه يَتَكَلَّم متى شاء، وكيف شاء، ولـمَن شاء، وأنه نادى مَن شاء من عباده وناجاه، وذلك لا يكون إلا بصوت، وحرف، ومعنى. وفي حديث عبد الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا سأله كيف سمعتَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في النَّجْوى؟ قال: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»(٢).

والقُرْآن العظيم مِن أَوَّلِه إلى آخِرِه هو كلامُه، وهو صِفَتُه الـمُتعلِّقةُ به والباقيةُ ببقائِه، ومن قال: القُرْآن مخلوق. فقد انعقد الإجماع على تكفير من قاله(٣)؛ لأنه لا يخلو قولهم من واحدةٍ من ثلاث: إما أن يقولوا: خلق الله القُرْآن في ذاته، أو في غيره، أو منفصلًا عنه. وكلها تعطيل للقُرْآن وتكذيب لكلام الله.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الأَدَبِ» باب «الـمِقَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ» (٨/ ١٤) رقم (٦٠٤٠)، ومسلم كتاب «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ» باب «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ» (٤/ ٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧/ ١٥٧). الحديث رواه الترمذي والبيهقي في «الصفات» (٤١١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص: ٦٧)، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه الحاكم (١/ ٦٤) صحيح على شرط مسلم وقد وافقه الذهبي وقال عنه الترمذي أنه حسن غريب.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «ستر المؤمن على نفسه» (٨/ ٢٠) رقم (٦٠٧٠)، ومسلم كتاب «التوبة» باب «قبول توبة القاتل» (٤/ ٢١٢٠) رقم (٢٧٦٨/ ٥٢). ولفظه: «». رواه البخاري في كتاب «التفسير» باب «تفسير سورة هود الآية» رقم (٢١٤)، وأخرجه في كتاب «التوحيد» (٨/ ٢٠٣)، ورواه مسلم في كتاب «التوبة» باب «قبول التوبة» (٨/ ١٠٥)، ورواه ابن ماجه في «المقدمة» باب «الرد على الجهمية» (١/ ٦٥).

(٣) «معارج القبول» (١/ ١٨٦)، ط: الأولى، دار الكتب العلمية.

٤- مذاهب بعض الفرق في القرآن:

١٤٩- وَلَيْسَ مَحْكِيًّا، وَلَا عِبارَهْ ‌‌ ‌‌ كَمَا تَقُولُ الفِرَقُ المَكَّارَهْ

قد تَقَدَّمَ ذِكْرُ بعضِ الفِرَقْ التي خَالَفَتْ أهل السُّنة في القُرْآن، مثل الفلاسفة والجَهْمِيَّة والاتحادية وغيرها. والآن نُشِير إلى ما أشرتُ إليه بقولي: (ولَيْسَ مَحْكِيًا). يعني من يقول: إن القُـرْآن حكايـةٌ عـن كلامِ الله. وهو عندَهم المعنى القائم في نَفْسـه الـلازم لذاته كلزوم الحياة والعلم، ولا يتعلق بمشيئته ولا بإرادته، وهذا المعنى القائم بنَفْسه غير مخلوق، وهذه الألفـاظ المكونـة من حروف وأصوات مخلوقة، وهي حكايـة عن كلام الله، وهذا مذهب فرقـة الكُلَّابيَّـة أتباع عبـد الله بن سـعيد بـن كُلَّاب. (وَلا عِبَارة) كما تقول الأشـاعرة: إن القُرْآن عبـارة عن معنًى واحدٍ قائم في نَفْسـه، وهو غير مخلوق، والألفـاظ المقروءة عبارة عن ذلك المعنى القائم بالنفس، وهي مخلوقة، ولا يقال: إنها حكاية عنه[1].

فالأمـر والنهي والخبر والاسـتخبار كلهـا عندهم بمعنًى واحـدٍ، وكذلك هو عين جميع الكتب السابقة.

والخلاصـة عندهـم: أنه معنًـى واحدٌ، إن عُـبِّرَ عنه باللغـة العربيـة كان قرآنًا، أو بالعَبْرانيـة كان تَـوْراةً، وإن عُـبِّرَ عنه بالسُّرْيانيَّـة كان إنجيلا، فالقُـرْآن عندهم عبارة عن معنًـى واحـدٍ قديمٍ قائمٍ بذاتِه وبأيِّ لغـة يُعَبَّر عن ذلك المعنى ليصبـح معروفًا بها، وهذا القول قول جماعة الأشـعريِّ، وليس قولَ الأشـعريِّ نَفْسـه، فقـد صَرَّح بأنه على مذهب الإمامِ أحمد بن حنبل في كتابه الإبانة.

أمـا مَـن يُثْبِتـون الحـروفَ دونَ المعـاني فهـم المُعْتَزِلَة الذيـن يقولـون: إن كلامَ الله الحروفُ دون المعاني، وأن مُسَـمَّى القول والكلام عند الإطلاق اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزءا من مسـماه عندهـم، بل هو مدلول مسـماه، ومذهبهم عكس مذهب الأشاعرة والكُلَّابيَّة، حيث يُثْبِتون المعانيَ، وينفون الألفاظَ.

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» للدكتور صالح الفوزان (ص: ١٢٥).

٥- مذهب أهل السُّنة في القرآن:

١٥٠- وَلا الحُـروفُ دُونَمـا مَعَانِي وَعَـكْـسَـهَـا احْـذَرْ وَاتَّـبِـعِ بَيَانِي

أهل السُّنة يُثْبِتون الحروف والـمَعانِيَ، أما الكُلَّابيَّة وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب فقد تَقَدَّم مذهبُهم قريبًا، وهو أنهم يُثْبِتون المعاني دون الحروفِ، وقبلهم الأشاعرة والـمُعْتَزِلَة يُثْبِتون الحروفَ دون المعاني، وهو ما يَعْنِيهِ البيت، ومذهبهم باطلٌ.

أما مذهب السلف أهل السُّنة والجماعة في مسألة الكلام أن الله تَعَالَى لم يَزَل مُتكَلِّمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن الكلام صِفَةٌ له قائمةٌ بذاتِه أولية النوعِ حادثةُ الآحادِ، سُبْحانَه يتكلم بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال مُتكَلِّمًا إذا شاء، وما تَكَلَّم به فهو قائم به سُبْحَانَهُ، ليس مخلوقًا في غيرِه ولا منفصلًا عنه، ولا مخلوقًا في ذاته، تعالى الله عن هذا القول عُلُوًّا كبيرًا، وكلامه بمعنًى وصوتٍ وحرفٍ، ويكون تارةً مُناداةً، وأخرى مُناجاةً، كما تَقدَّمَ طَرْحُه وأدلتُه.

❁❁❁

١٢- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة على ما يليق به سُبْحَانَهُ

١٥١- قَدْ أَثْبَتَا لِرُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ ... في السُّنَةِ الغَرَّاءِ والقُرْآنِ

١٥٢- جَمْعُ الأَنَامِ لَيْسَ شَيْءٌ دُونَهُ ... قبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ يَرَوْنَهُ

١- مقدمة:

إنه لا أفضل، ولا أكمل، ولا أعظم، ولا أكرم من أن يَظْفَر المؤمن عند لقاءِ رَبِّه يوم القيامة بنعمةِ النَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الكريم، فهي نِعْمَةٌ ما فَوْقَها نعمة، ولا أعظم منها مِنَّة أن يَتجلَّى اللهُ العظيمُ الكبيرُ المتعالُ القديرُ المَلِكُ القُدُّوسُ ذو الجلالِ صاحبُ كلِّ كمالٍ وجمالٍ أن يتجلَّى لعَبْدِه المؤمن يوم القيامة، لذلك من ظفر بها فقد نال حَظًّا عَظِيمًا، ومَن حُجِب عنها فقد خَسِر خُسْرانًا مُبِينًا.

ورؤيةُ المُؤمِنِينَ لربِّهم يومَ القيامةِ هي من مُعْتقداتِ أهل السُّنة والجماعة، وقد ثَبَتَتْ بالآياتِ البيِّناتِ والأحاديثِ الصحيحاتِ المتواتراتِ، فعن أكثر من ثلاثين صَحابِيًّا ثَبَتَتْ أَحادِيثُ الرُّؤْيه، وكثيرٌ من الآياتِ القرآنية التي لا تحتاج إلى تأويلٍ جاءت نصوصها صارخةً بإثباتها، ولا يُنْكِرُها إلا مُعْتَلٌّ في فِكْره مُخْتَلٌّ في عقله أو مريض في فَهْمه، قد اعتورته سِهامُ الشُّبهات وسيوفُ الشهواتِ، فبترت الرقاب عن الصواب فعَدَلَت عن الحقِّ إلى التأويلِ، وعن الآياتِ إلى الأقاويلِ، فحَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل.

ويكفي منكر الرؤية أن يُعاقِبَه اللهُ بحرمانِه منها يوم القيامة، نسأل الله السلامة والثبات على الحقِّ والاستقامةَ حتى يَوْمَ نلقاهُ ويُرِينا وجهه جل في علاه، وإلى الأبيات وتحليلها.

٢- أدلة الرؤية في الكتاب والسنة

أما الآياتُ المُثْبِتةُ لرؤيةِ المؤمنين لربهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنة فكثيرةٌ جِدًّا، ومنها قوله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، هي النظر لوجهه الكريم، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ١٥]، وقال تَعَالَى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا حُجِبَ الكفار يومئذ عُلِمَ أن المؤمنين لم يُحْجَبوا، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٣]

وهذه الآيات قد فَسَّرها جُمهور المُفَسِّرِينَ وأساطينُ اللُّغة وأئمةُ الحديث بأنها صريحةٌ في دَلالتِها على إثباتِ رؤيةِ المؤمنين رَبَّهم يومَ القيامة، وأنها لا تَقْبَل تحريفًا ولا تأويلًا، وأنه لا يَحِيدُ عنها إلا مُكابِرٌ لا يريد الحقَّ، اللَّهم إننا نَشْهَدُ ونُؤْمِنُ ونُصَدِّقُ بما جاءتْ به الآياتُ مِن الدَّلالةِ الواضحةِ على رُؤيةِ المؤمنين رَبَّهم يوم القيامة، ونسأله تَعَالَى بمَنِّه وفَضْله أن نكون مِمَّن يَمُنُّ عليهم جل وعلا بالنَّظَرِ إلى وجهه الكريم، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه.

(في السُّنة الغَرَّاء والقرآنِ) أي: في سُنة الرسول ﷺ **(الغَرَّاء)** الناصعة، وأصل الغُرَّة بياضٌ في وَجْه الفَرَسِ، وهي تكون علامةً لأمة محمدٍ ﷺ يُعْرَفون بها من بينِ الأمم بسبب إسباغهم للوضوء، **(قد أثبتا)** أي: السُّنة والقُرْآن، وقد تواترت بذلك الأحاديثُ الصحيحةُ.

وقد سرد الشيخ حافظ الحكمي منها تسعةً وعشرين حديثًا[(١)] وغير هذه الأحاديث من الآثار الموقوفة التي تُعْطَى حُكْمَ الرفعِ في مصطلح المحدثين، وهي تَدُلُّ على إثباتِ

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ للحكمي (١/ ٣٠٦).

رؤيـة المؤمنـين لربِّهم يـوم القيامة، رواها أئمة السُّـنة وأهل الحديث عـن كبراء الصحابة وفضلائهـم، كأبي بكر الصديق، وأبي سـعيد الخدري، وجرير بـن عبد الله، وابن عمرو، وصهيـب، وعـلي بن أبي طالـب، وابن مسـعود، وجابر بن عبد الله، وعائشـة، وسـلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم.

وقـد رَوَى حديـثَ الرؤية أكثر من ثلاثين صحابيًّا، بل من كبارهم، وهي موجودة في دواويـن الإسـلام، فيجب على المسـلم التصديق بهـا والإيمان بما تتضمنـه الأحاديث الصحيحة، والآيات القرآنية الكريمة، ونسأل الله أن نكون من المؤمنين الـمُصدِّقينَ بها، ومن الذين يسـتمعون القول فيتبعون أحسـنه، وإليكم بعضًا من الأحاديث الصحيحة، ومنها:

١ - في الصحيحـين مـن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ناسًـا قالوا: يا رسـول الله، هـل نَـرَى رَبَّنَا يـومَ القيامة؟ فقال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هَل تُضارُّون مِـنْ رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟»**. قالوا: لا يا رسـول الله. قال: **«هَل تُضارُّونَ مِنْ رُؤْيَةِ الشَّـمسِ لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ»**. قالوا: لا. قال: **«فَإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ، فيقول: مَـنْ كَانَ يَعْبُدُ شَـيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فيَتَّبِعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الشَّـمْسَ الشَّـمْسَ، ومَنْ كَانَ يَعْبُـدُ القَمَـرَ القَمَرَ، ويَتَّبِـعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الطَّواغيتَ الطواغيـتَ، وتَبْقَى هذه الأُمَّةُ فيهـا مُنافِقُوهَـا، فيأتيهـم اللهُ في صُورةٍ غـيرِ صورتِه التي يَعْرِفُونَ، فيقـول: أنا رَبُّكم. فيقولـون: نَعـوذُ بالله مِنْكَ، هذا مكاننا حتى يَأْتِيَنـا رَبُّنا تَعَالَىٰ، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرَفْنَاهُ. فيَأْتِيَهُـم اللهُ تَعَالَىٰ في صُورتِـه الـتي يَعْرِفُـونَ، فيقولُ: أنـا رَبُّكم. فيقولـون: أنت رَبُّنا، فَيَتَّبِعونَـه ويُضْـرَبُ الصِّـراطُ بينَ ظَهْرَانَيْ جَهنَّـم، فأكونُ أنا وأمـتي أوَّلَ مَن يُجيزُ، ولا يَتكلَّـمُ يومئـذٍ إلا الرسـلُ، ودعـوى الرسـل يومئـذٍ: اللَّهم سَـلِّم سَـلِّمْ. وفي جَهَنَّمَ**

....

كَلالِيبُ مثل شَوْك السَّعْدانِ، هل رأيتم شَوْكَ السَّعْدانِ؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلا اللهُ تَعَالَى، تَخْطِفُ النـاسَ بأعمالِهـم، فمنهـم المُوبَق بعَمَلِـه، ومنهم المُجـازَى، فإذا فَـرَغَ اللهُ من القضاءِ بـيـنَ العِبَـادِ وأرَادَ أن يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَـن أرادَ مِنْ أهلِ النَّارِ أمَرَ الملائكةَ أن يُخْرِجُوا من النـارِ مَـن كانَ لا يُشْـرِكُ بالله شَـيْئًا مِمَّـن أرادَ اللهُ أن يَرْحَمَهُ مِمَّن يقـولُ: لا إلهَ إلا اللهُ. فيَعْرِفُونَهم بأثرِ السُّـجودِ، وتَأْكُلُ النَّارُ مِن ابنِ آدمَ كلَّ شـيءٍ إلا أثَرَ السُّـجودِ، حَرَّمَ اللهُ على النارِ أنْ تَأْكُلَ أثَرَ السُّـجودِ، فيَخْرُجونَ من النَّارِ قدِ امْتُحِشُـوا، فيُصَبُّ عليهـم مَـاءُ الحَيَاةِ، فيَنْبُتُـونَ كَمَا تَنْبُتُ الحبة في حَمِيلِ السَّـيْلِ، ثـم يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَـاءِ بـيـنَ العبادِ، ويَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بوَجْهِهِ على النَّارِ، وهو آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا الجنَّـةَ، فيقـول: أيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَـنِ النَّارِ، فإنَّه قد قَشَبَنِي رِيحُهـا، وأحْرَقَني ذَكَاؤُهـا، فيَدْعُـو اللهَ ما شـاءَ أن يَدْعُوَه، ثم يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هل عَسَـيْتَ إن فَعَلتُ ذلك أن تسـأل غيره؟ فيقول: لا أسـألُكَ غَيْرَه. فيُعْطِي ربَّه من عُهودٍ ومَوَاثِيقَ ما شـاءَ اللهُ، فيَصْرِفُ وَجْهَهُ عن النارِ. فإذا أقْبَلَ على الجَنَّةِ ورَآهَا سَكَتَ ما شاءَ اللهُ أن يَسْكُتَ، ثم يقولُ: أيْ رَبِّ، قَدِّمْني إلى بَابِ الجَنَّةِ. فيقولُ اللهُ تَعَالَى: أليسَ قد أعْطَيْتَ عُهودَكَ ومَوَاثِيقَـكَ لا تَسْـألُني غيرَ الذي أعْطيتُكَ، ويلك يا ابـن آدمَ ما أغدرك؟! فيقول: أيْ رَبِّ. فيَدْعُو اللهَ حتى يقول له: فَهَل عَسَيْتَ إنْ أعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أنْ تَسْألَني غيرَه؟ فيقول: لا وعِزَّتِـكَ. فيُعْطِـي ربَّـه ما شـاءَ من عُهـودٍ ومواثيـقَ، فيُقَدِّمُه إلى بـابِ الجنَّةِ، فإذا قـام علـى باب الجنة انْفَهَقَـتْ له الجَنَّةُ، فيرى ما فيها من الخيرِ والسـرور، فيَسْـكُتُ ما شـاء الله أن يَسْـكُتَ، ثم يقول: أيْ رَبِّ، أدْخِلني الجَنَّةَ. فيقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أليس قـد أعْطَيْـتَ عُهـودَكَ ومَوَاثِيقَـكَ أن لا تسـألني غـيرَ مـا أُعْطِيـتَ، ويلك يـا ابن آدم

....

ما أغدرك؟ فيقول: أيْ رَبِّ، لا أكون أشْقَى خَلقِكَ. فلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حتى يَضْحَكَ اللهُ منه، فإذا ضَحِكَ الله منه قال: ادخُلِ الجَنَّةَ. فإذا دَخَلَها قال الله له: تَمَنَّ. فيَسْأَلُ رَبَّـه ويَتَمَنَّـى، حتى إن اللهَ لَيُذَكِّرُه، فيقول: تَمَنَّ كـذا وكذا. حتى إذا انقطعتْ به الأمَانِـيُّ قـال اللهُ تَعَالَىٰ: **ذلك لك ومِثْلُه معه»**. قال أبو سـعيدٍ وعَـشَرَةُ أمثالِه مَعَه. قال عطـاءُ بـنُ يَزِيدَ: وأبو سـعيدٍ مع أبي هريرة لا يَـرُدُّ عليه من حديثه شَـيْئًا، حتى إذا حَدَّث أبـو هريرة قـال: إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قـال لذلك الرجل: ومثلـه. قال أبو سـعيد: وعشرة أمثاله مَعَـه يـا أبا هريـرة. قال أبو هريـرة: ما حفظـت إلا قوله ذلـك: **«لك ومثله معـه»**. قال أبو سعيد: أشهد أني حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ قوله: **«ذلك لك وعشرة أمثاله»**. قال أبو هريرة وذلك آخر أهل الجنة دخولًا الجنة(١).

٢- ولهما عن أبي سعيدِ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نَاسًا في زَمَنِ رسول الله ﷺ قالوا: يا رسـولَ الله هل نَرَى رَبَّنا يوم القيامةِ؟ قال رسول الله ﷺ: **«نَعَمْ هل تُضارُّونَ في رُؤْيةِ الشـمسِ بالظَّهِيرةِ صَحْوًا ليسَ مَعَهَا سَـحَابٌ؟ وهل تُضارُّونَ في رُؤْيةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْوًا ليسَ فيها سَـحَابٌ؟»**. قالوا: لا يا رسـول الله. قال: **«ما تُضارُّونَ في رُؤْيَتِهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يَوْمَ القيامةِ إلا كما تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...»**. ثم ساق الحديثَ(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الأذان» باب «فضل السجود» (١/ ١٦٠) رقم (٨٠٦)، ومسـلم كتاب «الإيـمان» باب «معرفة طريق الرؤيـة» (١/ ١٦٣) رقم (١٨٢/ ٢٩٩). رواه البخاري (٢/ ٢٩٢-٢٩٣) في «الأذان» باب «فضل السجود»، ورواه مسلم (١/ ١٦٣-١٦٦) ح (١٨٢) في «الإيمان» باب «معرفة طريق الرؤية».

(٢) متفـق عليـه من حديث أبي سـعيد، أخرجـه البخاري كتاب «تفسـير القرآن» باب «قولـه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]» (٦/ ٤٤) رقـم (٤٥٨١)، ومسـلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة طريق الرؤيـة» (١/ ١٦٧) رقـم (١٨٣/ ٣٠٢). رواه البخـاري (١٣/ ٤٢٠ -٤٢٢) في «التوحيـد» بـاب =

....

٣- وفيهما عن جَرِيرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا جُلُوسًا مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنظَرَ إلى القَمَرِ ليلةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذا، لا تَضامُونَ في رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وصَلاةٍ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا»(١).

٤- وفي صحيح مسلمٍ عن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يقولُ اللهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وتُنَجِّنا من النَّارِ؟ قال: فيَكشِفُ الحِجَابَ، فما أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إليهم من النَّظَرِ إلى رَبِّهم»(٢). ثم تلا الآيةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وكثيرةٌ جِدًّا أحاديثُ إثباتِ رؤيةِ المؤمنين لربِّهم يومَ القيامةِ، هذا بعد دُخولِهم الجنَّةَ.

❁❁❁

= «قول الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ورواه مسلم (١/ ١٦٧-١٧١) في «الإيمان» باب «معرفة طريقة الرؤيا».

(١) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ..﴾ [طه: ١٣٠] (٦/ ١٣٩) رقم (٤٨٥١)، ومسلم كتاب «المساجد» باب «فضل صلاتي الصبح والعصر» (١/ ٤٣٩) رقم(٦٣٣/ ٢١١). رواه البخاري (١٣/ ٤٢٠-٤٢٢) في «التوحيد»، ورواه مسلم(١/ ٤٣٩) ح (٦٣٣) في «المساجد».

(٢) أخرجه من حديث صهيب مسلم كتاب «الإيمان» باب «إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» (١/ ١٦٣) رقم (١٨١/ ٢٩٧). رواه مسلم في «الإيمان» باب «إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم تَعَالَى» والترمذي في سننه انظر: «صحيح الجامع الصغير» (١/ ١٥٢).

٣- مواضع الرؤية:

١٥٢- قبل دخول الجنة يرونه جمعُ الأنام ليس شيءٌ دونه
١٥٣- ثلاثةٌ يرونه محققا فمؤمنا وكافرًا منافقا
١٥٤- وهي لغير مؤمنٍ عذابُ وغضبًا ونقمةً أصابوا

هذه مواضع الرؤية العامة، وهما موضعان: الموضع الأول: في الموقف بعَرَصاتِ القيامة، وقد اختلف العلماءُ في ذلك على ثلاثةِ أقوالٍ:

١- إن جميع الخلق يَرَوْنَهُ، مُؤمنُهم ومُنافِقُهم وكَافِرُهم، وإلى هذا أشار البيتُ الأول.

٢- إنه يراه مُؤمِنُهم ومُنافِقُهم فقط.

٣- إنه يَرَاهُ الـمُؤْمِنُ فقط دون الكافِرِ(١).

وهذه الرؤيةُ - والله أعلم - بالنسبة للمؤمن نعيمٌ، وأما المنافق والكافر فهي رؤيةُ عَذَابٍ وغَضَبٍ، جَزَاءً وِفَاقًا، وهو معنى البيتِ ثَلاثَةٌ... إلخ.

٤- تعليق العلامة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في قولنا في الرؤية وتوضيح ذلك:

وقد عَلَّق على هذه الأبيات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «قُلتُم في الرؤية ما نَصُّه: قَبْلَ دخول الجنة يَرَوْنَهُ جَمْعُ الأنامِ لَيْسَ شَيْءٌ دُونَه. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب أن لا يراه إلا المؤمنون، كما قال الله تَعَالَى في الكافرين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وصَحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير الآيةِ بأن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تَعَالَى. انتهى تعليقه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأقول: أما بعد دخولهم الجنة، فكما ذكر سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، لا يراه إلا المؤمنون فقط، وأما في الموقف وقبل دخول الجنة في عَرَصات القيامة فهناك أقوال ثلاثة(٢) للسَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» للدكتور: صالح الفوزان (ص: ١٤٠).

(٢) قال ابن تيمية مسألة رؤية الكفار تنازع الناس فيها فيما بلغنا بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة وأمسك =

الأول: أن جميعَ الخلقِ يَرَوْنَه مؤمنُهم و مُنافِقُهم وكافِرُهم.

ثانيًا: أنه يراه مؤمنهم ومنافقهم فقط.

الثالث: يراه مؤمنهم دون الكافر(١).

وقد أشار ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إلى اجتماعهم في موقف واحدٍ، ولكن رَجَّح أن هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين، وغيرُهم يُحْجَبونَ عنها، حتى وإن كانوا جميعًا معهم في موقفٍ واحدٍ(٢).

❀❀❀

= عنها قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال مع أني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاعنوا ولا تهاجروا، إذ في الفرق الثلاث قوم فيهم فضل، وهم أصحاب سنة. والأقوال هي الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب أحمد وغيرهم. الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغُبَّرات من أهل الكتاب، وذلك في عَرَصات القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إثبات رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم في الموقف. الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب، كاللص إذا رأى السلطان، ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم، وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد وأبي سهل عبد الله التُسْتَرِيِّ، وهذا مقتضى قول من فصل اللقاء في كتاب الله بالرؤية، وطائفة من أهل السنة منهم أبو عبد الله بن بطة الإمام... إلخ. انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٦/ ٤٨٧-٤٨٨) جمع وترتيب محمد بن قاسم وابنه.

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» للدكتور صالح بن فوزان الفوزان (٥/ ١٤٠).

(٢) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣/ ٤٢٥)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه والتصحيح محب الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار المعرفة بيروت.

١٥٥- والمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهَالِي السُّنَّةِ ... يَـرَوْنَـهُ بَـعْـدَ دُخُـولِ الجَـنَّـةِ

١٥٦- يَـرَوْنَـهُ دُونَ عَـنَـاءٍ بِالبَصَرْ ... كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا وَالقَمَرْ

الموضع الثاني: الرؤية في الجنة، بعد دخول المؤمنين الجنةَ يَرون رَبَّهم عِيانًا كما يَرَوْنَ القَمَرَ دون سَحابٍ يحول بينَهم وبينَه، وكما يرون الشمس دون أي قَتَر أو سحابٍ يَحْجُب الرؤيةَ عنهم، وهذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لزيادة التأكيدِ على وقوعها وصحتها.

وهي أي الرؤيةُ في العرصات يوم القيامة لغير المؤمنين عذابٌ، كما أشار ابنُ حَجَرٍ وغيرُه أنها نِقْمةٌ وغَضَب عليهم، وإثباتها ليست من صِفَات الله، بل من صِفَات المؤمنين بالله، لذلك ذكرت هنا؛ لأن الرؤية تقوم بالمؤمن بالله، لا بالله، فالمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهم، والله جل في علاه هو المَرْئِيُّ لهم، وقد ذكرها أهل السُّنة والجماعة في مجمل الصِّفَات؛ لأن فيها خلافًا ونزاعًا بين أهل السُّنة وغيرِهم، لذلك ذكرناها هنا.

نعم من عقيدة أهل السُّنة والجماعة أن المؤمنين يَرَوْنَ ربَّهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنـة رؤيةً بالأبصار، وهذا هو الموضع الثاني رؤيـة المؤمنين فقط لربِّهم بعد دخول الجنة مُحَقَّقة، كما نصَّ عليها القُرْآن والسُّنة، وثبت بتفسير السَّلَف من هذه الأمة، وأنها من أعظم المِنَـن والنِّعَم التي يَتفضَّلُ بها المولى جـل وعلا على عباده المؤمنين، وهو مذهب الصحابة والتابعـين وأئمة المسـلمين، قـال تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، في حـق الكفـار فلَـمَّا حُجِـبَ الكُفَّار عَرَفْنا أن المؤمنين يَرَوْنَ رَبَّهم، خِلافًا للجَهْمِيَّةِ والمُعْتَزِلَة والإماميَّة والرافضة ومَن هو في فَلَكِهم يَدُورُ.

....

(يَرَوْنَهُ دُونَ عَنَاءٍ) أي: دون تَعَبٍ، ودون قَتَرٍ، ودون جَهْدٍ يَبْذُلونه من أجْلِ الرُّؤْية، (بالبَصَـر) بأبصارهـم، لا ببَصِيرَتِهـم، ولا في مَنامِهـم، يرونـه حقيقةً كـما وردتْ بذلك الأحاديثُ الصحيحةُ الـمُتقَدِّمَةُ وكذلك كلمةُ النَّظَر حقيقة.

و(كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا والقَمَر) هذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا غيرُ، ولا يُفْهَم منه تشبيه المرئي بالمرئي لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❁❁❁

١٥٧- ولا يُضامُونَ بِرُؤْيَةٍ وَلا يَحْجُبُهُمْ شَيْءٌ تَعَالَى وَعَلا

(ولا يُضامُون) بضم الياء، أي لا يَلحَقُهم جَهْدٌ ولا تَعَبٌ، بحيث يراه بعضُهم دون بعضٍ، والناس الآن في كلِّ صُقْعٍ يرونَ القَمَر والشمسَ دون أدنى مَشقَّةٍ والذي جعله في الدنيا بدون مَشقَّةٍ يجعله اللهُ في يوم القيامة كذلك،ولا يَحْجُبهم عن رؤيته شيءٌ كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

٥- مناقشة بعض المذاهب المخالفة في رؤية الله:

هذا وقد خالف في هذه المسألة الجَهْمية، والرافضةُ، والمعتزلةُ، والإماميةُ، والخوارجُ، وبعضُ الفرق الأخرى لتأويلاتٍ فاسدةٍ زعموها. وليس مع النصوص الجليلة والأسانيد العلية أيُّ جدالٍ، أما المخالفون فليس لديهم سوى الحُجَج الواهية والتأويلات الفاسدة التي هي عن الحق عاريةٌ، وتَرُدُّها النصوصُ الشرعيةُ واللغةُ العربيةُ، ويأباها كلُّ ذي فَهْم سليمٍ وعقلٍ صحيحٍ، وسنستعرض حُجَجَهم ونَرُد عليها، وإن كان ظاهر النصوص لا يحتمل غيره، ولا يجوز صرفها لغير ما وضعت له لغةً وشرعًا.

ونبدأ بمذهب الرافضة والجَهْمِيَّة والمُعْتزِلَة، وهو نَفْي الرؤيةِ، وحُجَّتهم أنه يلزم من إثباتها أن الله يكون في جهة، وإذا كان في جهةٍ فيكون جِسْمًا محدودًا، والله مُنَزَّه عن ذلك.

والجواب عن هذه العلة: أن لفظ الجِهة مُجمَلٌ، فإن أريدَ به جهةُ السُّفْل أو الشَّمال أو الجَنوبِ، فهذا باطلٌ، والأدلة تَرُدُّ ذلك.

وإن أريد بالجهةِ الفوقيَّة أنه محاط به، فهذا باطلٌ أيضًا، أو حالٌّ في شيء من مخلوقاتِه، فهذا باطل أيضًا، أما إذا أريد بالفوقية أنه فوق مخلوقاتِه منفصلٌ عنهم، بائنٌ منهم يشار إليه بالبنان، يعلم ما هم عليه، فهذا ثابت لله، ومَن نفاه فهو على باطلٍ، إذ لا يتنافى مع إثبات الرؤية.

....

واستدلوا على نَفْـي الرؤية أولًا بقولـه تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقالوا: إن النَّفْـي بــ(لن) يَدُل على التأبيد، والآية الكريمـة وردت في نَفْي الرؤية في الدنيا، لا في الآخـرة؛ لأن الرؤيـة في الآخرة تثبتهـا أحاديث صحيحة، وآيات قرآنيـة، وإنكار الرؤية إنـكار لأدلتهـا، وعدم التصديـق بها كما أنه ليـس في الآية الكريمة ما يـدل على أن النفي للتأبيد فلا يصح ذلك شرعا ولا لغة وسيأتي بيانه إن شاء الله.

وإن قوانـين الدنيـا تختلف عن قوانين الآخرة، وإن النـاس لا يحتملون اليوم لرؤية الشمس في الظهيرة، فكيف برؤية الله الذي انْدَكَّ لتَجَلِّيهِ الجَبَلُ.

وثـانيًا: بقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والإدراكُ المنفي هنا هو الإحاطة، فلا يحاط به رؤيةً، كما لا يحاط به قدرةً، ولا عِلمًا ولا يحاط بأي صفة من صفاته عَزَّوَجَلَّ.

ففـي الآية نَفْي للإدراك، وليس للرؤية، فالله يراه المؤمنون، ولا يحيطون به، والآية دليل على إثبات الرؤية، إذ نفي الإدراك يلزم منه إثبات الرؤية، وفي هذه الآية نَفْي الإدراك بالإبصـار، وذلك لكمال عظمته، وليس لنفي الرؤية؛ فإن الرؤية قد تكون بدون إحاطةٍ، ولا يكون مَدْحًا يَدُل على الكمال إلا إذا كان النَّفْي للإدراك لا للرؤية؛ لأنه لو كان لا يُرَى لـكان كالمعدوم، وليس في العدم أيُّ مَدْحٍ أو أيُّ كـمالٍ، فتَبَيَّن أن النَّفْي مُتوَجِّه للإحاطة، لا للرؤية، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كَبِيرًا.

وقال ابنُ كثير عند تفسيره للآية في الإدراك قال: وللعلماء في الإدراك ثلاثة أقوال:

أحدهـا: لا تُدْرِكُـه الأبصـارُ في الدنيا، وإن كانـت تراه في الآخرة، كـما تواترت به الأخبار.

ثانيها: وقال آخرون: لا تدركه الأبصار أي جميعها وهذا مخصص بما ثبت عن رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة.

ثالثها: وقالت المعتزلة: لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وخالفوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم.

وقال آخرون: الإدراك اخص من الرؤية وهو الإحاطة ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم إحاطة العلم عدم العلم[١].

وقال ابنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيُّ عند تأويل الآيةِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال بعضهم: معناه لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بها سُبْحَانَهُ، وقد قال آخرون: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا[٢]، وأما في الآخرة فإنها تدركه. وقال أهل هذه المقالة: الإدراك في هذا الموضع الرؤية.

والراجح هو القول الذي شَهِدت له الأحاديثُ والآياتُ القرآنية، كما هو معروف عند أهل العلم من السلف، وهو إثبات الرؤية في الآخرة دون الدنيا، وإن الإدراك المنفي أمر زائد على مجرد الرؤية، وهو الإحاطة[٣].

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦- ١٦٧).

(٢) الطبري (١٢/ ١٣)، تحقيق محمود شاكر.

(٣) «الصفات الإلهية» لشيخنا الدكتور محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٣٢٩).

١٥٨- وُجُوهُهُمْ ضَاحِكَةٌ وَمُسْفِرَهْ نَـاظِـرَةٌ لِـرَبِّـهَـا مُـسْـتَـبْـشِـرَهْ

قال تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، قال ابنُ جَريرٍ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، و﴿نَّاضِرَةٌ﴾ حَسَنةٌ جميلة من النعيم، يقال: نَضَرَ وَجْهُ فُلانٍ إذا حَسُنَ من النِّعمة، ونَضَّر اللهُ وَجْهَه إذا حَسَّنه.

وقولنـا: (نَاظِـرَةٌ لِربِّهَـا) اي: تَنْظُرُ إلى رَبِّهـا عِيانًا، وذلك هو أعـلى نعيم يَجِدُونَه في الجَنَّةِ، نسأَلُ اللهَ أن نكونَ مِمَّن يَنْعُمونَ بِرُؤْياهُ في الآخرةِ.

❁❁❁

١٥٩- نَظْرَتُهُ أَعْلَى نَعِيمِ الجَنَّةِ أَكْـرِمْ بِـهَـا مِـنْ نِـعْـمَـةٍ وَمِـنَّـهْ

كما وَرَد في الحديثِ[(١)]: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ في مُلكِهِ أَلفَيْ سَنَةٍ يَـرَى أَقْصَـاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، يَنْظُـرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ وخَدَمِهِ. ثم تلا قولَه تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ مـن الحسـن والنضارة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تَنْظُـر إلى وجه ربِّها الكريم كلَّ يـومٍ في وَجْهِهِ تَعَالَى. (فأَكْرِم بها) إلخ. أي أَنْعِم بها من نعمةٍ ومِنَّةٍ وتَفَضُّلٍ وإحسانٍ على المؤمنين بهذه النفحة الكريمة والمِنْحة العظيمة.

❁❁❁

(١) أخرجه مـن حديث ابن عمر الترمذي أبـواب صفة الجنة (٤/ ٦٨٨) رقم (٢٥٥٣)، وأحمد مسند (٨/ ٢٤٠) رقم (٤٦٢٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠١): فيه ثوير بن أبي فاختة وهو مجمـع على ضعفـه. وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» رقـم (٢١٨٥): ضعيف. وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده ضعيف.

١٦٠- فَمَنْ لَهَا بِالعَقْلِ - ظُلمًا - جَحَدا فَحَسْبُهُ أنْ لا يُرَادُ أبَدا

أي: مَن جَحَدَ وأنكر رؤيةَ المؤمن لربِّه يوم القيامة ظُلمًا، أي تجاوُزًا وتَطاوُلًا على الحقِّ، وعلى ردِّ النصوصِ الصحيحةِ البالغةِ مَبْلَغَ التواتُرِ، والتي قد جاءَ بها القُرْآن مُصَرِّحًا، (فحَسْبُه) جوابُ الشرطِ، فيَكْفيهِ جزاءً وِفاقًا أن يَحْرِمَه اللهُ من النظر إلى وجهه الكريم الذي هو أعلى نعيم في الجنة.

❁ ❁ ❁

١٦١- وَكُلُّ قَوْلٍ خَالَفَ الصَّوَابَا وَخَالَفَ السُّنَّةَ وَالكِتَابَا
١٦٢- فَارْمِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أنْ تُبَالِي فَأَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الجُهَّالِ

جميع الأقوال للفرق التي ذكرتُ سابقًا، وهم مَن يُنْكِرون الرؤيةَ ويَتأوَّلون آياتِها ويُحرِّفونَ نُصوصَها عن الحقِّ وعمَّا نَزَلَت به الآياتُ المُحْكَماتُ والأحاديثُ المُتواتراتُ كما تَقَدَّمَ مُخالفين بذلك النصوصَ القرآنيةَ والأحاديث النبوية لقولهم ذلك. (فارْمِ به) أي اطْرَحْهُ واجعله غيرَ مَأبوهٍ به، لعدمِ قُدرتِه على مناهضةِ النصوص، و(مِن غيْرِ أنْ تُبالِي) لِـمَا أَبْدُوهُ من آراءٍ مائلةٍ، وأقوالٍ جوفاءَ لا تَسْتَنِدُ إلى دليلٍ شرعيٍّ، ولا حتى لبيانٍ مَنْطِقِيٍّ، فالأَوْلَى عدمُ الاهتمامِ بها، وعدمُ ذِكْرِها وتَرْويجِها، فهي لا تستحق الذكر، لمُجانَبَتِها الصواب، (فأهله) أي فأهل ذلك القول الباطل والرأي المائل، (هم من جملة الجُهَّال) في هذا الباب، الذين لا يعلمون أنهم يَجْهَلون معانيَ النصوص الصحيحةِ، فهُم وإن كانوا على علمٍ بالكلامِ والمنطق وغيرِه من علومِ عصرهم، إلا أنهم من جُملةِ مَن يَجْهلون هذه المسائلَ الخاصَّةَ بالتوحيدِ.

❁ ❁ ❁

٦- شبهات المخالفين لرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة والرد عليهم:

١٦٣- وَلَيْسَ (لَنْ) (وَلَا) لِنَفْيِ الأَبَدِ وَمَــنْ يَـقُـلْ ذَا فَـلِـقَـوْلِـهِ ارْدُدِ

هذه إحدى شُبهات القوم حيث يجعلون «لن» و«لا» لنفيِ الفعلِ على التأبيدِ، وهي في الحقيقة إنما تَدُلُّ على نَفْيِ الفعل في المستقبل، أما التأبيد والتأكيد فيستفادان من قرائن أخرى، أما «لن» و«لا» فلا يُفِيدانِ بأَنْفُسِهما التأبيدَ والتأكيدَ، ولذلك يقولُ ابن مالك في كافيته:

وَمَــنْ يَـرى الـنَّـفْـيَ بِـلَـنْ مُـؤَبَّـدَا فَـقَـوْلُـهُ ارْدُدْ وَسِــوَاهُ اعْـضِـدَا

ويقول أحدُ أعلامِ النُّحاة ابنُ هشامٍ في أوضح المسالك: و«لـن» هي لنفي الفعل سيفعل، أي نَفْي المستقبل، ولا تقتضي التأبيدَ، خِلافًا للزَّمَخْشَرِيِّ[1].

❁ دعواهم أن «لـن» تَـدُلُّ على التأبيدِ دَعْوَى فاسدة، يَرُدُّها النصُّ القرآنيُّ، قال تعَالَى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ولكنهم تمَنَّوا الموت يوم القيامة، ينادون ويتمنون، ولو كانت تفيد التأبيد لما حصلت هذه المناداة والتمنيات.

❁ لو كانت «لن» تُفِيدُ التأبيد لَمَا ذكر بعدها الأبد.

❁ ولو كانت تفيد التأبيد لم يُقيد فيها باليوم، كما في قوله تعَالَى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

❁ ولو كانت تفيد التأبيدَ المطلق لَمَا جاز تحديد الفعل بعدها، كما قال تعَالَى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠].

---

(١) «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» (ص: ٥٧٧) وانظر: «الصفات الإلهية» للدكتور محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ.

....

❁ وفي حاشية الخضري(١): لن حرف ينفي المضارع، وينصبه، ويخلصه للاستقبال.

❁ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي...﴾ الآية واردةٌ في نَفْي الرؤية في الدنيا، ولا تنفي ثبوتَها في الآخرةِ.

❁ لا تصْلُحُ دليلًا للنفاةِ، بل دليل عليهم من وجوهٍ:

١- أن اللهَ عَلَّقَ الرؤيةَ على استقرارِ الجَبَلِ حالَ التَّجَلِّي، وهو مُمكن، وما عُلِّقَ على مُمكنٍ فهو مُمكِنٌ.

٢- أن الله تَجَلَّى للجبلِ وهو جمادٌ، فغَيْرُ مُمْتَنِعٍ أن يَتَجَلَّى لأهلِ جَنَّتِه وطاعتِه.

٣- لو كانتِ الرُّؤْيه مُمْتنعةً لقال: إني لا أُرى أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئيٍّ ونحو ذلك(٢). ولكن عدم الرؤية في الدنيا لعدم القدرة على تحمل النور السَّطَّاع من كل جهة، وإذا كان الناس لا يقوون على رؤية الشمس في وقت الظهيرة، فمن باب أولى لا يقوون على رؤية الله جَلَّ وَعَلَا. أما في الآخرة فإن الله يخلق في أوليائه قوةً لديهم تتناسب وقوانين وسنن الآخرة، أما قوانين وسنن الحياة الدنيا فلا تقوى على مشاهدة الله تَعَالَىٰ، إذ لم يَقْوَ عليها الجبلُ الصُّلب الراسي، وليس في هذه الآية دليل على نَفْي الرؤية، بل فيها دليل على إمكانها وإثباتها، فما دام تجلى لأحد مخلوقاته الجامدة، فمن باب أولى أن يتجلى لأنبيائه في الآخرة وغيرهم من المؤمنين.

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الألفية (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: «الصفات الإلهية» لشيخنا محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ٣٣٠).

١٣- (الإيمان باليوم الآخر)

١- المقدمة:

١٦٤- مَبْدَؤُهُ مِنْ لَحْظَةِ المُحْتَضَرِ فَالمَوْتُ ثُمَّ مَا يَلِي فِي المَقْبَرِ

اليومُ الآخِرُ هو أحَدُ أسماء يوم القيامة، ولأهمية هذا اليوم كثرت أسماؤه، فهو يوم الدين، ويوم التغابن، والحاقة، والقارعة، والآزفة، والصاخة، والطامة، ويوم الجمع، ويوم التلاق، والغاشية والساعة إلى غير ذلك، وهذا اليوم لو لم يأت به النقل لطالب به العقل ونادت به الفطرة فهو الذي يكون به الحساب الختامي وهو الذي تكتمل به قصة الحياة والأحياء. فمن فاته شيء في الدنيا استكمله في هذا اليوم، ومن صدق به في الدنيا عاش سعيدا ومات حميدا، وهو الذي ما بعدَه يوم، وإنما بعده جَنَّة أو نار، وعقيدة أهل السُّنة والجماعة فيه أنهم يَعتقدون اعتقادًا جازمًا، ويُصدقون بمجيئه تصديقًا لا يرقى إليه أدنى شك، وأنه آت لا محالة، مع ما يوجب ذلك التصديق والاعتقاد من وجوب العمل والاستعداد لذلك اليوم، والإيمان به وبمقدماته وعلاماته، وأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده إلى أن يدخل الناس الجنة أو النار، وقد تقدم الكلام على البعث خاصة، وصور إمكان وقوعه في الدنيا وفي الآخرة.

والكلام هنا على اليوم الآخر وما يتضمنه من أحداث، ولا يتحقق الإيمان باليوم الآخر إلا إذا آمن العبد بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عن أُمور الغيب التي تكون بعد الموت، وهي أُمور ممكنة، أخبر عنها القرآن، وأخبر بها الرسول ﷺ، وكلُّ ما أخبر الله به ورسول ﷺ يجب الإيمان به وبوقوعه.

وقد دل عليه النقل والعقل والفطرة، ونطقت به جميع الكتب والشرائع السماوية، ونادى به جميع الأنبياء والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢- الأدلة على الإيمان باليوم الآخر من الكتاب والسنة:

والدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]. ومن السنة حديث جبريل المشهور المتفق على صحته. ونصه (قال عبد الله ابن عمر، حدثني أبي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم،إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أن تشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: أخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة الرعاة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلقت فلبثت مليا ثم قال لي: يا عمر أدري من السائل؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم أمور دينكم»**[١].

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر مسلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة الإيمان» (١/ ٣٦) رقم (٨/ ١). رواه =

....

ومعنـاه: التصديـقُ الجـازم بحصولِـه، والعمل من أجـل ذلك، ويدخـل في ذلك الإيـمانُ بكلِّ أشراط السـاعة وما وراءهـا، وكل ما يجري بعد الموت مـن أحوال وأهوال بالإجمال والتفصيل.

٣- بداية اليوم الآخر وحكم الإيمان به:

(مبـدؤه) أي: بدايـة اليـوم الآخر من لحظـة الاحتضار - وهـي مُقدِّمات الموت - حتـى دخـول أهل الجنة الجنة، ودخـول أهل النار النار، والعياذ بـالله. وما بين البداية إلى النهاية أحوالٌ عِظَام، وأهوال جِسَام؛ إن لم تدرك رحمة الله الخليقة هَلَكوا، وإن لم تشملهم عنايته خَسِروا خُسْرانًا مُبِينًا، وحكم الإيمان باليوم الآخر أنه ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يَصِحُّ إيمان العبد إلا به؛ لأنه مفروض على العباد، ولأن من لم يؤمن باليوم الآخر لا يمكن أن يعمل، وأهل الأعمال والمتسـابقون فيها والمتنافسـون عليها إنما هم المؤمنون بهذا اليوم، الراجون ثوابهم على أعمالهم في هذه الدنيا.

٤- الاحتضار:

(مـن لَحْظَةِ المُحْتَضَر) اللحظةُ: الوقت مـن الزمن، (المُحْتَضَر) مَن حَضَرَتْهُ بدايـةُ الموتِ وعلاماتُه، وصار في نهايةِ الحياة وبداية الآخـرة، وتنزل الملائكة عليه لوفاتِه ومعاينتـه للعالم الآخر، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

= مسلم (١/ ٣٦ - ٣٨) في «الإيمان»، باب «الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تَعَالَىٰ» رقم (١) في كتاب «الإيمان».

....

وقد رُوِيَ عن أبي موسى الأشعريِّ قال: سألتُ رسول الله ﷺ: متى تنقطع معرفةُ العبدِ من الناس؟ قال: «إذَا عَايَـنَ»(١). والمُراد بها معاينة الموت أو الملائكة عندما تنزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] قال مجاهد والسُّدِّيُّ وغيرُهما: هذا التنزل في حالة الاحتضار. وعند هذه اللحظة لا تنفع التوبةُ؛ وذلك عند بلوغ الروح الحُلقوم، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، لذلك يَتوجَّب على العبدِ أن يُبادِرَ بالتَّوبةِ النصوح قبل وُصولِه إلى حينِ الغَرْغرةِ والمعاينة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧].

قال ابن عباس والسُّدِّيُّ: من قريبٍ قبلَ المَرَضِ والمَوْتِ. وقال عِكْرمةُ وابنُ زيدٍ وغيرهما: قبل المُعاينة للملائكة. وأنه ينبغي على العبد أن يكون مُحسِنًا الظنَّ في رَبِّه، لا سيما قبل المعاينة، وقد وَرَدَ بهذا الحديث، عن جابرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول قبل موتِه بثلاث: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله»(٢).

ولحظات الاحتضار لحظات فاصلةٌ بين نهايةِ حياةٍ وبدايةِ أُخْرَى، وفيها ينتهي كل ما أوتيه المُحْتَضَر من قوى عقلية، وكلامية، وحركية، خاصَّة عند حَشْرجةِ الرُّوح

---

(١) أخرجه من حديث أبي موسى ابن ماجه كتاب «الجنائز» باب «مَا جَاءَ فِي الْمُؤْمِنِ يُؤْجَرُ فِي النَّزْعِ» (١/ ٤٦٧) رقم (١٤٥٣). وقال البوصيري في «مصباحة الزجاجة» (٢/ ٢٣): هذا إسناد ضعيف، نصر بن حماد كذبه ابن معين وغيره، واتهم بالوضع. رواه ابن ماجه (١٤٥٣).

(٢) أخرجه من حديث جابر مسلم كتاب باب «الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت» (٤/ ٢٢٠٦) رقم (٢٨٧٧/ ٨٢). انظر: «مختصر مسلم» (٤٥٥)، وابن سعد (٢/ ٢٢٥) وصححه الألباني تحت رقم (٧٧٩٢). انظر: «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٢٨٦).

في الصـدر، ومـا يُصاحِبُهـا من كَـرْبٍ و ضِيقٍ تُعانيـه النفس، وقـد عَجـزَ كلُّ مَن حولَه مـن الأسرة أن يغيثـوه ممـا هو فيـه، فكلُّ من حوله عيـون ناظرة، وأيادٍ قـاصرة، لا حولَ ولا قُـوَّةَ لهم بتقديمِ شيءٍ أو تأخيرِه، أو حتـى تخفيفِه، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧].

قـال ابـنُ كثيرٍ: (فَلَـوْلَا إذا بلغتِ) أي الـرُّوحُ، (الحُلقُـومَ) أي الحَلقَ، وذلك حينَ الاحتضـارِ. وكـما قـال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠]، ولهـذا قـال هنـا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى الـمُحْتَضَر وما يُكابِدُه من سَكَراتِ الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ يعني الملائكة.

٥- استحباب تلقين المحتَضر الشهادة على شكل تعريض بها:

ويُسْتحَبُّ عندَ لحظاتِ الاحتضار تَلقِينُ الـمَيِّت بالشَّهادة دونما إلحاحٍ، وقد وَرَدَت بذلـك الآثـارُ، كما وَرَدَ الأثرُ بقراءةِ سُـورة (يـس) قبلَ أن يموت في حـالِ احتضارِه، كما قيل: إن الشـيطان حتى في هذه اللحظات لا يَترُكه، ولا يَزالُ يُلاحِقُه بخُطُواتِه وتَوْهِيماتِهِ ونَزَغاتِه ودَعَواتِهِ للتَنَصُّلِ من الدينِ الحَقِّ إلى الأديانِ الباطلةِ، كما وَرَدَتْ بعضُ القصصِ والآثار عن عُلماءَ مَوْثُوقٍ بهم، بعد ما أفاقوا ذَكَروا مواقفهم مع الشـيطان الرجيم في آخِرِ لَحَظاتِهم، فمن الأحاديث الدالة على تلقينه قبل مفارقة رُوحِه جَسَـدَه ما يلي: مما يدل على وجوب تلقين الموتى.

....

١- حديث: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١). قال ابن حِبَّانَ: أراد به من حَضَرَه الموتُ. ولحديث عمه أبي طالب وقوله له: «يا عم قل لا اله إلا الله ... الخ»(٢)

٢- وحديث مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٣).

٣- وحديث أبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأُ عِنْدَه يس إِلَّا هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ»(٤).

٤- وحديث: «إِذَا ثَقُلَتْ مَرْضَاكُم فلا تُمَلُّوهم قولَ لَا إِلهَ إلا اللهُ»(٥). ومعنى التلقين في هذا الوقت الحرج أن يَذْكُرَ قَوْلَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ الله. ويرفع بها

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد مسلم كتاب «الجنائز» باب «تلقين الموتى لا إله إلا الله» (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٦/ ١). أخرجه مسلم عن أبي سعيد (٩١٦).

(٢) متفق عليه من حديث المسيب بن حزن، أخرجه البخاري كتاب «الجنائز» باب «إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله» (٢/ ٩٥) رقم (١٣٦٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أول الإيمان قول لا إله إلا الله» (١/ ٥٤) رقم (٢٤/ ٣٩). رواه البخاري (٣/ ٢٢٢) ح (١٣٦٠) في «الجنائز» باب «إذا قال المشرك عند الموت لا اله إلا الله».

(٣) أخرجه من حديث معاذ بن جبل أبي داود كتاب «الجنائز» باب «في التلقين» (٣/ ١٩٠) رقم (٣١١٦)، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٥/ ١٨٩): حديث صحيح، وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٦): حسن. أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه من حديث أبي الدرداء ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (١/ ٨٣) رقم (٢٥٠)، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» عند ذكر أحاديث يس (٢/ ٢١٣): ولا يصح في الباب حديث. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٢١٩): موضوع. أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والديلمي.

(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة أبو القاسم القشيري في أماليه كما في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢١٠)، وقال الحافظ: فيه محمد بن الفضل بن عطية، وهو متروك. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٤/ ١٠٧٣): لم أقف على إسناده، وغالب الظن أنه لا يصح. روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

صوتَه حتى يسمعه المحتضر، ولا يأمره بها أمرًا؛ لأنه في حالة جَزَعٍ، وربما نطق من ضِيقِ الحالِ بما يُفْسِدُ المآل، أما محاولةُ الشيطان للمؤمنِ في حالِ احتضاره، فهو بما كان مُكْثِرًا منه أيامَ حياتِه، فإن كان بَزَّازًا أو صَيَّادًا أو شَارِبًا أو عالـمًا؛ فكلٌّ واحد يَحْضُره ما كانَ يهواه ومُكْثِرًا منه ويُقَدِّمُه في حياته على أوامر الله ونواهيه - إلا من تاب وأصلح - وإن كان غير ذلك، فإن الله يُثَبِّتُه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما حصل للإمام أحمد وغيره من العلماء، فثَبَّتَهم الله، ونَجَّاهم من كيده، وأما من كانوا معه في الدنيا على وِفَاقٍ فلم يُوَفَّقُوا، وربما أَخْرَجَهم في آخِرِ لحظةٍ من دِينِهم، نسأل اللهُ السلامةَ والثباتَ على الدين الحقِّ حتى نلقى الله تعالى، إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ. وفي هذه اللحظات يُدْرِكُ المرءُ حُسْنَ الخاتمة أو سوء الخاتمة، والعياذ بالله، وذلك بما عَمِله في حياته من أسباب حسن الخاتمة، كالاستقامة على دين الله، ومجاهدة نَفْسه على التمسك بما في الكتاب والسُّنة، فإن هذه المجاهدة في حال حياته غَالبًا تكون سببًا في حسن الخاتمة، فيموت على عمل خير، أو فعل خير، ونحو ذلك.

أما من كَرَّس جهده في حياته في أنواع المعاصي والاستمرار عليها ويموت وهو لم يتب، ففي الغالب تكون سببًا لسوء الخاتمة، فيموت وهو يهذي ويرفع صوته بذلك العمل السيئ الذي كان يمارسه في حياته، فيختم في الغالب له بذلك، إلا أن تدركه رحمة الله فتنجيه بحسن خاتمة، فيموت على عمل صالح في آخر حياته.

وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»**. قيل: وكيف يستعمله يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الـمَوْتِ»**[(١)].

---

(١) أخرجه من حديث أنس الترمذي أبواب القدر باب «ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار» (٤/ ٤٥٠) رقم (٢١٤٢)، وقال: حديث صحيح، وصححه ابن حبان (٣٤١). والألباني في =

....

وورد عن أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ». قيل: وما استعماله؟ قال: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ»[1].

٥- قال العلماء: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة ما يلي:

١- ترك الالتزام بعد الأخذ به.

٢- التهاون بالصلاة وعدم إقامتها.

٣- شرب الخمر والاستمرار عليه.

٤- عقوق الوالدين.

٥- أذى المسلمين.

وأقول: من أسباب حسن الخاتمة المحافظة على الصلاة، وطاعة الوالدين، وعدم الإشراك بالله، والإحسان إلى المسلمين، والاستقامة على دينه في السر والعلن. نسأل الله لنا وللمسلمين والمسلمات حسن الخاتمة آمين يا رب العالمين.

٦- الموت:

(فالموت) هو بداية دخولِ المرءِ في اليوم الآخر؛ لأنه بسَبَبِه ينتقل إلى أول منازل

= «صحيح الترغيب» (٣٣٥٧). أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ورواه الترمذي في سننه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم عن أنس رضي الله عنه.

(١) أخرجه من حديث عمر بن الحمق الخزاعي أحمد تتمة مسند الأنصار (٣٦/ ٢٨٠) رقم (٢١٩٤٩)، وصححه ابن حبان (٣٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٥٨) وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم غير صحابيه. رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم عن عمرو بن الحمق، انظر: «السنة» لابن أبي عاصم (٤٠٠)، والصحيحة (١١١٤)، وشواهد الصحة عليه بادية، وخاصة عند أحمد وابن حبان والطبراني.

الآخرة، ومن عقيدة أهل السُّنة والجماعة الإيمانُ به، وتحتمه على كل نفس وعلى كل حي من المخلوقات، وفي طليعتهم الإنس والجن، والملائكة، والحيوانات قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وكان ﷺ يقول في دعائه: **«أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحيُّ الذي لا يَموتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ»**، وفي رواية: **«أعوذ بعزتك الذي لا اله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»**[١].

وكذلك من عقيدة أهل السُّنة أن ساعة الموت محدودة ومُقَدَّرة، لا يتجاوزها الحيُّ، ولا يُقَصِّرُ عنها، وقد كُتِب جميع ذلك بعلمه السابق، وكُتِب ما له وما عليه وهو في بَطْنِ أمه، وأنه قد تحدد الزمانُ والمكانُ، ولا يختلف من ذلك شيء.

ومن عقيدة أهل السُّنة أنَّ كُلَّ ميت مات بأيِّ سبب فذلك أجله، ولم يستأخر عنه ولم يتقدم ولو بثانية أو أقل، بل ذلك كان قَدَرَه من الله أمضاه عليه، كما قَدَّره عليه سَابقًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾» (٩/ ١١٧) رقم (٧٣٨٣)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ» (٤/ ٢٠٨٦) رقم (٢٧١٧/ ٦٧). والرواية الأولى أخرجها أحمد مسند بني هاشم (٤/ ٤٧٦) رقم (٢٧٤٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. رواه البخاري (١٣/ ٣٦٨) في «التوحيد» باب «قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ورواه مسلم (٤/ ٢٠٨٦) ح (٢٧١٧) في «الذكر والدعاء» باب «التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل».

وقولـه ﷺ عندما قالت أم حبيبة رضي الله عنها: اللَّهم مَتِّعْني بزَوْجِي رسـولِ الله ﷺ، وبأبي أبي سُفْيانَ وبأخي مُعاويةَ. فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ**». وفي رواية: «**كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**»(١).

كما أن من عقيدة أهل السُّنة الإيمان بعدم معرفة الأجل؛ لأنه من الغيبِ، ولا يعلمه إلا اللهُ، وأنه من عِلم الغيبِ الذي اختصَّ به سُبْحانَه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤] ولقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تبارك وتعالى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ فِيهَا - أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً**»(٢).

(أ) أقوال العلماء في الموت:

وقال العلماء: الموتُ ليس بعدمٍ مَحْضٍ، ولا فناءٍ صِرْفٍ، وإنما هو انقطاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بالبَدَنِ، ومفارقةٌ له، وحيلولة بينهما وتَبَدُّل حالٍ، وانتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ، والمراحل التي ينتقل فيما بينها الإنسان ما يلي هي:

(١) أخرجه من حديث أم حبيبة مسلم كتاب «القدر» باب «بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر» (٤/ ٢٠٥١) رقم (٢٦٦٣/ ٣٢، ٣٣). رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٠-٢٠٥٢)، ح (٢٦٦٣) في «القدر» باب «بيان الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر».

(٢) أخرجه من حديث أبي عزة الترمذي أبواب «القدر» باب «ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها» (٤/ ٤٥٣) رقم (٢١٤٧)، وأحمد «مسند المكيين» (٢٤/ ٣٠١) رقم (١٥٥٣٩)، وقال الترمذي: حديث صحيح. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه. الحديث صحيح رواه الطبراني في «الكبير» (١٧٢٣)، والإمام أحمد في مسنده (٢١٤٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٠٦٤) والحاكم في «المستدرك».

١ - البطن. ٢- ثم الدنيا. ٣- ثم البرزخ. ٤- ثم الآخرة.

وكل دار ما بعدها أرحب مما قبلها ولها أحكام تخصها.

وقد شُبِّهت الحياةُ بالنوم، والموتُ باليقظةِ، والناس نيامٌ، فإذا ماتوا انتبهوا، وهو حقيقةٌ لا مَفَرَّ منها لأيِّ نفسٍ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، ربما جاز تمني الموت إذا خِيفَ على الدِّينِ.

(ثُمَّ مَا يَلِي فِي المَقْبَر) ثم، عاطفة، و«ما» موصولة بمعنى «الذي» و«يلي» أي الذي يتلو مصيبة الموت من أُمور عظيمةٍ وأهوالٍ جسيمةٍ، وأولها فِتْنة القبر والحياة البرزخية، وكون القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران. نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله من فتنة المحيا والمهات، ونعوذ بالله من فتنة عذاب القبر، فإن الميت يقعد في قبره وترسل إليه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه[1].

ثم (مَا يَلِي) ذلك من أُمور غَيْبيَّة يَجِبُ الإيمانُ بها والتصديقُ بمَجيئِها إلى آخِرِ ما هنالك حتى دخول الجنة والنار، نسأل الله السلامة، وإليك هي بالتفصيل، وعلى حسب وجودها في النظم.

٧- فتنة عذاب القبر:

فإن أهل السُّنة والجماعة يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن القبر إما روضةٌ من رِياض الجنة أو حفرةٌ من حفر النيران، وأن الميت يُفْتَنُ، أي يُخْتَبَرُ ويُسْأَلُ عن رَبِّه، وعن دينِه، وعن نَبِيِّه ﷺ، وقيل في السؤال أنه خاص بهذه الأمة، وقيل أنه بها وبغيرها،

(١) انظر: «شرح السنة» لإمام عصره البربهاري (ص: ٨٤).

وقيل التوقف عن ذلك، والأقرب انه غير خاص بهذه الأمة لثبوت ذلك في الأحاديث الصحيحة كما سيأتي. وسؤال الملكين بقولهما ما كنت تقول في هذا الرجل ثم إن كان الميت مؤمنًا بالله في الدنيا مُستقيمًا على دينِ الله وشرعِه، فإن الله يُثبِّته بالقولِ الثابتِ، ويُجيبُ على أسئلةِ الـمَلَكينِ بكلِّ اطمئنانٍ وثباتٍ، حتى ولو كان أُمِّيًا، وإن لم يكن مؤمنًا ولا مستقيمًا على دينِ الله ولا مُتَّبعًا لشرعِ الله، ومات على ذلك، فإنه لا يستطيع الجوابَ على أسئلة الـمَلَكينِ مُنكَرٍ ونكيرٍ (١)، بل يكون في حالةِ ذُهولٍ ورُعْبٍ شديدٍ، فيقول: هاه هاه لا أدري. فترد عليه الملائكةُ بقولها: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. ثم يُضرب بمِرْزَبَةٍ من حديدٍ، يَسْمَعُها كلُّ شيءٍ إلا ابنَ آدمَ والجنَّ، ولو سمعوا ذلك لما أطاقوه من الفَزَعِ، ولما استطاعوا البقاء على قيدِ الحياةِ مِمَّا سَمِعوا من الأهوالِ. ثُم يُفْتَح لهذا العبدِ الذي لم يُؤْمِنْ ومات على كُفْرِه بابٌ إلى مَقْعَدِه من النارِ، ثم يأتيه من سَمُومها وحَرِّها وجحيمها، ثم

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا الترمذي أبواب الجنائز باب «ما جاء في عذاب القبر» (٣/ ٣٧٥) رقم (١٠٧١)، بلفظ: «**إِذَا قُبِرَ الـمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْـمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، ...**» وقال: حسن غريب، وصححه ابن حبان رقم (٣١١٧)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٩١): إسناده جيد. ورد في «سنن الترمذي» «**إذا قبر الميت، أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللأخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا اله إلا الله وان محمدًا عبده ورسوله، وان كان منافقا، قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله، لا أدري ... إلخ**».
رواه الترمذي في كتاب «الجنائز» باب «ما جاء في عذاب القبر» (٣/ ٣٨٣) وقال الترمذي حديث حسن غريب، ورمز له الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بالحسن في «صحيح الجامع الصغير» تحت رقم (١٣٩١) وأورده في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» بنفس الرقم وجاء في حديث آخر في «المسند» و«صحيح أبي حاتم» «**اتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللأخر النكير**» والحديث طويل. وورد تسميتهما بمنكر ونكير كما رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤) والأجري في «الشريعة» (ص: ٣٦٥) عن أبي هريرة. والترمذي عن أبي هريرة .وقد ذكره إمام عصره الحسن البربهاري في «شرح السنة» (ص: ٨٤).

....

يَتَمَنَّى البقـاء في عذابِ القبرِ؛ لأنه أهونُ لـه وعليه مما ينتظره في جَهَنَّـم. وهكذا يبقى في الحياة البَرْزَخِيَّة حتى يأتي يوم القيامة فما بعده.

وأما المؤمن فإن قَبْرَه يَتحوَّلُ إلى روضةٍ من رياض الجنة، ويَفْتَحُ اللهُ له بابًا إلى الجنةِ، ويُرِيـهِ مقعـده وما له فيها مـن نعيمٍ، ثم يأتيه من رَوْحِها ورَيحانِهـا وطِيبِها ما يجعله يَتَمَنَّى من كثرةِ الشـوقِ إلى أن تُقامَ السـاعةُ، ويبقى في الحياة البَرْزَخِيَّةِ حتى يوم القيامة والبعث والنشور وبقية المواقف، حتى يدخل الجنة ويُخَلَّد فيها.

هـذه إلمامـة سريعة عما يلي المـوت، وبدايته القبرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مـن منازل الآخرةِ، بعد مفارقـة الروح البَدَنَ ترتفع الـروحُ إن كان صاحبُها مؤمنًا إلى بارئِهـا، ثم يأمر بإرجاعها إلى الأرض: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، ثـم يُغْسَـل البـدن، وهـي مـع الملائكة يَحْضُرونَ الغسـيل، ويسـمعون ما يُدار من ثَناءٍ وغيرِه، ثم بعد الصلاة يُحْمَل إلى قبره أَوَّل منزل من منازل الآخرة، وسـواء كان صاحب الـروح مؤمنًا أو كافرًا ترجع إلى الأرض، وبعـد الدفـن يبدأ نعيم وعـذاب القبر، ولذلـك فقد كان رسـول الله ﷺ يعلمهم الدعاء والاستعاذةَ من عذابِ القبرِ كما يعلم السورة من القُرْآن(١).

وكذلـك حديـث: «استعيذوا بالله من عـذابِ القَـبْرِ» مَرَّتَـيْنِ أو ثَلاثًـا(٢). وفي

---

(١) أخرجه من حديث ابن عباس مسـلم كتاب «المساجد» باب «ما يستعاذ منه في الصلاة» (١/ ٤١٣) رقم (٥٩٠/ ١٣٤)، رواه مسلم في «المساجد» ح (٤٠٣) في كتاب «الصلاة» باب «التشهد».

(٢) أخرجه من حديث البراء بن عازب أبو داود كتاب «السنة» باب «في المسـألة في القبر وعذاب القبر» (٤/ ٢٣٩) رقـم (٤٧٥٣)، والنسـائي كتـاب «الجنائـز» بـاب «الوقـوف للجنائـز» (٤/ ٧٨) رقـم (٢٠٠١)، وابن ماجه كتاب «الجنائز» باب «ما جاء في الجلوس في المقابر» (١/ ٤٩٤) رقم (١٥٤٨)، وأحمد مسـند أول مسـند الكوفيـين (٣٠/ ٤٩٩) رقـم (١٨٥٣٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠): رجـال أحمـد رجـال الصحيـح، وصححـه الألباني في «صحيـح الترغيـب» (٣/ ٢١٩)، وقال الأرنؤوط: إسـناده صحيح رجاله رجال الصحيح. رواه أحمد وأبو داود والنسـائي وابن ماجه =

حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولَـمَّا يُلحَدْ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال وهو يلحد: «استعيذوا بالله من عذابِ القَبْرِ». مَرَّتَيْنِ أو ثلاثًا. ثم قال: «إنَّ العبدَ المُؤْمِنَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال إلى الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماءِ، بِيض الوُجُوهِ كأنَّ على وُجُوهِهِم الشَّمْسَ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجَنَّة وحَنوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ، فَجَلَسُوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثم يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجْلِسَ عندَ رأسِه، فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة، اخْرُجِي إلى مَغْفرةٍ من الله ورِضْوانٍ». قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السِّقاءِ، فيأْخُذُها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مِسْكٍ وُجِدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون لها، فيفتح له، فيشيعه مِن كلِّ سماء مُقَرَّبوها إلى السماءِ التي تَلِيها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى. فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيِّينَ، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيُجْلِسانه، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دِينُك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما عَمَلُك؟ فيقول: قرأتُ

= والطيالسي والآجُرِّي في «الشريعة»، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في «عذاب القبر» ح (٢٠).

كتابَ الله فآمنتُ بِهِ وصَدَّقْتُ. فيُنادِي منادٍ من السماء: أنْ صَدَقَ عبدي. فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه، قال: ويأتيه رجل حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الرِّيح، فيقول: أبشر بالذي يَسُرُّك، هذا يومك الذي كُنْتَ تُوعَدُ. فيقول له: من أنت؟ فوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يَجِيءُ بالخيرِ. فيقول: أنا عَمَلُكَ الصالحُ. فيقول: يا ربِّ أَقِمِ الساعةَ، رَبِّ أَقِمِ الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وأما العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سُودُ الوجوه، معهم من المسوح، فيَجْلِسُونَ منه مدَّ البصرِ، ثم يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عندَ رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ الخَبِيثةُ، اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ. قال: فتُفَرَّق في جَسَدِه، فيَنْتَزِعُها كما يُنْتَزَعُ السُّفُّود من الصُّوفِ المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرْفَةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرج منها كأنْتَنِ رِيحِ خَبِيثةٍ وُجِدت على وجهِ الأرضِ، فيصعدون بها، فلا يَمُرُّونَ بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله تَعَالَىٰ: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السفلى، فتطرح رُوحُه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتعاد روحه في جَسَدِه، ويأتياه ملكان، فيُجْلِسانه، فيقولان له: من رَبُّكَ؟ فيقول: هاه، هاه، هاه، لا أدري. فيقولان: له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، هاه، لا أدري. فينادي مُنادٍ من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه

مـن حَرِّهـا وسَمُومها، ويُضَيَّقُ عليـه قَبْرُه، حتى تختلف أضلاعُـه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجـهِ قبيـحُ الثيابِ مُنْتِنُ الرائحةِ، فيقول: أَبْشِـر بالذي يَسُـوءُكَ، هذا يَوْمُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقولُ: مَن أنتَ، فوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يَجِيءُ بالشرِّ؟ فيقول: أنا عَمَلُكَ الخبيثُ. فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ»[١].

نعيم القبر: ويكون على الروح والبَدَنِ مَعًا في الحياةِ الأخرى والقوانين الأخروية، الـروح هي الأولى، لقد جعل الله الدور ثلاثًـا: دار الدنيا، دار البرزخ، دار الآخرة، وهي دار القرار. كما جعل لكل دار أحكامًا تَخُصُّها، وركَّب الإنسـانَ من بَدَنٍ ورُوحٍ أو نَفْسٍ. وجعـل أحكامَ الدنيا على الأبدان والأرواحِ تَبعًا لها، ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرئيةً على ما يَظْهَرُ من حركاتٍ لِلِّسانِ والجوارح، وإن أَضْمَرَتِ النفوسُ خلافَه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها[٢].

وإذا جـاء النعيم والعذاب فعلى الروح والبـدن معًا بدون كيفية نعرفها؛ لأن ثبوتها موقوف على النصوص من الكتاب والسُّنة.

---

(١) أخرجـه مـن حديث البراء بن عازب أبو داود كتاب «السـنة» باب «في المسـألة في القبر وعذاب القبر» (٤/ ٢٣٩) رقم (٤٧٥٣)، والنسائي كتاب «الجنائز» باب «الوقوف للجنائز» (٤/ ٧)٨ رقم (٢٠٠١)، وابن ماجه كتاب «الجنائز» باب «ما جاء في الجلوس في المقابر» (١/ ٤٩٤) رقم (١٥٤٨)، وأحمد مسند أول مسند الكوفيين (٣٠/ ٤٩٩) رقم (١٨٥٣٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠): رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢١٩)، وقال الأرنؤوط: إسـناده صحيـح رجالـه رجـال الصحيـح. رواه الإمـام أحمـد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨)، (٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود (٤/ ٢٣٩-٢٤٠) ح (٤٧٥٣) (٤٧٥٤) في «السنة» باب «في مسـألة القبر»، والنسـائي (١/ ٢٨٢)، وابـن ماجـه (١/ ٩٤) ح (١٥٤٨) في «الجنائز» باب «ما جاء في الجلوس في المقابر»، والطيالسي (ص: ١٠٢) ح (٧٥٣)، والآجـري في «الشريعـة» (ص: ٣٦٧-٣٧٠)، والحاكـم (١/ ٣٧-٤٠) وقـال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وذكره البيهقي في «عذاب القبر».

(٢) «الروح» لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (ص: ٩١ - ٩٤).

حقيقة الروح: أنها مخلوقة ومُبْدَعَةٌ باتفاقِ سَـلَفِ الأمة وأئمتها وسائر أهل السُّنة، وقد حَكَى الإجماعَ على أنها مخلوقةٌ غيرُ واحدٍ من أئمة المسـلمين، ومنهم الإمام محمد بن نـصر المرزوي[1] أعلم أهـل زمانه بالإجماع والاختلاف، وكذلك أبـو محمد بن قتيبة، إذ قال: وأجمع الناس على أن الله خالق الجنة وبارئ النسمة. أي خالق الروح.

وقال أبو إسحاق بن شاقلا الحنبلي حيث قال: والروح من الأشياء المخلوقة. وغير هؤلاء كلهم يقولون: إن الروح مخلوقة مبدعة. وليست من ذات الله، ولا تعدم ولا تفنى، ولكن نسمة المؤمن إذا مات تكون طائرًا تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم يبعثه.

٨- علاقة الروح بالبدن في مواضع:

والجَسَـد تابـعٌ لها كما أن نعيم أو عذاب الجسـد في أعمال الدنيـا هو الأول، والروح تابعة له، وللروح مع البدن خمسة أنواع من التعلق:

١- تعلقها به في بطن الأم حِسًّا.

٢- تعلقها به بعد خروجه إلى هذه الأرض.

٣- تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجهٍ، ومفارقة من وجهٍ.

٤- تعلقهـا به في البرزخ، فإنها وإن فارقتـه وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كُليًّا لا يبقى لهـا إليه التفات ألبتة، فإن ورودها إليه وقت سـلام المسـلم وأمـا ما ورد من أن الميت يسـمع خفق نعال مشـيعيه حين يولون عنه، فهذا الرد إعـادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

---

(١) «الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص: ٣٩١).

....

٥- تعلقها به يوم البعث للحساب، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، وهو الأنسب لما قبله من أنواع التعلق إليه، بأنه هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا[١].

وقد ثبت أن أرواح المؤمنين بعد مماتهم تكون في الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، وأرواح الكفار في النار تحت الأرض السابعة السفلى[٢]، قاله الإمام أحمد. وقد روى عبد الله بن عمرو أنه قال: أرواح المؤمنين في بطون طير خضر كالزرازير.

كما أن الروح ليست قديمة، وليست عرضًا، بل هي تقبض وتنعم، وتعذب وتخاطب، لقول الملك: اخْرُجِي أَيَّتُها الروح الطيبة إلى الجنة. ولقوله: أبشري.

تفسير أهل السنة والجماعة لقوله تَعَالَىٰ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾:

أهل السُّنة والجماعة يقولون: إن عيسى بالكلمة كانَ، وليس هو الكلمةَ، قال: وقول الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي: من أمره كانت الروح فيه كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، خلقًا وإعدادًا وإمدادًا.

وتفسر روح الله أنها روح كانت بكلمة الله خَلَقَها اللهُ كما يقال: عبد الله وسماء الله. لإضافتها إلى الله أضافه تشريف فهي مخلوقه.

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز أحد أكابر المشائخ الأئمة: إن الروح مخلوقة، ولو لم تكن مخلوقة لما أقرت بالرُّبُوبِيَّة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وإنما خاطب الروح مع الجسد، ولو لم تكن مخلوقة لما كان على النَّصارى عتب في عبادتهم عيسى، ولا حين قالوا: إنه ابن الله، ولو لم تكن مخلوقة لما دخلت

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص: ٦٣).

(٢) انظر: «شرح السنة» لإمام عصره البربهاري (ص: ٦٦).

النار ولما حجبت عن الله، ولا عذبت في البدن، ولا قبضها ملك الموت، ولَـمَّا كانت صورة توصف - كما تقدم - بالقبض والخروج والبشارة، ولو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب ولن تتعبد، ولم تخف، ولم ترج، ومن جعلها من ذات الله فقد نسب روحه إلى الله، وأوصله ذلك إلى التعطيل، وهؤلاء هم أهل الحلول. تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

وقال ابن تيمية: واعلم أن القائلين بقدم الروح صنفان: الصابئة الفلاسفة، يقولون: هي أزلية قديمة، لكن ليست من ذات الرب، وزنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة والمتكلمة والمحرفة، يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشر قولًا من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت ونصف ناسوت، يعني نصفه رب، ونصف عبد. تعالى الله عن قولهم عُلوًّا كبيرًا.

الدليل على فتنة القبر من الكتاب قال تَعَالَى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] وقوله تَعَالَى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧] قال شارح الطحاوية: وهذا أي العذاب يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر (١).

هذا وقد بلغت الأحاديثُ حَدَّ التواتر في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فيجبُ الإيمان والتصديق بذلك دونما كيفية، إذ ذلك فوق طاقة العقل، وإنما يَتَميَّز المؤمن بتصديقه للأخبار الغيبية التي وردت في القُرْآن وصحيح السنة.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٣٩٦)، لابن أبي العز.

وعذاب القبر: هو عذاب البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة، والبرزخ في لغة العرب: الحاجز بين شيئين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث. وقال ابن القيم: عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة.

فكل من فارقت روحُه بدنَه يُعَذَّب إن كان يستحق العذاب، أو يُنَعَّم إن كان يستحق التنعم، سواء رُمِيَ به في البحر، أو أكلته السباع، أو أحرق وذُرِّي به مع الرياح، لا بد من العذاب أو الثواب، إن كان ممن استحق ذلك.

أما سؤال مُنْكَرٍ ونكيرٍ لهذه الأمة خاصَّة أو لجميع الأمم، فقد ورَدَ ما يَدُل على اختصاص هذه الأمة «إِنَّ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا»[١]. وقيل التوقف[٢]، وقيل: ليس خاصًّا بهذه الأمة، وهو الأظهر[٣].

وأما مُسْتَقَرُّ الأرواح من حين موتها إلى قيام الساعة، فبعضُهم قال: أرواح المؤمنين في الجنة تحت العرش، وأرواح الكافرين في النار تحت الأرض السابعة. وقيل: إن أرواح المؤمنين بِفِنَاء الجنة على بابها، يأتيها من رَوْحِها ونَعِيمها، ورزقها على أفنية قُبورهم.

وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت. وقيل: أرواح الكافرين ببرهوت. وقيل: في سِجِّين في الأرض السابعة وهو الأصح.

(١) أخرجه من حديث زيد بن ثابت مسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه» (٤/ ٢١٩٩) رقم (٢٨٦٧/ ٦٧). رواه مسلم (٥١١٧) وأحمد (١٠٧٨٨).

(٢) قول جماعة ومنهم أبو عمر بن عبد البر.

(٣) قال شارح الطحاوية (ص: ٤٠١).

٩- البعث:

١٦٥- والبعث والإيمان بالمعاد وعودة الأرواح والأجساد

(والبعث): أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث. ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به. فبعثت البعير: أثرته وسيرته، ومنه قوله: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [المجادلة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

والبعث قسمان: ١- بشري، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

٢- وبعث إلهي وهو ضربان: أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع، لا عن طريق اللزوم، وذلك ما يختص به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد[١].

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه، كعيسى ابن مريم، ومنه قوله: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦] يعني يوم الحشر.

وأهل السُّنة يؤمنون بالبَعْث والـمَعاد، وهو مما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنة والعقلُ والفِطَر السليمة. وهو بعثان أو معادان: معاد أو بعث النفس عند الموت، ومعاد أو بعث البدن يوم القيامة.

وأول مَن يُبْعَث وتَنْشَقُّ عنه الأرض هو نَبِيُّنا محمدٌ ﷺ لقوله: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ**»[٢].

---

(١) «مفردات الراغب» الأصفهاني (ص: ١٣٢) مادة: «بعث».

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الفضائل» باب «تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق» (٤/ ١٧٨٢) رقم (٢٢٧٨/ ٣). «صحيح مسلم» كتاب «الفضائل» باب «فضل نسب النبي ﷺ» (٤/ ١٧٨٢) رقم (٢٢٧٨).

وحديث: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ الـمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى العَالَـمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَـمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الـمُسْلِمِ، فَقَالَ: **«لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ»**(١).

(والإيمان بالمعاد) هو: التصديقُ الكامل بإعادة الأرواح بعدَ مَماتِها إلى أجسادِها ذَاتِها، وإعادة الأبدان إلى أرواحها يوم القيامة الكبرى.

وقد أخبر القُرْآن عن إعادة الأرواح إلى أجسادها، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ۝ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

ومن الأحاديث حديث: إن رسول الله ﷺ بَصَقَ يومًا في كَفِّه، فوضَعَ عليها أُصْبعَه، قال رسول الله ﷺ: **«قال اللهُ تعالى: بَنِي آدَمَ، أَنَّى يُعْجِزُنِي وقد خَلَقْتُك مِثْلَ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَّلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْكَ وللأرضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ قُلتَ: أَتَصَدَّقُ. وأَنَّى أَوانُ الصَّدَقَةِ»**(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء»، باب «وفاة موسى وذكره بعد» (٤/ ١٥٧) رقم (٣٤٠٨)، ومسلم كتاب «الفَضَائِلِ» باب «مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عليه السلام» (٤/ ١٨٤٤) رقم (٢٣٧٣/ ١٦٠). متفق عليه، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٢١٥) ح (٧٢٥٨).

(٢) أخرجه من حديث بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ ابن ماجه كتاب «الوصايا» باب «النهي عن الإمساك في =

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن العاص بن وائلٍ أخَذَ عَظْمًا من البَطْحَاءِ، فَفَتَّتَه بيَدِهِ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُحْيِي اللهُ هذا بعدَ مَا أَرِمَ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ يُمِيتُكَ اللهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ». قال: ونزلت الآياتُ من آخِرِ يس(١).

هذا وإن البعث لممكن كما تقدم، وكما يقول الله تَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وهذا كما يَحْصُلُ لمن يَفْقِد الذاكرةَ بسَببِ حادثٍ مُروريٍّ، فإنه يَمْكُث على سَريرِ المرضِ شُهورًا لا يَعِي، ولا يتحدثُ، ولا يَعْرِفُ أحدًا، وربما يَصِلُ الأمر به إلى سِتَّةِ أشهرٍ من فَقْدِ الذاكرةِ والوعيِ، ثم يَصْحُو ويسألُ عن كلِّ الذي حَدَثَ له، وكأنْ لم يَكُنْ بين الحادثِ وبين يَقَظَتِه إلا ساعة.

= الحياة والتبذير عند الموت» (٢/ ٩٠٣) رقم (٢٧٠٧)، وأحمد «مسند الشاميين» (٢٩/ ٣٨٥) رقم (١٧٨٤٢)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٣): إسناده صحيح رجاله ثقات. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١١٤٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. رواه أحمد (٤/ ٢١٠)، ورواه ابن ماجه (٢/ ٩٠٣) ح «في الوصايا» قال البوصيري حديثه صحيح ورجاله ثقات انظر: «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٦٥) وقال عنه الحافظ مقبول وله شواهد تعضده.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٢٠٣) (١٨١٢٦)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٨٧) (٨٢)، ومقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص: ١٧٤). انظر: «تفسير ابن أبي حاتم»، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٨)، وابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في «البعث» والضياء في «المختارة»، وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفي سنده ابن أبي حاتم عثمان الزيات، قال ابن حجر عنه: لا بأس به.

وأعظم من هذا رقدة أهل الكهف الذين ناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، ثم قاموا يظنون أنهم لم يلبثوا إلا ساعةً، وقد أكّد القرآن هذا بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥ - ٥٦].

والعباد هم أنفسهم يُبعثونَ ولكن في خَلقٍ آخَرَ، ونَشْأةٍ أخرى، وقد وَرَدَ في الحديثِ عن عمرِو بن ميمون الأَوْدِيِّ قال: قام فينا مُعاذ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه فقال: يا بَنِي أَوْدٍ، إنِّي رسولُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، تعلمون المَعادَ إلى الله، ثم إلى الجنةِ أو إلى النارِ وإقامة لا ظَعْن فيه، وخلود لا موت في أجساد لا تموت[١]. وفي الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ ابنِ آدَمَ يَبْلَى إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ**»[٢].

وحديث آخر: «**يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أو قَالَ: الظِّل. شُعْبَةُ الشاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**»[٣].

---

(١) أخرجه من حديث معاذ موقوفًا الحاكم (١/ ٨٣)، وقال: «صحيح الإسناد، وافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٦٦٨). «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٢٣١) رقم (١٦٦٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا» (٦/ ١٦٥) رقم (٤٩٣٥)، ومسلم كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «ما بين النفختين» (٤/ ٢٢٧١) رقم (٢٩٥٥/ ١٤٢). ولفظ مسلم: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**». مسلم (٥٢٥٩)، وأحمد (١٠٢٥٦).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «في خروج الدجال ومكثه في الأرض» (٤/ ٢٢٥٨) رقم (٢٩٤٠/ ١١٦). رواه مسلم في كتاب «الفتن» باب «خروج الدجال والنفخ في الصور عن ابن عمر رضي الله عنه» (٨/ ٢٠١)، ورواه الإمام أحمد عن ابن عمر (٢/ ١٦٦).

١٠- (القيامة الكبرى والصغرى):

١٦٦- وَهَــذِهِ قِيَـامَـةٌ بِـالـكُبْرَى قَدْ وُصِفَتْ وَالـمَوْتُ يَعْني الصُّغْرَى

إن هـذا النظام الكوني الكامل في تنسيقه، الـمُحْكم في بنائِـه، الـمُتْقن في تَنْظيمِه، تَتكوَّرُ شُموسُـه، وتَتَكدَّرُ نُجومُه، وتُسَـيَّرُ جِبالُه، وتُعَطَّلُ عِشارُه، وتُبَدَّلُ أرضُه وسماؤُه، هذه الأحداث العظام تسمى بيوم القيامة. قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١-١٤] ومثلها سورة الانفطار، والقارعة، والحاقة، والزلزلة.

هـذا الانقلاب الهائل والتغير الشـامل سُـمِّي بيوم القيامة الكـبرى، ثم تفنى الحياة وأحياؤهـا ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ثم بعد ذلك تُعادُ أرواحُ الأحياءِ إلى أجسـادِها، ثم يُبْعَثُ مَن في القبور ويُحْشَرُونَ في صَعيدٍ واحدٍ من أجلِ الـمُحاسَبَةِ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

وسـيكونون فريقَـينِ بعدَ ذلك، إمـا إلى جنة، أو إلى نار. هذا اليـوم الذي تكون فيه هـذه الأهوال العظام هـو يوم القيامـة الكـبرى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١ - ٤]، ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ٦ - ١٢].

....

هـذا اليـوم المذكور في هذه الآيات هو يـوم القيامة الكبرى. (قـد وُصِفَتْ) أي: قد مُيِّزَت بتلـك الأوصافِ العظيمـةِ، لِـمَا فيها مـن أحوالٍ وأهوالٍ يَشِيبُ منهـا الوِلدانُ، وتَذْهَلُ منه كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، ولا يسـلم فيه إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سـليمٍ، وعملٍ صحيـحٍ، قد امتثل الأوامـر الإلهيَّةَ، واجتنـب النواهي الشرعيةَ، وأطاع اللهَ ورسـولَه في الحياةِ، ووَقَفَ حيثُ أُمِرَ وانْتَهَى عَمَّا نُهِيَ عنه.

(بالكبرى) أي: بالقيامة الكبرى، وهي ثابتة في دين الإسلام، وتعريفها: قيامُ الناس مـن قُبورهـم، وإثبات الثـواب والعقاب في الـبرزخ، وهو ما بين الموت إلى يـوم القيامة. وهذا قول السـلف قاطبةً، وأهل السُّنة والجماعة، وعند النفخة الأخيرة تُعاد الأرواحُ إلى الأجسامِ.

أمـا القيامــةُ الصُّغـرى فهي موتُ كلِّ نفسٍ، كما قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] ومعناه هنا: مفارقة النفس للبدن[(١)].

وقد جمعت سورة الواقعة في أولها وآخرها بين القيامتين، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١ - ٧]

وفي آخِرِهـا ذِكْـرُ القيامة الصُّغْـرى، قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢).

....

ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٤]

وكذلك ذكر في سورة القيامة القيامتين، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ - ٤].

أما القيامة الصغرى ففي قوله تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٢٧]، وكذلك جمع بين القيامتين في سورة (ق)، ولما يكونُ فيها من أحداثٍ جِسَام، ومواقف عِظَام لا يَجْتازها إلا مَن وَفَّقَه اللهُ للإيمان بهِ تَعَالَىٰ في هذه الدنيا، وعَمِل عملًا صالحًا، فإنه يَمُرُّ بتلك المواقف مُرورَ المُوَفَّقِينَ والرَّابِحِينَ، لا الخَاسِرِينَ، وهي مَواقِفُ كبيرةٌ، ومَزَالِقُ خَطِيرةٌ؛ ولذلك وصف بالقيامة الكبرى، وهو اجتماع الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صعيدٍ واحدٍ، فاللهم أمِنّا إذا القبور بعثرت، ويمّن كتابنا إذا الصحف نشرت، وأدخلنا الجنة إذا للجنة أزلفت.

(والموتُ يعْنَى الصُغْرَى) كما وُصِفَ مَوْتُ كلِّ نَفْسٍ بالقِيامةِ الصُّغْرَى، أَيْ: أَنَّ مَن مات فقد قامت قيامتُه، ووَصَلَ إلى نهايتِهِ من الحياةِ؛ فالمَوْتُ ضِدُّ الحَيَاةِ.

وكما أن المَوْتَ سُكونٌ وانتقالٌ من مرحلةٍ إلى أخرى؛ فكذلك الحياةُ حَرَكَةٌ، وتُنْقلُ من حالٍ إلى حالٍ، وشأنٍ إلى شأنٍ حالَ المَماتِ، والموتُ قَدَرُ كُلِّ حَيٍّ، ولا يَنْجُو منه أَحَدٌ، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وكلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كانَ رجالٌ من الأعرابِ يَأْتُونَ النَّبِيَّ، فيَسْألونَه عن الساعةِ، فكانَ يَنْظُرُ إلى أَصْغَرِهم فيَقُولُ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»[1].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والـمُراد انخرام قرنِهم، ودخولُهم في عَالَمِ الآخِرَةِ».

❀❀❀

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «سكرات الموت» (٨/ ١٠٧) رقم (٦٥١١)، ومسلم كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «قرب الساعة» (٤/ ٢٢٦٩) رقم (٢٩٥٢/ ١٣٦). رواه مسلم (٤/ ٢٢٦٩) ح (٢٩٥٣) في «الفتن وأشراط الساعة» باب «قرب الساعة».

١١- (نفخ الصور):

١٦٧- وَجُمْلَةُ النَّاسِ مِنَ القُبُورِ سَيُبْعَثُونَ بَعْدَ نَفْخِ الصُّورِ

أي: أن الناسَ كلَّ الناسِ صَغِيرِهم وكَبِيرِهم وأميرِهم ومأمورِهم ومَلِكِهم ومَمْلوكِهم بعدَ مرحلةِ الحياةِ هذه سَيَنْتَقِلُونَ بالموتِ إلى الحياةِ البَرْزَخِيَّةِ، وهي بَقاؤُهم فيها ما بينَ الحياةِ الدنيا والآخرة في البرزخِ على تفصيلٍ سيأتي؛ لأن جميعَ مَن في القُبور (سَيُبْعَثُونَ) أي: تَعودُ أرْواحُهم إلى أجْسادِهِم، ثم يُزْرَعُونَ بعدَ نُزولِ المَطَرِ الذي يُشْبِهُ الطَّلَّ أو الظِّلَّ، فتَنْبُتُ منه أَجْسادُ الناسِ. الحديثَ[1].

(أ) الأدلة على عدد نفخات الصور:

النَّفَخاتُ تَكونُ في ثلاثةِ أحوالٍ: النَّفْخَةُ الأُولَى للفَزَعِ. والثانية لصَعْقِ ما بَقِيَ من الأحياءِ، والثالثة لِقِيَامِ النَّاسِ من قُبورِهِم.

١- دليلُ الأُولى: قال الله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧].

٢- دليل الثانية: قال تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الزمر: ٦٨] ولم يَبْقَ أَحدٌ حَيًّا في الأرضِ ولا في السماءِ إلا ما شاءَ الله.

وفي الحديث: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا»[2] وَاللِّيتُ: صَفْحَةُ العُنُقِ.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «في خروج الدجال ومكثه في الأرض» (٤/ ٢٢٥٨) رقم (٢٩٤٠/ ١١٦). رواه مسلم (٣/ ١٥٠٢) ح (١٨٨٧) في «الإمارة» باب «أرواح الشهداء في الجنة».

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «في خروج الدجال ومكثه في الأرض» (٤/ ٢٢٥٨) رقم (٢٩٤٠/ ١١٦). رواه مسلم (٢٩٤٠).

وهـذه النَّفْخَةُ تكونُ على بقايا من الأحيـاءِ، فتأْخذُهم كما قال تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، والصـور: قَـرْنٌ يُنْفَخُ فيه، وقيل: بُوقٌ، وهو مذهب أهل السُّنة والجماعةِ.

٣- الثالثـة للقيـامِ من القُبـورِ، ودليلُها قـال الله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

❁❁❁

١٢- الموقف العظيم

١٦٨- ثُمَّ يُجِيبُونَ - رَوَوْا - حُفَاةً غُـرْلًا وَدُونَ مَـلْبَسٍ عُـرَاةً

(ثـم يجيبون) أي: عندَ قيـامِ الناسِ من قُبورِهم مُجِيبِينَ دَعْـوةَ الداعي، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ - ٨]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤١ - ٤٤].

فيُجِيبـونَ الداعـي، ويَخْرُجونَ من القُبـورِ (حُفاة) جَمْعُ حافٍ، وهـو مَن ليسَ لديهِ نَعْلٌ ولا خُفٌّ. (غُرْلًا) جمع أَغْرَلَ، وهو الذي لم يُخْتَنْ. ويُبْعَثُ الناسُ يومَ القيامةِ على هذه الحالِ، ولا يَنْظُرُ أَحَدٌ لأحَدٍ لشِـدَّةِ ما هم فيه من الكَرْبِ، كما في الحديث: «**يُحْشَـرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا...**» إلخ[(١)].

(ودُونَ مَلبَـسٍ عُراة) وهذه هي الصفةُ الثالثةُ، وهي أنهم يُبْعَثون عُراةً غيرَ لابِسِـينَ أيَّ لباسٍ. وقد ذَكَرَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عائشـةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها سـألتْ رسـولَ الله ﷺ عن هذه الحالِ: هل يَنْظُرُ أَحَدٌ لأَحَدٍ، فقال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ الأَمْرَ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»[(٢)]. أي كلُّ إنسانٍ مَشْغولٌ بنَفْسِه.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشـة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «كيف الحشر» (٨/ ١٠٩) رقم (٦٥٢٧)، ومسـلم كتـاب «الجنـة وصفة نعيمها وأهلها» بـاب «فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٤) رقـم (٢٨٥٩/ ٥٦). أخرجـه الطـبراني (٢٤، ٣٤) ح (٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٥)، والبغوي في تفسـيره (٥/ ٥٢٤)، وقال الحاكم: على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش، وهو ثقة.

(٢) متفق عليه من حديث عائشـة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «كيف الحشر» (٨/ ١٠٩) رقم (٦٥٢٧)، ومسـلم كتـاب «الجنـة وصفة نعيمها وأهلها» بـاب «فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٤) رقم (٢٨٥٩/ ٥٦). البخاري (٦٠٧٥)، ومسلم (٥١٠٧).

١٦٩- وَكُلُّهُمْ قَدْ نَكَّسُوا الأَبْصَارَا مِنْ خَشْيَةٍ وَانْتَظَرُوا الجبَّارَا

أي: يُجيبون للداعِ (قَدْ نَكَّسُوا الأَبْصَارَا) من الذُّلِّ والهَوَانِ وتَنْكِيسُ الأبصارِ نَظَرُها إلى الأسفلِ، وهو علامةٌ لشِدَّةِ الهَوْلِ وفَظَاعَةِ المَطْلَعِ، فلا يستطيعُ دَفْعَها لِمَا به من الذُّلِّ والهوانِ، قال تعالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ١ - ٢]، والغاشيةُ القيامةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ والضَّحَّاك وقُتَيْبةُ. وخاشعة: ذَلِيلَةٌ.

وقال تعالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [ابراهيم: ٤٣]، وقوله تعالَى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤ - ٢٥] وقوله تعالَى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣ - ٤٤].

(مِنْ خَشْيَةٍ وَانْتَظَرُوا الجبَّارَا) أي: أنَّ الناسَ قد نكَّسوا أبْصارَهم من شِدَّةِ الخَشْيَةِ، والمُرادُ بها هنا الذِّلَّةُ في ذلك اليومِ، والحالُ يَشْمَلُ عمومَ الناسِ، إلا مَن اسْتُثْنِيَ من ذلك، كالأنبياء والرسل.

وقد ورد في الحديث: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»(١).

وحديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا». قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسولَ الله، الرجالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قال: «يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»(٢).

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٦/ ١٦٧) رقم (٤٩٣٨)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٥) رقم (٢٨٦٢/ ٦٠). رواه البخاري (١١/ ٣٩٢) في «الرقاق». ومسلم (٤/ ٢١٩٥) ح (٢٨٦٢) في باب «الجنة في صفة يوم القيامة».

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «كيف الحشر» (٨/ ١٠٩) رقم (٦٥٢٧)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة» =

....

ورَوَى أحمد بلفظٍ: **«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ يوم القيامةِ، حَتَّى إنَّ العَرَقَ لَيُلجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ»**[1]. إلى غيرِ ذلك من الأحاديثِ الدَّالَّةِ على عِظَمِ هذا اليومِ وما يَقَعُ فيه على الناسِ من ذِلَّةٍ وكَرْبٍ وفَزَعٍ، نسألُ اللهَ السلامةَ.

❁❁❁

= (٤/ ٢١٩٤) رقم (٢٨٥٩/ ٥٦). رواه البخاري (١١/ ٣٧٧) في «الرقاق» باب «الحشر»، ورواه مسلم (٤/ ٢١٩٤) ح (٢٨٥٩).

(١) أخرجه من حديث ابن عمر البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٦/ ١٦٧) رقم (٤٩٣٨)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٥) رقم (٢٨٦٢/ ٦٠). وأحمد مسند المكثرين من الصحابة (٨/ ٤٦٧) رقم (٤٨٦٢). رواه مسلم (٥١١١)، والنسائي (١١١٤٩).

١٣- دُنُوُّ الشمس من الرؤوس يوم القيامة:

١٧٠- والشَّمْسُ تَدْنُوا مِنْهُمُ لِمِيلِ تَـلـفَـحُـهُـمْ بِحَـرِّهَـا الـوَبِـيـلِ

ومـن الأُمـور العظـام التـي تكون في هـذا اليوم دُنُـوُّ الشـمسِ من الـرُّءوس بقَدْرِ مِيـلٍ، فيَتَصَبَّبونَ عَرَقًا ويَعْلُوهم الكَرْبُ والهَلَـعُ والخَوْفُ، والناس يَقِفُونَ في هذا الموقفِ العَصِيبِ على حَسَبِ أَعْمالِهم، وفي ظِلِّ صَدَقَاتِهِم، وإذا كانَ حَرُّ الشمسِ في الدُّنْيَا لا يُطِيقُه أَحَـدٌ ونُبَادِرُ بالاتِّقاءِ منه بالظِّلِّ الوَريـفِ وبالهواءِ البارِدِ وغيرِها، فكيف بنا والحالُ هذه، الشمسُ تَدْنُوا من الرُّءوسِ.

١ - وفي الحديـث: **«تَدْنُو الشَّـمْسُ يَـوْمَ القِيَامَةِ قَدْرَ مِيلٍ، وَيُـزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَـذَا، تَغْلِـي مِنْهَا الهَامُ كَمَا تَغْلِي القُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلجِمُهُ العَرَقُ»**(١).

٢ - وحديـث: **«تَدْنُو الشَّـمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِـنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَـنْ يَبْلُـغُ العَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَـطَ فِيهِ** - وأَشَـارَ بِيَدِهِ فَأَلجَمَهَا فَاهُ، رأيتُ رسولَ الله ﷺ يشيرُ بيَدَيْهِ هَكَذَا - **وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»**. وضَرَبَ بيَدِهِ إشارةً(٢).

---

(١) أخرجه من حديث أبي أمامة أحمد تتمة مسند الأنصار (٣٦/ ٥٢٣) رقم (٢٢١٨٦). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥): رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد، وقـال الأرنؤوط: إسـناده قوي. وهو بنحوه عند مسـلم من حديث المقداد بن الأسـود (٤/ ٢١٩٦) (٢٨٦٤/ ٦٢). رواه الطبراني وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير القاسـم، وقد وثقه غير واحد. «المجمع» (١٠/ ٣٣٨).

(٢) أخرجـه من حديث عقبة بن عامر أحمد «مسـند الشـاميين» (٢٨/ ٦٤٧) رقـم (١٧٤٣٩). وصححه ابـن حبان رقـم (٧٣٢٩). وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٥٨٨): صحيح. وقال الأرنؤوط: =

٣- وحديث: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، ويُلجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»(١).

وقولنا: (والشَّمْسُ تَدْنُوا مِنْهُمُ لِمِيلِ) إشارةٌ للحَدِيثِ: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أو مِيلَيْنِ»(٢). ومعنى تدنو: تَقْتَرِبُ من الأرضِ بقانونٍ آخَرَ، تكون بمُوجَبِهِ يومئذٍ قريبةً من الأرضِ بقَدْرِ مِيلٍ، والمِيلُ: مَنارٌ يُبَيِّنُ للمُسَافِرِ في الطريقِ يُهْدَى به ويُدَلُّ على المسافةِ. وقد قُدِّرَ قديمًا بأربعةِ آلافِ ذِرَاعٍ، والآن بسِتِّينَ وسَبْعِمائةٍ وألف يَاردة، وقَدَّره الفقهاءُ بقَدْرِ ما يُفَرِّقُ الناظِرُ بين المرأةِ والرجلِ.

وقولنا: (تلفحُهمْ) أي: الشمسُ، واللَّفْحُ: الحَرُّ(٣). ويقالُ: لَفَحَتْهُ السَّمُومُ: قَابَلَتْ وَجْهَه، فهي لافِحَةٌ، وجَمْعُهـا لَوَافِحُ ولُفوح أيضًا، و(بحرها) والحَرُّ: معروف، (الوبيل) الوَخِيمُ أو الشَّدِيدُ، قال ابنُ قُتَيْبَةَ: هو من قَوْلِكَ: اسْتَوْبَلْتُ المَكَانَ إذا اسْتَوْخَمْتَهُ، ويقال: كَلأٌ مُسْتَوْبِلٌ، أي: لا يُسْتَمْرَأ. وقـال الزجَّـاج: «الوَبِيلُ الغَلِيظُ جِدًّا». والوَبِيلُ وَصْفٌ للحَرِّ الذي لا يُطِيقونَه من دُنُوِّ الشمسِ على رُءوسِهم، فهو جُزْء مُسْتَوْبِلٌ ثَقِيلٌ غَيْرُ مُطَاقٍ ولا مُسْتَطَاعٌ، نَسْأَلُ اللهَ السلامة؛ لأنه لونٌ من العـذابِ، يقال لـه: الوَبَال. قال تَعَالَىٰ: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن: ٥].

= حديث صحيح. رواه أحمد (١٤٣٢٢)، والطبراني، وفي سنده ابن لهيعة، ولكن تابعه عند الطبراني عمرو بن الحارث، وقال الهيثمي عنه: إسناده جيد. انظر: «المجمع» (١٠/ ٣٣٨).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «قول الله تعالَىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ..﴾ [المطففين: ٤]» (٨/ ١١١) رقم (٦٥٣٢)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٦) رقم (٢٨٦٣/ ٦١). رواه البخاري (٦٠٨٠).

(٢) أخرجه من حديث المقداد بن الأسود مسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٦) رقم (٢٨٦٤/ ٦٢)، وأحمد - واللفظ له - (٣٩/ ٢٣٥) رقم (٢٣٨١٣). رواه أحمد (٢٣١٨٢)، والترمذي (٢٣٥٩).

(٣) «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٣٨).

١٧١- فَيَبْلُغ بِبَعْضِهِمْ سَيْلُ العَرَقْ لِلسَّاقِ لِلحِقْوَيْنِ وَالبَعْضُ اخْتَنَقْ

في ذلك اليوم الذي يَجْتَمِعُ فيه الأَوَّلونَ والآخرون في صعيدٍ واحدٍ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ القضاءِ، في هذا اليومِ تَدْنُو الشمسُ من الرءوسِ - كما تقدَّم - ثم يَتَصَبَّبُونَ عَرَقًا من شِدَّةِ الحرِّ والكَرْبِ والضيقِ، وهم قيامٌ في ذلك الموقف العصيب، وقَدْ بَلَغَ بهم الجَهْدُ والعَرَقُ مَبْلَغَها، فبَعْضُهُمْ يَصِلُ العَرَقُ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ[١]، وبَعْضُهم يُلجِمُهم إلجامًا، ومنهم إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم إلى حِقْوَيْهِ، ومنهم إلى كَعْبَيْهِ، ومنهم مَن يَبْلُغُ إلى سَاقَيْهِ، ومنهم مَن يَبْلُغُ إلى وَسَطِ فيهِ[٢]، ومنهم مَن يَبْلُغُ إلى الحَجْرِ والخَاصِرَةِ، ومنهم مَن يَبْلُغُ إلى المَنْكِبِ، ومنهم مَن يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ، وربما يَبْلُغُ العَرَقُ في الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا[٣]. هذا وإنَّ ذلك لَقِيَامٌ طَوِيلٌ، والعَرَقُ لَكَثِيرٌ، كلُّ ذلك على قَدْرِ الأعمالِ. فاللهُ المُسْتَعَانُ على ذلك اليوم المُهِيبِ.

قال ﷺ: **«يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»**[٤]. وفي روايةٍ بلفظٍ: **«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ العَرَقَ لَيُلجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ»**[٥].

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٩٢)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٩٥) ح (٢٨٦٢) في «الجنة».

(٢) رواه أحمد والطبراني وقال الهيثمي إسناده جيد. «المجمع» (١٠/ ٣٣٨).

(٣) سبقت الأحاديث الدالة على ذلك قريبًا. رواه البخاري (١١/ ٣٩٢) في «الرقاق» باب «قوله تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤]، ومسلم (٤/ ٢١٩٦) ح (٢٨٦٣) في «الجنة» باب «صفة القيامة».

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٦/ ١٦٧) رقم (٤٩٣٨)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٥) رقم (٢٨٦٢/ ٦٠). رواه البخاري (١١/ ٣٩٢) في «الرقاق» قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤]، ورواه مسلم (٤/ ٢١٩٦)، ح (٢٨٦٣) في «الجنة» باب «صفة القيامة».

(٥) أخرجه من حديث ابن عمر البخاري كتاب «تفسير القرآن» باب «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٦/ ١٦٧) رقم (٤٩٣٨)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٥) رقم (٢٨٦٢/ ٦٠). وأحمد مسند المكثرين من الصحابة (٨/ ٤٦٧) رقم (٤٨٦٢).

....

وله عن المِقْدادِ بنِ الأسودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ». قال: «فَتَصْهَرُهُم الشَّمْسُ فيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلجِمُهُ إلجَامًا»[(١)].

ولعُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ، فيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ - وأَشَارَ بيَدِهِ فأَلجَمَهَا فَاهُ، رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُشِيرُ بيَدِهِ هكذا - وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ». وضَرَبَ بيَدِهِ إشارةً[(٢)].

وفي الصحيح عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، ويُلجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»[(٣)].

= رواه أحمد (٢/ ١٣-١٩ -٧٠-١٠٥-١١٢-١٢٥-١٢٦).

(١) أخرجه من حديث المقداد بن الأسود مسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «في صفة يوم القيامة» (٤/ ٢١٩٦) رقم (٢٨٦٤/ ٦٢)، وأحمد - واللفظ له - (٣٩/ ٢٣٥) رقم (٢٣٨١٣). رواه أحمد (٦/ ٣) ومسلم (٤/ ٢١٩٦)، ح (٢٨٦٤) في «الجنة وصفة نعيمها» باب «صفة يوم القيامة» والترمذي (٤/ ٦١٤)، ح (٢٤٢١) «في صفة القيامة» باب «ما جاء في شأن الحساب والقصاص».

(٢) أخرجه من حديث عقبة بن عامر أحمد «مسند الشاميين» (٢٨/ ٦٤٧) رقم (١٧٤٣٩). وصححه ابن حبان رقم (٧٣٢٩). وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٥٨٨): صحيح. وقال الأرنؤوط: حديث صحيح. رواه أحمد (٤/ ١٥٧)، والطبراني (١٧/ ٣٠٦)، ح (٨٤٤) وفي سنده ابن لهيعة ولكن تابعه عند الطبراني عمرو ابن الحارث (١٧/ ٣٠٢) ح (٨٣٤٥) قال الهيثمي عنه إسناده جيد المجمع (١٠/ ٣٣٨).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ...﴾ [المطففين: ٤] (٨/ ١١١) رقم (٦٥٣٢)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها =

....

وهـذا ما يَدُل عليـه البيتُ، والله المسـتعانُ في ذلك اليومِ العصيـبِ، وفي هذا اليوم يقـفُ الناس في ظِلِّ صَدَقَاتِهِم في الدنيا، فاللَّهـم ارْزُقْنَـا القُدْرَةَ على التَّصَدُّقِ والإِخْلاصِ في كلِّ الأعمالِ، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ والقَادِرُ عليه.

❁❁❁

=

وأهلهـا» باب «في صفة يوم القيامـة» (٤/ ٢١٩٦) رقم (٢٨٦٣/ ٦١). رواه البخاري (١١/ ٣٩٢)، في «الرقـاق» بـاب «قـول الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤]، ومسـلم (٤/ ٢١٩٦) ح (٢٨٦٣) في «الجنة» باب «صفة القيامة».

١٤- الميزان:

١٧٢- وَيَنْصِبُ اللهُ لَنَا المِيزَانَا وَيَزِنُ الأَعْمَالَ وَالإِنْسَانَا

١٧٣- لَهُ كَمَا قَدْ صَحَّ كِفَّتَانِ ثُمَّ اللِّسَانُ قِيلَ لِلمِيزَانِ

١٧٤- وَرَاجِحُ المِيزَانِ بِالخَيْرَاتِ قَدْ فَازَ بِالفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ

١٧٥- وَعَكْسُهُ مَنْ خَفَّ فِي المِيزَانِ فَهْوَ الَّذِي قَدْ بَاءَ بِالخُسْرَانِ

المُفْرَداتُ: (يَنْصِبُ الله لنا المِيزَانا) أقامَه بينَهم ورَفَعَهُ، (والمِيزَانا) أصله ميوزان اجتمعت الياء والواو في كلمه واحده وسبقت أحداهما في السكون فأبدلت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء فقيل ميزان. وهو ما يُوزَنُ بِهِ الأَشياءُ المَحْسُوسَةُ، أما المُرادُ به هنا فهو الميزانُ الذي تُوزَنُ به أعمالُ العبدِ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]، وسواءٌ كانت مَحْسُوسةً أو مَعْنَوِيَّةً، (ويَزِنُ) أي: يُوضَعُ العَمَلُ الخَيْرِيُّ في كِفَّةٍ والشَّرُّ في كِفَّةٍ، أو الحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ والسَّيِّئاتُ في كِفَّةٍ، وهو فيما رَجَحَ له، إن خَيْرًا فخَيْرٌ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ. (وَالإِنْسَانا) جنسٌ يَشْمَلُ الذَّكَرَ والأُنْثَى والمؤمن والكافر. (وَالأَعْمَالَ) جمع عَمَلٍ، وهذه إِحْدَى الروايات، أنَّ المَوْزُونَ هو العَامِلُ، وعمله، (له) جَارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعَلِّقٌ بمَحْذُوفٍ. (وكِفَّتانِ) إحداهما للحَسَناتِ والأخرى للسَّيِّئاتِ، (قَدْ صَحَّ) أي: ثَبَتَ في الصحيحِ وَصْفُ هذا الميزانِ بأن له كِفَّتَيْنِ ولِسانًا[1] وهو مما يتبين

---

(١) روي في اللسان بعض الآثار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر ذلك أبو الشيخ، وروي عن الحسن ولكن لم يأت ذكر اللسان في حديث مرفوع. وقد ذكره بعض علماء أهل السنة والجماعة كابن قدامه في لمعة الاعتقاد، وعبد العزيز بن ناصر الرشيد في التنبيهات السنية، وقال أبو إسحاق الزجاج أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وان أعمال العبد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان. انظر: «الكواشف الجلية» للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ٥٦٩). انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٨) وعن سلمان قال: يوضع الميزان وله كفتان لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته) «فتح الباري» (١٣، ٥٣٩)وذكره إمام أهل السنة في عصره الحسن البربهاري في «شرح السنة» (ص: ٦٤) (ويظهر لي أن الدليل على الكفتين هو الدليل على اللسان، لأن اسم الميزان يتكون من =

....

به رجحان الحسنات على السيئات أو العكس، أما كيفية الموزون فهي من الأمور المغيبة التي نؤمن بها من دون تمثيل ولا تشبيه، ومن دون معرفة كنهها كبقية المغيبات. فعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مُوسَى؛ قَالَ: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا. قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(١).

وحديث البطاقة(٢)، وفيه: «**يُخْرَجُ له بِطَاقَةٌ فِيهَا لا إِلَهَ إلا اللهُ، فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ في كِفَّةٍ، فطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**». وأحاديثُ الميزانِ بلَغَتْ حَدَّ التَّواتُرِ.

(وراجح) أي: مَن غَلَبَتْ كِفَّةُ الحَسَنَاتِ وَلَوْ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، والعكس إن غلبتِ السَّيِّئَاتُ الحَسَنَاتِ دَخَلَ النَّارَ، والأَوَّلُ هو الفائزُ والناجي والمُفْلِح، والثاني هو الخاسِرُ، وهو ما يَسْتَحِقُّه.

= مجموع الكفتين واللسان، ولا يتم الوزن إلا بهذا المجموع فدليل أحدهما هو دليل الآخر) والله أعلم.

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري النسائي في «الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب «أفضل الذكر»، (٩/ ٣٠٧) رقم (١٠٦٠٢). وابن حبان كتاب «بدء الخلق» باب «ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئًا يذكره»، (١٤/ ١٠٢) رقم (٦٢١٨). وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» رقم (٩٢٣): ضعيف. وقال الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: إسناده ضعيف. الحديث صحيح أخرجه النسائي والحاكم.

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو الترمذي أبواب الإيمان باب «ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله» (٥/ ٢٤) رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه كتاب «الزهد» باب «ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة» (٢/ ١٤٣٧) رقم (٤٣٠٠)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان رقم (٢٢٥). والألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦١). رواه أحمد (٢/ ٢١٣) والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

١٧٦- وَمَــنْ تَـسَـاوَى خَـيْرُهُ وَشَـرُّهُ فَـوَقْـفُـهُ حَـتَّـى يَجِـيءَ أَمْــرُهُ

(وَمَن تَسَاوَى) أي: تَعَادَلَتِ الحسناتُ والسيئات، أو الخيرُ والشرُّ. (فَوَقْفُهُ) أي: أَمْرُهُ مَوْقُوفٌ إِلَى الله، وهؤلاء هُمْ أَهْلُ الأَعْرَافِ.

(أ) عقيدة أهل السُّنَّة في الميزان:

هـذا وإنَّ من عَقِيدَة أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَـةِ الإيمانَ بالميزانِ، وَأَنَّـهُ حق وحقيقي وَأَنَّ اللهَ يَنْصُبُه لوزن العامل، وعَمَلِهِ وصحائفه كما تقدَّمَت الأدلَةُ على ذلك قريبًا. قد ذكر أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ، ولسانًا، وَأَنَّهُ حسي وحقيقي، وَأَنَّ الوزن للعمل: إنْ تساوتْ حسناتُهُ وسيئاته وَقَفَ حتى يُنْهَى أمْرُه، ويقال لهم الأعراف(١). وإنَّ رجحت سيئاتُه على حَسَنَاتِه دخَلَ النارَ ولَوْ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِن شرٍّ، ويَبُوء بالخُسْرانِ العظيم إلا من تجاوز الله عنه، وان رجحت حسناته على سيئاته ولو بمثقال ذرة من خير دخل الجنة هذا معنى الأبيات باختصار.

وتَبْقَى في الميزان مسائل:

الأولى: الأدلَـة مـن الكِتَاب وَالسُّنَّة عـلى ثبوت الميزان، قـال تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ففي هـذه الآية جمع للموازين وأنها متعددَة(٢). وقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، ومـن السـنة حديث البطاقة «**فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء مع اسم الله**»(٣)، وحديث أن النبي ﷺ قال:

(١) أخرجه خيثمة في فوائده باختصار من «الفتح» (١٣/ ٤٦١-٤٦٢).

(٢) «عقيدة السفارينية الكواكب الدرية بشرح الدرة المضيئة في عقد أهل الفرقة المرضية» تأليف الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ص: ٤٧٤)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه أبو محمد أشرف بن عبد المقصود.

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو الترمذي أبواب الإيمان باب «مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (٥/ ٢٤) رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه كتاب «الزُّهْدِ» باب «مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَ =

«انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»(١)، وقال اقرؤوا ان شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وقصة صاحب القران **«وانه يأتي صاحبه في صورة شاب، شاحب اللون فيقول من انت؟ فيقول أنا القران الذي أسهرت ليلك، وأظمأت نهارك»**(٢). وحديث البراء في قصة سؤال القبر **(فيأتي المؤمن شاب حسن اللون، طيب الريح فيقول من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح)**(٣). وقد ورد هنا الوزن مصدر، فلا يدل على تعدُّدٍ ولا إفْرَادٍ. والكفار قيل توزن أعمالهم وقيل لا توزن والحقيقة أنها توزن ولا قيمة لها ولا اعتبار. كما قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. وهناك طائفتان لا يحاسبون ولا يوزنون، الأولى من الكفار الذين لا ذنب لهم إلا الكفر ولم يعملوا حسنة فهؤلاء يقعون في النار من غير حساب ولا ميزان، والثانية من المؤمنين من لا سيئة لهم ولهم حسنات كثيرة زائدة على

= القِيَامَةِ» (٢/ ١٤٣٧) رقم (٤٣٠٠)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان: (٢٢٥). والألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦١). رواه الحاكم في «مستدركه» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القران» باب «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم» (٦/ ٩٣) رقم (٤٧٢٩)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» (٤/ ٢١٤٧) رقم (٢٧٨٥/ ١٨). رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٥١) عقب رقم (٥٧٦٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٨٢٩).

(٣) أخرجه من حديث البراء بن عازب أبو داود كتاب «الجنائز» باب «الجلوس عند القبر» (٣/ ٢١٣) رقم (٣٢١٢)، والنسائي كتاب «الجنائز» باب «الوقوف للجنائز» (٤/ ٧٨) رقم (٢٠٠١)، وابن ماجه كتاب «الجنائز» باب «ما جاء في الجلوس في المقابر» (١/ ٤٩٤) رقم (١٥٤٨)، وأحمد - واللفظ له - مسند أول مسند الكوفيين (٣٠/ ٤٩٩) رقم (١٨٥٣٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠): رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢١٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

محض الإيمان فهؤلاء يدخلون الجنة كما في قصة السبعين ألفا وما يشاء الله أن يلحق بهم ملخصًا[(١)].

الثانية: الأدلة على حقيقة ما يوضع في الميزان يوم القيامة.

ومن أدلة السُّنَّة على أن الذي يوزن:

١- هو صحف الأعمال كما في حَدِيث صاحب البِطَاقَة المتقدم، فَإِنَّهَا وُضِعَتْ فِي كِفَّة وتِسْعَةٌ وتِسْعُونَ سِجِلًّا من السيئات فِي كِفَّةٍ وَرَجَحَتْ كِفَّة البِطاقَة.

٢- وقيل من يوزن هو صاحب العمل كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، والحَدِيث فيه أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان دَقِيقَ السَاقَيْنِ، فجَعَلَتِ الريحُ تُكْفِئُهُ ويَمِيلُ منها، فضَحِكَ منه بعضُ الصحابَة، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ سَاقَيْهِ فِي المِيزَانِ لَتَعْدِلُ جَبَلَ أُحُدٍ**». أو: «**أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**»[(٣)]، فقد أخبر الرسول ﷺ بأن الساقين لهما وزن وهما جزء من العامل.

٣- وهنالك من يقول إن الوزن للعمل نفسه مستدلا بقوله تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

(ب) والجمع بين هذه الأحاديث:

وبناءً على ما تقدم من أحاديث فإن صحائِفَ الأعمالِ، وعَمَلَ العامِلِ، والعامِلَ نفسَه كُلَّها وَرَدَ إثباتها في القرآن، وَأَنَّهُ لا يوجد بينها منافاة. وَأَنَّ الذي يُثَقِّل أو يُخَفِّف الميزانَ هو العملُ.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٨). (٢) «العقيدة السفارينية» (ص: ٤٧٤).

(٣) أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود مسند المكثرين من الصحابة (٧/ ٩٨) رقم (٣٩٩١)، وصححه ابن حبان رقم (٧٠٦٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣١٩٢). رواه أحمد وإسناده حسن وله شواهد من حديث مسعود ووفره بن إياس.

وعنـد ابـن تيميـة رَجَّـحَ أن الوزنَ لأعـمال العِبَـادِ[(١)]، وعنـد القُرطبـي لِصَحَائِفِ الأعمالِ[(٢)]. وقِيلَ: لِصَاحِبِ العمل.

قال ابن كثير: الجمْعُ بَيْنَ مَا تَقَدَّمَ أن الوزنَ تارَةً للأعمال، وأخرى لِـمَجَالِها، وأخرى لِفَاعِلِهَا.

ولا مُنَافَاة بين ما ورد في الآيات والأحاديث، فالجميع يُوزَنُ كما ذَكَرَه القرآنُ وَلَكِنَّ العِبرَةَ بالثِّقَلِ والخِفَّة بالعمل نفسه، لا بذات العامل، ولا بذات الصُّحُف.

وقـد اختُلِفَ في الميزان هل هو حِسِّيٌّ أو معنويٌّ؛ أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعَةِ يعتقدون أنه حسي حقيقي له لِسَـانٌ وكِفَّتَانِ. وأَنْكَـرَتْ المعتزلَةُ ذلك، وَقَالَتْ إنـه معنوي. وَأَنَّ معناه العَدْلُ. وهم بهذا قد عَطَّلُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وقَدَّمُوا عليهما عُقُولَهم؛ لأَنَّ الأعمالَ عندهم عبارَةٌ عن أوصافٍ للأجسادِ فقط. وقد وَرَدَ أن كثيرًا من المعاني الحسيَة قَلَبَها اللهُ أجسادًا، ثـم وَزَنَـها. مثل: حَدِيـث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عـن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَـا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»**[(٣)]. وحديث: **«تُوضَعُ المَوَازِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتُـوزَنُ الحَسَـنَاتُ وَالسَّـيِّئَاتُ، فَمَنْ رَجَحَتْ سَـيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَـنَاتِهِ مِثْقَـالَ حَبَّةٍ دَخَلَ النَّارَ»**. قِيلَ: **«وَمَنِ اسْـتَوَتْ حَسَـنَاتُهُ وسَـيِّئَاتُهُ وُقِّفَ حَتَّى يُنْهَى أَمْرُهُ» وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ**

---

(١) ذكره الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في جل كتبه.

(٢) رجحه القرطبي (٧/ ١٦٦) في سورة الأعراف.

(٣) أخرجه مـن حديـث أبي الـدرداء أبو داود كتـاب «الأدب» باب «في حسـن الخلـق» (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٧٩٩)، والترمـذي أبـواب البر والصلة باب «ما جاء في حسـن الخلق» (٤/ ٣٦٢) رقم (٢٠٠٢)، وقـال الترمذي: حديث حسـن صحيـح، وصححه ابن حبـان رقم (٤٨١)، وابن حجـر في «الفتح» (١٠/ ٤٥٨)، والألباني في «السلسـلة الصحيحة» رقم (٨٧٦). ولفظ أبي داود: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْـمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» أخرجه أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء.

الأَعْرَافِ كَمَا تَقَدَّمَ. وحديث: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»(١).

وقد وَرَدَ جَمْعُ الموازينِ وتَعَدُّدها. وقد اختلفَ العلماء في ذلك، فبعضهم رَجَّحَ الإفرادَ كالقرطبي وغيره، وبعضهم رأى تَعَدُّدَها حَسَبَ الأُمَمِ وتَفَاضُلِها في الأعمال.

ولا إشكالَ في جمع الموازين في قوله تَعَالَى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، لأنه كما ذَكَرَ العُلَماءُ يشتمل على اللِّسانِ والكِفَّتَيْنِ والشَّاهِدَيْنِ ولا يَتِمّ الوَزْنُ إلا بِهِمْ جَمِيعًا. وقيل: إِنَّ الجَمْعَ للتَّفْخِيمِ كقوله تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ولم يرسل إليهم إلا واحدًا. وقيل: يجوز أن يكون لفظه جمعًا(٢) ومعناه واحدًا. كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، والحكمَة من الوزن إظهار العدل، وبيان الفضل. كما ذَكَرَه بعضُ العُلَماء.

هذا، ومن المقطوع به لَدَى أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ أن أُمُورَ الآخرَةِ لا تُقَاسُ عليها أمورُ الدنيا، وأنهم يَقِفُونَ مع نصوصها بدون تكييف، ولا تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل، كما أخبر الصادقُ المصدوقُ عنها. ولذلك، فإن الله يَقْلِب الأعراضَ يومَ القيامَةِ إلى أَجْسَادٍ، ثم تُوضَع في الميزان كما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيح من: «أَنَّ سُورَتَي البَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ، فِرْقَانِ مِنَ الطَّيْرِ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب «فضل التسبيح» (٨/ ٨٦) رقم (٦٤٠٦)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «فضل التهليل والتسبيح» (٤/ ٢٠٧٢) رقم (٢٦٩٤/ ٣١). رواه البخاري (١١/ ٢٠٦) في الدعوات باب «فضل التسبيح». ومسلم (٤/ ٢٠٧٢)، ح (٢١٩٤) «في الذكر والدعاء» باب «فضل التهليل والتسبيح».

(٢) انظر: «التنبيهات السنية» للعلامة عبد العزيز بن ناصر الرشيد (ص: ٢٤٢).

....

صَوَافٌّ»[١]. وكذا قضيّة القرآن أنه يأتي في صورة شابٌ شاحِبِ اللونِ فيقول: مَنْ أنتَ فيقولُ: أَنَا القُرْآنُ الَّذِي أَسْهَرْتَ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتَ نَهَارَكَ[٢]. وعَمَلُ المرءِ المؤمن في القَبْرِ يأتي في صورَة شاب مليحٍ حَسَنِ اللونِ طَيِّبِ الرِّيحِ وعَكْسُه عمل الكافرِ يأتي في صورَة رَجُلٍ قَبيحٍ نَتْنِ الرَّائحَةِ، فالوزنُ للعملِ والعامِلِ وصَحَائِفِ الأعمالِ، والعِبْرَةُ في الثِّقَلِ والخِفَّة بالعمل، والكُلُّ ورَدَ في القرآن وَالسُّنَّة جمعًا ومفردًا وصَحِيفَة عمل.

هـذا، ويجب على كل مؤمن أن يَحْتَاطَ لنفسه في حياته فيكْثِرَ من الأعمال الخيِّرَة، ومن الحسنات، فمثقال ذَرَّة أو حبّة خردل تُغير مصيره من النار إلى الجَنَّة، ومن الجَنَّة إلى النار، كما يجب عليه أن يستثمر كلما أتيح له من جهد ووقت ومال فيملؤه بما يُثَقِّلُ ميزانَه بالحسنات غدًا، وليس هناك أفضلُ من الأعمال الصالحة التي تُثَقِّلُ الموازينَ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه من حديث أبي أمامة مسلم كتاب «صلاة المسافرين» باب «فضل قراءة القران» (١/ ٥٥٣) رقم (٨٠٤/ ٢٥٢). رواه مسلم في «صلاة المسافرين» والإمام أحمد عن أبي أمامة. وانظر: «مختصر مسلم» (٢٠٩٥).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٥١) عقب رقم (٥٧٦٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٨٢٩). رواه أحمد والحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

١٥- الصحائف

١٧٧- وَبَعْدَ هَذَا تُنْشَرُ الصَّحَائِفُ	فَآمِنٌ مِنْهَا وَمِنْهَا خَائِفُ
١٧٨- وَصَاحِبُ الإِيمَانِ بِاليَقِينِ	كِتَابُهُ يُعْطَاهُ بِاليَمِينِ
١٧٩- ثُمَّ يَعُودُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا	لِأَهْلِهِ بِفَوْزِهِ قَدْ أُخْبِرَا
١٨٠- يَقُولُ نَصًّا هَاؤُمِ كِتَابِي	شَهَادَةً بِالفَوْزِ وَالثَّوَابِ
١٨١- وَصَاحِبُ الكُفْرَانِ فِي الأَغْلَالِ	كِتَابُهُ يُعْطَاهُ بِالشِّمَالِ

المفردات: (وَبَعْدَ هَذا): أي: بعد الكلام على الوَزْن للمَوْزُونات من الأعمال وأصحابها وصحائفها (تُنْشَر الصَّحَائِفُ) النَّشْر ضده الطَّيّ، فهي منشورَة ومعلومَة قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، (وَالصَّحَائِف) جمع صَحِيفَة وهي ما يكتب فيها الأعمال وفي هذا اليوم يُنْشَر ما فيها وكل واحد منا تعرض عليه هذه الصحيفَة ولا يُغادِر فيها صغيرَةً ولا كبيرَةً إلا أَحْصَاها. ويقرؤها المرءُ بنفسه وكَفَى به على نفسِهِ بصيرًا. وينقسم الناس حِيالَهَا إلى قسمَيْنِ (فآمِنٌ مِنهَا) وهم المؤمنون الذين آمَنُوا بها في الدُّنْيَا وحَرَصُوا على أَنْ يُدَوِّنُوا فيها ما يَسُرّهم الآن في يوم القيامَة لذلك، فهذا القسم ممن له الأمن يوم القيامَة لاهتدائه إلى الصراط المستقيم والـمُمْتَثِل لأوامر الله ونواهيه فيأتي ما أمره الله به، ويجتنب ما نَهَى الله عنه، حُبًّا وتعظيمًا. والقسم الثاني: (ومِنهَا خائِفٌ) وهم الكُفَّار وغير الـمُمْتَثِلِين لِشَرْع الله تَجِدُهم في ذلك اليوم خائِفِينَ مما كُتِبَ عليهم ومما سيكون عليهم من العذاب الأليم وما سَيَحِيق بهم من الخُسْران الـمُبِين، وما هي إلا أعمالهم إن خيرًا فخيرٌ وإنَّ شرًا فشَرّ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. (وصَاحِبُ الإيمَانِ باليَقِينِ) أي: وذُو الإيمان واليَقِين كما تئول إليه الأُمُور من تَدْوِين أَعْمَالِهم وإحْصائِها عليهم ممن كان كذلك (كِتابه) أي: صَحِيفَته التي دُوِّنَتْ فيها جَمِيع أعماله سَيُعْطَاها بِيَدِهِ اليمين قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ

كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] وذلـك تكريمًا لـه، ومَثُوبَة على إيمانه، ويَقِينه بأنه سيُلاقِي هذه الأعمال وستُعْرَض عليه وسيقْرَأ كِتابَه بنَفْسِهِ وكَفَى بنَفْسِه على نَفْسِهِ حَسِيبًا: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، **(ثم يَعُود)** صاحِبُ الإيمانِ **(مُسْتَبْشِرًا)** حَالٌ مِـن صَاحِبِ الإيـمانِ **(لأَهْلِه)** الذين كانـوا معه على شـاكِلَتِهِ في الدُّنْيَـا على الإيمان واليَقِـين ويُبَشِّرهم بما آلَ إليه حالُـهُ مِنْ إعْطَائِهِ كِتابَه باليمين **(قد أُخْبِرَا)** بما حَصَلَ له من الإكرامِ، والألِفُ لِلإطْلاقِ في أُخْبِرَا.

(يَقُـولُ نَصًّا) صاحِـبُ الإيمان والمُوَفَّق له حينما يعود إلى أهله فَرِحًا مستبشِرًا نصًّا **(هـاءُم)**، كما تنص الآيـة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩]، **(شَـهادَة بالفَـوْزِ والثَّـوَاب)** إعطاؤه الكِتَـاب باليمين شَـهَادَةٌ منه تَعَالَىٰ لِصَاحبِ الإيمان بالحصولِ على مـا يُمَيِّزه وهو مناولته كتابه بيمينه ثَوابًا له وإكرامًا من الله تَعَالَىٰ **(وَصَاحِبُ الكُفْرَانِ في الأَغْلَالِ)** أما أَهْلُ الكُفْر والجُحُود والنُّكران في الدنيا، فهم في الأغلال أي قد غُلَّتْ أَيْدِيَهُمْ إلى أعناقِهِم وسُلسِلَتْ مِـن وَرَاءِ ظُهُورهـم هَـؤُلَاءِ وأمثالهم يُعْطَوْنَ كتبهم بشـمائلهم ومـن وراء ظهورهم وهو معنـى **(كِتَابَهُ يُعْطَاهُ بالشِّـمَالِ)** كما قـال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٧]، وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢]، وهذا دليل على الإهانَة والخِزْي الـمَحِيق بهم.

١٨٢- يُلزِمُهُمْ بِالرِّقِّ فِي الأَعْنَاقِ مِثْلَ الْتِزَامِ الْعِقْدِ بِالأَطْوَاقِ

(يُلزِمُهُمْ) أي: عَمَلُهُم كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، وهـذا أقوى ما يكون التِصاقًا بالإنسـان بحيث لا يَجِدُ له منـه مَهْربًا، فهو مُحِيط به ومُعَلَّق برقبته كتعلُّق العقد بالطوق وإحاطته بالعُنُق.

(بالـرِّقِّ) أي: وجـود الكِتَاب الـذي فيه عَمَلُهـم في عُنُقِهِ كَحَالَةِ الـرِّقِّ: أي كالعبد المملـوك لصاحبـه لا يفارقه إلا بالحريَة وأنَّى له ذلـك (في الأَعْنَاقِ) جمع عُنُقٍ وهو ما بين الرأس والصدر.

(مِثْلَ الْتِزَامِ الْعِقْدِ بالأَطْوَاقِ) هذا تشبيه لـمُلازَمَةِ العمل لصاحبه إن خيرًا فخَيْرٌ وإنَّ شرًّا فـشَرٌّ، في يـوم القيامَة و(العِقْد) - هو حَبَّات مجتَمِعَةٌ في سِلسِـلَةٍ ما و(الأَطْوَاق) جمع طَوْق وهي أَعْظُم أَعَالِيَ الصَّدْرِ من الإنسان.

(أ) الإيمان بتطاير الصحف وأدلته:

طائره قيل: ١- ما طار من عمله.

٢- شَـقَاوَته وسـعادته قاله أبو صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وقال مجاهد ما من مولود يُولَد وإلا في عُنقِهِ ورَقَةٌ مكتوب فيها شَقِيٌّ أو سعيد.

٣- وقال الفَرَّاءُ: عَمَله.

٤- أنه ما يصيبه قاله خَصِيف. وقال أبو عبيده حَظُّه. والمعنى أن لكل إنسـان حظًّا من الخير والشر والذي يكون سـبب عمله من الشَّـقَاوَةِ والسـعادَة وقد كُتِبَ ذلك أَزَلًا، فهو لازم لعُنُقِهِ. والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه، ولك في ذمتي وعنقي. وقـد عـبّر بالطائر إما لأَنَّ العمـل يطير منه. ولا يمكن اسـترجاعه. وإما مـن باب الفَأْل والطِّـيَرَة التـي كانَتْ منتشِرَة بين العـرب وخاطبهم القرآن بما يعرفون ويسـتعملون وَأَنَّ ذلـك الطائر مـلازم لأعناقهم كـما يعرفونه في لغَة اسـتعمالهم والمعنـى والله أعلم. أن الله

قد عَلِمَ المُطِيعَ مِنَ العَاصِي، فكتب ما علمه منهم وقضى بسَعادَة المُطِيع وبشَقاوَة العُصَاة وجعله ملازمًا لأعناقهم وهو ما يَصِير إليه من سعادَة وشقاوَة، وذِكْر العُنُق يعني شِدَّة اللزوم. والكتابُ يقرؤه الأُمِّيُّ وغيرُه، وقال الحسنُ: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك: أي كافيها وشاهدًا عليها ومحاسبًا لها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، والشاهد من الآيات: ثُبُوت كتابَةِ الأعمال، وعَرْضها على المَرْء نَفْسه وَأَنَّ الله مُنَزَّهٌ عن الظلم.

وَأنَّ العرض عَرْضَانِ: ١- عامٌّ لجَمِيع الخلائق.

٢- خاصٌّ بالمؤمنين، وقيل العَرْضُ ثلاث عرضات: الأولى والثانية جِدالٌ ومَعَاذِيرُ. والثالثَة: عرض كتاب كل نفس عليها، وَأَنَّهُ هو العدل والحكم فيها وكافيها وَأَنَّ المؤمنين يُعْطَوْنَ كُتُبَهم بأيمانِهم، والكافرين والمجرمين يُعْطَوْنَ كُتُبَهم بِشِمَالِهِم.

(ب) الأدلة على تطاير الصحف من السنة:

عن عائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها ذكرت النار، فبَكَتْ، فَقَال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قالت: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتَ، فَهَل تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ، فَلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا؛ عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وعِنْدَ الكِتَاب حِينَ يَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَوْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا نُصِبَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»(١).

(١) أخرجه من حديث عائشة أبو داود كتاب «السنة» باب «في ذكر الميزان» (٤/ ٢٤٠) رقم (٤٧٥٥)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» رقم (٢١٠٨): ضعيف. رواه الترمذي وابن حبان والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبزار وابن أبي حاتم وابن =

....

وحديث(١): المؤمنُ يُعْطَى كِتَابَهُ بيمينه في سِتْرٍ من الله، فكلما قرأ سيئاته تَغَيَّرَ لونُهُ حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر، فإذا قد بُدِّلَتْ سيئاته حَسَنَاتٍ قال، فعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩]. وعن ابْنِ السائبِ في قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الانشقاق: ٢٥]. قال ابْنُ السائبِ: تُلوَى يدُه اليسرى خَلفَ ظَهْرِه، ثم يُعْطَى كتابَه. وقيل تُنْزَعُ يَدُه اليُسرى مِن صَدْرِه إلى خَلفِ ظَهْرِه، ثم يُعْطَى كِتَابَه. وقال مجاهد: تُخْلَعُ يَدُه اليسرى من وراء ظهره. وقال البغوي في قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠] قال: تُغَلُّ يدُه اليمنى إلى عُنُقِه وتُجعَل يدُه الشمال وَرَاءَ ظَهْرِهِ فيُؤتَى كِتَابه بِشِمَالِهِ من وراء ظهره.

والمؤمِنُ الحق الذي قد صدّق بهذا الكِتَاب الذي لا يُغَادر صغيرَة ولا كبيرَةً يجب عليه معرفة حقيقة ما يؤمن به والانفعال به ثم تفعيله سلوكًا حيًا في شؤونه الحياتية، وإلا فإيمانه مدخول. ويحرص تَمَامَ الحِرْص على استثمار حياته، وتوظيف قُواه، وتجنيد طاقاته على الأعمال الصالحَة التي تَبْهَجُهُ وتَسُرُّهُ عِنْدَ عَرْضِها عليه يَوْمَ القِيَامَةِ وهو اليوم في زمن الإمكان، فيَتَزَوَّد من المعروف والإحسان والطاعات ما سيجده غدًا في كتابه وأُولَى الأشياء التي تَسُرُّه إعطاؤه كتابَه بيمينه ليعود إلى أهله مستبشرًا مسرورًا. والشرط الأساسي لاستثمار الأعمال والأوقات هو الإخلاص والصواب وهما اللذان يُحَوِّلانِ حَرَكَةَ حَيَاةِ الـمَرْءِ إلى عِبادَة، فالله الله اغْتَنِمُوا زَمَنَ الإمهال وامْلَئُوه بجلائل الأعمال النافعَة لكم يوم المآل.

= مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٧).

(١) هو من كلام أبو عثمان النهدي، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» باب «فضل ذكر الله»، (ص: ٤٩٧) رقم (١٤١٥).

١٦- الحساب

١٨٣- ثُمَّ حِسَابُ اللهِ لِلخَلَائِقِ يُوقِفُهُمْ نَصًّا عَلَى الحَقَائِقِ
١٨٤- فَمُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ يَسْتُرُهُ وَبِالذُّنُوبِ كُلِّهَا قَرَّرَهُ
١٨٥- وَالكَافِرُ المَحْضُ بِلَا حِسَابِ وَإِنَّمَا التَّعْدَادُ فِي الكِتَابِ
١٨٦- وَيُوقَفُونَ كُلُّهُمْ عَلَيْهَا مُعْتَرِفِينَ قَدْ دَنَوْا إِلَيْهَا

(ثُمَّ حِسَابُ اللهِ لِلخَلَائِقِ):

أولًا: ثم عاطفة على ما قبلها من معنى الأبيات المتقدمَة، وحَسَبَ بفتح السين وكسرها وضمها مثلثة. والحِسَابُ أصله استعمال العدد، فيُقَالُ: حَسَبْتُ أَحْسُبُ حِسَابًا وحُسْبانًا، ومعناه تعريف الخلق بمقادير الجزاء على أعمالهم والخلائق جمع خَلِيقَة، ويشمل كل مخلوق من الجن والإنس مؤمنهم وكافرهم، والمؤمن من الجن والإنس يَدْخُلُ الجَنَّة، والكافر منهم يدخل النار. كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]

قد دَلَّ علي الحساب الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ والإجماعُ والعقلُ، فأما الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فقد ذكرتُ ما يكفي اللَّبِيبَ وأَزِيدُ هنا من الكِتَاب قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]

ومن السُّنَّةِ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قبل أن تُحَاسَبوا، وزِنُوا أعمالَكم قبل أن تُوزَنُوا، فإنه أَخَفُّ عليكم في الحساب غَدًا أن تُحَاسِبُوا أنفسَكم اليومَ وتَزَيَّنُوا للعرضِ يومَ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكم خَافِيَةٌ»(١)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن

(١) أخرجه موقوفًا على عمر الترمذي أبواب صفة القيامة (٤/ ٦٣٨) رقم (٢٤٥٩)، وابن المبارك في «الزهد» باب «الهرب من الخطايا والذنوب» (١٠٣) رقم (٣٠٦). أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٠٣)، وأحمد في «الزهد» وأبو نعيم في «الحلية».

رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يُحاسَب يَوْمَ القِيَامَةِ إلا هَلَكَ»، فقلتُ: يا رسول الله، أليس قد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، فَقَال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ وليس أحد يُناقِشُ الحسابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلا عُذِّبَ»، وفي رواية «من ناقش الحساب عذب»(١). وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يَقُولُ: «يُجَاءُ بالكافر يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ له: أرأيتَ لو كان لَكَ مِلءَ الأرضِ ذَهَبًا أكنتَ تَفْتَدِي به فيَقُولُ: نعم، فَيُقَالُ له: قد كنتَ سُئِلتَ ما هو أيْسَرُ من ذَلِكَ»(٢).

وأما الإجماع: فإنه مُتَّفَق عليه بين الأُمَّة أن الله يُحاسب الخلائق جميعَهم لإعطاء صاحب الحق حقه الذي فاته في الدنيا، إلا ما وَرَدَ عن السبعين الألف الذين يدخلون الجَنَّة بلا حساب وبعض من يَشَاءُ الله.

وأما العَقْلُ: فإن العَدَالَةَ مَطْلَب للكُلِّ، وَأَنَّ الله قد حَرَّمَ على نَفْسه الظلمَ وجعله بين خَلقِهِ مُحَرَّمًا، وَأَنَّ الظلم لا يَقْوَى على وَقْعِه أحدٌ. وكون الإنسان يعيش ظالمًا أو مظلومًا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «من نوقش الحساب عذب» (٨/ ١١١) رقم (٦٥٣٦)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «إثبات الحساب» (٤/ ٢٢٠٤) رقم (٢٨٧٦/ ٧٩). ولفظ مسلم: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ» رواه البخاري(١/ ١٩٦-١٩٧) ح (٦١٧٢) في «العلم» باب «من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه وفي تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]» وفي «الرقاق» باب «من نوقش الحساب عذب»، ورواه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) ح (٢٨٧٦) في الجنة باب إثبات الحساب

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «من نوقش الحساب عذب» (٨/ ١١٢) رقم (٦٥٣٨)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا» (٤/ ٢١٦٠) رقم (٢٨٠٥/ ٥١). رواه مسلم (٤/ ٢١٦١) ح (٢٨٠) في «صفات المنافقين» باب «طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا».

....

ولا يَلقَى حسابًا على ذَلِكَ هذا شيء لا تُقِرُّه العقولُ السليمَة ولا الطِّباع الكريمَة، فلا بُدَّ عقلًا من حساب الظالم على ظُلمه وإعطاء المظلوم حقه في يوم آخر يأتي بعد هذه الدنيا وربما نصره الله في الدنيا عن طريق دعاء المظلوم ، لأن دعوة المظلوم مستجابة ولو بعد حين.

ومن المعروف عقلًا أن من كُلِّفَ بأداء عمل، فإن الحكمَة تقتضي متابعَة هذا العامل فيثاب عليه إنْ أحْسَنَ، ويُعاقَب عليه إنْ أَسَاءَ.

وهناك بَعْض الخلق لا حِسَاب عَلَيْهِمْ: كالسبعين الألف الذين يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب. ويُجْزَى الصابرون بِغَيْرِ حِسَاب وهذا التعريف لهم بالحساب قبل انصراف الخلائق من الـمَحْشَر. وقد تقدمت طائفتان من الناس لا حساب عليهما ولا ميزان.

(أ) والحساب هنا على نوعين:

الأول: حِسَاب المؤمن، وأول ما يُحاسَب عليه العبدُ الصلاة؛ فإن قُبِلَتْ قُبِلَ سائِرُ العملِ وإنْ رُدَّتْ رُدَّ سائِرُ العملِ؛ وذَلِكَ لأنها رأس العبادات وأهمها. كما يُحاسَب على جَمِيع أعماله قال تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦].

فهذا يُقَرِّبُه منه سُبْحَانَهُ ويضع عليه كَنَفه ويُقَرِّرُه بذنوبه واحدَة واحدَة والعبدُ يعترف، فَيُقَالُ له: قد سَتَرْتُها عليك في الدُّنْيَا، وها أنا أَسْتُرُها عليك الآن وأغفرها، ثم يعطيه كتابه بيمينه.

وأما النوع الثاني من الحساب، فهو للكُفَّارِ والمجرمين، وهَؤُلَاءِ يُنَادَى بهم على رءوس الخلائق، فَيُقَالُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ولا يحاسبون محاسبَة من تُوزن حسناتهم وسيئاتهم؛ لأنَّ الكافر ليس له في الآخرَة حسنات حتى تُوزَنَ وإنما أعمالُهم مُحْبَطَة وباطِلَةٌ؛ لأنها غير مُخْلَصَة وغير صواب وهذان شرطان

....

لا تَصِحُّ بدونها العبادَة. قال تعَالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقَوْله تعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يَظْلم المؤمنَ حسنَةً يُعْطَى عليها في الدُّنْيَا ويُثَابُ عليها في الآخرَة. وأما الكافرُ فَيُطْعَمُ حسناته في الدُّنْيَا حتى إذا أَفْضَى إلى الآخرَة لم يكن له حَسَنَةٌ يُعْطَى بها خيرًا»**[(١)].

وقال النووي: أَجْمَعَ العُلَمَاءُ على أَنَّ الكافر الذي مات على كُفْرِهِ لا ثَوَابَ له في الآخرَةِ ولا يُجَازَى فيها بشيء من عَمَلِهِ في الدُّنْيَا مُتَقَرِّبًا به إلى الله.

وعن صَفْوَانَ بنِ مُحْرِزٍ قال بينما ابْن عمر يَطُوفُ إذْ عُرِضَ رَجلٌ، فَقَال: يا أبا عبد الرحمن - أو قال بن عمر - هل سَمِعْتَ النبي ﷺ يقول في النَّجْوَى فَقَال: سمعت النبي ﷺ يَقُول: يَدْنُو المؤمنُ من ربه حتى يَضَعَ عليه كَنَفَه[(٢)] فيُقَرِّرُه بذنوبه؛ تَعْرِفُ ذَنْبَ كذا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُول: ربِّ أَعْرِفُ، مرتين فيقُول: سَتَرْتُها في الدُّنْيَا وأَغْفِرُها لك اليوم، ثم تَطْفُو صحيفَة حَسَنَاتِهِ. وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رءوس الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ[(٣)]﴾ [هود: ١٨].

---

(١) أخرجه من حديث أنس مسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا» (٤/ ٢١٦٢) رقم (٢٨٠٨/ ٥٦)، وأحمد - واللفظ له - مسند المكثرين من الصحابة (١٩/ ٢٦٦) رقم (١٢٢٣٧). الحديث صحيح في مسند الإمام أحمد (١١٨٥٥) عن أنس، وفي «مختصر الإمام مسلم» (٦٠)، ورواه البخاري ومسلم.

(٢) الكنف: الناحية والجانب محركًا.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القران» باب «قوله ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ..﴾ [هود: ١٨] (٦/ ٧٤) رقم (٤٦٨٥)، ومسلم كتاب «التوبة» باب «قبول توبة القاتل» (٤/ ٢١٢٠) رقم (٢٧٦٨/ ٥٢). البخاري (٥/ ٩٦) في «المظالم» باب «قول الله تعَالَى ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ورواه مسلم (٤/ ٢١٢٠)، ح (٢٧٦٨) في «التوبة» باب «قبول توبة القاتل وإن كثر قتله».

وفي الحديث: «**يُعْرَض الناس يَوْمَ القِيَامَةِ ثلاثَ عرضات، فأما عرضتان: فجِدَالٌ ومَعَاذِيرُ، وأما الثالثَةُ: فعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ في الأيدي، فآخِذٌ كِتابَه بيمينه، وآخِذٌ كتابَه بشِمَالِهِ**»[(١)]، وفي الحديث عن عائشة ليس أحد يُحَاسَب يَوْمَ القِيَامَةِ إلا هَلَكَ، ثم قال: وليس أحدٌ يُناقَش الحسابَ إلا عُذِّبَ[(٢)]. والحساب له معنيان: العَرْضُ وهذا تُعْرَضُ مَعَاصِي العبدُ عليه ويُقَرِّرُه الله بها، ثم يعفو عنه، ويغفرها له. والثاني: حِسَابُ استقصاءٍ وصاحبه يَهْلِكُ. إذ لا حَسَنَةَ أصلا للعبد إلا من عِنْدَ الله عندما أعانه وقدره عليها.

(**يُوقِفُهُمْ نصًا على الحقَائِقِ**): هذا يوم العرض يُدْنِي اللهُ المؤمنَ، فيضع عليه كَنَفَه، قيل: الكَنَفُ سَتْرُه، وقيل: الجانب والناحيَة، ويَسْتُرُه من الناس ومعنى يُوقِفُه: يعني يُطْلِعُه على مَعَاصيه وعلى أعماله التي يتغير منها لونه، ثم يُعَرِّفه بها ويسترها عليه في الآخِرَة كما سَتَرَها عليه في الدنيا. اللهم اسْتُرْنَا بِسَتْرِكَ في ذَلِكَ الموقف، يا ستير فانك يا إلهنا تحب الستر ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا، فتمم اللهم ما به بدأتنا، ولا تسلبنا ما به أكرمتنا.

وقولنا: (نَصًا) كما ورد في قَوْله تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦].

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب «صفة القيامة» باب «ما جاء في العرض» (٤/ ٦١٧) رقم (٢٤٢٥)، وقال: لا يصح هذا الحديث. وقال الألباني: ضعيف. وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٠٣): أخرجه البيهقي في «البعث» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا. رواه الترمذي (٤/ ٦١٧) ح (٢٤٢٥) في «صفة القيامة» باب «ما جاء في العرض» وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ابن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد روى ابن جرير موقوفًا عن عبد الله بن مسعود.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «من نوقش الحساب عذب» (٨/ ١١١) رقم (٦٥٣٦)، ومسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «إثبات الحساب» (٤/ ٢٢٠٤) رقم (٢٨٧٦/ ٧٩). ولفظ مسلم: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**» رواه البخاري (١، ١٩٧) في «العلم» باب «من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه»، وفي تفسير ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١] وفي «الرقاق» باب «من نوقش الحساب عذب».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حاسِبُوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبُوا، وزِنُوا أعمالَكم قبل أن تُوزَنُوا؛ فإنه أخفُّ عليكم في الحساب غدًا أن تُحاسِبُوا أنفسَكم اليومَ وتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكْبَرِ»، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] وقوْله تعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**والذي لا إلهَ غيره ما منكم من أحد إلا سَيَخْلُو اللهُ به يَوْمَ القِيَامَةِ كما يَخْلُو أحدُكم بالقَمَرِ لَيْلَةَ البدرِ، فيقُول: ابْنَ آدمَ، ماذا غرَّكَ مني بي؟ ابْنَ آدَمَ، ماذا عَمِلتَ فيما علمت؟ ابْن آدَمَ، ماذا أَجَبْتَ المُرْسَلِين؟**»[١].

ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معاذُ، إن المَرْءَ يُسأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عن جميع سَعْيِهِ حتى كُحْلِ عَيْنَيْهِ، وعن فُتَاتِ الطينَةِ بإصبعيه، فلا أُلفِيَنَّكَ يَوْمَ القِيَامَةِ أو أَحَدٌ غيرك أَسْعَد بما آتاه الله منك**»[٢]، وفي حَدِيث آخر عن عَدِيّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحد إلا سَيُكَلِّمُه الله يَوْمَ القِيَامَةِ ليس بين الله وبينه تُرْجُمَانٌ، يَنْظُرُ أَيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قَدَّمَ من عمله، وينظر أَشْأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قَدَّمَ وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النارَ تِلقَاءَ وَجْهِهِ، فاتقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تمرَة**»[٣].

---

(١) أخرجه موقوفًا على ابن مسعود أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٥) رقم (٩٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٢) رقم (٨٨٩٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٧): رجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة وفيه ضعف. اهـ. قلت: تابع شريك أبو عوانة كما في «الزهد» لأحمد. رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٤) ح (٨٨٩٩، ٨٩٠٠) موقوفًا وسند الأول صحيح والثاني، فيه شريك ومتابعة أبو عوانه له ترفع ضعفه والحديث ليس عند أحمد.

(٢) أخرجه من حديث معاذ بن جبل ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣١)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٦٨٥). «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٩).

(٣) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «كلام الرب عَزَّ وَجَلَّ =

(فَمُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ) أي: صاحب الإِيمان بربه ومُرَبِّيه، وهو مَنْ آمَنَ بالله ورسلِه وملائكتِهِ وكُتُبِهِ واليومِ الآخرِ وبالقَدَرِ خيره وشره. هذا الرجل المتصف بالإِيمان يستُرُه الله ويضع عليه كَنَفَه وهو سَتْرُه، ثم يُقَرِّرُه بذنوبه ويعترف بها، ثم يغفر له ويعطيه كتابه بيمينه. (يَسْتُرُهُ) بعد تعريفه بها، واعترافه بها ومِن ثَمَّ يُعْطَى كِتَابَه بيمينه.

(والكَافِرُ المَحْض) أي: الخالص والمُجرِم والجاحد لِرُبُوبِيَّة الله وأُلُوهيته وأسمائِهِ وصفاته ولأمْرِه وشرعه ولكتبه ولرسله هذا. (بِلَا حِسَاب)؛ لأنه لا توجد له أعمال مَقْبولَةٌ، فيُحاسَب عليها كما قال تَعَالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

(وإنما التَّعْدَادُ في الكِتَاب) أي: لا يُحَاسَبُون مُحَاسبَةَ مَن تُعَدّ حَسَنَاتُهُم وسيئاتُهم، وَلَكِنْ تُعَدّ أعمالهم عَدًّا، فتُحْصَى عَلَيْهِمْ. (ويوقفون كلهم عليها) ويُقَرِّرُونَ بها ويُجْزَوْنَ بها قال تَعَالَى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ [طه: ٣٧]. (مُعْتَرِفِينَ قد دَنَوْا إليها) حالٌ مِن الكافِرِينَ أي أنهم حَالَ وُقُوفِهِم على أعمالِهِم مُعْتَرِفِينَ بها وبِفِعْلِهِم هذا قد دَنَوْا واقْتَرَبُوا إليها عن طريق الجزاء «بل كانوا من أصحاب السَّعِير». ويُنَادَى بهم على رءوس الأشهاد ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

= يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم» (٩/ ١٤٨) رقم (٧٥١٢)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «الحث على الصدقة ولو بشق تمرة» (٢/ ٧٠٣) رقم (١٠١٦)، رواه البخاري (١٣/ ٤٥٣) في «التوحيد» باب «قول الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]»، ورواه مسلم (١/ ١٠١- ١٠٢)، ح (٢٢٢) في «الإيمان» باب «قوله **«يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين»**.

١٤- عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الإسراء والمعراج

١٨٧- وَقِصَّةُ الـمِعْرَاجِ وَالإِسْرَاءِ قَـدْ ثَـبَـتَـتْ بِـدُونَمَـا مِـرَاءِ

١٨٨- بِمُحْكَمِ الوَحْيَيْنِ يَا ذَا فَاعْلَمِ فَـدَعْ أَقَـاوِيـلًا وَحَـقًّـا الـزَمِ

(وقِصَـةُ المِعْـرَاجِ) أي: قَضِيَّةُ العُرُوج وهو الذَّهَابُ في صُعُـودٍ والـمُراد بالعروج هنـا: هـو صُعُود الرسـولِ ﷺ برُوحِهِ وجَسَـدِهِ إلى السـموات العـلا، وبلوغه إلى العرش المكان الأَسْمَى الذي لم يَبْلُغْه غيرُه من البَشَر، وَصَلَ إلى حيث يُسْمَع صَرِير كِتابَة الأقـلام للأقـدارِ وسـمع كلام الله ودخل الجنـة واطلع إلى النـار ورأى الملائكة وبشرت بـه الأنبياء ورأى سراديـق العرش، والكرسي وجميع ما في السـموات ومافي الأرض(١)، والعُرُوج والـمَعَارج الـمَصَاعد والسـلالم. (والإِسْرَاء) حمله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على البراق حتى أدراه ما في السموات وفرضت عليه الصلوات، وكان الإسراء بالرسول ﷺ برُوحِـهِ وجَسَـدِهِ من مَكَّـةَ إلى بيتِ المَقْدس. والسُّرَى مأخوذ من سَيْرِ الليـل يُقَالُ سَرَى وأَسْرَى ومنـه قَوْله تَعَالَى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وقيل إنَّ أَسْرَى ليسـت من لفظَـةِ سَرَى يَسْرِي وإنـما هي من السَّرَاةِ وهي أرض واسـعَة وقَوْله تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي: ذهـب بـه في سَرَاةٍ واسـعَة مـن الأرض، وسَرَاةُ كُلِّ شيءٍ أَعْلاهُ، ومنه سَراةُ النهـارِ أي ارتفاعـه. والمـراد به هنا مَسْرَى رسـول الله ﷺ مـن مَكَّةَ إلى بيت المقدس كما قال تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

❁ مُناسـبَة دخـول قِصَّة الإسـراء والمعـراج في العَقِيـدَة جاءت من بـاب الإيمَان بالمعجزات الخارقَةِ مع كل نَبِيّ أو رَسُول وذَلِكَ لتأْيِيدِهِ ونَصْرِه فيما جاء به من حَقٍّ ولكل

(١) انظر: «شرح السنة» لإمام عصره الحسن البربهاري (ص: ٨٢).

نَبِيٍّ أو رَسُـول معجزَة من جنس ما يُتْقِنُه قَوْمُه، فقوم موسـى مثلًا: كانوا مُتْقِنِينَ السِّحْرَ؛ فجاءت معجزاتُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا النوع ليؤمِنَ به قومُه. ومعجزات محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرَةٌ وكانَتْ من جنس ما يُتْقِنُه قومُه ويَبْرَعُونَ فيه وهو الفَصَاحَةُ والبلاغَةُ، ومن أهمها وَأَخْلَدها القُرآنُ الكريمُ وَكَذَلِكَ الإسراءُ والمِعْرَاجُ الذي حَدَثَ له بِرُوحِهِ وجَسدِه يَقَظَةً لا مَنَامًا، وأَهْلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ يَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ، ويؤمنون به وهو تصديق للآيات الكريمَة في ذَلِكَ وللأحاديث الصحيحَة، وهذا سِرُّ ذِكْرِ مناسبتها ضِمْنَ مَسَائِل العَقِيدَة؛ لأنه لو كان مَنَامًا لَمَا كان فيه أي استنكار ولا أي اعتراض أو اندهاش؛ لأَنَّ قانونَ الـمَنَامِ يسمح لصاحبه بأشياء كثيرَة من الخيال بعكس اليقضه، فلا يُسْتَغْرَبُ منه ما يَدَّعِيهِ. وحدث هذا مَرَّةً واحدَةً، ولذَلِكَ لَـمَّا أَخْبَرَ قريشًا بأنه أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس استنكروا منه هذا التصريح، ونَصَبُوا له العداوَة، وبَثُّوا عنه الإشاعات إلى أبي بكر، وسألوه عن صاحبه الذي جاء بشيء في غايَةِ الاستغراب في نظر قريش، فَقَالوا لأبي بكر: إن صاحبك يَدَّعِي أنه أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس في ليلَة واحدَة وأصبح بيننا، فَقَال أبو بكر: أهو قال لكم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: إذًا، هو كما قال، وأُصَدِّقُه. ولذَلِكَ سُمِّيَ الصديقَ؛ لتصديقه هذا الخَبَرَ ومُبادَرَته بذلك. وكان ذَلِكَ على البُرَاقِ وهناك صلى بجميع الأنبياء إمامًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بصُحبَة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ورَبَطَ البُرَاقَ بحَلقَة باب المسجد، ثم عُرِجَ به بعد ذَلِكَ إلى السموات العُلا حتى وَصَلَ إلى سِدْرَة الـمُنْتَهى، وفُرِضَتْ عليه الصلاةُ خَمْسِينَ صَلاةً، ثم خُفِّفَتْ إلى خمس صلوات بالفعل وخَمْسِين صلاةً بالثَّوَابِ، وذَلِكَ بعد تَرَدُّد ما بين رَبِّهِ وموسى حتى قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما طلب منه أن يرجع إلى ربه يسأله التخفيفَ عن الخمس الصلوات قال

....

ﷺ: «لقد راجعتُ ربي حتى استحْيَيْتُ...»[(١)]، وسيأتي معنا في الحديث ما دارَ بينه ﷺ وبين جمع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من أحاديث.

(قَدْ ثَبَتَتْ بِدُونَمَا مِرَاءِ) يعني قِصَّة الإسراء والمعراج قد ثَبَتَتْ في صحيح البخاري قال رَحِمَهُ اللَّهُ في باب حَدِيث الإسراء وقول الله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وحديث لما كَذَّبَتني قريشٌ قُمْتُ في الحِجْرِ، فجَلَّى الله لي بيتَ المقدس، فطَفِقْتُ أُخْبِرُهم عن آياته وأنا أَنْظُرُ إليه[(٢)]. وذكرها ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره، وابن أبي العز في الطحاوية)[(٣)].

وكان من حَدِيث الإسراء والمعراج أنه ﷺ أُسْرِيَ بجسده في اليَقَظَةِ على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبًا على البُراق صَحِبَه جبريل، فنزل هناك وصَلَّى بالأنبياء إمامًا ورَبَطَ البراق بحَلقَة باب المسجد، (وقد قيل: أنه نَزَلَ بَيْتَ لَحْمٍ وصَلَّى فيه) ولا يَصِحّ عنه ذَلِكَ البَتَّةَ، ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلَةَ إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففُتِحَ لهما، فرأى هناك آدمَ أبا البَشَرِ، فسَلَّمَ عليه، فرَحَّبَ به ورَدَّ عليه السلام وأقَرَّ نبوتَه، ثم عُرِج به إلى السماء الثانيَة، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى ابنَ زكريًا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فرَدَّا عليه السلام ورَحَّبَا به وأَقَرَّا نبوته، ثم عُرِج به إلى السماء الثالثَةِ، فرأى فيها يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسَلَّمَ ورَحَّبَ به وأقَرَّ

---

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «المعراج» (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٧)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «الإسراء برسول الله ﷺ» (١/ ١٤٥) رقم (١٦٢/ ٢٥٩). ولفظ مسلم: «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

(٢) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه البخاري كتاب «تفسير القران» باب «قوله ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]» (٦/ ٨٣) رقم (٤٧١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «ذكر المسيح بن مريم، والمسيح الدجال» (١/ ١٥٦) رقم (١٧٠/ ٢٧٦).

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٢٢٤ - ٢٢٥).

....

نُبُوَّتَه، ثم عُرِجَ به إلى السماء الرابعَة، فرأى فيها إدريسَ، فسَلَّمَ عليه ورَحَّبَ به وأقَرَّ نبوته، ثم عُرِجَ به إلى السماء الخامسَة، فرأى فيها هارونَ بنَ عمران، فسَلَّمَ عليه ورَحَّبَ به وأقَرَّ نبوته، ثم عُرِج به إلى السماء السادسَة، فلقي فيها موسى، فسَلَّمَ عليه ورَحَّبَ به وأقَرَّ نبوته، فلما جاوَزَه بكى موسى، فقيل له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أَبْكِي لأَنَّ غلامًا بُعِثَ بعدي يدخل الجَنَّة من أُمَّتِهِ أكثَرُ مما يدخلها من أُمَّتي، ثم عُرِجَ به السماء السابعَة، فلقي فيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسَلَّمَ عليه ورَحَّبَ به وأَقَرَّ نبوته، ثم رُفِعَ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عُرِجَ به إلى الجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وتَقَدَّسَتْ أسماؤه، فَدَنا منه حتى كان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فأوحى إلى عبده ما أوحى وفَرَضَ عليه خمسين صلاةً، فرجع حتى مَرَّ على موسى، فَقَال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قال بخمسين صلاةً، فَقَال: إن أُمَّتَكَ لا تَطِيقُ ذَلِكَ ارجِعْ إلى ربك، فاسأله التخفيفَ لأُمَّتك، فالتَفَتَ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أنْ نَعَمْ إنْ شِئْتَ، فَعَلَا به جبريلُ حتى أتى به إلى الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو في مكانه هذا لفظ البخاري في صحيحه. وفي بَعْض الطُّرُق، فوضع عنه عَشْرًا، ثم نزل حتى مر بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخبره، فَقَال: ارجِعْ إلى ربك، فاسأله التخفيفَ، فلم يَزَل يَتَرَدَّد بين موسى وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فَقَال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قد استحييتُ من ربي وَلَكِنْ أَرْضَى وأُسَلِّم، فلما نَفَذَ نادى مُنادٍ قد أَمْضَيْتُ فَرِيضَتي وخَفَّفْتُ عن عبادي»**. هذا الحديثُ مُجَمَّع من أحاديثَ متفرقَةٍ في الصحيح. ما عَدَا الدُّنُوَّ المذكور في هذا السياق هو من روايَة شريك بن عبد الله الذي غلطَهُ الحُفَّاظ في ألفاظ من حَدِيث الإسراء(١).

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] (٩/ ١٤٩) رقم (٧٥١٧)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ» (١/ ١٤٥) رقم (١٦٢/ ٢٥٩). ولفظ =

(بِدُونَمَا مِرَاء) أي: بدون شكٍّ قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] وبدون مراء أو تمارٍ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥]، أي تشك فيه. (بِمُحْكَمِ الوَحْيَيْنِ) الكِتَابِ والسُّنَّةِ: فأما الكِتَاب، فقد تقدم قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وأما السُّنَّة، فقد ثَبَتَتِ القِصَّةُ في الصحيح ورواها البخاري وابن كثير رَحِمَهُمَااللَّهُ، وسُمِّيَت ما ورد في صحيح السُّنَّة بالوحي لأَنَّ الرَّسُول ﷺ (مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

(يا ذا، فاعْلَمِ) إشارَةٌ للمُتَلَقِّي و(فاعلم) العلم الصحيح أن هذه القِصَّة حق وثابتة في الصحيح. وقولي: (فدَعْ) أي اتْرُكْ (أَقَاوِيلا) غيرَ قولِ أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، فقد قالوا: إن الإسراء والمعراج منامًا، وقالوا: إنها مَرَّتَيْنِ وثلاثا، وقالوا أقاويل غير هذه، ولكنها لا تستند إلى أَدِلَّة لا نقليَّة ولا عقليَّة (وحقًّا الزَمِ) أي: ما قلناه في هذه القِصَّة من أنها حق، ويجب الإيمان بها، ومن أنها يقظَةٌ بِرُوحِهِ وجسدِهِ وهذا هو قول أهل الحديث وأهل الحق منهم.

❁❁❁

= الدنو ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨ - ٩] (٢/ ٣٥٥) رقم (٩٣٠)، وضعفها بشريك.

١٨٩- بِشَخْصِهِ وَيَقَظَةٍ كَانَتْ وَلا تُطَاوِعَن مُغْرِضًا أَوْ جَاهِلا
١٩٠- وَهُوَ اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ المَنْصُورَهْ كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ المَنْشُورَهْ

هذا ما أشرنا إليه في الأسطر الماضيّة من أن الإسراء والمعراج إحدى معجزات نبينا محمد ﷺ وَأَنَّهُ بِرُوحِهِ وجسده ويقظَةً لا منامًا. كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] والعبد يشمل الرُّوحَ والجسدَ.

وقد وردت من السُّنَّة رواياتٌ كثيرَة عن كثير من الصحابَة، وأغلبها صحيحَةٌ، رواها البخاري ومسلم والإمام أحمد عن أنس بن مالك، ورواها غيرهم عن بُرَيْدَةَ بْنِ الخُصَيْبِ، وعن جابر بن عبد الله، وعن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ، وعن أبي سعيدٍ سعد بن مالك، وعن شَدَّادِ بن أوس، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرَة. والخلاصَةُ: أن القِصَّةَ ثابتَةٌ، والإِيمَانَ بوجودها حقٌّ ثابت، وهو تأييدُ الله أنبياءَه ورسلَه بالمعجزات ومنها قِصَّة الإسراء والمعراج وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

❁❁❁

١٥- إثبات الحوض لنبينا محمد ﷺ

١٩١- والحوْضُ ثابتٌ بلا ارْتِيَابِ ... وَعَنْ ثَلاثِينَ مِنَ الأصْحَابِ

١٩٢- وَأنَّهُ لِسَيِّدِ الأكْوَانِ ... وَأكْثَرُ الوُرُودِ فِي الحِيضَانِ

(والحوْضُ): أصله مَجْمَعُ الماء في اللُّغَة، وفي الشرع هو حَوْضٌ للنبي ﷺ موجود الآن. وقولنا: (ثابتٌ بلا ارْتِيَابِ) أي: مَقْطُوعٌ بوُجُودِهِ وثُبُوته عن النبي ﷺ دون ريب أو شك، فقد رُوِيَ عن بضع وثلاثين من الصحابَة، وقيل عن أربعين من الصحابَة، وقيل عن اثنين وخمسين من الصحابَة[١].

وقولنا: (وَعَنْ ثَلاثِينَ مِنَ الأصْحَابِ) تَقَدَّمَ ذَلِكَ قريبًا. وقد بلغَتِ الأحاديث في ثُبوته حَدَّ التواتر، وأغلبها في الصحيحين ومنه: قوله ﷺ: **«انا فَرَطُكُم على الحوض»**[٢]، وقوله: **«إني فَرَطٌ لكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآن»**[٣]. وقوله ﷺ: **«حَوضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ مَاؤُه أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ»**[٤]، وقوله

---

(١) انظر: «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٨٧١)، وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «البدور السافرة» وقال منهم الخلفاء الأربعة وحفاظ الصحابة المكثرون رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١١٩) رقم (٦٥٧٥)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا ﷺ» (٤/ ١٧٩٦) رقم (٢٢٩٧/ ٣٢).

(٣) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢١) رقم (٦٥٩٠)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا ﷺ» (٤/ ١٧٩٥) رقم (٢٢٩٦/ ٣٠).

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢١) رقم (٦٥٧٩)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا ﷺ» (٤/ ١٧٩٣) رقم (٢٢٩٢/ ٢٧).

صلى الله عليه وسلم: «إنَّ قَدْرَ حَوْضِي كما بَيْنَ أَيْلَةَ وصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وإنَّ فيه من الأباريق بِعَدَدِ نُجوم السماء»(١)، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليَرِدَنَّ عَلَيَّ أُناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى إذا عَرَفْتُهم اخْتَلَجُوا دُوني، فأقول أصحابي، فيقول: لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بعدك»(٢)، وعن ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمَامكم حَوْضٌ كما بين جَرْبَاءَ وأَذْرُحَ»(٣)، وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نَبِيّ حوضًا، وإنهم يَتَبَاهَوْنَ أيهم أكثر وَارِدًا، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وَارِدًا»(٤)، وكثيرَة هي الأحاديث المثبتَة لوجوده، ولأوصافه، ولمكانه، ولزمانه أيضًا.

وقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال أُغْفِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إغفاءَةً، فرفع رأسه مُبْتَسِمًا إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضَحِكْتَ؟ قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه نزلت عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] حتى ختمها، ثم قال لهم: «هل تَدْرُون

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١١٩) رقم (٦٥٨٠)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم» (٤/ ١٨٠٠) رقم (٢٣٠٣/ ٣٩).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢٠) رقم (٦٥٨٢)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم» (٤/ ١٨٠٠) رقم (٢٣٠٤/ ٤٠).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١١٩) رقم (٦٥٧٧)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم» (٤/ ١٧٩٧) رقم (٢٢٩٩/ ٣٤).

(٤) أخرجه من حديث سمرة الترمذي أبواب «صفة القيامة» باب «ما جاء في صفة الحوض» (٤/ ٦٢٨) رقم (٢٤٤٣)، وقال: حديث غريب، وصحح كونه مرسلًا. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٢٠): الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، والله أعلم.

ما الكَوْثَرُ؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «**نَهرٌ وَعَدَنِيه عليه خَيْرٌ كثير، وهو حوض تَرِدُ عليه أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، آنِيتُه عَدَد الكواكب، يَخْتَلِجُ العَبْد منهم، فأقول: يا ربِّ، إنه مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ لي: إنّكَ لا تدري ما أحدثوا بعدك!**»[١]. والحوض في العَرَصَاتِ وقيل: إن المنبر على الحوض لقوله ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**»[٢] وقيل الميزان، وأيهما يكون أقدم؟ قيل: الميزان، وقيل: الحوض، وهو الأنسب والأصح، وقال القرطبي: «والمعنى يقتضيه، فيُقَدَّمُ الحَوْضُ على الصراط والميزان»[٣]، وقد قيل الصراط؛ لأنه يمنع منهم أقوام قد ارْتَدُّوا على أعقابهم، ومثل هَؤُلَاءِ لا يُجاوِزُونَ الصِّراطَ.

(وَأَنَّهُ لِسَيِّدِ الأَكْوَانِ وَأَكْثَرُ الوُرُودِ فِي الحِيضَانِ) نعم الرَّسُول محمد ﷺ هو سيد ما في هذا الكون والحوض المورود لنبينا محمد ﷺ وهو أكثر الأحواض وُرُودًا وهو حوض عظيم، ومورد كريم شرابه من الجَنَّة من نَهَرِ الكَوْثَرِ، وهو أطيبُ رِيحًا من المِسْك، وقد ورد لكل نَبِيٍّ حوض[٤]، وحوض نبينا ﷺ أعظمها اتساعًا.

---

(١) أخرجه من حديث أنس، البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢٠) رقم (٦٥٨٢)، ومسلم كتاب «الصلاة» باب «بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ» (١/ ٣٠٠) رقم (٤٠٠/ ٥٣)، وأحمد - واللفظ له - مسند المكثرين من الصحابة (١٩/ ٥٤) رقم (١١٩٩٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢١) رقم (٦٥٨٨). ومسلم كتاب «الحج» باب «ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة» (٢/ ١٠١١) رقم (١٣٩١/ ٥٠٢).

(٣) «التنبيهات السنية» (ص: ٢٤٧).

(٤) أخرجه من حديث سمرة الترمذي أبواب «صفة القيامة» باب «ما جاء في صفة الحوض» (٤/ ٦٢٨) رقم (٢٤٤٣)، وقال: حديث غريب، وصحح كونه مرسلًا. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٢٠): الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، والله أعلم.

١٩٣- وَطُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضٌ شَهْرُ   كِيزَانُهُ لَا يَحْتَوِيهَا الحَصْرُ

وطوله مَسِيرَةَ شهر، وعَرْضُه مَسِيرُ شَهْرٍ على الراحلَة، وآنيته عَدَد نجوم السماء، كما نصت عليه الأحاديث المتقدم ذكرها. وربما لا يحتويها حصر.

❁❁❁

١٩٤- وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ أَحْلَى مِنْ شُهَدْ   مَنْ ذَاقَهُ مَرَّةً لَمْ يَظْمَأِ الأَبَدْ

(وَمَاؤُه أَبْيَضُ أَحْلَى مِنْ شُـهَدْ) وماؤه أبيض في اللون من الثَّلجِ، وأَحْلَى في الطَّعْم من عسل الشَّمْع قبل أن تُعْصَر. (مَنْ ذاقَهُ مَرَّةً لَمْ يَظْمَأْ الأَبَدْ) أي: بعد شربه من حوض رَسُول الله ﷺ لم يظمأ بعد ذلك. (الأَبَدُ) أي: إلى ما لا نهايَة، فاللهم اسْقِنَا منه يا ربَّ العالمين ويا أكرم الأكرمين.

❁❁❁

١٩٥- هَذَا، وَمَنْ لِحَوْضِهِ قَدْ أَنْكَرَا فَقَوْلُهُ مَحْضُ ضَلَالٍ وَافْتِرَا

هـذا وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ على وجوده وعلى أوصافه، وقد مال القرطبي إلى أنـه قبل الصراط والميزان وهو المناسب لذَلِكَ؛ إذ يخرج الناسُ من قُبورهم في غايَة من العطش، فيجدونـه في غايَة الاقتضاء والمناسبَة. وقد أنكَرتْ ذَلِكَ المعتزلَةُ وتأولوا آياته إلى تأويلات فاسدة مخالفةً لما دلت عليه النصوص، والجدير بمن يُنْكِرُ حَوْضَ النبي ﷺ أن يُحْرَمَ من ذَلِكَ المورد الكريم والحوض العظيم وهو أحوج ما يكون إليه في ذَلِكَ الوقت؛ لأَنَّ قَوْلَه في حالَة الإنكار ضلال عن الطريق ولا يستند إلى دليل. بل مَحْض كذب وافتراء على الله، ثم على النبي ﷺ.

والخُلاصَة: أن لرسولنا حوضًا عظيمًا، وموردًا كريمًا، أوصافُه ذُكِرَتْ في الأحاديث أن طولَه شهرٌ، وعرضَه شهرٌ، وماءَهُ أَشَدُّ بياضًا من اللبن، وأَحْلَى من العسل، وأَطْيَب رِيحًا من المِسك، وَأَنَّهُ موجود الآن، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**وَمنبرِي عَلَى حَوْضِي**»(١).

وأن مكانـه قبل العبور إلى الصراط وقبل الميزان، وَأَنَّهُ أكثر الأحواض ورودًا، وَأَنَّ مـاءه من ميزاب من الكوثر، وَأَنَّ آنيته عدد نجوم السماء، وَأَنَّهُ قد ثبت بالآيَة الكريمَة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١ - ٢]، ولثبوته عن بضعَة وخمسين صحابيًا، وقيل عن أربعين، وقيل عن خمسين صحابيًا، وَأَنَّ رُواتـه رواةُ الصحيحين في الغالب. وقد بَلَغَتْ أحاديثُه حَدَّ التواتُر، وَأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يؤمنون بذَلِكَ ويصدقون به تصديقًا لا يرقى إليه شك. وقد استقصاها ابْن كثير في البدايَة والنهايَة، كما ذَكَرَ بعضًا منها شارح الطحاويَة، وَكَذَلِكَ صاحب البدور السافرَة الجلال السيوطي، وصاحب معارج القبول الحافظ الحكمي رحمهم الله جميعًا، وجَمَعَنَا بهم في الفردوس الأعلى.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري البخاري كتاب «الرقاق» باب «في الحوض» (٨/ ١٢١) رقم (٦٥٨٨). ومسلم كتاب «الحج» باب «ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة» (٢/ ١٠١١) رقم (١٣٩١/ ٥٠٢).

١٦- (إثبات الصراط عند أهل السنة والجماعة)

١- تعريف الصراط:

هو الطريق المستقيم الواسع والمراد به هنا الجِسْرُ يضعه الجبَّار على ظهر جَهَنَّم، وقِيلَ في تعريفه الصراط مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ على حَافَتَيْهِ ملائكة معهم خَطَاطِيف وكَلالِيب وحَسَكَة مُفَلطَحَة لها شَوْك تكون بنَجْد يُقَالُ لها السَّعْدَان.

وإلى مفردات الأبيات على ذلك:

١٩٦- قَدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لِلعُبُورِ وَهْوَ عَلَى الأَعْمَالِ فِي المُرُورِ

(قد) للتحقيق، و(نصب) ارتفع موضع الصراط على متن جَهَنَّم أو ظهرها للعبور وهو المرور عليه. كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، ومرور الخلائق على حسب الأقدار من الأعمال، وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم»**[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود الترمذي أبواب «تفسير القرآن» باب «ومن سورة مريم» (٥/ ٣١٧) رقم (٣١٥٩)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٣١١).

١٩٧- (مَكَانُهُ فَوْقَ لَهِيبِ النَّارِ)   جِسْرًا جَوَازُهُ عَلَى الأَقْدَارِ

مَكَانُ الجَسْرِ على مَتْن جَهَنَّم أو على ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من حديثه الطويل في ذلك مرفوعا وفيه: «... **ثم يؤتى بالجِسر فيجعل بين ظهري جَهَنَّم**» قلنا يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكاجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر أخرهم حتى يسحب سحبًا**»(١).

(جَسْرًا جَوَازُهُ عَلَى الأَقْدَارِ) الجِسْرُ هنا المراد به الصراط والذين يتجاوزونه على قدْر أعمالهم صلاحًا وإخلاصًا وثقلًا وخفَّةً، ويمنحون السلامَة والمرور والقسمَة للأنوار على أقدار أعمالهم ومنازلهم في الجودَة والإخلاص.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]» (٩/ ١٢٩) رقم (٧٤٣٩)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة طريق الرؤية» (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣/ ٣٠٢).

١٩٨- فَمِنْهُمْ كَالبَرْقِ أَوْ لَمْحِ البَصَرِ ومنهم مثل الجواد إن عبر
١٩٩- وَمِنْهُمْ كَالرِّيحِ أَوْ كَالفَرَسِ وَمِثْلِ مَنْ يَعْدُو بِضِيقِ النَّفَسِ
٢٠٠- وَمِنْهُمْ كَرَاكِبٍ لِلإِبِلِ أَوْ مِثْلِ مَنْ يَمْشِي وَزَحْفِ الوَجِلِ

هـذا، وصف لحال الناس الذين يَمُرُّون عـلى الصراط على قدر أعمالهم، فمنهم من يمـر على الصراط كالبرق في سرعته، وكالبصر في لُمَحته، وكالجواد في ركضته، وكالريح في زختـه، وكالفـرس في عدوته، وكالعاجز مـن الناس في مشيته، وكالراكب على ناقته، وكالزاحـف عـلى إليَتِهِ، فإن كانَـتْ أعماله أعمال الأتقياء والمؤمنين كانـوا أكثر نورًا وأكثر سرعَـة، ومن كانوا عكـس ذَلِكَ كالمنافقـين والكافرين والظالمين، فـإن تلك الخطاطيفَ والكلاليب تتخطفهم إلى النيران نسأل الله السلامَة من ذلك.

❁❁❁

٢٠١- ثم كَلاَلِيبٌ عَلَيْهِ تَخْطِفُ مَنْ كَانَ لِلنَّارِ عَلَيْهِ وُقِفُوا

نعم الكلاليب يخطفون بها هذا النوع من الناس وهم الكفار والمنافقون ولا يجدون نـورًا ولا سـلامَة؛ لأنهـم لم يَثْبُتوا على الصراط المستقيم في الدُّنْيَـا، فيتزلزلون عليه هناك ويقدر ثبات الناس على الشرع في الدُّنْيَا وسـلامتهم من الشـبهات والشـهوات في الدُّنْيَا تكون نجاتهم وثباتهم على الصراط في الآخرَة.

❁❁❁

٢- أوصاف الصراط:

٢٠٢- أَحَدُّ مِنْ سَيْفٍ أَدَقُّ مِنْ شَعَر كَمَا أَتَى هَذَا كَثِيرًا فِي الأَثَر

هذا وصف للصراط وَأَنَّهُ بهذه المثابَة من الرِّقَّة والدِّقَّة، وَلَكِنَّ لا يقاس على ما نعرفه في الدُّنْيَا، ونَكِلُ أمْرَه إلى الله، ويُهِمُّنا الإيمان به والتصديق بوجوده تصديقًا لا يرقى إليه ريب أو شك. قال أبو سعيد: بلغني أن الجَسْر أَدَقُّ من الشعرَةِ وأَحَدُّ من السيف[١]. والناس كل الناس بعد تبديل الأرض غير الأرض والسموات يكونون على الصراط كما في الحديث عن عائشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سألتُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين يكون الناس يوم تُبَدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: «**على الصراط**»[٢]. وله أيضًا عن ثَوْبَانَ أن حَبْرًا من اليهود سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين يكون الناس يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: «**هم في الظُّلمَة دُون الجَسْرِ**» قال: فمن أولى الناس إجازَة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**»[٣] وقال ابن رجب: يمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمَة دون الجسر وحكمها حكم الجسر، وفيها تُقْسَم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يَقَعُ تبديلُ الأرض والسموات وطَيُّ السماء من حين وقوع الناس في الظلمَة ويمتد ذَلِكَ إلى حين المرور على الصراط والله أعلم[٤].

❁❁❁

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد مسلم كتاب «الإيمان» باب «معرفة طريق الرؤية» (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «في البعث والنشور» (٤/ ٢١٥٠) رقم (٢٧٩١/ ٢٩).

(٣) أخرجه من حديث ثوبان مسلم كتاب «الحيض» باب «بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما» (١/ ٢٥٢) رقم (٣١٥/ ٣٤).

(٤) «التخويف من النار» لابن رجب (ص: ١٣٦).

٢٠٣- وَمَنْ نَجَا مِنَ الصِّرَاطِ يَسْلُكُ ... وَمَــنْ هَــوَى عَلَـيْـهِ ذَاكَ يُهْلَكُ

ومن سَـلِمَ من الكلاليب والخطاطيف، فإنه يَسْـلُك مسـلك النجاة بأن يذهب إلى القنطـرَة بعد الصراط مما يـلي الجَنَّة، وَيَكُون مروره هذا من علامَـة النجاة ومن هوى أي أخذته الكلاليب، فهو مَخْدُوش مَنْكُوس في النار وهو من الهالكين.

❁❁❁

٢٠٤- قَدْ خَالَفَ الجُمْهُورَ مَنْ قَدْ أَوَّلَهْ كَقولة القَاضِي من المُعْتَزِلَةْ
٢٠٥- وقَوْلُهُ قَدْ خَالَفَ الصَّرِيحَا وَجَانَبَ التَّصْوِيبَ وَالتَّصْحِيحَا
٢٠٦- وَمَنْ تَجاوَزَ الصِّرَاطَ سَلِمَا وَبَعْدَهُ قَنْطَرَةٌ لحينما

نعم، فأَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ يُؤْمِنُونَ بالصراط ويصدِّقون بما جاء فيه من الآثار الصحيحَة الدَّالَّة على أوصافه، ومكانه وزمانه، وَقَدْ خالَفَ الجمهورَ في هذا القاضي المعتزلي (عَبْدُ الجَبَّارِ) وكثير من أتباعه وتأولوه بتأويل فاسد يُخرِج النصوصَ عن ظاهرها إلى غير المراد؛ إِذْ قالوا: إنه عبارَة عن طريق الجَنَّة المشار إليه بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] وبرؤيَة النار؛ لأنه الدخول والمرور على ظهرها، وذَلِكَ لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولَوْ بإصرار على صغيرَة، وَكَذَلِكَ يُنْكِرون الصراط، ويقولون هو عبارَة عن طريق النار المشار إليه بقَوْله تَعَالَى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وهذا منهم رَدٌّ للنصوص وتعطيلٌ لمعانيها وقول المعتزلَة هذا قولٌ يُخالِف الصريح من النصوص والصواب من التفسير. وَكَذَلِكَ جانبوا الصحيح مِن فَهْم النصوص وشرحها المراد: (وَمَنْ يُجَاوِزُ الصِّرَاطَ سَلِمَا) أي: مَنِ استقام على شرع الله في الحياة الدُّنْيَا، وسَلِمَ من الانحراف إلى الشبهات والشَّهوات يُنَجِّيه الله، فيجتاز الصراط بسرعَة وسلامَة تتناسب مع استقامته في الدُّنْيَا، ويَصِل بعد ذَلِكَ سالمًا غانمًا بحمد الله وفضله. وبعده قنطرَة لحينما.

❁❁❁

٢٠٧- يُقْتَصُّ فِيهَا مِنْ ذَوِي الإِيمَانِ بَعْضٌ لِبَعْضٍ، ثُمَّ لِلجِنَانِ

وبعد المرور على الصراط سالـمًا وفي سرعَة مناسبَة ونور مناسب لعَمَلِهِ يَصِل إلى القنطرَةِ، ومكانها بعد الصراط مباشرَة حتى إن بَعْض العُلَماء يرى أنها جُزْءٌ منه، والآخرون يَرَوْنَ أنه صراطٌ ثانٍ، وفيه تتم تَنْقِيَةُ الناجِينَ من الصراط، وهم في القنطرَة، من الشوائب التي كانَتْ بينهم، فَيَتَهَذَّبونَ ويُنَقَّوْنَ ويَتَصَافُونَ، ويذهب الغِلُّ من قلب كل أحد، وَكَذَلِكَ كلما يحسُّونه بينهم من بغضاء وغيرها حتى يُصبِحُوا إخوانًا على قلب رجل واحد، وفي مَرَاسيل الحسن، قال: بلغني أن رَسُول الله ﷺ قال يُحْبَس أهل الجَنَّة بعدما يَجُوزُونَ الصراطَ حتى يُؤخَذ لبعضهم من بَعْض ظُلُماتِهِمْ في الدُّنْيَا، ويدخلون الجَنَّة وليس في قلوب بعضهم على بَعْض غِلٌّ[(١)]. وأصْلُ القنطرَةِ ما بُنِيَ على الماء، وقال في المصباح: القنطرَة: ما بُنِيَ على الماء للعُبور عليه أو ما ارتفع من البُنيان[(٢)] فيصطفون في هذه القنطرَة جميع الناجِينَ ليقتَصَّ بعضُهم من بعض.

❀❀❀

(١) أخرجه عن الحسن مرسلًا ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٤٧٨)، وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٩٩): مرسل بسند صحيح.

(٢) انظر: «المصباح المنير» مادة (قنطرة).

٢٠٨- حتَّى إذا نُقُّوا مِنَ المَظالم وَكُلُّهُمْ غَدَوْا بِقَلبٍ سَالم
٢٠٩- قِيلَ ادْخُلوا الجنَّةَ فِيها وَاسْلَمُوا وَمَا تَشَاءُونَ فَطِيبُوا وانْعَمُوا

حتى إذا حَصَلُوا جميعًا على النَّقَاوَة والتَّصَافِي فيما بينهم ورُدَّتْ جميع المظالم مهما كانَتْ صغيرَة أو حقيرَة إلى أهلها، وبَرِئَتْ قلوبُهم وصدورهم من الحقد والغِلّ، وأصبحوا جميعًا على قلب رجل واحد سالمين من كل ما يُوغِرُ صَدْرَ الآخر، وإذا أصبحوا كذَلِكَ قِيلَ لهم بعد الإذن والشفاعَة كما سيأتي: ادخلوا الجَنَّة بسَلام وكل شيء تريدونه تنالونه من الله، ثم تَطِيبُ أنفسُكم بما وَصَلتُم إليه من النعيم المقيم والمُتَع الباقيَة. نسأل الله ذَلِكَ، وَأَنْ يجعلنا ممن يَعْبُرون الصراط على أحسن ما يكون العبور، وَأَنَّ ننال أحسن ما يكون من السلامَة والسرعَة إلى الجَنَّة ونعيمها، إنه ولي ذَلِكَ والقادر عليه.

❁❁❁

١٧- (وصف لبعض ما في الجنة من نعيم)

٢١٠- دَارٌ تَـرَاهَـا بِـيَـدِ الـرَّحْـمَـنِ   قَـدْ غُـرِسَـتْ جَـلَّـتْ عَـنِ الـبَـيَـانِ

هـذه الأبيـات التي مضمون ما فيها وَصْفٌ لبعض ما في الجَنَّة من نعيم. وأُولَى هذه الأوصـاف أنهـا: (دارٌ تراها بيدِ الرَّحمنِ قدْ غُرسَتْ) أي: أن دار جَنَّة عَدْن قد غَرَسَـها بيده سُبْحَانَهُ وهذا من التكريم أَسْنَاهُ، ومن التعظيم أَعْلاهُ، فدار تُغْرَس بيد الرحمن لا يُقَدَّر مكانهـا، ولا تعـرف مَنزلتها إلا إذا عَرَفْتَ وقَدَّرْتَ مكانَةَ بانيها وخالقها وغارسـها وهو الله الذي هو على كل شيء قدير.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خَلَقَ آدمَ، وغَرَسَ جَنَّـة عدن، وكتب التـوراة بيده»[1]، فهذه الأمـور الثلاثة لِعِظَمِ مكانتهـا عِنْدَ الله منحها تِلكَ الخصوصيَّة التي لم تكن لغيرها.

وقولنـا: (تَراهـا) جملَـة معترِضَة تنقـل وتؤكد المعنى المراد إلى سطح الـمُشـاهَدَة (بيد الرحمن) وكلتاهما يَمِينٌ، والرحمن اسـم من أسماء الله تَعَالَى دالٌّ على اسمه الرحمن، وعلى صفته الرحمَة بالمطابقَةِ، وعلى الحياة والقدرَة بالاقتضاء واللزوم. (قَدْ غُرسَت) بيده اللائقَةِ به سُبْحَانَهُ، وهذا لها تكريم وأي تكريم. (جلَّتْ عَنِ البَيانِ) يعني عَزَّتْ عن البيان والإعـراب عن مكانتها التي خَصَّها الله بها، فكل تعبير أو تصوير عنها يكون ناقصًا جدًّا للحديـث القـدسي قـال الله تَعَالَى: «**أعـددت لعبـادي الصالحـين فيها ما لا عـينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشـر**»[2]. واقرءوا إن شـئتم: قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» من حديث أنس بن مالك (٧٣٥) ورواه الدارقطني في كتاب «الصفات» (٢٨)، والبيهقي مرسلًا في «الأسماء والصفات» (ص: ٣١٨).

(٢) متفـق عليـه من حديـث أبي هريرة، أخرجه البخـاري كتاب «بدء الخلق» باب «ما جـاء في صفة الجنة =

٢١١- وهـي مَـقَـرٌّ لـلـذيـن آمنوا   والـمُـتَّـقِـيـنَ والـذيـن أَحْـسَـنـوا

أي: أن جنات عدن مَقَرٌّ للذين آمنوا بالله واليوم الآخر وبالملائكة والكتاب وبالرسل وبالقدر خيره وشره، واعتقدوا ذَلِكَ، وقاموا به عِلمًا وعَمَلًا صالحًا، فالجَنَّة مَقرُّهم الذي يستقرون فيه بدون خروج منها أَبَدَ الآبِدِينَ. قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١]، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥] وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وَفِي الحَدِيث الذي رَوَاهُ البيهقي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«لما خلق الله جَنَّة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تَكلَّمي، فقَالت: قد أفلح المؤمنون»**[(١)]. قال: **«خلق الله الجَنَّةَ لَبِنَةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّةٍ، ومِلَاطُها المسك الأَذْفر. وقال لها تَكَلَّمي، فقَالت: قد أفلح المؤمنون، فقَالت الملائكة: طُوبَى لك منزل الملوك»**[(٢)].

= وأنها مخلوقة» (٤/ ١١٨) رقم (٣٢٤٤)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» (٤/ ٢١٧٤) رقم (٢٨٢٤/ ٢).

(١) أخرجه من حديث أنس البيهقي في «الأسماء والصفات» باب «مَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ صِفَتَيْنِ لَا مِنْ حَيْثُ الجَارِحَةِ لِوُرُودِ الخَبَرِ الصَّادِقِ بِهِ». (٢/ ١٢٤) رقم (٦٩١). وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم: (١٢٨٣).

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٩٩) رقم (٣٧٠١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٦٦٢).

٢١٢- قَدْ مُلِئَتْ بِرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ وَجُودِهِ الفَيَّاضِ وَالرِّضْوَانِ

قد مُلئت برحمَة الرحمن، فلم يدخلها داخل إلا برحمته لقوله ﷺ: «سَدِّدوا وقارِبُوا وأَبْشِروا، فإنه لا يدخل أحدٌ الجنَّة بعَمَلِه». قالوا: ولا أنت يا رَسُول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يَتَغَمَّدَنِي الله بمغفرة ورحمة»[(١)]، وَفِي روايَة عن أبي هريرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لن يُنْجِيَ أحدًا منكم عَمَلُهُ». قالوا: ولا أنت يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة. سَدِّدُوا وقارِبُوا واغْدُوا ورُوحُوا، وشيء من الدُّلجَة والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[(٢)].

أما عمله، فلا يُوَافِي ما عليه من النِّعَم، بل لا يوافي نعمَةً واحدَة من نِعَم الله الـمُصْبَغَة عليه منذ ولادته حتى مماته، فالإسلام وإرسال الرسل، والإيمان من كُبْرَيَاتِ النعم، والهواء والغذاء والصحَة والأمان والاستقرار هذه نعم لا يُقَدِّر قَدْرَها إلا الله، فكل واحدَة منها لا تكافئ بما عمله من خير طِيلَةَ حياتِهِ. دَعْ عنك بقيَة النعم كالسمع، والبصر، واليدين، والرجلين، وبقيَّة الأعضاء وما تتمتع به من نعم من حَوَالَيْكَ؛ كالشمس والقمر وغيرهما، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أما وجوده، فأي بيان ينصفه؟ وأي عقول تحده وتعرفه. وكل ما في هذا الكون من أوله إلى آخره من أعلاه إلى أسفله اعترافٌ ناطِقٌ بكَرَمِهِ الفيَّاض، وجُودِهِ العامّ الذي هو أَصْلُ الجُود في كل عطاء وسَخاء، ومما مَنَّ به على عباده المؤمنين والمتَّقِين والمحسنين من الرضوان الذي يحله على عباده. عن أبي سعيد الخدري

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «القصد والمداومة على العمل» (٨/ ٩٨) رقم (٦٤٦٧)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «لن يدخل احد الجنة بعمله بل برحمة الله تَعَالَىٰ» (٤/ ٢١٧١) رقم (٢٨١٨/ ٧٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «القصد والمداومة على العمل» (٨/ ٩٨) رقم (٦٤٦٣)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تَعَالَىٰ» (٤/ ٢١٦٩) رقم (٢٨١٦/ ٧١).

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يَقُول لأهل الجَنَّة: يا أهل الجَنَّة فيقُولون لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ والخير في يديك، فيَقُول هل رَضِيتُم؟ فَيَقُولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وَقَدْ أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك، فيَقُول: الا أعطيكم أفضل من ذَلِكَ، فيقُولون: يا ربِّ، وأي شيء أفضلُ من ذَلِكَ؟ فيَقُول: أُحِلُّ عليكم رِضْوَاني، فلا أَسْخَطُ عليكم بعده أبدًا»[1]. ومعنى أُحِلُّ عليكم رضواني قال: القاضي في المشارق: أُنْزِلُهُ بِكُمْ.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد، أخرجه البخاري كتاب «التوحيد» باب «كلام الرب مع أهل الجنة» (٩/ ١٥١) رقم (٧٥١٨)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «إحلال الرضوان على أهل الجنة» (٤/ ٢١٧٦) رقم (٢٨٢٩/ ٩).

٢١٣- نَعِيمُهَا يُوصَفُ بِالعَظِيمِ وَمُلْكُهَا بِالوُسْعِ وَالتَّفْخِيمِ

نعيم الجَنَّة يوصف بأنه عظيم قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٨] ومعنى شُغُل، فاكهون نعيم عظيم يُلهِيهم عَمَّنْ سِواهم. وقَوْله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] والمعنى عطاءً غير مقطوع على الدوام، وَهَذَا نَعِيم عظيم ومُلكٌ مُقِيم لأدنى أهل الجَنَّة، وليس فيهم أدنى وأدناهم له مُلكُ مَلِكٍ وعَشَرَةِ أَمْثَالِهِ. وقال ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «شُغِلُوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار، عن أهاليهم من أهل النار، لا يَذْكُرُونَهم لئلا يَتَنَغَّصُوا»[(١)]. وإنَّ «موضع سوط في الجَنَّة خير من الدُّنْيا وما فيها»[(٢)]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكُم في الجَنَّة خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو تغرب»[(٣)]. ويكفي أن ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وفي رواية: «خير من الدنيا وما فيها، ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما»[(٤)].

❁❁❁

---

(١) «صفوة التفاسير» (٣/ ١٦).

(٢) أخرجه من حديث سهل بن سعد البخاري كتاب «بدء الخلق» باب «ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» (٤/ ١١٩) رقم (٣٢٥٠).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «بدء الخلق» باب «ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» (٤/ ١١٩) رقم (٣٢٥٢).

(٤) أخرجه من حديث أنس البخاري كتاب «الرقاق» باب «صفة الجنة والنار» (٨/ ١١٧) رقم (٦٥٦٨).

٢١٤- والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ في الجِنَانِ   أَوْدَعَــــهُ اللهُ لِـــذِي الإِيمَـــانِ

نعم: الخير كل الخير في نعيم الجَنَّة لأهل الإِيمان بالله ورسله، فلهم ما يطلبون بل لهم ما يَخْطِرُ ببالهم يأتيهم، فورا، فأهل الجَنَّة قد هُذِّبُوا، وَقَدْ نُقُّوا، وَقَدْ أصبحوا مِنَ الطَّيَابَة في المكانَة العاليَة والرتبَة الساميَة، فليس منهم ولا فيهم إلا صافي ونقيّ، وطيب، فلا يسمع بينهم لا كذبًا ولا لَغْوًا قلوبهم على أَنْقَى وأَتْقَى قلب رجل واحد وهي حال من السمُوِّ في الأخلاق والآداب رفيعَة. قال تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ: ٣٥]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]، وقوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢]، وقَوْلِه تَعَالَى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وَهَذَا كما تَقَدَّمَ مِن أعظم النعيم أن لا تسمع أينما اتَّجَهْتَ إلا حسنا من القول، وَفاضلا من الخلق، وطيبًا من الكلام.

أما بقيَة الخير، ففي شتى المجالات التي لا يجمعها إلا قوله في الحَدِيث القدسي: **«أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشر»**، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][1].

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «بدء الخلق» باب «ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» (٤/ ١١٨) رقم (٣٢٤٤)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» (٤/ ٢١٧٤) رقم (٢٨٢٤/ ٢).

٢١٥- نَعِيمُهُمْ لَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ بِمِثْلِهِ قَدْ أَخْبَرَ القُرْآنُ

نِعَمٌ: ما تفضل به سُبْحَانَهُ من نعم في الدنيا فوق ما تسمعه الآذان ولا تُحِيط به الأبصارُ ولا الأذهان لا سيما نعيم الآخرَة، فإذا لم يُحِطْ بنعيم الدنيا، فمن باب أولى نعيم الآخرَة، وفي الحديث «سأل موسى ربه، ما أدنى أهل الجنَّة منزلَة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما يَدخُلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فيُقَالُ له: ادْخُلِ الجنَّةَ، فيَقُولُ: أيْ ربِّ، كيف وَقَدْ نزل الناسُ مَنَازِلَهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيُقَالُ له: أتَرْضَى أن يكون لك مِثْل مُلكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، فيقُول: رَضِيتُ ربي، فيقُول: لكَ ذَلِكَ ومِثْله ومِثْله، ومِثْله ومِثْله فقَال في الخامسَة: رضيت رب، فيَقُول: هذا لك وعشرَةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نَفْسُك ولَذَّتْ عينك، فيَقُول رَضِيتُ رب. قال: رب، فأعلاهم منزلَةً؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ ولم تسمع أُذُنٌ ولم تَخْطِرْ على قلب بشر. قال: ومِصْدَاقُهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»(١).

❀❀❀

(١) أخرجه من حديث المغيرة بن شعبة مسلم كتاب «الإيمان» باب «أدنى أهل الجنة منزلة فيها» (١/ ١٧٦) رقم (١٨٩/ ٣١٢).

٢١٦- ثِمَارُهَا دَانِيَةٌ شَهِيَّةٌ وَأَرْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ نَقِيَّةٌ

قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية إذا هَمَّ المؤمن أن يتناول من ثمارها تَدَلَّتْ إليه حتى يتناول منها ما يريد. وقيل: أُدْنِيَتْ أي قربت منهم ثمارها وسهل عَلَيْهِمْ تناولها. والثمار جمع ثَمَرَةٍ، وَقَدْ قال في القرآن: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ﴾ [محمد: ١٥]، ما يعلموه وما لم يعلموه. وهذه الثمار المتنوعَة تعنى أنها من أشجار كثيرَة متنوعَة، فيا له من منظر، ويا له من ثمر.

لا ينقطع شجره، ولا يمنع ثمره وهي خاصَّة بالمؤمنين قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذه الثمار متشابهَة في الشكل ومختلفَة في الطعم، فهي تُشْبِه ثِمَارَ الدُّنْيَا في الاسم والمسمى، وتختلف في الحقيقَة والطعم، وهَذِهِ من آيات الله الباهرات الدالَّة على عظمته سُبْحَانَهُ وقدرته، فهذه الثمار يظنون أنهم قد رُزِقُوهَا مِنْ قَبْلُ وهي إنما تحمل لهم كل مَرَّةٍ مُفَاجَأَةً بطعم آخر، وتَفَكُّهٍ جديد. وهم يقولون: رُزِقْنَا مِنْ قَبْلَ، وما هو إلا تَشَابُهٍ في الشكل والظاهر، وتَنَوُّعٍ في المَزِيَّة والخاصيَّة. ويقول تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥١ - ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢ - ٧٣].

وهكذا يتنعم أهل الجَنَّة بألوان من الثمار التي لا تكون إلا من ألوان من الأشجار المختلفَة، والتي تكون أَجْمَلَ ما تكون في العيون والاستمتاع بمشاهدتها قَبْلَ التَّلَذُّذِ بفاكهتها وثمارها. نسأل الله أن لا يحرمنا من ذَلِكَ النعيم الفخيم، والعطاء المقيم.

(وَأَرْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ نَقِيَّةٍ) أي: أرض الجَنَّة ليست من التُّراب المعروف، ولا من الطِّين المألوف، ولا من البَلاط ومكوناته، ولا من الحجر ومزخرفاته. إن أرضها وترابها من المِسْك والزعفران، وفوقها القِبَاب والخيام من اللؤلؤ وهي دَرْمَكَة بيضاءُ. لحديث قال: قلت: يا رَسُول الله، مِمَّ خُلِقَ الخَلق؟ قال: «من الماء» قلت: الجَنَّة ما بناؤها؟ قال: **«لَبِنَةٌ من فِضَّة ولَبِنَةٌ من ذهب، ومِلَاطُها**[١] **المِسْك الأَذْفَر، وحَصْبَاؤُها اللُّؤْلُؤ والياقوت، وتُرْبَتُها الزعفران، مَنْ يدخُلُها يَنْعَم، ولا يَبْأَسُ، ويَخْلُد ولا يموت، لا تَبْلَى ثيابهم، ولا يَفْنَى شبابُهم»**[٢]، وعن أبي هريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن حائط الجَنَّة لَبِنَة من ذهب ولبنَة من فِضَّة، ثم شُقَّ فيها الأنهار، وغُرِس فيها الأشجار، فلما نظرت الملائكَة إلى حسنها وزهرتها قالت: طُوبَاكِ مَنَازل الملوك»**[٣].

وحديث أن ابْن صَيَّاد سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تربَة الجَنَّة، فَقَال: **«دَرْمَكَة بيضاء مِسْك خالص»**[٤]، أصل الدرمكَة الدقيق الأبيض. وَقَدْ سأل ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما أرض الجَنَّة؟ فَقَال: **«مَرْمَرَة بيضاء من فِضَّة كأنها مرآة»**[٥]، وأخرج ابْن أبي الدُّنْيَا عن

(١) **الملاط**: المراد به الطين الذي يكون بين اللبن في البناء: كالخلطة المكونة من الماء والاسمنت والتراب: البطحاء.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب «صفة الجنة» باب «ما جاء في صفة الجنة ونعيمها» (٤/ ٦٧٢) رقم (٢٥٢٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ القَوِيِّ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ، وقال الألباني في تحقيق «مشكاة المصابيح» رقم (٥٦٣٠): صَحِيح لشواهده.

(٣) أخرجه من حديث أبي سعيد الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٩٩) رقم (٣٧٠١)، والبيهقي في «البعث والنشور» باب «ما جاء في حائط الجنة وترابها وحصبائها» (ص: ١٨١) رقم (٢٦١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٦٦٢).

(٤) أخرجه من حديث أبي سعيد مسلم كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب «ذكر ابن صياد» (٤/ ٢٢٤٣) رقم (٢٩٢٨/ ٩٣).

(٥) أخرجه موقوفًا على ابن عباس ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» باب «شراب أهل الجنة» (ص: ١٢١) =

....

أبي هريـرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عـن النبـي صلى الله عليه وسلم قال: «أرض الجَنَّـة بيضـاء، عَرْصَتُها صخور الكافـور، وَقَدْ أحاط به المسـك مثل كُثْبَان الرمـل، فيها أنهار مطردَة، فيجتمع فيها أهـل الجَنَّـة، أولُهم وآخرهم فيتعارفون فيها، فيبعث الله رِيـحَ الرحمَةِ، فتهيج عَلَيْهِمُ المِسْـكَ، فيرجع الرجل إلى زوجته، وَقَدْ ازداد حسـنًا، فتقول لقد خرجت من عندي وأنـا بـك معجبَة، وأنا بك الآن أشـد إعجابـا»[1]. وفي رواية: «فيرجعـون الى أهليهم فيقولون لهم: والله لقد ازددتم حسنا وجمالا»[2].

❁ ❁ ❁

= رقـم (١٤٠)، وأبو الشـيخ في «العظمة» (٣/ ١١٠١) رقم (٥٩٩)، وقال المنـاوي في «فيض القدير» (٢/ ٢٢٩): رواه ابن أبي الدنيا بإسـناد قال السـمهودي حسـن، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» رقم (٢٢٠٠): ضعيف موقوف.

(١) أخرجـه مـن حديث أبي هريرة ابن أبي الدنيا في «صفـة الجنة» (ص: ٥٣) رقم (٢٦)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٩٠٢): ضعيف جدًّا أو موضوع.

(٢) أخرجـه مـن حديـث أنس مسـلم كتـاب «صفة الجنة وصفـة نعيمهـا وأهلها» باب «في سـوق الجنة» (٤/ ٢١٧٨) رقم (٢٨٣٣/ ١٣).

٢١٧- حَدائِقُ تُجْنَى بِهَا الأَعْنَابُ وَحُـورُهَـا كَـوَاعِـبٌ أَتْـرَابُ

(حدائـق) الحَدَائِقُ جمع حديقَة، وَالـمُرَاد بها بسـاتين النخـل، و(الأعناب) مفردها عِنَبَـة وهـي إحدى الثمار المفضلَة والمحببَة، وثمر العنـب في الدُّنْيَا من أرقى أنواع الفواكه طيبَـةً وغـذاءً، أمـا في الجَنَّـة فيكفـي ذكرهـا وورودهـا في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والعنب الرطَـبُ، أمـا إذا يبس فهو الزبيب، هذا في الدُّنْيَا أما في الآخرَة، فلا يتفق وما في الدُّنْيَا إلا في الاسم فقط.

(وحورهـا) الحَـوَرُ شِـدَّة بيـاض العـين مع شِـدَّة سـوادها[1] والحوراء من النسـاء البيضاء. وحُور جمع أَحْوَر وحَوْرَاء، والحور قيل: ظهور قليل من البياض في العين من بين السـواد واحوَرَّتْ عَيْنُه، وذَلِكَ نهايَة الحُسْن من العين[2] والمقصود به في البيت أصحاب الجـمال المتناهي في الوجوه والعيون كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]، وقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، فحُورُهـا: أي: حوريـات الجنـان وهـن (كواعـب) أي نَوَاهِدُ: «يُقَالُ كَعَبَتِ المرأَةُ كِعَابَةً، فهي كاعِبٌ إذا نَتَأَ ثَدْيَاهَا»[3]. وَقَدْ بدأت عليها ملامح الأُنُوثَة وخصوبتها (وأَتْرَاب) أي: في سن واحدَة. قال تَعَالَى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣].

وقـد أخـرج الإمام أحمـد والطبراني في الأوسـط وابْن أبي الدُّنْيَا بسـند حسـن عن أبي هريـرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال: قـال رَسُـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«يدخل أهـل الجَنَّة الجنـة جُرْدًا مُـرْدًا كأنهـم مكحلـون أبناء ثـلاث وثلاثين سـنَة، وهم على خلق آدم، طوله سـتون ذراعًا، في عرض سبعَة أذرُعٍ»**[4]، وَفِي روايَة عن أحمد والترمذي وحسَّنَه عن معاذ بن جبل

(١) «المعجم الوسيط» الجزء الأول حرف الحاء (ص: ٢٠٤).

(٢) «مفردات الراغب» مادة: «حور» (ص: ٢٦٢).

(٣) قاله ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة (كعب).

(٤) أخرجـه مـن حديث أبي هريـرة الترمذي أبواب صفة الجنـة باب «مَا جَاءَ فِي صِفَةِ ثِيَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ» (٤/ ٦٧٩) رقـم (٢٥٣٩)، وأحمـد مسـند المكثريـن مـن الصحابـة (١٣/ ٣١٥) رقـم (٧٩٣٣)، =

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«يدخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ: جُرْدًا مُرْدًا مكحلين أبناءَ ثلاث وثلاثين سَنة»**[1]، وأهل الجَنَّة كلهم صغيرهم وكبيرهم يكونون على سن واحد وهو ما ذُكِرَ في الحَدِيث أبناء ثلاث وثلاثين سَنَةً حتى تكتمل اللذَّة وذروَة النعيم في هذا السن المناسب جدًّا. بخلاف لو كان صغيرًا، فإنه لا يُدركه أو كان هَرِمًا كذَلِكَ لا يدركه وأحسن سن لإدراك النعيم والتمتع به هو ذَلِكَ السن الذي يكون فيه من الفتوَّة والقوَّة والحسن والنضارَة ما تجعله مُدرِكًا لذَلِكَ النعيم أكمل إدراك والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: «تكون الآدميات في الجَنَّة على سنّ واحدة. وأما الحور العين، فأصناف ثلاثَة: صغار وكبار، وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجَنَّة.

❁❁❁

= والطبراني في «الصغير» (٢/ ٧٥) رقم (٨٠٨). ولفظ أحمد: **«يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ»**. وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٩): إسناده حسن. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ١٢٢٤): صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حديث حسن بطرقه وشواهده دونَ قوله: «في عرض سبع أذرع»، فقد تفرد بها علي بن زيد وهو ابن جُدْعان -، وهو ضعيف.

(١) أخرجه من حديث معاذ الترمذي أبواب صفة الجنة باب «ما جاء في سن أهل الجنة» (٤/ ٦٨٢) رقم (٢٥٤٥)، وأحمد تتمة «مسند الأنصار» (٣٦/ ٤٢٠) رقم (٢٢١٠٦)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وقال الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٦٩٨): صحيح لغيره. وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

٢١٨- وَمَـا بِـهَـا لَـغْـوٌ، وَلَا تَأْثِيمْ   شُغْلُهُمْ فِيـهَـا هُـوَ التَّنْعِيمُ

(ومـا بها) أي بالجَنَّة (لَغْوٌ) وهو الكلام الفـارغ الذي لا معنى له (وَلَا تَأْثِيمُ) أي، ولا بها كذَلِكَ من الكلام ما يكون به إثم وتجريح ومسـائلَة؛ بل شُغْلُهم الذي قد استولى عَلَيْهِمْ هو التلذُّذ والاستمتاع بأنواع اللذائذ وأجمل الأطايب الذي قد أعدَّ لهم قال تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦] وقـال تَعَالَىٰ عـن بَعْـض نعيمهـم في الجَنَّة وما يشـغلهم عن اللغو والتأثيـم: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٩]، وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨].

أما عن طعامهم: فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تكـون الأرضُ يَـوْمَ القِيَامَةِ خبـزَة واحدَة يتكفؤها الجبَّارُ بيـده كما يكفأ أحدكم خبزته في السـفر نزلًا لأهل الجنَّة»**، فأتى رجـل من اليهود، فَقَال: بارك الرحمن عليك يـا أبا القاسـم، ألا أخبرك بنُـزُلِ أهل الجَنَّة يَـوْمَ القِيَامَةِ قال: «بلى» قـال: تكون الأرض خبزَةً واحدَةً كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنظر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، ثم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُه، ثم قال: ألا أخبركم بإدامهم؟ بلام ونون قالوا: وما هذا؟ قال: ثور، ونون يأكل من زائدَة كبدها سبعون ألفا[1].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَـوْمَ القِيَامَةِ» (٨/ ١٠٨) رقم (٦٥٢٠)، ومسـلم كتاب «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّـةِ وَالنَّارِ» باب «نُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٤/ ٢١٥١) رقم (٢٧٩٢/ ٣٠).

٢١٩- قَدْ حَفَّتِ الظِّلَالُ بِالعُيُونِ ... وَظَهَرَ الخَسَارُ لِلمَغْبُونِ

(قد حفت الظلال بالعيون) كثيرًا ما تذكر الجنات ومن تحتها الأنهار والعيون، وذَلِكَ أن من أجمل المُتَع مُشاهَدَة الخُضرَة الموجودَة في الجنات والأنهار، وهي تجري من تحتها الأنهار المحيطَة بالعيون وبالأنهار، لذَلِكَ تجد القرآن كثيرًا ما يعرض هذه المَشَاهِدَ الرائعَة الماتعه لتنبَّهَ الحِسّ وتوقظ النفس وتهيج الشعور في الإنسان السويّ إلا أن هناك نعيمًا فوق ما يتصوره الإنسان وتعرضه الآيات عرضًا بيانيًّا، وكأنه مُشاهَدٌ لِلعِيَانِ، فإذا صدق به الإنسان، وآمن به، واقتنع به من قلبه، فإن هذه المُشاهَدَة تُرَسِّخُ مَعَالِمَ الإِيمان وتُعَمِّق جذرَ العَقِيدَة في أرضيَة الإنسان وعمق أعماقه وإليك جملَة من الآيات التي تُوقِظ الشعور وتُنبِّه الإحساس وتُحفِّز على العمل قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] وقوله تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٥١]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٧] وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ - ٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

(وظهر الخسار) الخَسَارَة لِمَنْ أَعْرَضَ عن دِينه واتبع الشيطان والهوى، ورَغِبَ عن أعمال الآخرَة، فحصل للمُشَمِّرِين المستقيمين على دين الله هذا النعيم بعد دخول الجَنَّة وغُبِنَ فيه الرافضون لدين الله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٩ - ١٠] (للمغبون) المَغْبُون مَنْ فاتَه الرِّبْح. أو الربح ورأس المال. والمقصود هنا خسارَةٌ فادحَة؛ إِذْ خَسِرَ دِينَه ودنياه وآخرته وثوابها، وما أَحْسَنَ ما قاله ابْنُ قَيِّم الجُوزِيَّة[١]: «وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يَوْمَ القِيَامَةِ وإنما يتبين سفه بايعه يوم الحسرَة والندامَة إذا حُشِرَ المُتَّقون إلى الرحمن وَفْدًا، وسِيقَ المجرمون إلى جَهَنَّم وِردًا، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد ليعلم أهل الموقف من أَوْلَى بالكرم من بين العباد، فلو تَوَهَّمَ المُتَخَلِّف عن هذه الرُّفْقَة ما أَعَدَّ لهم من الإكرام وادَّخَرَ لهم من الفضل والإنعام، وما أَخْفَى لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ لم يَقَعْ على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، ولعَلِمَ أي بضاعَة أضاعَ، وَأَنَّهُ لا خير في حياته وهو معدود من سقط المتاع وعلم أن القوم قد توسطوا ملكًا كبيرًا، لا تَعْتَوِرُه الآفاتُ، ولا يلحقه الزوال وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال إلى آخر ما قال رَحِمَهُ الله[٢] رحمَةَ الأبرار ورحمنا ووالدينا وجميع المسلمين آمين آمين، وَأَنْ لا يجعلنا من المَغْبُونِينَ في ذَلِكَ اليوم المَهِيب.

❁❁❁

(١) في «حادي الأرواح» (ص: ٢٨) مؤسسة الرسالة.

(٢) في «حادي الأرواح» (ص: ٢٨ - ٢٩) مؤسسة الرسالة.

٢٢٠- تُرْبَتُهَا مِسْكٌ وَزَعْفَرَانُ وَفِضَّةٌ وَذَهَبٌ بُنْيَانُ
٢٢١- مِلَاطُهَا مُمَسَّكٌ مُعَطَّرُ وَلُؤْلُؤٌ حَصْبَاؤُهَا وَجَوْهَرُ
٢٢٢- وجَنَّةٌ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ تَجْرِي بِمَاءٍ مَا بِهِ أَكْدَارُ
٢٢٣- طَعَامُهُمْ فَوَاكِهٌ مُخَيَّرَةْ شَرَابُهُمْ كَافُورٌ يَا ذَا فَاذْكُرَهْ
٢٢٤- وَزَنْجَبِيلٌ وَكَذَا التَّسْنَيمُ وَأَبَدًا نَعِيمُهُمْ مُقِيمُ

(تُربتها) أرضيتها تَقَدَّمَ أنها من المسك والزعفران، وأنها ناعمَة كأنها دَرْمَكَة بيضاء قال رَسُول الله ﷺ: «**ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»[(١)]، **وَكَذَلِكَ بناؤها لَبِنَة من ذهب ولبنَة من فِضَّة قد بنيت بهما وملاطها** -أي الطين الذي يتم به البنيان- **مسك طيبه وهو العطر الذي منه يفوح وحصباؤها لؤلؤ أي كحبات اللؤلؤ. والدر والياقوت من يدخلها ينعم، ولا ييأس، ويخلد، ولا يموت لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»[(٢)].

(وجَنَّة) وهي الحديقَة ذات النخيل والأشجار، وإذا أُضِيفَ جَرْيُ الأنهار كانَتْ مُتْعَةً للقلوب والأبصار، فما أَجْمَلَه من مشهد، وما أَرْوَعَه من نعيم؛ بَسَاتِينُ على مد البصر من النخيل ومن تحتها تِلكَ الأنهار، وتلك السواقي، وَقَدْ كونت أمامك مشهدًا جميلًا من

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك عن أبي ذر، أخرجه البخاري كتاب «الصَّلاَةِ» باب «كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ؟» (١/ ٧٨) رقم (٣٤٩)، ومسلم كتاب «الإِيمَانِ» باب «الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ» (١/ ١٤٨) رقم (١٦٣/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب صفة الجنة باب «ما جاء في صفة الجنة ونعيمها» (٤/ ٦٧٢) رقم (٢٥٢٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ القَوِيِّ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ، وقال الألباني في تحقيق «مشكاة المصابيح» رقم (٥٦٣٠): صَحِيح لشواهده. ولفظه: «**لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاَطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلاَ يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلاَ يَمُوتُ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ**».

الخضرة والمياه والنسائم تتخللها وبصفة دائمة أي نعيم هذا؟ إنه نعيم الجنة وكفى. «**فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(١).

وهذا الماء العذب يجري بصفة أنهار أو عيون صافٍ خالٍ مِنَ الكَدَرِ، والأكدار، قد طاب طعمُه ولذَّ شُرْبُه. وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

(**طعامهم**) قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢] وهو مما يشتهونه من ألوان المطعومات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل طعام تمنوه يكون حاضرًا بين أيديهم، فلو تمنوا طائرا كان بين أيديهم مشويا، وحتى أن الرجل إذا نزع ثمرة عادت مكانها أخرى، وان بعض طيور الجنة مثل البُخت يرعى في شجر الجنة. قال أبو بكر رضي الله عنه ان هذه الطير لناعمة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آكلها انعم منها(٢)، وان الرجل ليعطى قوة مئة رجل في الأكل والشرب والشهوة(٣).

ومن جملة تفكههم ثمار دانية الجنى. والقطاف منها على كل حال قائمين وقاعدين

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «بدء الخلق» باب «ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» (٤/ ١١٨) رقم (٣٢٤٤)، ومسلم كتاب «الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» (٤/ ٢١٧٤) رقم (٢٨٢٤/ ٢).

(٢) أخرجه من حديث أنس الترمذي أبواب صِفَةِ الْجَنَّةِ باب «مَا جَاءَ فِي صِفَةِ طَيْرِ الجَنَّةِ» (٤/ ٦٨٠) رقم (٢٥٤٢)، وأحمد مسند المكثرين من الصحابة (٢١/ ٣٠) رقم (١٣٣٠٦). وقال الترمذي: حديث حسن، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٧٢٤): حسن صحيح. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. والسائل في الحديث هو عمر، وأما رواية أبي بكر فرواها أحمد رقم: (١٣٣١١)، من حديث أنس، وقال الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف سيار بن حاتم.

(٣) أخرجه من حديث زيد بن أرقم أحمد مسند الكوفيين (٣٢/ ١٨) رقم (١٩٢٦٩)، وصححه ابن حبان رقم (٧٤٢٤)، والألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٧٣٩)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

وعلى جنوبهم وهي مما يتخيرون. قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢١] ولا يحتاجون الى تغوط أو تمخط. بل طعامهم يخرج جثاءً، ورشحًا كرشح المسك. أما شرابهم فتارة من الخمر الذي لا يصدع الرؤوس ولا يؤلم البطون، وتارة من عيون نابعة ممزوجة بالزنجبيل، وتارة بالمسك، وتارة بالكافور، وتارة من الرحيق المختوم. ونعيمهم متشابه في الصورة، مختلف في الطعم والمتعة، ويقدم كل ذلك في آنية من فضة، وبتقدير جالب للمتعة والتلذذ، ويباشرهم به غلمان لهم كأنهم اللؤلؤ المكنون في البياض واللمعان، وهم يطوفون به عليهم بأكواب وأباريق، وكؤوس من معين تصل إليهم هذه الخدمات وهم في قصورهم، وفي دورهم، وفي مجالسهم، ويشربون من عين يفجرونها تفجيرا، يعني يتصرفون فيها حيث شاءوا واين شاءوا والتفجير هو الإنباع. وقد ورد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اهل الجنة يأكلون ويشربون، ولا يبزقون، ولا يتمخطون، طعامهم جثاء ورشح كرشح المسك**»(١).

(وَزَنْجَبِيل): لون من الشراب يخلط مع الخمر ويضرب به المثل عِنْدَ العرب، قال المسيَّب بن علي يصف، فم امرأة:

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ ... إِذْ ذُقْتُهُ وَسُلَافَةَ الخَمْرِ

وقال آخر:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ ... بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْيًا مُشَارَا

والأَرْيُ العَسَلُ. ومُشَارا المستخرَجُ من بيوت النحل، والتسنيمُ أشْرَفُ شراب أهل الجنَّة.

---

(١) أخرجه من حديث جابر مسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «في صفة الجنة وأهلها» (٤/ ٢١٨١) رقم (٢٨٣٥/ ١٩)، ولفظه: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ. وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ ...**»

٢٢٥- وأهلها مخلدون للأبد كما بهذا في الحديث قد ورد

نعم الجَنَّة مخلوقَة وموجودَة الآن في السماء السابعة وسقفها العرش[(١)]، (وأهلها مخلدون) كما قال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، قال ابن كثير: «إن معنى الاستثناء ها هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرًا واجبًا لذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تَعَالَى، فله المِنَّة عَلَيْهِمْ دائمًا، ولهذا يُلهَمُونَ التسبيحَ والتحميدَ كما يُلهَمُونَ النَّفَسَ»[(٢)]. وقال آخرون هو استثناء استثناه الرب تَعَالَى، ولا يفعله كما تقول: «والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذَلِكَ وأنت لا تراه. بل تجزم بضربه»[(٣)] فيها أبدًا وهي موجودَة في الآيَة، ولا تغني أبدًا والإيمان بها داخِلٌ في الإيمان باليوم الآخر، وأنها دار أَعَدَّها الله لأوليائه قال تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال عن نعيمها: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وأنها موجودَة الآن كما في الآيَة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وهي دائمَة وباقيَة لبقاء الله لها. والذين يدخلون الجَنَّة يَخْلُدُونَ فيها كما ورد أن كل شيء في الجَنَّة دائم لا يَفْنَى ولا يَبْلَى، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُنادِي مُنادٍ إن لكم أن تصحُوا، فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا، فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبوا، فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعَمُوا، فلا تَبْأَسُوا أبدًا»**[(٤)]، وذَلِكَ

---

(١) «شرح السنة» للإمام الحسن البربهاري (ص: ٦٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٠٤).

(٣) «حادي الأرواح» (ص: ٤٢٦).

(٤) أخرجه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معًا مسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ» (٤/ ٢١٨٢) رقم (٢٨٣٧/ ٢٢).

....

قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من يدخل الجنَّة ينعم، لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»(١)، فالفائز من وُفِّقَ إلى الأعمال التي ترفع درجاته في الجَنَّة، والخاسر والمحروم من حرم من ذلك.

❁❁❁

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ» (٤/ ٢١٨١) رقم (٢٨٣٦/ ٢١).

٢٢٦- وَقَالَ قَوْمٌ بِفَنَاءِ النَّارِ وَآخَرُونَ العَكْسَ لِلأَخْبَارِ
٢٢٧- وَصَحَّحَ القَوْلَ الأَخِيرَ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ قَوْلًا لِكَثِيرِ العُلَمَاءِ

هذا، ولم يَتَطَرَّقِ النَّظْم لبعض الأشياء في الجَنَّة والنار مثل هل هما موجودتان الآن، وأين مكانهما، وعَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجماعَة.

أنهما موجودتان الآن وَأَنَّ الجَنَّة في أعلى عِلِّيِّينَ، وأما النار، فهي لا تفنى وهو الحق، وَقَدْ اختلف العُلَماء أيضًا في فَناء النار على ثمانيَة أقوال أصحها أنها لا تفنى[1]، ومن أَدِلَّة وجودها الآن قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، ومن السُّنَّةِ قوله ﷺ: **«إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدَه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجَنَّة فمن أهل الجَنَّة، وإنَّ كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقَالُ: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يَوْمَ القِيَامَةِ»**[2] وهو ما أشرتُ إليه بقولي: (وَصَحَّحِ القَوْلَ الأَخِيرَ مثلما) كما هو مذهب أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ حيث يَعْتَقِدون وُجودَها الآن، وأنها مخلوقَة الآن، وأنها باقيَةٌ لا تَفْنَى وهو الحق وَأَنَّ موضع الجَنَّة في السماء وموضع النار في الأرض. قال رَسُول الله ﷺ: **«فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجَنَّة وأعلى الجَنَّة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجَنَّة»**[3].

وقال ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الوابل الصيب): «ولما كان الناس ثلاث طبقات: طَيِّب، لا يَشُوبه خَبَث. وخَبِيث لا طِيبَةَ فيه، وآخرون فيهم الطيب والخبيث» كانَتْ

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٤٢٧).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِز» باب «المَيِّت يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ» (٢/ ٩٩) رقم (١٣٧٩)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ» (٤/ ٢١٩٩) رقم (٢٨٦٦/ ٦٥).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله» (٤/ ١٦) رقم (٢٧٩٠).

دورهـم ثلاثَة: دار الطيب المحـض، ودار الخبيث الـمَحْض هاتان داران لا تَفْنَيَانِ. ودار لمـن معه خبـث مطيب، وهي الـدار التي تَفْنَـى وهي دار العصـاة مـن المُوَحِّدِين بعد أن يأخذوا جزاءهم من النار يخرجون إلى الجَنَّة، ثـم تفنى هذه الدار.

وأما ما نقل عن شـيخ الإسـلام من أنه يرى فَنَاءَ النار، فالدارس لكتبه المتمعن فيها وَفِي جميع أجوبته ورسـائله، فإنه يخرج بقناعَة تامَّة بأن ما أُسْنِدَ إليه ليس من كلامه. وَأَنَّهُ مـن بـاب إشـاعَة الـمُغْرِضِين ولعل لأعدائه وهـم كثيرون نصيب كبير في نشر وإشـاعَة تِلْـكَ المقالَـة أنه يرى فَنَاءَ النار، وهو بَرِيء من ذَلِكَ في جميع كتبه، وإنما التي تفنى هي نار العصاة من الموحدين بعد مجازاتهم بما يستحقون.

والخلاصَـة: أن القول بفَنَاءِ النار قولٌ باطل وشـاذ، بل النـار موجودَة الآنَ وباقيَة كـما في قَوْلـه تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، وقوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦]، ومن السُّنَّة حَدِيث عائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالـت دُعِـيَ رَسُـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جِنَازَة صبي مـن الأنصار، فقلتُ: يا رَسُـول الله، طُوبَـى لهـذا عصفور مـن عصافير الجَنَّـة، لم يعمل سـوءً ولم يدركه، فَقَـال: «**أو غير ذَلِكَ يـا عائشَـة، إن الله خلـق للجَنَّة أهـلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهـم، وخلق للنار أهـلا خَلَقَهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[1] الشـاهد من الحَدِيث أن للنار أهلًا وتقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص بالنار لمن يَسْتَحِقُّونها.

(**قد كان قولًا لكثير العلماء**) قول جمهور الأئمة من السـلف والخلف على عدم فَنَائِها وخلودها ووجودها الآن، ولم يقل بقول الجهميَّة والمعتزلَة والقدريَّة وغيرهـم أحدٌ

(١) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «القَدَرِ» باب «مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» (٤/ ٢٠٥٠) رقم (٢٦٦٢/ ٣١).

....

من السلف. وما نسب إلى الإمامين: شيخ الإسلام ابْن تيميَة وتلميذه ابْن القيم من أنهما يقولان بفَنَاءِ النار، فهو قول يُعْوِزُهُ الدَّلِيلُ. ومن أراد التأكُّدَ، فعليه بقراءَة كتب الإمامين، وسيجد فيها ما يَرْوِي الغليل، ويَشْفِي العليل عن هذه المسألَة. ومعنى البيتين: وقال قوم: هَؤُلَاءِ هم الجهميَّةُ والقدريَّةُ والمعتزلَةُ بِنَاءً على أصولهم الفاسدَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الإشارَة إليها: بفَنَاءِ النار هي ذاتها أو حركات من فيها (وآخرون العكس) والآخرون هم السلف من الصحابَة والتابعين وأئمَّة الدِّين ممن جاء بعدهم وقولهم في هذه المسألَة (عكس) قول الجهميَة المذكور آنفًا.

وقولنا: (وَصَحَّحِ القَوْلَ الأَخِيرَ) وهو بقاء النار وعدم فنائها كما هو مذهب أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ وهو الحق ومعتقدهم الذي يَدِينُونَ الله به. وهو قول الجمهور من الصحابَة والتابعين، وأئمَّة الدِّين والهُدَى رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وسيأتي مزيد بيان في الكلام على النار في الفصل الآتي إن شاء الله تَعَالَىٰ.

❁❁❁

١٨- (وصف لبعض ما لأهل النار من عذاب والعياذ بالله)

٢٢٨- أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ أَجْرَمُوا فَإِنَّمَا مَقَرُّهُمْ جَهَنَّمُ

هذا الفصل خاص بوَصْفِ بَعْض ما يُلاقِيهِ أهل النار من الكافرين والمجرمين ومن على شاكلتهم، وَقَدْ تَقَدَّمَ أن الجَنَّة دار لأولياء الله، وأنها مخلوقةٌ وموجودَة الآن، وَأَنَّ الاعتقاد بوجودها الآن حق وواجب لا مِرْيَةَ فيه، ولا ريب، فإلى الأبيات:

(أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: غَطُّوا وسَتَرُوا ما نَزَلَ على محمد من الحق، أو جَحَدُوا ما لا يتم الإسلام إلا به، أو جحدوا ما كان من الدين بالضرورَة والجاحدون لأركان الإسلام، أو أركان الإيمان، أو لبعضها، أو يكذِّبون بأي آيَةٍ من القرآن، أو ما تواترت به السُّنَّة، فإنما مَقَرُّهم جَهَنَّم، وجَهَنَّم اسم من أسماء النار.

والخلاصَة: أن معنى الكفر هو التغطيَة، ونقصد به إنكار الإسلام وتعاليمه وجَحْد أحكامه، أو تفضيل غيره عليه، أو من أتى بأحد نواقض الإسلام كالشرك في عبادَة الله. كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. أو مَنْ يدعو غير الله، أو من يَعْتَقِد أن غير الله ينفع أو يضر، أو من يَعْتَقِد أن هدي غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل، أو استهزأ بشيء من القرآن، أو بأي شيء من دين الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذَلِكَ من الأمور المعلومَةِ من الدين بالضرورَة، فهَؤُلَاءِ الذين كفروا سواءٌ عَلَيْهِمْ أأنذرتهم أم لم تُنْذِرْهم لا يُؤْمِنُونَ بما جاءهم به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، قال علي بن أبي طلحة عن ابْن عباس في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: كان رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص أن يُؤْمِن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله تَعَالَىٰ أنه لا يُؤْمِن إلا من سَبَقَ له من الله السعادَة في الذكر الأول، ولا يَضِلّ إلا من سبق

له من الله الشقاوَة في الذكر الأول، وحتى لو قالوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، فالحكم عَلَيْهِمْ واحد. قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمَة، أو سعيد ابن جبير، عن ابْن عباس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: بما أنزل إليك، وإنْ قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك. وَقَدْ نزلت هذه الآيَة، والتي بعدها في قادَة الأحزاب، وهم الذين قال الله تَعَالَىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قِيلَ: يا رَسُول الله، إنا نقرأ من القرآن، فنرجو، ونقرأ، فنكاد أن نَيْئَسَ، فَقَال: «الا اخبركم»، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] «هَؤُلَاءِ أهل النار»(١)، فالكافرون هم أهل النار.

(أَوْ أَجْرَمُوا) للجماعَة أي أصحاب جُرْم وإجْرَام قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤].

وقد وردت هذه الكلمَة المجرمون كثيرًا ومعناها تارَة الشرك الأكبر، وتارَة الكفر، وتارَة الاستهزاء والضحك من المؤمنين، وتارَة التكذيب بيوم الدين، وجَزَاءُ أصحاب هذه الصفات جَهَنَّمُ كما تَقَدَّمَ في الآيات. والإجرام قبح في الأفعال، وضلال في الأعمال، وسوء في الطوايا والنوايا .

(فَإِنَّمَا مَقَرُّهُمْ جَهَنَّمُ) جزاء شِرْكِهِمْ وثمن كفرهم وجَحْدهم وتكذيبهم بآيات الله وبيوم الدين لذَلِكَ كانَتْ النار مَقَرًّا لهم.

---

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو ابن أبي حاتم في «التفسير - سورة البقرة - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١/ ٤٠) رقم (٩١)، وسنده ليس بذاك.

٢٢٩- لَبْثُهُمُ فِيهَا أَتَى أَحْقَابَا وَلا يَذُوقُونَ بِهَا شَرَابَا
٢٣٠- إِلَّا حَمِيمًا آنٍ أَوْ غَسَّاقًا جَزَاهُمُ رَبُّهُمْ وِفَاقًا

الكلام على هذين البيتين في وصف العذاب للذين كفروا وأجرموا قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٣]، وَالمُرَاد بالطُّغَاةِ المَرَدَة العُصَاة المُخالِفُون للرُّسُلِ، ومَآبًا: أي مَرْجِعًا ومُتَقَلَّبًا ومَصِيرًا. وقوله (لَبْثُهُمُ): اللَّبْثُ هو المُكْثُ مُدَّةً من الزمان (فِيهَا) أي في جَهَنَّمَ (أَتَى أَحْقَابًا) أي كما ورد في القرآن الكريم. وَقَدْ اختُلِفَ في مقدار الحُقَبِ، فَقَال ابْن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن سفيان الثوري، عن عَمَّار الوهني، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تَجِدُونَ الحِقَب في كتاب الله المُنْزَل؟ قال: نجده ثمانين سنَةً. كل سَنَةٍ اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا، كل يوم ألف سنَةٍ[1]، وهكذا رُوِيَ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعمرو بن ميمون، والحسن، وقتادَة، والربيع بن أنس، والضحاك، وعن الحسن، والسدي، أيضًا: سبعون سنَةً وقيل ثمانون عامًا، وعن عبد الله بن عمرو: الحِقَبُ أو الحُقَب أربعون سَنَةً؛ كل يوم منها كألف سنَةٍ مما تَعُدُّون رَوَاهُمَا ابْنُ أبي حاتم. وقال غيرهم ثلاثمائَة سَنَةٍ. وقال آخرون: أما الأحقابُ، فليس لها عِدَّة إلى الخلود في النار. وقِيلَ: الحِقَب ما لا انقطاع له، كلما مَضَى حُقُبٌ جاء غيره. وقِيلَ: لا يَعْلَمُ عِدَّة هذه الأحقاب واللَّبْث فيها إلا اللهُ. والصحيح أن الحقبة مدة من الزمن مبهمة[2].

(وَلا يَذُوقُونَ بِهَا شَرَابًا) أي: لا يَجِدُون في جَهَنَّمَ بَرْدًا لقلوبهم، ولا شرابًا طيبًا يتغذون به، بل لهم الحميم الحار الذي قد انتهى حَرُّه، وحميمٌ آنٍ شديد الحرارَة. والغَسَّاق:

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٢٤).

(٢) انظر: «مفردات الراغب الأصفهاني» مادة «حقب» (ص: ٢٤٨).

....

هـو مـا اجتمع من صديد أهـل النار وعَرَقِهِـمْ ودموعهم وجُرُوحهم، فهـو زَمْهَرِيرٌ بارد لا يُسْتَطاع من شِدَّة برده، ولا يهضم لِشِدَّة نَتْنِهِ، وَهَذَا لهم جزاءً وِفاقًا.

وقولنـا: (جَزَاهُـمُ رَبُّهـمُ وِفَاقًا) أي: ما وجدوه من العـذاب في جَهَنَّم وفق أعمالهم الفاسدَة التي كانوا يعملونها في الدُّنْيَا، قاله مجاهد، وقتادَة، وغير واحد.

❁❁❁

٢٣١- لِأَنَّـهُمْ لَمْ يَـرْتَجُـوا الحِسَابَا وَكَـذَّبُـوا فَـاسْـتَـوْجَـبُـوا العَذَابَا

(**لِأَنَّهُـمْ لَمْ يَرْتَجُـوا الحِسَـابَا**) أي: أنهم ما كانـوا يَعْتَقِدون أنهم سيُحاسَـبُون على أعمالهـم وَأَنْ ليس هناك دارٌ للجزاء فيحاسـبون عـلى كل صغيرَة وكبيرَة؛ لذَلِـكَ أَطْلَقُوا لشـهواتهم العِنَـان. (**وَكَذَّبُـوا، فَاسْـتَوْجَبُوا العَذَابَـا**) أي: وكانـوا يكذبـون بآيات الله وبِحِجَـجِ الله وبراهينه الدالَّة عليه وبدلائله المبثوثَةِ في أرضه وسـمائه وَفِي الأنفس، والتي أَنْزَلَهَا على رُسُـلِهِ صلى الله عَلَيْهِمْ وسـلم. ويقابلون كل ذَلِكَ بالتكذيب والجحود، فحَقَّ عَلَيْهِمُ العذاب وهو نار جَهَنَّم.

❁ ❁ ❁

٢٣٢- ثُـمَّ يُـقَـالُ لَهُـمُ فِيهَا ادْخُلُوا مُـخَـلَّـدِيـنَ وَفْـقَ مَـا قَـدْ عَمِلُوا

كـما قـال تَعَالَىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، وقـال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] ،وقَوْلـه تَعَالَىٰ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وَهَـذَا الدخـول جـزاءً وفاقًا لما قد عملوه في الدُّنْيَا من أعمال تستوجب دخولهم النار وفق ما عملوا، ولا يَظْلِمُ رَبُّك أحدًا.

❁ ❁ ❁

٢٣٣- وَكُلَّمَا قَدْ نَضِجَتْ جُلُودُ ... بِغَيْرِهَا قَدْ أُمِرَتْ تَعُودُ

أي: أن هذا الإِصْلَاءَ للجُلُودِ والتعذيب للقدود لا يَنْتَهِي، ولا ينقطع، فكُلَّما فَنِيَتْ جُلودهم الأولى بُدِّلُوا بغيرها كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

❁❁❁

٢٣٤- (إِلَيْهِمْ) تَرْمِي لَهِيبَ الشَّرَرِ ... لَوَّاحَةٌ أَشْوَاظُهَا لِلْبَشَرِ

(إليهم): إلى الكُفَّار، (تَرْمِي) تَقْذِف لَهِيبَها مُحَمَّلًا بالشرر والضرر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢ - ٣٣].

(لَوَّاحَةٌ): لَفَّاحَةٌ للوجوه كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]، أي: لَفَّاحَةٌ للجلود وللوجوه خاصَّة، فتجعلها أسودَ من الليل، و(الشَّرَرُ) أي: مُحْرِقَةٌ لِلبَشَرِ، (أشواظها) والشَّوْظُ المراد به سَيْلٌ من النار يُرْسَل للبشر فيُحْرِقُهم: كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥].

❁❁❁

٢٣٥- أَكْلُهُمْ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ شَرَابُهُمْ عُصَارَةُ الحَمِيمِ

(أكلهم) أي: طعامهم (من شجرةِ الزَّقُّوم). قال قُطْرب: هي شجرَة مُرَّة تكون بأرض تِهَامَةَ من أَخْبَث الشجر. وقال غيرُه: ثَمَرَة شجرَة كريهَة الطعْم، وقِيلَ: لا تعرف في شجر الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هي في النار، يُكْرَه أهل النار على تناوُلها[(١)].

وقال ابْن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ذكَر الله تَعَالَى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦]، أنهم يأكلون من هذه الشجرَة التي لا أَبْشَعُ منها، ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم لَيُضْطَرُّونَ إلى الأكل منها، ولا يَجِدُون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧][(٢)]. روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلى هذه الآية وقال: «**اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**»[(٣)].

وقال العُلَمَاء: إذا أَكَلُوا من الزَّقُّوم شَرِبُوا عليه من الحميم شرابَ الهِيم، شُبِّهَتْ حالتُهم من شِدَّة العطش بحالَةِ الهِيمِ، وهِيَ الإبلُ الهائِمَة في الصحراء، والتي يشتَدُّ عطشُها. و(الحَمِيم) المُتَنَاهِي في الحرارَة قال تَعَالَى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥]، وقال تَعَالَى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

---

(١) «زاد المسير» (٧/ ٦٤).

(٢) انظر: ابن كثير الجزء الرابع عند شرح الآية من الصافات.

(٣) أخرجه من حديث ابن عباس الترمذي أبواب «صِفَةِ جَهَنَّمَ» باب «مَا جَاءَ فِي صِفَةِ شَرَابِ أَهْلِ النَّارِ» (٤/ ٧٠٦) رقم (٢٥٨٥)، وابن ماجه كتاب «الزُّهْدِ» باب «ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ» (٢/ ١٤٤٦) رقم (٤٣٢٥). وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان رقم (٧٤٧٠)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٧٨٢)، وكلامه معتبر جدًّا فليراجع. ولفظ الحديث: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟**».

٢٣٦- وَفِي سَمُومِ النَّارِ وَالحَمِيمِ قَدْ سَكَنُوا . وَالظِّلُّ مِنْ يَحْمُومِ

(وفي سموم النار) السَّمُوم الهواء الحار، و(الحَمِيم) هو الماء الحار المُتَنَاهِي في الحرارَة. (قد سَكَنُوا) أي جُعِلَتِ النار مسكنًا للكافرين والمجرمين ومَقَرًّا لهم، (والظل) أي ظلهم في هذا السكن الدُّخَان واليَحْمُوم هو الدُّخَان الأسود.

والخُلاصَةُ: أن مَقَرَّهم في سَمُوم وهو الهواء الحار، واليَحْمُوم وهو الدخان الأسود، وشرابهم الحَمِيم: الماء المتناهي في حرارته، وأَكْلُهم من شجرَة الزَّقُّوم، وَهَذَا هو حالهم ومَقَرُّهم الدائم، نسأل الله السلامَةَ!

❁❁❁

٢٣٧- يُؤْتَى بِهَا فِي يَوْمِهَا تَزْمَجِرُ ... وَتَطْلُبُ المَزِيدَ كَيْمَا يَكْثُرُوا

٢٣٨- حَتَّى عَلَيْهَا يَضَعُ اللهُ القَدَمَ ... فَتَنْزَوِي قَائِلَةً (قَطُّ) وَلَمْ

٢٣٩- وَأَهْلُهَا مُخَلَّدُونَ أَبَدَا ... كَمَا أَتَى عَنِ النَّبِيِّ أَحْمَدَا

نَعَمْ يُؤْتَى بجَهَنَّم في يوم القيامَة، فتَسُدّ كل مكان حتى لا يبقى إلا الصراط فيوضع على متنها. **«ويؤتى بها يومئذ ولها سبعون ألف زِمَام، مع كل زمام سبعون ألف مَلَكٍ يَجُرُّونها»**(١). كما أنها تَطْلُب المَزِيدَ كما قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، ولا زال تطلب المزيد من البشر حتى يَضَعَ الرحمنُ عليها قَدَمَه سُبْحَانَهُ، وقَدَمُه من الصفات التي أَثْبَتَها أَهْلُ السُّنَّةِ ونحن نُثْبِتُها ونُمِرُّها كما جاءت صريحَةً بدون تمْثِيلٍ، ولا تَكْيِيف ولا تشبيه ولا تأويل على حد قَوْله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا وضع الرحمن عليها قدمه تَنْزَوِي إلى بعضها، وتقول كما ورد في الحَدِيث: قَطِ قَطِ. أي حَسْبِي حَسْبِي، ولم تطلب بعد ذلك زيادة يدل على ذلك ما ورد في الصحيحين مرفوعًا **«لا تزال جَهَنَّم يُلقَى فيها، وهِيَ تقول: هل من مَزِيد حتى يَضَعَ رب العِزَّة فيها رِجْلَه، وَفِي روايَة عليها قدمه، فتنزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قَطْ قَطْ»**(٢)، ومن قال: إن قدمه نوع من الخَلق، فقد ضَلَّ ضلالًا بعيدًا، وَكَذَلِكَ من قال: إن رجله جماعَة من الناس، فقد غَلِطَ غلطًا فاحشًا؛ لأَنَّ ذَلِكَ لم يَرِدْ في كتاب ولا في سنة، ولم يرد في لغَة العرب لا حقيقَةً، ولا مجازًا.

---

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود مسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا» (٤/ ٢١٨٤) رقم (٢٨٤٢/ ٢٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] (٦/ ١٣٨) رقم (٤٨٤٩)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «النَّارُ يَدْخُلُهَا الجَبَّارُونَ وَالجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ» (٤/ ٢١٨٧) رقم (٢٨٤٦/ ٣٦).

....

وأهل النار كما تَقَدَّمَ مُخَلَّدون فيها على حسب أعمالهم فبعضهم أَبَدَ الآبَادِ، وبعضهم دون ذلك، وهو مذهب أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وهو الحق الذي نَدِينُ لله به. وَقَدْ كَرَّرْتُ تَقْرِيرَ عَدَمِ الفَنَاء للنار حتى لا يُفْهَم من إشارتي للخلاف في النظم أني أرى ذَلِكَ، بل أَبْرَأُ إلى الله من ذلك.

❁❁❁

١٩- (أول من يستفتح باب الجنة)

٢٤٠- أَوَّلُ مَنْ يَطْرُقُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ هَدْيِ الأُمَّةِ

نعم أول من يَسْتَفْتِح بابَ الجَنَّة هو نبيُّنا محمدٌ ﷺ لحديث: «**أنا أولُ شفيع في الجنَّة**»(١)، وَفِي لفظ «**أنا أول من يَقْرَع باب الجنَّة**»(٢). وَفِي لفظ «**آتي باب الجنَّة يَوْمَ القِيَامَةِ فاستفتح، فَيَقُول الخازِنُ: مَنْ أنت؟ فأقول: محمد. فَيَقُول: بك أُمِرْتُ لا افتح لأحد من قبلك**»(٣). وهَذِهِ منزلَة عظيمَة ومرتبَة ساميَةٌ لم يَنَلها سواه.

❀❀❀

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ...**» (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ...**» (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦/ ٣٣١).

(٣) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ...**» (١/ ١٨٨) رقم (١٩٧/ ٣٣٣).

٢٤١- وَالأَنْبِيَاءُ بَعْدَهُ دُخُولا   بَعْدَهُمْ أُمَّتُهُ تَفْضِيلا

أي أن الأولويَةَ في دخول الجَنَّة لنبينا محمد ﷺ قبل جميع الأنبياء عَلَيْهِمْ جميعًا الصلاة والسلام لحديث: «**أنا أكثر الناس تبعًا يَوْمَ القِيَامَةِ وأنا أول من يَقْرَع باب الجَنَّة**»[١]، ثم الأنبياء ثانيًا. وَكَذَلِكَ الأولويَة في دخول أمته الجَنَّة بالنسبَة للأمم الأخرى، وهِيَ أيضًا منزلَة رفيعَة لأُمَّةِ محمد ﷺ قبل جميع الأمم. لحديث: «**نحن الآخرون السابقون يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ أنهم أُوتُوا الكِتَابَ من قبلنا وأوتينا من بعدهم**»[٢]. وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثُوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، ومبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجَنَّة بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف عَلَيَّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**»[٣]. وحديث: «**نحن الآخرون الأولون يَوْمَ القِيَامَةِ ونحن أول الناس دخولًا الجَنَّة بَيْدَ أنهم أتوْا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**»[٤].

---

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ...**» (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦/ ٣٣١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجُمُعَةِ» باب «فَرْضِ الجُمُعَةِ» (٢/ ٢) رقم (٨٧٦)، ومسلم كتاب «الجُمُعَةِ» باب «هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ» (٢/ ٥٨٦) رقم (٨٥٥/ ٢١).

(٣) أخرجه من حديث أنس الترمذي أبواب «المناقب» (٥/ ٥٨٥) رقم (٣٦١٠)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال المناوي في «التيسير» (١/ ٣٧٥): إسناد لين، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣٠٩). ولفظه: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**».

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجُمُعَةِ» باب «فَرْضِ الجُمُعَةِ» (٢/ ٢) رقم (٨٧٦)، ومسلم كتاب «الجُمُعَةِ» باب «هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ» (٢/ ٥٨٦) رقم (٨٥٥/ ٢٠).

وهِيَ أسبق الأمم خروجًا وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجَنَّة ذَكَرَ ذَلِكَ ابْن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]. وكما في حديث: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**»[(٢)].

وقريب من هذا حَدِيث أبي زرعه، عن أبي هريرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»[(٣)].

❀❀❀

(١) نقله عنه صاحب «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» (ص: ٢٥٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «بَدْءِ الخَلْقِ» باب «مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ» (٤/ ١١٨) رقم (٣٢٤٥)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «فِي صِفَاتِ الجَنَّةِ وَأَهْلِهَا» (٤/ ٢١٨٠) رقم (٢٨٣٤/ ١٧).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ» باب «خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ» (٤/ ١٣٢) رقم (٣٣٢٧)، ومسلم كتاب «الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ» (٤/ ٢١٧٩) رقم (٢٨٣٤/ ١٥).

٢٠- (الإيمان بالشفاعة وعقيدة أهل السُّنة والجماعة فيها)

١- المقدمة:

٢٤٢- هَـذَا، وَبَعْدَ أَنْ يُضَامَ النَّاسُ　　وَيَـعْـظُـمُ الأَمْــرُ وَيَـعْـلُـو البَاسُ

(هـ) حرف تنبيه، (وذا) اسم إشارة، (وبعد) يُؤْتَى بها للفصل بين الجمل في الكلام والأساليب، وما بعدها مستأنفة (أَنْ يُضَامَ النَّاسُ) من الضَّيْم، وهو إحاطَة النفس بجملَة من الكروب لا تطيق إزاحتها عنها، وهو بَعْض حال أهل الموقف يَوْمَ القِيَامَةِ (وَيعْظُمُ الأَمْـرُ) أي يَكْـبُرُ عن تحمله فهو أمر عظيم فوق طاقَة الإنسان ويعلو الناس، أي يرتفع الخطر والبأس وشِدَّة الهلع والخوف فوق طاقتهم وقدر تَحَمُّلِهم.

❁❁❁

٢٤٣- وَيَـكْـثُـرُ الهَـمُّ وَيَـبْـدُو الكَرْبُ　　وتـقـرب الـشَّـمْـسُ وَيَعْلُو الخَطْبُ

حتى يضيق به ذَرْعًا ويعلو الكرب، وهو شِدَّة الضيق الذي لا نفس معه، وتدنو الشمس أي تقترب من الرؤوس، وتشتد حرارتها حتى إن العرق لَيَصِل إلى آذان بعضهم، وأفواه بعضهم وخنق بعضهم، وذَلِكَ على قدر أعمالهم.

❁❁❁

٢٤٤- فَيَذْهَبُ النَّاسُ إلَى مَنْ يَشْفَعُ فَلَمْ يَرَوْا لِسُؤْلِهِمْ مَنْ يَنْفَعُ
٢٤٥- وَالعُذْرُ مِنْ كُلِّ نَبِيٍّ يُرْفَعُ اذْهَبْ لِغَيْرِي فَأَنَا لَا أَشْفَعُ
٢٤٦- حَتَّى إذَا جَاءُوا إِلَى الرَّسُول واسْتَقْبَلَ المَطْلُوبَ بالقَبُولِ
٢٤٧- غَدَا إِلَى العَرْشِ وَخَرَّ سَاجِدَا وَأَحْضَرَ اللهُ لَهُ المَحَامِدَا
٢٤٨- حَتَّى يَقُولَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ فَإِنَّ مَا تُرِيدُ يُوجَدُ
٢٤٩- فَيَطْلُبُ المَجِيءَ لِلقَضَاءِ وَالفَصْلَ بَيْنَ الخلقِ في الأَشْيَاءِ

٢- تعريف الشفاعة:

من طول الانتظار وهَوْل الموقف ورجفَة القلوب وسُحُب الهَمّ المُحِيطة بالواقفين لفصل القضاء عندها يذهب الناس كل مَذْهَب، ويُنَقِّبُون عن كل مخرج مما هم فيه، ويطرقون كل باب وكل من يَرَوْنَ فيه مساعدتهم، فيَرَوْنَ الأنبياء هم مَحَلّ أَمَلِهِم. ومَوْضِع طِلبَتِهِمْ بعد الله تَعَالَىٰ وذلك لقربهم من الله ومحبته لهم (فَيَذْهَب النَّاسُ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ) أي: إلى كل واحد من الأنبياء من أجل الشفاعَة، وهِيَ الوسيلَة بِضَمّ صوت الشافع إلى المُشَفَّع له، وذَلِكَ بعد إِذْنِ الله للشافع أن يشفع والرضا عن المشفوع له بأن يكون من الموحِّدِين (فَلَمْ يَرَوْا لِسُؤْلِهِمْ مَنْ يَنْفَعُ) إلا الأنبياء لضخامَة المطلوب وعظيم اليوم المرهوب وهول المطلع، فيسألونهم الشفاعَة لهم عِنْدَ ربهم وَلَكِن (وَالعُذْرُ مِنْ كُلِّ نَبِيٍّ يُرْفَعُ) فيُفَاجَئُون بِخَيْبَة أَمَلٍ وزيادَة هم، أن الأنبياء يقدمون الاعتذار تِلوَ الاعتذار، ويتدافعون المطلوب خوفًا من المرهوب؛ من آدم إلى عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكل واحد من الأنبياء يَقُول: اذهَبْ لغيري فأنا لا أشفع: أي أن آدم يَقُول: عَلَيَّ ما عَلَيَّ من الخطايا، اذهبوا إلى غيري، ويذهبون إلى غيره، وكلهم يعتذرون بخطايا وَقَعَتْ منهم مع أُمَمِهِم في غير التشريع لا تُؤَهِّلهم للشفاعه عِنْدَ الله (حَتَّى إِذَا جَاءُوا إِلَى الرَّسُول) نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ بلغ بهم الضيق إلى ذِرْوَتِهِ والغم إلى قمته عندها (اسْتَقْبَلَ المَطْلُوبَ

بالقَبُولِ) أي: يستقبل النبي محمد ﷺ المطلوبَ بالقَبُول، وقال لهم ﷺ: «**أنا لها أنا لها**»[(١)]، ولم يعتذر بل (غَدَا إِلَى العَرْشِ وَخَرَّ سَاجِدًا) تحت العرش فيسجد مِقْدار جُمُعَة ويُلهِمه الله من الثناء والمحامد ما لم يكن يعرفها، ثم يقبل إلى الله. وَهَذَا معنى قولي: (وَأَحْضَرَ اللهُ لَهُ المَحَامِدَا). فيدعوه بها ويُثْنِي عليه بها (حَتَّى يَقُولَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ) (ارْفَعْ فَإِنَّ مَا تُرِيدُ يُوجَدُ) أي ارفع رأسك، وسَل تُعْطَى، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، (فَيَطْلُبُ المَجِيءَ لِلقَضَاءِ) (وَالفَصْلَ بَيْنَ الخَلقِ فِي الأَشْيَاءِ) فينزل الله سُبْحَانَهُ كما يشاء لِفَصْل القضاء بين أهل الموقف، وَهَذَا هو المَقَام المحمود الذي أُعْطِيَه رسولنا محمد ﷺ فمن سأله للنبي ﷺ حَلَّتْ له شفاعته في ذَلِكَ الموقف العظيم «**اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابْعَثْه مقامًا محمودًا الذي وَعدْتَه**»[(٢)] ويُقَالُ هذا عِنْدَ الانتهاء من كل أَذَانٍ.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ» (٩/ ١٤٦) رقم (٧٥١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٢) رقم (١٩٣/ ٣٢٦)، بلفظ: «**أَنَا لَهَا**» من غير تكرار.

(٢) أخرجه من حديث جابر البخاري كتاب «الأَذَانِ» باب «الدُّعَاءِ عِنْدَ النِّدَاءِ» (١/ ١٢٦) رقم (٦١٤).

٢٥٠- فَهْوَ كَمَا يَشَاءُ نَصًّا يُنْزِلُ بَـيْنَ الـعِـبَـادِ بِـالـكِـتَـابِ يُفْصِلُ

نعم فهو سُبْحَانَهُ ينزل والنزول صِفَةٌ فِعْلِيةٌ مُتَعلِّقَة بمشيئته وقُدْرَتِهِ وحكمته، وهِيَ ثابتة بالقُرْآن وَالسُّنَّة قال الله تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، أي جاء بذاته لفصل القضاء بين عباده. وقَوْله تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الأَدِلَّة على النزول والعلوم فيما مضى. وليس كما يقوله أهل الزيغ والتحريف أن الذي ينزل رحمته.

❁❁❁

٢٥١- ثُمَّ الشَّفَاعَاتُ أَتَتْ أَقْسَامَا إِلَى ثَمَـانٍ احْـفَـظَـنْ تَـمَـامَـا

٣- أنواع الشفاعات ثمان نذكرهن إجمالًا، ثم نفصلها تبعًا للأبيات.

١ - الشفاعة العظمى.

٢- شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أهل الجنة الجنة .

٣- شفاعته في عمه أبي طالب، هذه الثلاث خاصة به صلى الله عليه وسلم.

٤- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن يستحق النار من عصاة الموحدين.

٥- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من عصاة الموحدين.

٦- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع الدرجات لبعض أهل الجنة .

٧- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استوت حسناته مع سيئاته .

٨- شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول بعض المؤمنين بدون حساب ولا عذاب.

❁❁❁

٣- الشفاعة العظمى:

٢٥٢- مَقَامُهُ هَذَا هُوَ المَحْمُودُ قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِهِ المَعْبُودُ

المقام المحمود هو شفاعته(١) العظمى، والتي ادخرها الله له في هذا اليوم، وَفِي هذا المَقَام الذي يحمده فيه أهل الجمع في ذَلِكَ الموقف العظيم؛ إِذْ يأتي إليه العباد يطلبون منه أن يشفع لهم بعد أن يقدم الأنبياء مَعاذيرهم وعدم قدرتهم على ذَلِكَ فَيَقُول: **«أنا لها أنا لها»**(٢). فيأتي إلى العرش، ويسجد قَدْرَ جُمُعَة ويُلهِمه الله من المحامد والثناء ما لم يكن يعرفه من قبلُ، فَيَقُول له الرب تَعَالَىٰ: ارفع رأسك، وسَل تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع. ثم يسأل الله تَعَالَىٰ النزول لفصل القضاء.

فينزل الله لفصل القضاء وقد وعده سبحانه الوسيلة والفضيلة، فيحمده الناس لذَلِكَ، وهو المَقَام المحمود ولشفاعَة العظمى هي خاصَّة به دون غيره. وهَذِهِ الشفاعَة مُجْمَعٌ على وجودها وإثباتها، ولم يُنكِرها أحد، وَقَدْ وردت بإثباتها أحاديثُ كثيرَةٌ: كحديث أبي بكر الصديق، وأنس، وأبي هريرَة، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفَة، وعُقبَة بن عامر، وأبي سعيد الخدري، وسلمان وغيرهم. وهِيَ الدعوَةُ المدخرَةُ له ﷺ لقوله: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»** الحَدِيث(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) دليله حديث البخاري المتقدم ذكره والذي سيأتي معنا.

(٢) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ» (٩/ ١٤٦) رقم (٧٥١٠)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «أدنى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٢) رقم (١٩٣/ ٣٢٦)، بلفظ: **«أَنَا لَهَا»** من غير تكرار.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب الدَّعَوَاتِ باب «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ» (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٤)، ومسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ» (١/ ١٨٩) رقم (١٩٩/ ٣٣٨).

٢٥٣- وَبَعْدَهُ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ لأهلِ جَنَّةٍ إلى الدُّخُولِ

وبعد الشفاعَة العظمى الأولى تأتي الشفاعَة الثانيَةُ، وهِيَ الشفاعَة لأهل الجَنَّة أن يدخلوها. وَقَدْ ذكرها أبو هريرَة في حديثه الطويل(١).

وما رَوَاهُ مسلم عن ابن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قال: «**انا أول شفيع في الجنَّة**»(٢). وهَذِهِ خاصَّة به ﷺ.

❀❀❀

٢٥٤- ثُمَّ لِعَمِّهِ شَفَاعَةٌ تُرَى يُخْرِجُهُ مِنْ قَعْرِ نَارٍ أُثِرا

٢٥٥- كَمَا أَتَى فِي جُمْلَةِ الصِّحَاحِ يُخْرِجُهُ مِنْهَا إِلَى الضَّحْضَاحِ

(**ثُمَّ لِعَمِّهِ**): أبي طالب لقاء ما قام به من حمايَة لابن أخيه من أَذِيَّة قريش، فيشفع فيه فيُخرجه من قَعْر جَهَنَّمَ إلى ظهرها، أو ضَحْضَاحها؛ لحديث: «**لولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار**»(٣)، وحديث: «**اهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو مُنْتَعِلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه**»(٤). وهَذِهِ هي الشفاعَة الثالثَة والخاصَّة به ﷺ دون غيره، ولا تتعارض مع الآيَة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، يعني هذه في التخفيف وليس في الإخراج له من النار بالمَرَّة.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] (٦/ ٨٤) رقم (٤٧١٢)، ومسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا» (١/ ١٨٤) رقم (١٩٤/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ...» (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦/ ٣٣٢).

(٣) متفق عليه من حديث العباس بن عبد المطلب، أخرجه البخاري كتاب «الأَدَبِ» باب «كُنْيَةِ الْمُشْرِكِ» (٨/ ٤٦) رقم (٦٢٠٨)، ومسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ» (١/ ١٩٤) رقم (٢٠٩/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس مسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا» (١/ ١٩٦) رقم (٢١٢/ ٣٦٢).

٢٥٦- وَمَا تَبْقَى مِنْ شَفَاعَاتٍ لَهُ وَغَيْرِهِ كما أَتَانَا نَقَلَهُ
٢٥٧- لِأَهْلِ تَوْحِيدٍ مِنَ العُصَاةِ أَنْ لَا دُخُولَ وَإِلَى النَّجَاةِ

أي الباقي من الشفاعات الخمس يشترك معه فيها غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وهنّ: الشفاعَة الرابعَة، والخامسَة التي تكون في أصحاب المعاصي من أهل التوحيد، وهاتان الشفاعتان قد خالفت فيهما الخوارجُ والمعتزلَةُ؛ لأنهم يُكَفِّرُون الناسَ بالكبائر، أو بمجرد المعاصي، وكم من خراب وفساد وراء هذا المذهب من أيامهم الأولى إلى عصرنا الحاضر، فقد نشروا ثَقافَةَ التكفير والتفجير، ونشروا فِرَقَ الموت والإرهاب والذعر في كل أنحاء الدنيا، وما هذا إلا لتصورهم المنحرف ونظرتهم الحولاء، وجَهْلهم المُطْبِق، ونُدْرَة حِكْمَتهم، وعَمَى بَصِيرتهم بالدِّين ونصوصه.

❁❁❁

٢٥٨- وَبَعْدَهَا الأَعْرَافُ وَالمَنَازِلُ وَمَنْ بِغَيْرِ مَا حِسَابٍ يَدْخُلُ

هذا البيت: (الواو) فيه للعطف، ولا يقتضي الترتيب، وهو يشير إلى الشفاعَة السادسَة لأهل الأعراف وهم من تَساوَتْ حسناتُهم مع سيئاتهم فيشفع فيهم الرَّسُول ﷺ في دخولهم الجَنَّة، وَكَذَلِكَ في الشفاعَة السابعَة، وهِيَ زيادَة درجات ومنازل أهل الجَنَّة؛ فيشفع في رفع درجاتهم كما يشير إلى الشفاعَة الثامنَة فيمن يدخلون الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب، ولا عذاب وهم السبعون ألفًا. كما في الحديث: «**سبعون ألفًا يدخلون الجَنَّة بدون حِسَاب، ولا عذاب وهم الذين لا يَكْتَوون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلُون**»، فقام عُكَّاشَةُ بن مُحْصن، وقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنتَ منهم**»، فقام رجل آخر، فَقَال: يا رَسُول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فَقَال: «**سَبَقَكَ بها عُكَّاشَة**»(١).

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس بأطول من هذا، أخرجه البخاري كتاب «الرِّقَاقِ» باب «يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٨/ ١١٢) رقم (٦٥٤١)، ومسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «الدَّلِيلِ عَلَى =

٤- شروط الشفاعة:

٢٥٩- لِشَافِعٍ فِي الأَمْرِ، أَوْ مَنْ شَفَعَا لَـهُ بَـإِذْنٍ وَرِضَـى قـدٍ جَمَـعَـا

(لشافع) الشفاعَة أن يسأل الخير للغير، وسمى شافع لضم صوته إلى صوت المشفوع له في الأمر في الخير، أو من شفع إلى المشفوع له (بإذن) هذا أحد شروط جواز الشفاعَة أن يكون الشافع مأذونًا له. والثاني رِضا الله عن المشفوع له بأن يكون من أهل التوحيد، والشفاعَة هنا على قسمين: مُثْبَتَة، وهِيَ التي أثبتها القرآنُ بشرطها المتقدم، ومَنْفِيَّة عن المشركين والكافرين، وهِيَ ما نفاها القرآن كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

❁❁❁

= دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» (١/ ١٩٩) رقم (٢٢٠/ ٣٧٤).

٥- انقسام الناس في أصل الشفاعة:

٢٦٠- هَذَا، وَفِيهَا انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى ... ثَلَاثَةٍ كَمَا لَهَا قَدْ نُقِلَا
٢٦١- إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتُ مَنْ يُغَالِي ... وَعَكْسُهُ خَوارِجُ اعْتِزَالِ
٢٦٢- وَالحَقُّ فِيهَا عِنْدَ أَهْلِ السَّلَفِ ... إِثْبَاتُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ
٢٦٣- بِشَرْطِ مَا أَثْبَتَهُ القُرْآنُ ... وَكُلُّ قَوْلٍ بَعْدَهُ خِذْلَانُ

هذه الأبيات تشير إلى انقسام الناس في أصل الشفاعة إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم غَلَا في إثباتها حتى جعلها للأصنام والأوثان، فجعلها كشفاعة في الدنيا، وأصحاب هذا الرأي النصارى والمشركون والقبوريون ومن وَافَقَهم من مُبْتَدِعَة هذه الأُمَّة، فأثبتوا الذي نَفَاها القرآن كما قال تَعَالَى حكايَة عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

٢- القسم الثاني: غَلَا في نَفْيِ الشفاعَة وهم الخوارج، والمعتزلَة، فأنكروا شفاعَة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر من أُمَّته جهلًا منهم بِصِحَّة أحاديث إثبات الشفاعَة.

٣- القسم الثالث: أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ أثبتوا الشفاعَة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيره من النبيين والصِّدِّيقين وغيرهم، كما أثبتها القرآن بشرطها، وهو الإذنُ للشافع، والرِّضا عن المشفوع كما تَقَدَّم. وَهَذَا هو الموافق للنقل والعقل والفطرَة، وغير هذا يُعَدّ ضَرْبًا من الهَذَيَان ولَوْنًا من الخِذْلان، نسأل الله السلامَة.

❀❀❀

٢١- (إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله تَعَالَىٰ)

٢٦٤- وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ الجَحِيمِ بِفَضْلِهِ وجودِه العَمِيمِ

٢٦٥- قَوْمًا وَزَادَهُمْ عَلَى التَّأْكِيدِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ التَّوْحِيدِ

٢٦٦- وَصَحَّ أَنَّ مَا لِخَيْرٍ عَمِلُوا لَكِنَّهُمْ بِفَضْلِهِ قَدْ دَخَلُوا

أي بفضل الله ورحمته وكَرَمِهِ العام (يُخْرِج) من الجحيم (قومًا) أي جماعَة وليس معهم من زاد العمل إلا مِثْقال ذرَّة من العمل الصالح الذي يدخل صاحبه تحت مسمى التوحيد، وَفِي رواية صحيحَة. أنهم لم يَعْمَلُوا خيرًا قط. وَلَكِن بفضله ومَنِّه يُدْخِلُهم الجَنَّة؛ لأنَّ دخول الجَنَّة ليس بالعمل فقط، وَلَكِن بفضله سُبْحَانَهُ ورحمته تَعَالَىٰ يدخلون الجَنَّة وبالعمل الصالح تتفاضل الدرجات. لحديث: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»(١)، فهَؤُلَاءِ لم يدخلوا الجَنَّة بالعمل، ولكنه برحمَة الله وفضله ومناسبَة ذِكْر إخراج العُصاة من النار بعد ذِكْر أنواع الشفاعات واضح إذْ لم تكن الشفاعات مقصورَةً فقط على الأنبياء أو الملائكَةِ أو غيرهم من المخلوقين بل إنَّ أرحم الراحمين له شفاعَة خاصَّة به، وعلى قدر كرمه وجُوده، وعليه فقبضَةُ الله لا تُقاس بقبضات خلقه، بل بما يليق بجلاله وسلطانه وكرمه وإحسانه ورحمته، وعلى حد قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وحديث: «**ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مِثقال حبَّة من خَرْدَل من إيمان، فأخرجوه من النار**»، وَفِي لفظ: «**أدنى أدنى مثقال ذَرَّة من إيمان، فأخرجوه من النار، فيخرجون من النار**

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (٩/ ١٢٩) رقم (٧٤٣٩)، ومسلم - واللفظ له - كتاب «الْإِيمَانَ» باب «مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ» (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣/ ٣٠٢).

خلقًا كثيرًا»[١]، ثم يقول أبو سعيد اقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ كما في الحَدِيث القدسي: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يَبْقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضَةً من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا فيُلقيهم في نَهَرٍ من أَفْوَاهِ الجنَّة يُقَالُ له: نَهَرُ الحياة، فيخرجون كما تخرج الحُبَّةُ في حَمِيل السَّيل، فيَقُول أهل الجنَّة: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الله الذين أَدْخَلهم الجنَّة بغَيْرِ عمل عَمِلُوه، ولا خير قدموه»[٢]. وذَلِكَ كما تَقَدَّمَ في قوله ﷺ: «وأما الجنَّة فيبقى فيها، فضل، فيُنشِئُ الله خلقًا يسكنهم في فضول الجنَّة».

كما في الحديث الآتي «لا تزال جَهَنَّم يُلقَى فيها، وهِيَ تقول: هل من مَزِيد حتى يَضَعَ ربُّ العِزَّة عليها قدمه فيَنْزَوِي بعضُها إلى بَعْض، وتقول: قَطْ قَطْ بعِزَّتِك وكرمك، ولا يزال في الجَنَّة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنَّة»[٣]، وفي لفظ لمسلم: «يبقى من الجَنَّة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشئ الله سُبْحَانَهُ لها خلقًا ويسكنهم فضل الجنَّة»[٤].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب التَّوْحِيدِ باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (٩/ ١٢٩) رقم (٧٤٣٩)، ومسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ» (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣/ ٣٠٢). ولفظ مسلم: «ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

(٢) ينظر تخريج الحديث السابق.

(٣) متفق عليه من حديث أنس، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾» (٩/ ١١٧) رقم (٧٣٨٤)، ومسلم كتاب «الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ» (٤/ ٢١٨٨) رقم (٢٨٤٨/ ٣٨).

(٤) أخرجه من حديث أنس مسلم كتاب «الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا» باب «النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ =

٢٦٧- هَـذَا، وَإِنَّ مَـبْدَأَ العِقَابِ ... وَمِـثْـلُـهُ مَـبَـادِئُ الـثَّـوَابِ
٢٦٨- بِالعَقْلِ ثَابِتٌ كَذَاكَ السَّمْعُ ... وَغَـيْـرُ ذَيْـنِ مُـنْـتَـهَـاهُ المَـنْـعُ

(الهاء) حرف تنبيهٍ، (وذا) اسم إِشَارَة وما بعد الإِشَارَة جُمْلَة مُسْتَأْنَفَة تُقَرِّر مبدأ العقاب على المعصيةِ، والثَّوَابَ على الطاعَةِ. وهذانِ المبدآنِ أثبتهما النقل، وأَيَّدَهما العقلُ، ويدعِّمُهما الواقعُ، فمتى عُدِمَ هذانِ المبدآنِ تَعَطَّلَتِ الأعمال، وكَثُرَتِ الفوضى، وبقي كل شيء قاصرًا، لم يصل إلى منتهاه، ولا يؤدي إلى مبتغاه. سواءٌ ذَلِكَ في أعمال الدُّنْيَا أو الآخرَة، فالدُّنْيَا مَحَلُّ العمل والتنافس فيها. وهِيَ أيضًا مزرعَةُ الآخرة، فمتى يغيب العقاب في الدنيا، فهناك يكون العبث وعدم العمل، ومتى ما وجد العقاب وجد الانضباط والإثراء للعمل واستمرار عمارَة الكون. والثَّوَاب متى ما وجد وُجِدَ الإنتاج والاستمرار والإثراء، فالعقاب والثَّوَابُ رُكنانِ مُهِمانِ لِعِمارَةِ الكون على الوجه المراد. قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وَفِي الحَدِيث القدسي: **«يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحْصِيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نَفْسه»**(١). وكثير من الآيات والأحاديث الدَّالَّة على أَنَّ الجزاء مُرَتَّب على الأعمال، وَأَنَّ الأعمال جزء أصيل من كيان الإيمان، وَأَنَّ الطاعات جزاؤها الثواب، والعصيان جزاؤه العقاب، وكثيرًا ما نقرأ في القرآن الكريم تعقيبًا كقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولا يُفْهَم من هذه النصوص أن دخول الجَنَّة ثمن للعمل ولكنها سبب ينال به رحمة الله وفضله، فيدخل الجنة كما قال ﷺ: **«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ**

= وَالجَنَّةَ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ» (٤/ ٢١٨٨) رقم (٢٨٤٨/ ٣٨).

(١) أخرجه من حديث أبي ذر مسلم كتاب «البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ» باب «تَحْرِيمِ الظُّلْمِ» (٤/ ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧/ ٥٥).

عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»[1] (فالباء) هنا ليست حرف عوض: أي أن العمل عوض، والثمن الجَنَّة، كما تزعم المعتزلَةُ؛ بل الباء هنا سَبَبِيَّة، والعمل للترقِّي ورفع المنازل والدرجات العُلا. وأما دخول الجَنَّة، فبرحمته وفضله تَعَالَىٰ، وكُلُّ مَنْ قَلَّلَ مِنْ معنى هذين الأمرين، فقد طَعَنَ في النصوص من القرآن وَالسُّنَّة، وَكَذَلِكَ في العقل، وَهَذَا نهايَة في المخالفَةِ للعقل وغايَةٌ في الخروج على النقل، وخاصَّةً أن شريحَةً من الخلق لا يصلح لهم إلا هذان المبدأيْنِ، أعني الثَّوَابَ والعقابَ.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «المَرْضَى» باب «تَمَنِّي المَرِيضِ المَوْتَ» (٧/ ١٢١) رقم (٥٦٧٣)، ومسلم - واللفظ له - كتاب «صِفَةِ القِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ» باب «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ» (٤/ ٢١٧٠) رقم (٢٨١٦/ ٧٥).

٢٢- (الإيمان بالقدر ومراتبه ومواقف أهل السنة منه)

٢٦٩- وَأَرْبَــعٌ مَــرَاتِــبٌ لِـلـقَـدَرِ قَـدْ ذُكِـرَتْ صَحِيحَة فِي الخَـبَرِ
٢٧٠- عِلمٌ كِتَابَةٌ مَشِيئَةٌ كَذَا وَالخَـلـقُ وَالإِيجَــادُ يَـا ذَا فَخُذَا

١- المقدمة:

من عَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ الإِيمَان بالقضاء والقدر وبمراتبه الأربع، والتي هي: مـن أولى مبادئهـم ومن صميم معتقداتهـم؛ إِذْ يُؤْمِنُـونَ بالقدر خيره وشره، وَأَنَّهُ شـامل لحـركات الأحياء والحياة من قبح وجمال، ويسر وعسر، وغنى وفقر، ومرض، وعَرَض، وصِحَّة وسـقم، وحياه ومـوت، ونقص وكمال، وفعـل وانفعال، وأعمال وأقـوال، وَأَنَّهُ لا يخـرج عنه شَيْء من الموجودات والممتلكات والأعيان والمعدومات؛ إِذْ كل شَيْء كائن هـو بقضاء الله وقدره إلى يوم القيامـة؛ لذلك فمن آمَنَ به وصدق، فقد عاش في غايَةٍ من السـعادَة، وَفِي واحَـةٍ من الاطمئنـان، ومن لم يُؤْمِن به يَعِشْ في هاوِيَةٍ من التَّعَاسَـة ولهيب من الشـقاوة، وحال من الضَّنْك في الدُّنْيَا والآخرة؛ في الدُّنْيَا يُحْرَم من الأمن والاطمئنان والنعيم الكريم، وَفِي الآخرَة يحرم من النعيم المقيم؛ لأَنَّ عدم إيمانه وعدم تصديقه بالقدر يعنـي الاعتراض على أحكام الربوبيَّة الشـاملَةِ وأقضيته العادلَةِ. ومَـنْ حاله هكذا، فهو مُنْكِرٌ للركن السادس من أركان الإِيمَان، وهو الإيمان بالقدر، وهو ثابت بالنص الصريح القُـرْآني قـال تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقَوْله تَعَالَى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. ومن السُّـنَّة الصحيحَة حديـث: **«واعلم أن ما أصابك لم يكـن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**(١).

وحديـث: قال رجل يا رَسُـول الله، أيعرف أهل الجَنَّة من أهـل النار؟ قال: **«نعم»**. قال: فَلِمَ يعمل العاملون؟ قال: **«كُلٌّ يَعْمَل لِمَا خُلِقَ له أو لِمَا يُسِّرَ له»**(٢). وفيه سئل النبي

---

(١) رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح (٢٥١٦).

(٢) متفـق عليـه من حديث عمـران بن الحصين، أخرجه البخـاري كتاب «الْقَدَرِ» باب «جَـفَّ القَلَمُ عَلَى =

....

ﷺ عـن أولاد المشركـين، فَقَال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١). وَفِي مسـلم، قـال رَسُـول الله ﷺ: «**إن الله خلـق للجَنَّـة أهـلًا، خلقهـم لها وهـم في أصلاب أبائهـم. وخلـق للنار أهـلًا خلقهم لها وهم في أصـلاب أبائهم**»(٢). وفيـه: «**إن الرجل لَيَعْمَل عَمَلَ أهل الجَنَّة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار. وان الرجل ليعمل عمل أهـل النـار فيما يبدو للنـاس، وهو من أهل الجَنَّة**»(٣). وفيه قـال أيضًا: «**ما منكم من نفس إلَّا وَقَدْ علم الله منزلها من الجَنَّة والنار**». وفيه قالوا: يا رَسُول الله، ففيم العملُ أفـلا نَتَّـكِلُ؟ قال: «**لا، اعملوا، فكُلٌّ مُيَسَّـر لِمَـا خُلِقَ له**»(٤)، ثم قـرأ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠]. هذه المراتب المذكورة في البيت الأول، نعم لقد ثبتت بالاستقراء لنصوص الكِتَاب وَالسُّـنَّة، وهي: عِلم، وكِتابَة، ومَشِيئَة، والخلق أو الإيجاد. وقد ذُكرت مع أركان الإيمان مجملا والآن نفصل الكلام عليها.

= عِلْم الله» (٨/ ١٢٢) رقم (٦٥٩٦)، ومسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّة خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ..» (٤/ ٢٠٤١) رقم (٢٦٤٩/ ٩).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِزِ» باب «مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الـمُشْرِكِينَ» (٢/ ١٠٠) رقم (١٣٨٤)، ومسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ..» (٤/ ٢٠٤٩) رقم (٢٦٥٩/ ٢٦).

(٢) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ..» (٤/ ٢٠٥٠) رقم (٢٦٦٢/ ٣١).

(٣) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «لَا يَقُولُ فُلَانٌ شَهِيدٌ» (٤/ ٣٧) رقم (٢٨٩٨)، ومسلم كتاب «الْإِيمَانَ» باب «غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، ..» (١/ ١٠٦) رقم (١١٢/ ١٧٩).

(٤) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِزِ» باب «مَوْعِظَةِ الـمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، ..» (٢/ ٩٦) رقم (١٣٦٢)، ومسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّة خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٤٠) رقم (٢٦٤٧/ ٧). ولفظ مسلم «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

١- المرتبة الأولى: وهي العلم:

٢٧١- فَهْوَ عَلِيمٌ أزَلًا بِمَا خَلَقْ ... وَأبَـدًا بِمَـنْ يُطِيعُ أوْ يَعقْ

٢٧٢- قَدْ عَلِمَ الأَرْزَاقَ وَالآجَالا ... وَانْفَرَدَ اللهُ بِهَا اسْتِقْلالا

المرتبَة الأولى، وهِيَ العلم. وهِيَ صفَة لله ذاتيَّة كاشفَةٌ ومحيطَةٌ يعلم ما كان، ويكون، وما هو كائن إلى يَوْمَ القِيَامَةِ، وما لم يكن لو كان كيف يكون. وكل الأمور صغيرها وكبيرها، وظاهرها وباطنها، وسرها وجهرها، معلومَة لله تَعَالَىٰ: مكشوفَة الكُنْه والظاهر، ويستوي لديه الظاهر والباطن، لا يَعْزُب عنه مِثْقال ذَرَّة في السموات، ولا في الأرض، وَأنَّهُ قد أحاط بكل شَيْء عِلمًا، ومن ذَلِكَ أعمال وأفعال خَلقِهِ من قبل أن يُوجَدوا، وعلم أرزاقهم وأجالهم، وأقوالهم، وأحوالهم ومصائرهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، ومن هو منهم مؤمن أو كافر، ومن هو منهم موفق، ومن هو منهم محروم ومخذول، ومن هو منهم شقي أو سعيد، وَهَذَا العلم اتفق عليه الرسل جميعًا، واتفق عليه الصحابَةُ جميعًا ومن تبعهم من الأمه وكتابته السابقَة تدل على علمه بها قبل كونها. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، ففي هذه الآيَة إثبات لعلم الله السابق بمعصيَةِ إبليس، وَقَدْ خُلِقَ لها. وَكَذَلِكَ فيها إشارَة إلى سبق علم الله بما سيكون من الخليفَةِ من أنبياء ورسل وغيرهم، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطَّلَاق: ١٢]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعَام: ٥٩] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحَشر: ٢٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سَبَإ: ٣]. وَفي الصحيح:

«ما منكم من نفس إلا وَقَدْ علم الله منزلها من الجنَّة والنار»(١). وَإنَّ عِلمَ الله يتناول الموجود، والمعدوم، والواجب، والممكن، والممتنع، قال ابْن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علم الله السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه لا محو فيه، ولا تغيير، ولا زيادَة، ولا نقص. وَهَذَا مُتَّفَق عليه بين أئمة أَهْل السُّنَّةِ، ولم يخالف فيه أحد إلا مجوس هذه الأُمَّة. وهم غلاة القدريَة النفاة وتقابلهم الجبريَة الغلاة»(٢).

وقولنا: (فَهُوَ) أي: الله (عليم) كثير العلم، فلا يخرج عن علمه شَيْء سواء فيما مضى، أو في الحال، أو المستقبل وصِفَة العلم ذاتيَّة لله تَعَالَىٰ كما تَقَدَّمَ لا تُفارِقُه، ومن علمه ما قُسم بين الخلق من معلومات، وكل الخلق لم يؤتوا من العلم إلا قليلًا. ولك أن تتساءل في عِلم من عَلِمَ من المخلوقات الماضيَة والحاضرَة والآتيَة، فإذا جمعت ما لديهم من معلومات وجدته لا يساوي شيئًا بالنسبَة لعلم الله الذي أحاط بكل شَيْء علما. (أَزَلًا) فيما مضى (وأبَدًا) فيما يستقبل، فهو محيط بكل شَيْء يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا وما يأتي، وهو قد علم المطيع المنقاد من خلقه والعاصي المُتَمَرِّد، والبارّ الخيِّر منهم، والعاقّ الخارج عن الطاعَة، والعامل وعمله، والصانع وصنعته، وكل حركَة، أو سكون، سواءٌ في الماضي، أو الحال والمستقبل قد عَلِمَها وعلمه هذا لا يكون ملزمًا، ولا معلومًا للخلق وَلَكِنْ يقع القَدَرُ كما علم وبواسطَة المخلوق نَفْسِه بعمل الأسباب الموجِبَةِ لتحقيق علمه سُبْحَانَهُ حتى لا يكون لهم حُجَّة؛ لأنهم لا يعلمونه لأنه سر الله

(١) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِز» باب «مَوْعِظَةِ المُحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، ..» (٢/ ٩٦) رقم (١٣٦٢)، ومسلم كتاب «القَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٤٠) رقم (٢٦٤٧/ ٧). ولفظ مسلم «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا. اعْمَلُوا. فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

(٢) انظر: «التنبيهات السنية» (ص: ٢٦٣) لعبد العزيز الرشيد.

المكتـوم لا يُعْلَـم إلا بعد وقوعه، فلا يكون لهم حُجَّة بالقدر على تَنَكُّبِ الطريق الصحيح إلى الطريـق المعـوج. وعلمه الشـامل بــ(الأَرْزَاق) جمـع رزق، والـرزق عِنْدَ أَهْل السُّـنَّةِ والجَمَاعَـةِ ما صَحَّ بـه الانتفاع حلالًا كان، أو حرامًا. خلافًا للمعتزلَةِ في قولهم: إن الحرام ليـس برزق؛ لأنـه لا يصح تملُّكِه. وقولهم: إن الله لا يرزق الحرام، وَإِنَّمَا يرزق الحلال[١].

(والآجـالا) جمـع أَجَـل، وهِـيَ الـمُـدَّة المضروبة للـشيء. كما قـال تَعَالَىٰ: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨] ويُقَـالُ للمُدَّة المضروبَة لحياة الإنسـان: أجـل، وهِيَ الـمُرادَة هنا في البيـت أن الله قـد أحاط علمه بـالأرزاق والآجال القصـيرَةِ والطويلَةِ (وانْفَـرَدَ اللهُ بِهَا) أي: بهـذه الصِّفَةِ الذَّاتِيَّة الشـاملَة المحيطَة بدقائق ما يكـون من الأرزاق والآجال، وذَلِكَ (اسْتِقْلالا) بها دون مشاركة غيره، وعلمه محيط بكل شيء ومن ذَلِكَ الأرزاق والآجال، وهاتـان الصفتان أعظم ما عِنْـدَ الناس لتعلُّقِها بحياتهم اليوميَّة، فهـم يَغْدُون ويَرُوحُون ويبذلـون كل مـا في وُسْعِهم في جَمْعِ الأرزاق. وعمل أكبر ما يمكـن عمله من الأماني في تطويل الأعمار والآجال. وَلَكِنَّ كل شَيْء قد حُسِـمَ بالقَدَر. ومعنى البيتين السـابقين هو بَعْض التفصيل لِصِفَة علم الله في المرتبَة الأولى.

❁❁❁

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ١١٧).

٢- المرتبة الثانية: وهي الكتابة:

٢٧٣- وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ قَدْ كُتِبَا بِلَوْحِهِ الْمَحْفُوظِ عَنَّا غَيْبَا
٢٧٤- هَذَا، وَتَقْدِيرُ العُمُومِ فَصَّلا لِخَمْسَةٍ جَاءَتْ إِلَيْكَ أَوَّلا
٢٧٥- بِالعُمْرِ أَوْ فِي الحَوْلِ أو فِي اليَوْمِ وَهَكَذَا أَقْسَامُهُ يَا قَوْمِ

وهي تدوين جميع المقادير كلها في الذِّكْر، وكل ما هو كائن إلى يَوْمَ القِيَامَةِ وحتى أفعال الله، وما كان منها، وما يكون، وكتابَة ذَلِكَ كله في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامَة. وَقَدْ أجمع الصحابَة والتابعون وأهل العلم من بعدهم وجميع أَهْل السُّنَّةِ والحَدِيث على أَنَّ كل كائن إلى يَوْمَ القِيَامَةِ هو مكتوب عنده في أم الكِتَاب وَأَنَّ هذه الكتابَة لم تفرط في شَيْء من المقادير، وأنها مُحْصِيَّة في إِمَام مُبِين قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وَقَدْ دَلَّ القرآنُ الكريم على أَنَّ الرب تَعَالَىٰ كتب في أم الكِتَاب ما يفعله وما يقوله[(١)]، فكتب في اللوح المحفوظ القُرْآن الكريم. وله معنيان: إما كتابَة ذكره، وإما كتابَة حقيقته كما هو موجود في المصاحف الآن واللوح المحفوظ نؤمن به وبوجوده لوردوه في القُرْآن الكريم من غير معرفَةٍ لِكُنْهِهِ قال تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

ويبقى المعنى هل القُرْآن الكريم مكتوب بهذه الصِّفَة: المعلومَة لنا اليوم؟ في اللوح المحفوظ. أم كان موجودًا في اللوح المحفوظ ذِكْرَه مُجْمَلًا. وكلا المعنيين جائز لانْدِرَاجِهِمَا تحت قُدرَة الله، وليس ذَلِكَ على الله بعزيز، فهو على كل شَيْء قدير.

والخُلاصَةُ أَنَّ مَنْ قال أن القرآن موجود بجُمْلته وتفصيله في اللوح المحفوظ على هذه الصورَة الموجودَة بين أيدينا، فقد نظر إلى ظاهر النص القرآني، وهو قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] ومن نظر إلى أن الله إنما يتكلم بالقرآن

(١) «شفاء العليل» (١/ ١٢٠).

حين نزوله في أوقات مختلفة، فقد نظر إلى أن المكتوب في اللوح المحفوظ إنما هو ذِكْرُهُ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وَقَدْ علم أن القُرْآن لم ينزل نَصُّهُ إلا في عهد النبي ﷺ(١). هذا، وما كتب من المقادير لا يَتَغَيَّر؛ لأن الله أَمَرَ القَلَمَ أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. لحديث عُبَادَة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**أول ما خلق الله القلم قال: له اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**». يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»(٢) والإيمان بكتابةِ المقاديرِ يَسْكُبُ في قلوبِ المؤمنين الطمأنينَةَ والراحَةَ والاسترواحَ، والمكتوبُ وآثاره يعود على المؤمنين بالنماء والبركات في الحسنات ورجحانها على السيئات في الأعمال وعِنْدَ غير المؤمنين تعود عَلَيْهِمْ بالخسران والنكران. والدليل على الكتابةِ من الكِتَاب قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وَفِي الحديث: «**ما منكم من أحد إلا وَقَدْ كُتِبَ مقعده من النار، أو من الجَنَّة**»، فَقَال رجل

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٩٧).

(٢) أخرجه عن عبادة بن الصامت أبو داود - واللفظ له - كتاب «السُّنَّة» باب «فِي الْقَدَرِ» (٤/ ٢٢٥) رقم (٤٧٠٠)، والترمذي أَبْوَابُ «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» باب «وَمِنْ سُورَةِ ن» (٥/ ٤٢٤) رقم (٣٣١٩) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وأحمد تتمة «مسند الأنصار» (٣٧/ ٣٧٨) رقم (٢٢٧٠٥). وصححه الألباني كما في «ظلال الجنة بتخريج أحاديث السنة» رقم (١٠٥). وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح.

من القوم: ألا نتكل يا رَسُول الله؟ قال: «**لا. اعملوا، فكلّ ميسر لما خلق له**»(١)، ثم قرأ الآيـة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧]، وحديث: كنا في جِنـازَة في بَقِيع الغرقد، فأتانا رَسُول الله ﷺ، فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مِخْصرَةٌ، منكّس بها، فجعل ينكس بِمِخْصَرَتِهِ، ثـم قال: «**ما من نفس منفوسَـةٍ إلا وَقَدْ كَتَبَ الله تَعَالَىٰ مكانها مـن الجنَّـة والنـار. وإلا قد كتبت شـقية، أو سـعيدَة**». قـال: فَقَال رجل: يا رَسُول الله، أفلا نمكث على كتابنا ونـدع العمل؟ فَقَال: «**مـن كان من أهل السـعادَة، فسيصير إلى عمل أهل السعادَة، ومن كان من أهل الشقاوَة، فسيصير إلى عمل أهل الشـقاوَة**»، فَقَال: «**اعملوا، فكل مُيَسَّرٌ. أهل السـعادَة فيسـيرون لعمل أهل السـعادَة (وذَلِكَ بأسـبابها). وأما أهل الشـقاوَة فيسيرون لعمل أهل الشـقاوَة (وذَلِكَ بأسـبابها)**»(٢)، ثم قرأ قَوْلَـه تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

وتشير الأبيات الثلاثة إلى أن التقدير العام يتفرع عنه خمسَة مقادير هي:

١ - **التقديـر العـام الأزلي**: لجميـع المقادير، وكان قبل خلق السـموات والأرض بخمسين ألف سَنَةٍ قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧] (٦/ ١٧٠) رقم (٤٩٤٦)، ومسلم كتاب «القَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٤٠) رقم (٢٦٤٧/ ٧).

(٢) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِزِ» باب «مَوْعِظَةِ المُحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، ..» (٢/ ٩٦) رقم (١٣٦٢)، ومسلم كتاب «القَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٣٩) رقم (٢٦٤٧/ ٦). وما بين القوسين ليس من الحديث ولكن للتوضيح لشرعية الأسباب وأهميتها.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وكما في الحَدِيث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سَنَةٍ قال: وعَرْشُه على الماء»(١). وكتابَةُ المقادير في الساعَةِ التي خلق فيها القلم، وإن العرش خُلِقَ قبل القلم لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عباده ابن الصامت وفيه «إن أول ما خلق الله تَعَالَىٰ القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» ، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار (٢). وما كتبه القلم هو القدر، وَإِنَّهُ قد جَفَّ القلم على علم الله.

٢- التقدير العمري حين أخذ الميثاق يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وذَلِكَ قبل خلق المخلوقين، وهو تقدير كل شَيْء كائن على المخلوقين من خير وشر، ومن شَقَاوَةٍ وسَعادَة، ورزق وعمل وأَجَل، وربط ذَلِكَ بالأسباب، وَفِي هذا التقدير يدخل أخذ العهد والميثاق على آدم وذريته أن يوحدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا كما في الآيَة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والمعنى أن الله استخرجهم كالذَّرِّ من ظُهور بني آدم، ثم صوَّرَهم واستنطقهم، فتكلموا بالشهادَة بوَحْدَانيَّة الله والإقرار بها. روى إسحاق بن

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو مسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام» (٤/ ٢٠٤٤) رقم (١٦/٢٦٥٣).

(٢) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت أبو داود كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْقَدَرِ» (٤/ ٢٢٥) رقم (٤٧٠٠)، والترمذي أبواب «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» باب «وَمِنْ سُورَةِ ن» (٥/ ٤٢٤) رقم (٣٣١٩)، وأحمد تتمة «مسند الأنصار» (٣٧/ ٣٧٨) رقم (٢٢٧٠٥). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

راهويه أن رجلًا قال: يا رَسُول الله، أتبتدئ الأعمال أم قد مضى القضاء؟ فَقَال: **«إن الله تَعَالَىٰ لما أخرج ذُرِّيَّة آدمَ من ظهره أَشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ، ثم أفاضَ بهم في كَفَّيْهِ، فقَال: هَؤُلَاءِ للجَنَّة، وهَؤُلَاءِ للنار، فأهل الجَنَّة مُيَسَّرون لعمل أهل الجَنَّة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»**[(١)].

٣- التقدير العمري عِنْدَ تخليق النُّطفَة في الرحم وكتابَةِ: الشقاوَة والسعادَة والعمل والأجل وسائر ما يَلقَاه، وذَلِك بعد خلق النُّطفَة كما في حَدِيث عبد الله بن مسعود الآتي، وحديث حذيفَة بن أسيد، وهو ما ذكره بالعمري. قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] ومن السُّنَّة حَدِيث ابْن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»**[(٢)].

---

(١) أخرجه من حديث هشام بن حكيم ابن أبي عاصم في السنة» باب «مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قال: إنما تعلمون فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». (١/ ٧٣) رقم (١٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» باب «مَا ذُكِرَ فِي الْيَمِينِ وَالْكَفِّ» (٢/ ١٤٨) رقم (٧١٢). وقال الألباني: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صرح فيه بقية بالتحديث.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «التَّوْحِيدِ» باب «قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ =

ولهما من حَدِيث حماد بن زيد، عن عبيد الله بن أبي بكر، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وكل الله تَعَالَى بالرحم مَلَكًا فيقول: أي رب نُطْفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكرٌ أم أنثى، أشقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»[(١)].

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[(٢)].

إلخ، وفيه روايات أخرى تختلف في اللفظ، والمعنى واحد: (أوَ فِي الحول، أو في اليوم).

= كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٧١] (٩/ ١٣٥) رقم (٧٤٥٤)، ومسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٣٦) رقم (٢٦٤٣/ ١).

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «القَدَرِ» باب «فِي القَدَرِ» (٨/ ١٢٢) رقم (٦٥٩٥)، ومسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٣٨) رقم (٢٦٤٦/ ٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ كتاب «الْقَدَرِ» باب «كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» (٤/ ٢٠٣٧) رقم (٢٦٤٥/ ٣).

٤- **التقديـر الحولـي**، وهو ما يحصل في ليلَة القدر والحـول يعني من رمضان إلى رمضان يسمى حولًا، فيكتب كلما هو واقع عليه من الأقدار في تِلكَ الليلَةِ، ثم تنفذ عليه في تِلكَ السَّنَةِ فيقع الموت، والزواج، والرزق، والحج، والصحَّة، والمرض، وكل شَيْء قد قـدر عليه، وهو من التقدير العام أصلا قـال تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٥]، قال مجاهد: ليلَة القدر ليلَة الحكم، وقال مقاتل: يُقَدِّر الله في ليلَة القدر أَمْر السَّنَة في بلاده وعباده إلى السَّنَة القابِلَةِ، وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآيَة: إنك لَتَرَى الرجل يمشي في الأسواق، وَقَدْ وقع اسمه في الموتى.

٥- **التقدير اليومي**، وهو سـوق المقادير إلى المواقيت التي قُدِّرَتْ لها فيما سبق، أو سـوق المقادير إلى أسبابها المرتبطَة بها لتنفيذها قال تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. وروى بـن جريـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي، عـن أبيـه قال: تلا رَسُـول الله ﷺ هذه الآيَـة ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، فقلنا: يا رَسُـول الله، وما ذاك الشـأن؟ قال: **«أنْ يغفرَ ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»**[1]. ثم إن هذه المقادير الخمسَةَ المتأخرَةَ فيها تفصيل للتقدير العام. (**وَهَكَذَا أَقْسَامُهُ يَا قَوْمِي**) وهكذا انتهت أنواع التقدير العام الخمسَةِ و(**يَا قَوْمِي**) تكملَة للبيت.

---

(١) أخرجه من حديث أبي الدرداء ابن ماجه في «المقدمة» باب «فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ» (١/ ٧٣) رقم (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣٠) رقم (٣٠١)، وصححه ابن حبان رقم (٦٨٩)، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٨): هَذَا إِسْنَاد حسن، وقال الألباني في «ظلال الجنة»: حديث صحيح. وصحح الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢٢٩) وقفه على أبي الدرداء.

٢٧٦- دَلِيلُهُ السُّنَّةُ كَالكِتَابِ فَاعْلَمْ هَدَاكَ اللهُ لِلصَّوَابِ

وفي الاستدلال على القَدَرِ نستدل بجميع نصوص السُّنَّة الصحيحَة كما نستدل بنصوص القرآن الكريم الصريحَة (فَاعْلَمْ) عِلمَ يَقِينٍ بِذَلِكَ - و(هَدَاكَ اللهُ لِلصَّوَابِ) دعاء بالهدايَة والإرشاد إلى مواطن الصواب في هذا الباب، وَقَدْ تقدم كثير من النصوص كما ستأتي كثير من النصوص المثبتَة للقدر. وكل شَيْء كائن من أفعالنا وأعمالنا وآثار أعمالنا هو مرصود ومكتوب كما قال تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقَوْله تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١ - ٥٢]. وعن أبي هريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الله كتب على ابن آدَمَ حَظَّه من الزنا أدرك ذَلِكَ لا محالَة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذَلِكَ، أو يكذبه»**(١).

وحديث ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أنه ركب خلف رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا، فَقَال له رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»**(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الِاسْتِئْذَانِ» باب «زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ» (٨/ ٥٤) رقم (٦٢٤٣)، ومسلم كتاب «القَدَرِ» باب «قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا وَغَيْرِهِ» (٤/ ٢٠٤٦) رقم (٢٦٥٧/ ٢٠).

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس الترمذي أبواب باب (٤/ ٦٦٧) رقم (٢٥١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني في «ظلال الجنة» رقم (٣١٦) معلقًا على كلام الترمذي: وهو كما قال.

٣- المرتبة الثالثة: المشيئة:

٢٧٧- وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ قَدْ ظَهَرْ فَهْوَ الَّذِي قَدْ شَاءَهُ حِينَ القَدَرْ

٢٧٨- وَلَيْسَ غَيْرَ مَا يَشَاءُ يُوجَدُ وَلَيس غَيْرَ مَا يُرِيدُ يُفْقَدُ

أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بأن الله تَعَالَىٰ مَشِيئَتُهُ نافذَة وقدرَةٌ شاملَةٌ، وتجتمعان فيما كان، وما سيكون. وتفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن[١]، فما شاء الله تَعَالَىٰ كونه، فهو كائن بقدرته لا محالة قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وَقَدْ دَلَّ عليها إجماع الرُّسُل من أولهم إلى آخرهم وليس شَيْء موجب في الوجود إلا مشيئَة الله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ لعدم مشيئَةِ الله له، وليس لعدم قدرته عليه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [هود: ١١٨] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

ومن السُّنَّة حديث: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»[٢].

وحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا تصليان»، فَقَال علي: إنما أنفسنا بيدي الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا[٣]. والحديث: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء**»[٤]. إلى غير ذَلِكَ

---

(١) انظر: «معارج القبول» (٣/ ٩٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري كتاب «الزَّكَاة» باب «التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا» (٢/ ١١٣) رقم (١٤٣٢)، ومسلم كتاب «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ» باب «اسْتِحْبَابِ الشَّفَاعَةِ فِيمَا لَيْسَ بِحَرَامٍ» (٤/ ٢٠٢٦) رقم (٢٦٢٧/ ١٤٥).

(٣) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «الْجُمُعَةِ» باب «تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ» (٢/ ٥٠) رقم (١١٢٧)، ومسلم كتاب «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «مَا رُوِيَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ» (١/ ٥٣٧) رقم (٧٧٥/ ٢٠٦).

(٤) متفق عليه من حديث أبي قتادة، أخرجه البخاري - واللفظ له - كتاب «التوحيد» باب «فِي الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ» (٩/ ١٣٩) رقم (٧٤٧١)، ومسلم كتاب «الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ» باب «قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ» (١/ ٤٧٢) رقم (٦٨١/ ٣١١).

من الأحاديث. وَقَدْ أجْمَعَ المسلمون على أنَّ الحالف إذا استثنى في يمينه متصلا، فَقَال: لأَفْعَلَنَّ كذا، أو لأفعلن كذا إن شاء الله - أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه؛ لأنه من أصل أهل الإسلام أنه لا يكون شَيْء إلا بمشيئَة الله، فإذا عَلَّقَ الحالف الفعل، أو الترك بالمشيئَة لم يحنث عِنْدَ عدم المشيئَة.

وقولنا: (وكل شيء...إلخ) كائن في الوجود قد وجد الآن، فهو أثر عن مشيئَة الله وقدرته؛ لأَنَّ القدرَة والمشيئَة يجتمعان فيما كان وَيَكُون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن وما لم يوجد الآن، فإن الله لم يشأه بعد. لا لعدم القدرَة عليه، فإن الله على كل شَيْء قدير.

(وَلَيْسَ غَيْرَ مَا يَشَاءُ يُوجَدُ) أي: ما شاء الله كان ووُجِدَ، وما لم يشأ لم يُوجَد، ولم يكن. وذَلِكَ لعدم المشيئَة لا لعدم القدرَة عليه.

(وَلَيس غَيْرَ ما يُرِيدُ يُفْقَدُ) أي: ما أراده الله كونًا يوجد لا محالَةَ.

❁❁❁

٤- المرتبة الرابعة (الخلق، أو الإيجاد):

٢٧٩- وَأَوَّلُ الخَلقِ يُقَالُ القَلَمُ   وَقِيلَ عَرْشُهُ، وَهَذَا أَسْلَمُ
٢٨٠- قَدْ قَدَّرَ الأُمُورَ بِالإِنْصَافِ   مِنْ قَبْلِ خَمْسِينَ مِنَ الآلافِ

نعم كل ما سوى الله، فهو مخلوق، وموجود له سُبْحَانَهُ وفق ما علم، وكتب، وشاء سُبْحَانَهُ بدون زيادةٍ ولا نقص، وَأَنَّ كل الأفعال الصادرَة عن خلقه لها قد وُجِدَتْ حَسَبَ عِلمِهِ وقُدرته قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣] وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وَفِي الصحيح: **«إن الله يصنع كل صانع وصنعته»**[(١)]. وحديث: **«والخير كله في يديك والشر ليس إليك»**[(٢)]. ومعنى ذَلِكَ أن أفعال الله كلها خير بالنسبة إليه سُبْحَانَهُ. والشر إذا وُجِد أنها يكون في مفعولاتِهِ نسبيًّا، فَيَكُون ما يرونه شرًّا هو بالنسبةِ لهم أما بالنسبةِ لله، فهو خير. كما يرى الولد المريض أن شق بطنه من أجل العلاج شرًّا، ووالده يرى ذَلِكَ خيرًا ورحمة به. ولله المثل الأعلى.

وخلاصة هذا المرتبةِ هو الإِيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق كل شَيْء وموجده وفق ما علم وكتب وشاء، وهو خالق كل عامل وعمله، ومتحرك وحركته، وساكن وسكونه، وكل شَيْء في الوجود علمناه أو جهلناه من المخلوقات والموجودات قد أوجدها الله سُبْحَانَهُ وفق مشيئته، وعلمه وَأَنَّهُ لا خالق غيره، ولا ربَّ سواه، وَأَنَّ الأشياء التي لم توجد

---

(١) أخرجه من حديث حذيفة البخاري في «خلق أفعال العباد» - واللفظ له - (ص: ٤٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٥٨) رقم (٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٣٧): هو كما قالا.

(٢) أخرجه من حديث علي بن أبي طالب مسلم كتاب «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا» باب «الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ» (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧١/ ٢٠١).

حتى الآن هي لعدم مشيئته سُبْحَانَهُ لا عن عدم قدرته سُبْحَانَهُ. وقد ورد عن عُبَادَة بْن الصامت قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: **«إن أول ما خلق الله القلم، فَقَال له: اكتب. قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شَيْء حتى تقوم الساعَة»**[١]. والحَدِيث صحيح إلا قَوْلَه: «فَقَال»، فقد جاء في بَعْض الروايات بلفظ: «ثم قال»[٢].

وقد اختلف العُلَمَاء في أول الخلق، فقِيلَ: القلم، وقِيلَ: العَرْش هما قولان: ذكرهما الحافظ أبو العلا الهمداني وأصحُّهما أن العرش خُلِقَ قبل القَلَم، وَهَذَا أَسْلَمُ بمعنى أصح وأصوب، وذَلِكَ لما ثبت في الصحيح من حَدِيث عبد الله بن عمرو قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سَنَةٍ قال: وكان عرشه على الماء»**[٣]، فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش. والثاني: وقع عِنْدَ أول خلق القلم. (قَدْ) للتحقيق (قَدَّر) أي: مِن التقدير العام المبني على العلم الكامل والمحيط الشامل لجميع دقائق الأمور (بِالإِنْصَافِ): قدرها وأحكمها بالعدل الكامل والحكمَة البالغَة من قبل خمسين ألف سَنَةٍ.

---

(١) أخرجه عن عبادة بن الصامت أبو داود - واللفظ له - كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْقَدَرِ» (٤/ ٢٢٥) رقم (٤٧٠٠)، والترمذي أَبْوَابُ «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» باب «وَمِنْ سُورَةِ ن» (٥/ ٤٢٤) رقم (٣٣١٩) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وأحمد تتمة «مسند الأنصار» (٣٧/ ٣٧٨) رقم (٢٢٧٠٥). وصححه الألباني كما في «ظلال الجنة» بتخريج أحاديث السنة رقم (١٠٥). وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح.

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٢٦٤).

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو مسلم كتاب «الْقَدَرِ» باب «حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» (٤/ ٢٠٤٤) رقم (٢٦٥٣/ ١٦).

٢٨١- وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ كَمَا   لَـنَـا مِـنْ هـديـه بِـنَـصٍّ عُلِمَا

أي أن العرش كان موجودًا حين أمر الله سُبْحَانَهُ القلم بالكتابةِ للمقادير، كما هو واضح في الحَدِيث السابقِ، وهو معلوم لَدَى العُلَمَاء، وَقَدْ وقع الخلاف ما بين أقدميَّةِ خلق القَلَم أو العرش، والحَدِيث نصٌّ صريح أن العرش قَبْلَ القلم.

❀❀❀

١- لا تعارُض بين نصوص الإرادة الكونيَّة والشرعيَّة:

٢٨٢- وَلَيْسَ بَيْنَ الشَّرعِ يَا ذَا وَالقَدَرْ   أَيُّ مُـنَـافَـاةٍ فَـخُـذْهُ بِـالحَـذَرْ

أي ليس بين نصوص الإرادَةِ الشرعيَّةِ، ولا بين نصوص الإرادَة الكونيَّة القدريَّة أي تعارُض؛ لأنه ليس بينهما تلازُم، فقد يوجد ما لا يحبه شرعًا كوجود الكفر وإبليس والمعاصي؛ لما يترتب على وجود هذا النوع من الخلق من حكم بالغَةٍ لا يَعْلَمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ يريد ويحب وجود أشياء شرعًا، وهو لا يريدها كونًا كمطالبَة أبي جهل وأبي لهب بالإيمان شرعًا، وهو لم يُرِدْهُ منهم كونًا، والأَدِلَّةُ على الإرادتين قَوْلُهُ تَعَالَى عن الإرادَة الشرعيَّة المقتضيَّة للمحبَّةِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي يحب لكم اليسر، ولا يحب لكم العسر. وقَوْله تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦] والدليل على الإرادَةِ الكونيَّة، والتي ليس لأحد من مدلولها من مهرب، أو مناص قَوْله تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

٢- لا تعارض بين ما هو مقدر على العبد من الله وبين مباشرة العبد لفعله:

٢٨٣- وَلَيْسَ بَيْنَ مُثْبَتٍ لِلقَدَرِ   وَبَيْنَ فِعْلٍ مُسْنَدٍ لِلبَشَرِ
٢٨٤- أَيُّ مُنَافَاةٍ فَخُذْ مُقتَنِعَا   وَلَا تُطَاوِعْ ذَا هَوًى مُبْتَدِعَا

ولا توجد أي معارضَة بين ما هو مقدر على العبد من الله وبين مباشَرَة العبد نَفْسه للفعل، فالله خالق العبد وخالق فِعْله كما قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وخالق كل صَنْعَةٍ وما صنع لحديث حُذَيْفَةَ مرفوعًا قال: «إن الله يصنع كل صانع وصنعَتِهِ»[١] وقرأ الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وذَلِكَ أن للعبد قدرَةً ومشيئَةً، ولله قدرَةً ومشيئَةً، وَلَكِنَّ قدرَةَ العبد ومشيئَتَه تابعَةٌ لقدرَةِ الله ومشيئته، ولا تَصَادُمَ بين خلق الفعل من الله وبين تنفيذه بفعل العبد، فالله خالق كل شيء، ومن جملَة الخلق نوع الإنسان وقُدراته، فلا إرادَةَ للعبد إلا بعد إرادَةِ الله، وَكَذَلِكَ لا مشيئَةَ للعبد إلا بعد مشيئَةِ الله، وَكَذَلِكَ لا إتمام لعمل مَّا إلا بمعونَةِ الله له، فكل حركات الإنسان من فعل واختيار وإرادَة ومشيئَة تابعة لإرادَةِ ومشيئَةِ الله سُبْحَانَهُ، ولا يتم شيء من ذَلِكَ للعبد إلا بمشيئَةِ الله كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وَفِي هذه الآية وأمثالها رَدٌّ على الجبريَّة التي تقول: ليس للعبد أي فعل، أو أي دخل في أفعاله وحركاته، وَأَنَّ الفاعل هو الله، وَأَنَّ العبد مسلوب القدرَةِ والاختيار تمامًا، وَأَنَّهُ بمثابَة ورق الأشجار التي تحركها الرياح كيف شاءت بعكس فرقَة القدريَّة التي تقول أن العبد هو الفاعل الحقيقي لفعله وليس لله دخل في إتمام أفعالهم، أو إنشائها وبهذا فقد جعلوا مع الله خالِقِينَ بعدد المَخْلُوقِينَ، تعالى اللهُ عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا!

---

(١) أخرجه من حديث حذيفة البخاري في «خلق أفعال العباد» - واللفظ له- (ص: ٤٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٥٨) رقم (٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٣٧): هو كما قالا.

٣- الرَّدُّ على الجبريَّة والقدريَّة:

قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]

وَفِي الآيتين رد على الفرقتين الجبريَّة والقدريَّة كما تقدم.

وقولنا: (**وَلَا تُطَاوِعْ ذا هَوًى مُبْتَدِعًا**) من المطاوعَةِ العَمْيَاءِ بل اتَّبِعِ الدليلَ من الكِتَاب وَالسُّنَّةِ وابتعدْ عن الهوى. والهوى هو مَيَلانُ المَرْءِ إلى ما تَهْوَاه نَفْسُه وطبعه دونما دليلٍ، وإن كان الدليل ضِدّه، ولا يَعْضُدُه، وَكَذَلِكَ (**لَا تُسَايِرْ أَيَّ مُبْتَدِعٍ**) ولا تنساق وراء المبتدعين، وكن حذرا منهم والابتداع هو أن يأتي بِشيء ليس له أصل من الدين يَقُول هو من الدين ويدعو إليه. (وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[1].

❁❁❁

(١) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله مسلم كتاب «الجمعة» باب «تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ» (٢/ ٥٩٢) رقم (٨٦٧/ ٤٣)، والنسائي - واللفظ له - كتاب «صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ» باب «كَيْفَ الْخُطْبَةُ» (٣/ ١٨٨) رقم (١٥٧٨).

٤- انقسام أهل الضلال إلى ثلاثة أقسام:

٢٨٥- وَلا تَكُنْ فِي الجَهْلِ وَالضَّلَالِ   مِـثْـلَ مَجُـوسٍ أَوْ ذَوِي اعْـتِـزَالِ
٢٨٦- وَمِـثْـلُـه قَـوْلٌ لِمُشْرِكِيَةْ   وَقَـوْلَـةٌ نَـادَتْ بِـهَـا إِبْلِيسِيَّةْ

الـواو عاطفَة على حَسَـبِ ما تَقَدَّمَ مـن النهي عن اتباع الهوى والابتـداع (وَلا) هنا ناهيـة، ابتعـد عـن (الجَهْلِ) الـذي لم يعـصَ الله بمثله وعن (الضَـلالِ)، وهو عبـادَةُ اللهِ بدون علم. مثل (مَجُوس) نقصد به كما ورد في بَعْض الآثار والسنن[(١)] أنهم نُفَاةُ القدر. (أَوْ ذِوي اعْتِزَالِ) أصحاب الاعتزال أي أصحاب مذهب المعتزلَة وهي فِرْقَة من القدريَّة، رَأْسُها واصلُ بن عطاء، انْعَزَلَ عن مجلس الحسَنِ البصريِّ، فسُمُّوا بذَلِكَ ومذهبهم المنزلَةِ بين المنزلتين، وهم ممن يُنْكِرونَ القَدَرَ ويُنْكِرونَ الصفاتِ.

وقولنـا: (وَمِثْلُـهُ قَـوْلٌ لِمُشْـرِكِيَّةْ...إلخ) وعـن هذه الثـلاثِ الفِرَقِ ذَكَرَ شـيخ الإسـلام ابْـن تيميَّة في رسـالته التدمريَة[(٢)] ما نصُّـه أن أهل الضلال انقسـموا إلى ثلاث فرق: مجوسـيَّة، ومشركيَّة، وإبليسيَّة، ثم شرَحَها، فَقَال: الفِرقَةُ الأولى: الَّذين كذبوا بقدر الله وإنْ آمنـوا بأمـره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتابَـةَ، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته، وهَؤُلَاءِ هم المعتزلَةُ ومن وافقَهم. والفرقَةُ الثانيةُ المجوسيَّةُ الذين أَقَـرُّوا بالقضاء والقدر، وأَنْكَرُوا الأمـر والنهي. قال تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فقد احتَجُّوا بالمشـيئَةِ على تعطيل الأمـر والنهي، وَهَذَا لا يجوز واحتجاجهم بالمشـيئَةِ على الشرك والمعصية تعطيل الأوامر والنواهـي ولمهمَّـةِ الرسـلِ، وكل من احتجـح بالقدر في إتيان المعـاصي ونحوها فهو من

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر أبو داود كتاب باب (٤/ ٢٢٢) رقم (٤٦٩١)، ولفظه: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ...» وقال الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥): هذا حديث صحيح على شرط الشـيخين إن صح سماع أبي حازم من بن عمر. وقال الألباني في «ظلال الجنة» رقم (٣٣٨): حديث حسن.

(٢) وفي «التحفة المهدية» (ص: ٣٧٣).

هـذا القبيل. ولَوِ احتجَّ بالقدر من باب النَّدَم والمصيبَة والتسـليم لَقُبِلَ منه. وكأنه يَقُول: والله قـد قَـدَّرَ الله عَلَيَّ هذا الأمر، ولا حول، ولا قوَة إلا بالله، وأسـتغفر الله، وأتوب إليه لكان مقبُولًا منه. أما الاحتجاج بالقدر على إثبات المعاصي مثل أصحاب الآية ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فهذا تعطيل للرسالات ومهمَّة الرسل وللشرائع كلها. وهَذِهِ هي المجوسـيَّة. والفرقَة الثالثَة: الإبليسـيَّةُ الذين أَقَرُّوا بالأمرين بإثبات القدر، وإثبات الأمر والنهي وَلَكِنْ قالوا: هذا تناقُض مثل: أن الله يقدر المعاصي علينا، ثم يعاقبنا عليها. وهم بهـذا المذهب الإبليسي يطعنون في أفعال الله وعدالته، وأنهـا خاليةٌ من الحكمَةِ والعدَالَة، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

والخُلاصَـةُ: أن المشركيَّـةَ ينظرون فقط للقدر الكـوني، ويصرفون النظر عن القدر الشرعـي، وكل من فعل ذلك فهم كالمشركين يحتجون بالقدر على إثبات ما يرتكبونه من أخطـاء، ومن نظر إلى الإرادَةِ الشرعيَّةِ وصرف النظر عـن الإرادَة الكونيَّة، فهم المعتزلَةُ، ومن أَقَرَّ بالأمرين، وقال: إن بينهما تناقُضٍ، فهَؤُلَاءِ الإبليسيون، ومن أَقَرَّ بالأمرين بدون تناقُضٍ، فهَؤُلَاءِ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعَة.

❀❀❀

٢٨٧- وَالحَقُّ مَا يَقُولُهُ الأَسْلَافُ وَغَيْرُ قَوْلِهِمْ هُوَ الإِجْحَافُ

٢٨٨- وَالعَبْدُ فَاعِلٌ لِفِعْلِهِ تَرَى حَقِيقَةً دُونَ الْتِبَاسٍ أُثِرَا

٢٨٩- وَاللهُ لِلفِعْلِ وَلِلعَبْدِ خَلَقْ دَلِيلُهُ قَدْ صَحَّ نَصًّا كَالفَلَقْ

(وَالحَقُّ) أي الشيء الثابت هو (مَا يَقُولُهُ) أي ما ينطقون به بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم (الأَسْلافُ) أي من مضى من سلف الأمة الصالح الذين قد مضوا وأولهم أهل القرن الأول، ثم الثاني، ثم الثالث. ومن تَبِعَهم من الأئمة الأعلام، وعلماء الإسلام من أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ خلفًا عن سَلَفٍ. وهو اعتقادهم وإيمانهم بما ورد في الكِتَاب وَالسُّنَّة في باب القدر وهو إثبات الأمرين القدر الكوني، والقدر الشرعي بدون تصادم، وَكَذَلِكَ أفعال العباد مع أنها تابعة لأفعال الله كما سيأتي. وَأَنَّ الله خلق كل شيء وقدره تقديرًا، وأوجده بمشيئته وَفْقَ عِلمه السابق، وما كتبه في اللوح المحفوظ، سواءٌ من الأعيان أو الأوصاف أو الأفعال أو الأحوال، فهم يؤمنون بذلك، وَأَنَّ ما وقع هو ما شاءه الله، وما لم يقع لم يشأه الله. وَأَنَّ العباد لهم إرادة واختيار تقع بهما أفعالهم، وهي تابعة لمَشِيئة الله وقدرته، وهم فاعلون حقيقة، وأنهم إن أحسنوا كوفئوا على ذلك الإحسان بما يستحقون من ثواب ومجازاة، وإن أساءوا عُوقِبوا على تلك الإساءة بما يستحقون من عذاب، وَأَنَّ نسبة الأفعال إليهم لا تتنافى مع نسبتها إلى الله تَعَالَىٰ إيجادًا وخلقًا، فالله خالقهم وموجدهم وخالق أفعالهم قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، فهذه السرابيل أصلُ خلقتها ومادتها من الله، ولكنها لم تكن دروعًا ولا بيوتًا إلا بعد تصنيعها من الخلق، فهي موجودة من الله، ثم مصنوعة من البشر. (وَالعَبْدُ) المخلوق: كافر، ومؤمن، ومسلم، وفاسق، ومطيع، وعاصٍ. هو فاعل لفعله ومُبَاشِرٌ له ومختار فيه، وموجه لحركته نحو النجدين

بطريق الخير أو طريق الشر، وهو مُحاسَب على هذه الأفعال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

(وَغَيْرُ قَوْلِهِمْ هُوَ الإِجْحَافُ) أي: غير قول أَهْلِ السُّنَّةِ هو الجَوْر، وهو الميل عن الحق إلى الباطل والشدة في الإضرار.

(وَالعَبْدُ فَاعِلٌ لِفِعْلِهِ تَرَى حَقِيقَةً) وفعل العبد (حَقِيقَةً) بكل ما تَعْنِيه هذه الكلمة من معنى، وليس فيها من (التِبَاس) أي: من اشتِباهٍ (أُثِرَ) أي: وُجِدَ عند أَهْل السُّنَّةِ عَبْرَ القرون الماضية، وإنما يوجد الالتباس والتحريف والتعطيل عند أهل الزيغ والضلال (وَاللهُ) هو العَلَمْ على الذات المقدَّسة وهو الفاعل، والخالق للعبد وفعله، وللعبد وما صنَع، وللعبد وما عمل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾، وقولنا: (دَلِيلُهُ قَدْ صَحَّ نَصًّا كَالفَلَقِ) دليل خلق الله للعباد وأعمالهم ومصنوعاتهم هو ما تقدم من الآيات التي لا تحتمل أي تأويل، فالله يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وكفى بقوله وتنصيصه على ذلك.

❁❁❁

وقولنا:

٢٩٠- وَلا تُطِعْ أَقْوَالَ مَنْ قَدْ ضَلُّوا وَخُـذْ بِـوَحْـيِ اللهِ فَـهْـوَ الفَصْلُ

(وَلا تُطِعْ) أي: أنهاكَ عن مطاوعة (أقْوالَ) جمع قول (مَنْ قَدْ ضَلُّوا) من الإبليسيين والمجوسيين والمشركين، ومَنْ في رَكْبِهِمْ (وَخُذْ بوحي الله) أي: اتَّبعْ في العمل ما جاء في الوحيين، وهو ما أوحاه الله إلى رسله بواسطة جبريل، أو ما ورد في الأحاديث القدسية ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، والأخذ بالوحي هو (الفَصْل) وهو الحكم والقطع بين شيئين. وكل قول لا يسنده الحق، فهو هَزْل وليس بالفصل، وهو هَاوٍ في متاهات الضلال، وإنما المعتبر هو ما دل عليه دليل من الكِتَاب والسُّنَّةِ.

❁❁❁

٢٣- (حقيقة الإيمان وحكم مُرتكب الكبيرة)

١- تعريف الإيمان:

٢٩١- تَصْدِيقُنَا بِاللهِ بِاللِّسَانِ وَالقَلْبِ وَالأَعْمَالِ وَالأَرْكَانِ

من أصول أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ أن الإيمان المُطلَق عندهم قول باللسان، واعتقاد بالجَنَانِ، وعمل بالأركان، يَزِيد بالطاعة، ويَنْقُص بالعصيان. والدليل على التصديق قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وكل آية فيها حَثٌّ على العمل وفعل الخير، فهي دليل على زيادة الإيمان والعكس دليل على النقصان، والقرآن مملوء بذلك. وقال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله»**(١).

(**فَقَوْلُ اللِّسَانِ**) هو النطق بالشهادتين، والقيام بمقتضاهما، أمر بمعروف، ونهي عن منكر، والقيام بما تقتضيه الشهادتين من عِلم وعَمَل، في شتى مجالات الحياة (**وَاعْتِقَادُ بِالجَنَانِ**) **الاعتقاد**: هو التصديق بالقلب قال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، في مسائل الإيمان تصديقًا لا يَرْقَى إليه شك ولا ارتياب، فإذا وقع فيه شك أو ريب، فلا إيمان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]. وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فإن لم يرضوك في التحاكُم أو وجدوا شَكًّا، فيما تدعوهم إليه أو عدم قناعة بحكمك فيهم، والحالة هذه، فذلك ليس بالعَقِيدَة ولا الإيمان، ومجال هذا الاعتقاد

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الإِيمَانِ» باب «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» (١/ ١٤) رقم (٢٥)، ومسلم كتاب «الإِيمَان» باب «الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» (١/ ٥٣) رقم (٢٢/ ٣٦).

والتصديق، فيما أخْبَرَ الله به عن نفسه من أسماء وصفات وأفعال وما أخبر به عن الغيبيات؛ كالملائكة والكُتُب والرسُل واليوم الآخر والقدَر خيرِه وشرِّه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، (والجَنَان) بفتح الجيم والنون من كل شيء جَوْفه، وهو القلب وما ينطوي عليه من تصديق جازم وعزم أكيد على الإيمان والتوحيد حتى المَمات، ولَوْ نُشِرَ بالمناشير، أو أُحْرِق بالنيران لم يَتَخَلَّ عن مُعْتَقَدِهِ في الله. وإذا لم يبعث التصديق على العمل وإلا فليس بتصديق ولا اعتقاد وقولنا: (وَالأَعْمَالُ) جمع عَمَل، والأعمال تكون بالجوارح، وهي المؤشر الحقيقي على صِحَّة الاعتقاد، فكل ما كان الاعتقاد سليمًا معافًا كان العمل قريبًا من الصحة والقَبُول، ومتى ما كان في الاعتقاد من شروخ واهتزاز، فإن الأعمال تكون غير صحيحة وغير ثابتة، فإذا تخلف العمل ظاهِرًا مع عدم المانع، فهو دليل على فساد المُعْتَقَدِ، ويدل على نقص الإيمان بذلك، وإذا كمل العمل في الظاهر، فهو دليل على كمال الإيمان في الباطن في الغالب، ومنه قالوا: إن الإيمان يَزِيد ويَنْقُص، ومعنى ذلك أن اللسان يجب أن يُتطابِقَ مع القلب في إخلاص النية والتوكُّل على الله، وفي جميع أنواع العبادة تكون خالصة لوجه الله تَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ فيما تقوم به الجوارح من أعمال كالصلاة والحج والجهاد وغيرها لأن الأعمال من الإيمان (وَالأَرْكَان) جمع رُكْن، وهو الجانب الأقوى في العمل الحسي أو المعنوي، ويقصد به هنا الجوارح، وما تقوم به من حركات لأداء المفترضات والمندوبات، كما في الصلاة، وسائر العبادات التي تُؤَدَّى بحركات الأعضاء.

❁❁❁

٢- الإيمان يَزيدُ ويَنقُص:

٢٩٢- وَطَاعَةٌ تَزِيدُ فِي الإِيمَانِ ... ويَنْقُصُ الأيمَانُ بالعِصْيَانِ

نعم، ومن أصول عَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ أن الإيمان عندهم يَزِيد بالأعمال الصالحة، كالطاعات بجميع أنواعها، كإقامة الفرائض وفعل الحسنات والقُرُبات بجميع أنواعها، وقراءة القرآن وتدبُّره خاصةً، والإصلاح والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها من العبادات المفروضات وسائر النوافل، فإن فعل هذه الأعمال تَزِيد في الإيمان وتَرْتَقِي بأصحابها إلى أعلى المقامات، فكلما زاد في تقواه وبِرِّه وعِلمِه وعَمَلِهِ زاد إيمانه إلى اليقين وإلى درجة الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه. قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، هم الذين أَدُّوا الواجبات والمندوبات وتركوا المُحَرَّمات والمكروهات. وهَؤُلَاءِ هم المُقَرَّبُون الذين زاد إيمانهم حتى وصلوا إلى هذا المقام الرفيع وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقولنا: **(وينقُصُ الأيمان بالعِصْيَانِ)** أي: ويَنْقُصُ الإيمان بعمل الضلال الذي هو رمز للعصيان والفسوق، وهو عبادة الله على الجهل، فإن ذلك كله من الضلال الذي يَنْقُص به الإيمان، وقد ينقص الإيمان حتى يزول عنه تمامًا، وذلك بالكفر أو الشرك الأكبر أو استحلال المحرمات وتحريم الحلال وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فلا يزال المرء يَقْتَرِفُ المعاصي من الصغائر حتى يصل إلى الكبائر وربما إلى الرِّدَّة، فيخرج عن دائرة الإيمان والإسلام والعياذ بالله. أما من يطلق عليه اسم الإيمان، فيبقى في دائرة الإسلام، ويسمى ناقص الإيمان بمعنى أن لديه أصل الإيمان، وتقع منه معاصي، وفي حال وُقُوعِها منه لا يكون مؤمنًا كامِلَ الإيمان، أما قبل وبعد وقوعها منه،

فإنه يبقى في دائرة الإيمان الناقص، مثل قوله ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١). وفي هذه الحديث دلالة على أَنَّ الذين يرتكبون المعاصي حين يرتكبونها يكونون غير مؤمنين كاملي الإيمان، ويطلق عليهم ناقصي الإيمان: أي مؤمنون بما معهم من إيمان، وفاسقون أو عاصون بما معهم من فسق وعصيان، ولا يَعْصِي العُصَاة، ويقعون في الأخطاء إلا وهم جاهلون، وبجهل سميك يغطي منافذ الحس والإدراك والعقل؛ لذلك لو أدركوا مكانة وعظمة من يعصون لأَقْبَلُوا إلى الله، ولأَقْلَعُوا عن معصيته سُبْحَانَهُ.

٢- تعريف الإيمان عند بعض المذاهب، فهو كما يلي(٢):

١- عند أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ تَقَدَّمَ أنه: اعتقاد بالقلب، ونُطق باللسان، وعمل بالأركان، يَزِيد بالطاعة، ويَنْقُص بالعصيان.

٢- عند المُرْجِئة: أنه اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان.

٣- عند الكرامية: أنه نطق باللسان فقط.

٤- عند الجبرية: اعتراف بالقلب، أو مجرد المعرفة في القلب.

٥- عند المعتزلة: أنه اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «المَظَالِمِ وَالغَصْبِ» باب «النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ» (٣/ ١٣٦) رقم (٢٤٧٥)، ومسلم كتاب «الإِيمَانِ» باب «بيان نقصان الإيمان بالمعاصي» (١/ ٧٦) رقم (٥٧/ ١٠٠). رواه البخاري (٥/ ١١٩) في «المظالم» باب «النهي بغير إذن صاحبه». ومسلم (١/ ٧٦) ح (٥٧) في «الإيمان» باب «نقصان الإيمان بالمعاصي».

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٣٢)، المكتبة الإسلامية، ط: ٩.

والفرق بين مذهب أَهْل السُّنَّةِ والمعتزلة أن مُرْتَكِبَ الكبيرة عند أهل السُّنَّة والجماعة لا يُسْلَب منه الإيمان بالكلية، بل هو مؤمن بما معه من إيمان، وفاسق بما معه من فسق وعصيان، وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء الله عذَّبه فبعدله، وإنَّ شاء الله رحمه فبفضله. أما المعتزلة، فعندهم لا يُسَمَّى مُرْتكِب الكبيرة مُسلِمًا، ولا كافرًا بل هو عندهم القول بالمنزلة بين المنزلتَيْنِ، وفي الآخرة مُخَلَّد في النار ويبطل قولهم ما ورد في الصحيحين من حَدِيث عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وحوله عصابة من أصحابه: **«بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»**(١). قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، فغير المشرك تحت المشيئة. إن شاء عفا عنه تفضُّلًا منه وإحسانًا، وإن شاء عَذَّبه عدلًا. ومعنى الحديث نفي كمال الإيمان عن أصحاب تلك المعاصي، فيكون قوله: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن إيمانًا كاملًا، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن إيمانًا كاملًا، ولا حين يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن إيمانًا كاملا»**.

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري كتاب «الإِيمَانِ» باب «عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ» (١/ ١٢) رقم (١٨)، ومسلم كتاب «الحُدُودِ» باب «الحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا» (٣/ ١٣٣٣) رقم (١٧٠٩/ ٤١).

٤- أهل السُّنَّة والجماعة لا يُكفِّرون أهل القِبْلة بمطلق ارتكاب المعاصي والكبائر:

٢٩٣- وَمَـنْ لِقِبْلَـةٍ لَنَا قَدْ صَلَّى ... وَهْـوَ لِـذِي كَـبِـيرَةٍ قَـدْ فَعَلا

٢٩٤- فَلا نُكَفِّرُهُ بِـذَاكَ الذَّنْب ... وَأَمْــرُهُ مُـفَــوَّضٌ لِـلـرَّب

٢٩٥- فَـإِنْ يُـعَذِّبْـهُ فَـذَاكَ عَدْلُهُ ... وَإِنْ عَـفَـا عَـنْـهُ فَـذَاكَ فَضْلُهُ

(وَمَـنْ لِقِبْلَـةٍ) أي من تَوَجَّهَ في الصلاة لِقِبْلة المسلمين وهي: الكَعْبَـة. (وَهْوَ لِذِي كَبِـيرَةٍ) أي: لصاحـب الكبـيرة، وهـي: القَبِيحة من الأفعـال. (قَدْ فَعَـلَا) أي: ارتكبها (وَهْـوَ) الضمير لمرتكب الكبيرة التي لا يخرج بها صاحبها من الملة كالشرك الأكبر. وعند أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ غير كافر. (فَلَا نُكَفِّرُهُ) بمُطْلَق الذنب أو العصيان كما تقوله المعتزلة والخوارج (وَأَمْرُهُ) أي: مرتكِب الكبيرة عند أَهْل السُّنَّةِ (مُفَوَّضٌ للرب) أي: إلى الله، فإن شاء عَذَّبَه بقَدْرِ ذنْبِهِ الذي مات وهو مُصِرٌّ عليه، فذلك بعَدْلِهِ. وإنَّ شاء عَفَا عنه وأَدْخَلَه الجنـةَ مـن أول مَـرَّةٍ وذلك برحمته وفضله. وهـو مؤمن بما معه من إيمان، وفاسـق بما معه من عصيان، ولا يُنْفَى عنه مطلق الإيمان البَتَّةَ قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فناداهـم باسـم الإيـمان مع مـا معهم من عصيـان وهي موالاة الكفـار، والإيـمان إذا أُفْرِدَ في سياق الآيـات، فيُرَاد به الإسـلام والإيـمان، وإذا اجتمعا الإيمان والإسـلام في سياق واحد، فكل واحد منهما له معنًى آخر، فيكون معنى الإيمان، فيـما يختص بالأمـور الغيبية؛ كالإيمان بـالله، وملائكته، وكتُبـه، ورُسُـله، واليوم الآخر. ويكون معنى الإسـلام، فيما يختص بالشـعائر الظاهرة، كأركان الإسـلام الخمسة وهي: شـهادة أن لا إلـه إلا الله، وَأَنَّ محمـدًا رسـول الله، وإقـام الصلاة، وإيتاء الـزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا.

٢٩٦- وَكُلُّ مَنْ عَصَى مِنَ الإِخْوَانِ فَلَيْسَ كَافِرًا أَخُو العِصْيَانِ

معنى هذا البيت تقدم، وخُلاصتُه أن أصحاب المعاصي عند أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ ليسوا بكفار، ولكنهم مسلمون بما معهم من إسلام، وعاصون بما معهم من عصيان.

❁❁❁

٢٩٧- وَلَا نَقُولُ مِثْلَمَا تَقُولُ خَوَارِجٌ وَقَوْلُهَا تَضْلِيلُ

أي لا نقول مثل قول الخوارج، فيمن عصى وارتكب كبيرة أنه كافر في الدنيا وفي الآخرة مُخَلَّد في النار، لا يخرج منها لشفاعة، ولا لغير شفاعة، وقولهم هذا هو عين الضلال ومردود عليهم.

❁❁❁

٢٩٨- بِكُفْرِ ذِي العِصْيَانِ وَالكَبِيرَهْ وَخَلَّدُوهُ النَّارَ فِي الأَخِيرَهْ

هذا مذهب الخوارج يُكَفِّرون أهلَ الكبائر والمعاصي، ويخرجونهم عن الإسلام، ويخلدونهم في النار في الدار الآخرة، ويستبيحوا قتلهم في هذا الزمان، وقولهم هذا باطل ومخالف لما عليه أَهْل السُّنَّةِ والجماعة.

❁❁❁

٢٩٩- وَلَـيْـسَ بِـالـقَـلـبِ وَبِاللِّسَانِ مُـرْجِـئَـةٌ قَـالَـتْ بِـلاَ بُـرْهَـانِ

أي أن أهـل السـنه والجماعة لا يقولـون في الإيمان بقول المرجئة الـذي هو (اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان)، وهذا المذهب على انحطاطه وسذاجته منتشر في الشرق والغرب بين المسلمين، وإذا سألتَ أحدهم قال: الإيمان والمعرفة في القلب وأَخْرَجُوا زُورًا وبهتانًا وجهـلًا وعدوانًـا بابَ العمل مِنِ اعتقادِهِم، فقد لا يصلي ولا يصوم ولا يقدم بأي عمل مـن الأعـمال، ويقول إنما الإيمان في القلب فقط. ومعنى الإرجاء هو التأخير للأعمال عن الإيمان وهم ثلاث فِرَقٍ، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: المرجئة ثلاثة أصناف: الأول من يقول: الإيمان مُجَرَّد ما في القلب، والثاني من يقول: هو مجرد قولٍ باللسان، وهذا لا يُعْرَف لأحـد قبـل الكراميـة، والثالث من يقـول: إن الإيمان هـو مجرد التصديـق بالقلب وقول باللسـان. ويزعمون أن مرتكب الكبيرة غير فاسـق، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان وأنهم جميعًا فيه سـواء، فإيمان أي واحد كإيمان أبي بكر وعمر. ولك أن تنظر فيمن تراهم من المسلمين، كيف اختلافهم في الإيمان وما يترتب عليه من اختلاف في الآثار من حيث الاسـتقامة وعدمها، ومن حيث الأعمال والإحسـان فيها والبَوْن في التضحيات، فمنهم السـابقون في الخـيرات وأعمالها، ومنهم الظالم لنفسـه، ومنهم المعتـدل، أما المرجئة فترى الناس سـواءً في هذا الباب بدون برهان من كتاب ولا سـنة، وقد ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة الأشعث، وأولُ مَن قال بها الهَمْدَانِيُّ، ومات قبل المائة الأولى[1].

❁❁❁

(١) «الإيمان» لابن تيمية (٣٧٨)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٩٥).

٣٠٠- وَلَيْسَ نُطْقٌ بِاللِّسَانِ مِثْلَمَا يَقُولُهُ أَتْبَاعُ مَنْ تَكَرَّمَا

أي وليس الإيمان عندنا كما تقوله (الكرامية) بأنه نطق باللسان، بل هو مثلما تقدم قول باللسان، واعتقاد بالجَنَانِ، وعمل بالجوارح والأركان، يَزِيد بالطاعة، ويَنْقُص بالعصيان.

❁❁❁

٣٠١- وَلَا نَقُولُ قَوْلَةَ الجَبْرِيَّهْ إِيمَانُهُمْ مَعْرِفَةٌ قَلْبِيَّهْ

أي ولا نقول مثل قول الجبرية: إن الإيمان اعتراف بالقلب، أو مجرد المعرفة، ويُخْرِجُون الأعمال من ذلك، وهي المُؤَثِّر الحقيقي على وجود الإيمان وزيادته أو نقصانه. والجبرية فِرقة قديمة ترى أن العبد مجبور على فعله، وَأَنَّهُ بمثابة أوراق الشجر تَعْبَثُ بها الرِّيح كيفما شاءت، أو بمثابة الميِّت بين يَدَيْ غاسِلِهِ.

❁❁❁

٥- قول المعتزلة في باب الإيمان:

٣٠٢- وَالِاعْتِزَالُ قَوْلُهُمْ فِي البَابِ مُخَالِفٌ بِالنَّصِّ لِلْكِتَابِ

نعم المعتزلة تقول في باب الإيمان: إنه اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح. ولكنهم يقولون: إن مرتكب الكبيرة يُسْلَبُ منه اسم الإيمان بالكُلِّيَّةِ، ويُخَلَّدُ في النار.

أما عند أَهْلِ السُّنَّةِ، فلا يُسْلَبُ منه الإيمان، ولكنه مؤمن بما معه من إيمان، فاسق بما معه من عصيان، وقول المعتزلة مجافٍ للصحة، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فقد سماهم الله مؤمنين مع ارتكابهم لمعصية الاقتتال والبغض من بعضهم على بعضهم، فمذهب المعتزلة باطل ولا صحة له في النص القرآني.

٣٠٣- وَمُـؤْمِـنٌ وَنَـاقِـصُ الإِيمَـانِ   وَالـفَـاسِـقُ الـمِـلِّـيُّ بِالتِّبْيَانِ

أي: ومـن عَقِيـدَة أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعَةِ أنهم لا يَنْفُون الاسـلام عن الفاسـق لمجرد الفِسْقَ، وهو الخروج عن طاعة الله تَعَالَىٰ قليلًا كان أو كثيرًا، وقد يَصِل إلى الكفر، والمراد بـه هنـا مَنِ ارتكبَ كبيرة من كبائر الذنوب، فإن أَهْل السُّـنَّةِ لا يُجَرِّدُونه من الإسـلام إلى الكفـر، كـما تقوله الخـوارج، يقولـون: مرتكب الكبيرة كافـر في الدنيا ويُخَلَّـد في النار في الآخرة. ويقول أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعَةِ: مؤمن بما معه من إيمان، وفاسـق بما معه مِن فسـق، وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء الله عذَّبه في الدنيا بقَدْرِ ذُنوبه التي مات وهو مُصِرٌّ عليها بعَدْلِهِ، وإن شـاء عفا عنه وأدخَلَه الجنةَ بفَضْلِه (والمِلِّيُّ) هو مَنِ انتسَـبَ إلى مِلَّة الإسلام (بِالتِّبْيَانِ) أي بالبيان لمذهب الخوارج والمعتزلة، وعدم صحتهما وخروجهما عن مقتضى الأدلة الشرعية.

❁❁❁

٦- مرتكب الكبيرة عند أَهْل السُّنَّة لا يُطلقون عليه اسم الإيمان الكامل:

٣٠٤- وَأَكْمَلُ الإِيمَانِ لَا نُعْطِيهِ   بَـل مُـطْـلَـقُ الاِسْـمِ لَـهُ نُولِيهِ

أي أن مُرتَكِب المعاصي لا نُطلق عليه اسم الإيمان الكامل، وَلَكِنْ نُطْلِق عليه الإيمان الناقص، ونرجع للقاعدة مؤمنًا بما معه من إيمان وفاسقًا بما معه من فسق وعصيان، فنُوليه ونَخُصُّه بمطلق الإيمان كما هو مذهب أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

❁❁❁

٣٠٥- وَخَالَفُوا (جَهْلًا) بِهَذِي المَسْأَلَهْ خَــوَارِجٌ وَمِـثْـلُـهَـا المُعْتَزِلَهْ
٣٠٦- فَكُلُّ فَاسِقٍ لَدَيْهِمُ مَرَقَ مِنْ هَالَةِ الدِّينِ وَلِلنَّارِ اسْتَحَقَّ
٣٠٧- وَبَيْنَ بَيْنَ قَالَتِ المُعْتَزِلَهْ مَكَانَةُ الفَاسِقِ تِلْكَ المَنْزِلَهْ

نعم خالَفُوا أهلَ السُّنَّة والجماعة في مسألة مرتَكِب الكبيرة، وذلك عن جهل منهم، وَقَالَتْ الخوارج: إن مرتكب الكبيرة خارج عن الإسلام، وإنه حلال الدم، وخرجوا على الأئمة، وكفروا المسلمين هذا في الدنيا وفي الآخرة يرون أن مرتكب الكبيرة خالِدٌ مُخَلَّدٌ في النار، ومثل هذا القول وزيادة قالت المعتزلة، قالوا: إن مرتكب الكبيرة لا مسلم ولا كافر، هذا في الدنيا، وفي الآخرة منزلة بين منزلتين.

(**فَكُلُّ فَاسِقٍ لَدَيْهِمُ مَرَقَ**) مذهب المعتزلة يعتبر الفاسق خارج عن دائرة الإسلام، وان من فسق عندهم فقد مرق من الدين ، ولا يسمى مرتكب الكبيرة عندهم مسلما ولا كافر. هذا في الدنيا بل هو عندهم القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وفي الآخرة مخلد في النار، وقد تقدم الكلام عليه في تعريف الإيمان عند بعض المذاهب.

❁❁❁

٣٠٨- وَالكُفْرُ قَدْ قَالَتْ بِهِ الخَوَارِجُ   وَمِـنْ عُـرَى الإِسْـلَامِ يَـا ذَا خَـارِجُ

وهذا أمر آخر يؤكِّد مذهب الخوارج في هذه المسألة، وهو أن مرتكب الكبيرة كافر كفرًا في الدنيا يُخرِجُه مِن عُرَى الإسلام ومن دائرته الواسعة.

مسألة الاستثناء في الإيمان:

ويلتحق بهذا الباب مسألة **(الاستثناء في الإيمان)** كقول الرجل: (أنا مؤمن إن شاء الله) وللناس في هذه المسألة ثلاث أقوال: **الأول**: من يوجبه، وهم فرقة الكلابية وغيرهم، وذلك لعدم معرفة ما يموت عليه الشخص، ثم بُولغ في الاستثناء في الأعمال الصالحة، حتى صار في كل شيء، فيقول الشخص منهم صليت إن شاء الله وهذا ولدي إن شاء الله، وهذا ثوب إن شاء الله. **الثاني**: من يحرِّم الاستثناء، وهم الجهمية والمرجئة، لان الإيمان عندهم شيء واحد وهو معلوم لهم، فمن استثني فيه فقد شك في إيمانه ويسمون من يستثنون (شُكاكا). وهاذان القولان غير معروفين عند السلف. وأعدل هذه الأقوال التفصيل، فإن كان الشك في أصل الإيمان فالاستثناء محرَّم وكفر بالله؛ لأن الإيمان مجزوم به، وان كان الاستثناء خوفا من التزكية للنفس فالاستثناء واجب. وان كان من باب التبرك بذكر المشيئة أو التعليق عليها أو على عدم معرفة النهاية فالاستثناء هنا جائز، ولا يصح الاستثناء عند السلف إلا بهذا التفصيل[1].

❁❁❁

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٣٥٣)، و«فتح رب البرية بتلخيص الحموية» (ص: ١٠٢).

٢٤- (الواجب نحو صحابة رسول الله ﷺ)

٣٠٩- وَصْفُهُمْ يُذْكَرُ فِي القُرْآنِ وَسُنَّةِ المَبْعُوثِ بِالبَيَانِ

أجمع أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ خلفًا عن سلف على مكانة الصحابة الرفيعة، وأنهم بعد الأنبياء في السبْق لأحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، وَأَنَّ ما قاموا به شيء فريد لم يسبقوا به ولن يلحقوا إليه في الجملة، فقدَّمُوا أرواحَهم وأموالهم وأوطانهم لنصرة الرسول ﷺ ولِـمَا جاء به من تشريع، وضَحُّوا من أَجْلِه بالغالي والنفيس من أجل تثبيت شرع الله في أرض الله والالتفاف حول الرسول ﷺ حتى بَلَّغَ الرسالة وأَدَّى الأمانة، ثم هُمْ بَلَّغُوا ذلك عن الرسول ﷺ إلى مَنْ بعدهم مِن الأجيال لذلك كانوا بحق أفضل القرون وأَخْيَرَ القرون، فعن علم باقتدارهم اختِيروا، وعن حكمة عليا لصحبته كانوا، ولنصرة الدين وتبليغه لمن بعدهم وُجِدُوا، وكانوا جميعًا على مراتب في الفضل كما ذُكِرُوا في القرآن، فمنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحُد، ثم مَنْ ثَبَتُوا في غزوة الأحزاب، ثم بيعة الرضوان، ثم من هاجَرَ قبل الفتح وقاتل وأنفق أفضل ممن أنفق وقاتل بعد الفتح، وَكُلًّا وَعَدَ الله الحسنى وفي القرآن جاء ذكرهم مُجْمَلًا ومُفَصَّلًا قال تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وكل مدح أو ثناء لأُمَّة محمد ﷺ، فإن الصحابة يدخلون فيه دخولًا أوليًّا مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومعنى وسطًا عُدُولًا لاتصافهم بالخيرية في الآية الأولى وهم مِنْ أَوْلَى الناس بها، وَكَذَٰلِكَ العدالة هم من أولى الناس بها. أما وصفهم في القرآن والثناء عليهم، فكثير من السور بأكملها في ذلك، مثل

سورة الفتح، وسورة الحديد، وسورة الحشر. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. والسورة كلها في الثناء على مواقف الصحابة رضوان الله عليهم. وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وهذه الآيات كلها تَنْضح بالثناء على الصحابة من المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا مِن بعدِهم. أما الثناء عليهم في السُّنَّة، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسَبَّهُ خالدٌ، فَقَال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**[1]، هذا النهي فيما بين متقدم ومتأخر من الصحابة، فكيف إذا كان الساب من غير الصحابة؟

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٨) رقم (٣٦٧٣)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ =

....

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من عمل أحدكم سنة»[(١)].

وحديث عمران بن حصين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» قال عمران: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(٢)]، والقرن أصح ما قيل فيه: مائة سَنَة، وهو المشهور، والصحابي جمع صحب، وقال البخاري: هو من اجتمع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك.

❁❁❁

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «تَحْرِيم سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٤/ ١٩٦٧) رقم (٢٥٤١/ ٢٢٢). ولفظه: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**».

(١) أخرجه من قول ابن عمر لا ابن عباس ابن ماجه كتاب «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» باب «أَهْلِ بَدْرٍ» (١/ ٥٧) رقم (١٦٢)، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٤): هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات.

(٢) متفق عليه من حديث عمران بن الحصين، أخرجه البخاري كتاب «الشَّهَادَاتِ» باب «لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ» (٣/ ١٧١) رقم (٢٦٥١)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٤/ ١٩٦٤) رقم (٢٥٣٥/ ٢١٤).

١- من أصول أهْل السُّنَّة والجماعة سلامة قلوبهم من الأمراض الباطنية:

٣١٠- سَلَامَةُ القُلُوبِ وَالعُقُولِ لِصُحْبَةٍ مِنْ مَرَضِ الغُلُولِ

٣١١- وَمِنْ أَذَى اللِّسَانِ وَالتَّجْرِيحِ كَمَا أَتَى فِي الخَبَرِ الصَّحِيحِ

من أصول أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلالِ سلامة قلوبهم من الأمراض الباطنية للصحابة كالبغضاء والغل والحقد والحسد وكل أمراض القلوب، فقلوب أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ مملوءة بالحب للصحابة؛ لأَنَّ حبهم دِينٌ ومن محبة رسول الله ﷺ وامتثالًا وطاعةً للرسول ﷺ حيث قال: «**لا تسبوا أصحابي...**» إلخ. وسلامة عقول أَهْلِ السُّنَّةِ من أي تصوُّر لا يليق بمكانة فَضْل الصحابة وسَبْقهم وتكريمهم، أي لجميع الصحابة (**مِنْ مَرَضِ الغُلُولِ**) الغِلّ انطواء القلب على البغض والكره، وأهل الغِلّ هم أهل الخيانة، الذين يأخذون ما ليس لهم عن طريق الاختلاس مع استئمانهم عليه، أو ينكرون ما عليهم لغيرهم من أمانات وودائع وإعارات، هذا في الأشياء المحسوسة، وَكَذَلِكَ ما اؤْتُمِنُوا عليه من عبادات ظاهرة أو باطنة مالية أو أسرار.

قال الشاعر:

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلغَدْرِ خَائِنَةُ مُغِلَّ الإِصْبَعِ

وفي الحديث: «**أن لا اغلال ولا إسلال**»[1]، والإغلال الخيانة والإسلال السرقة، فأَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ لا يُكِنُّونَ للصحابة خِيانةً ولا يُضْمِرون لهم حِقدًا ولا غِلًّا كما فعلته

---

(١) أخرجه من حديث المسور بن مخرمة ومروان أبو داود كتاب «الْجِهَادِ» باب «فِي صُلْحِ الْعَدُوِّ» (٣/ ٨٦) رقم (٢٧٦٦)، وأحمد مسند أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ (٣١/ ٢١٢) رقم (١٨٩١٠). وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده حسن. ولفظ أبي داود: أَنَّهُمْ اصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَعَلَى أَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ.

....

(الرافضة) بجميع فرقها. (وَمِنْ أذَى اللِّسَانِ وَالتَّجْرِيحِ) وكذلك: سلامة وطهارة أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ من الإيقاع في الصحابة بالسب والشتم والتجريح في أعراض أفاضل خلق الله، كما تفعله بعض الرافضة والخوارج في أصحاب رسول الله ﷺ.

(كَمَا أَتَى فِي الخَبَرِ الصَّحِيحِ) أي: كما أتى النهي عن السب في الحديث: **«لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**(١).

وإذا كان نصف مُدّ أحدهم لا يساويه كتلة جبل أُحد، فما عذاب من يقع فيهم بِسَبٍّ أو شتم أو طعن أو غير ذلك.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِب» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٨) رقم (٣٦٧٣)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم» باب «تَحْرِيم سَبِّ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم» (٤/ ١٩٦٧) رقم (٢٥٤١/ ٢٢٢). ولفظه: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ».

٣١٢- ثُمَّ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالمَغْفِرَةْ وَرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّنَا فِي الآخِرَةْ

هـذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وهـو ما يَدِينُون الله بـه ويعملونه فِعْلًا، وهم يدعـون لهم في ظهر الغيـب بالمغفرة، ويقولون كما ذَكَرَ القرآن ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] كما يدعون ربهم أن يُطَهِّر قلوبهم من أي لفظ سيِّئ أو خاطر نجس يحوم حولهم فيقول القرآن عنهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، (وَرَحْمَـةٍ مِـنْ رَبِّنَا فِي الآخِرَةْ) إشـارة للآية المتقدمة أي يدعون لهـم في صلواتهـم وخَلَوَاتهـم بالمغفرة التي هي مـن رحمة الله بهم أن جعل لهـم أعمالًا من إخوانهم المسلمين تلحقهم بعد مماتهم في الآخرة أي في يوم القيامة.

❁❁❁

٢- من أصول أهل السُّنَّة والجماعة طاعة الرسول ﷺ في الصحابة:

٣١٣- وَطَاعَةُ الرَّسُولِ فِي الأَصْحَابِ ... وَعَـدَمُ الـبَـغْـضَـاءِ وَالـسِّـبَـاب

٣١٤- لِأَنَّـهُـمْ لِـلْـخَـيْـرِ حقًّا سَبَقُوا ... وَمَـنْ أَتَـى مِـنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَلحَقُوا

كما ورد في قوله ﷺ في بعضهم: «لا تسبوا أصحابي»، فمذهب أَهْل السُّنَّةِ لا يسبون ولا يشتمون ولا يطعنون ولا يتطاولون على أصحابه؛ لأنَّهم خير القرون وأفضل الخلق بعد النبيين، وَكَذَلِكَ (وَعَدمُ البَغْضَاءِ وَالسِّبَابِ) اي: كما يُطهِّرون ألسنتهم يطهرون قلوبهم من البغضاء وما ينتج عنها من فلتات اللسان وضرباته (لِأَنَّهُمْ لِلخَيْرِ حقًّا سَبَقُوا) كما ذَكَرَ عنهم القرآن ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهم لكل خير قد أَحْرَزُوا، ولكل فضل قد حَصَدُوا، وقد وَرِثُوا خَيْرَيِ الدنيا والآخرة؛ لأنَّهم كانوا في كل مجال هم الأولين والسابقين، فهم رهبان بالليل، فرسان بالنهار، ففي الصلاة من الأوائل حضورًا، وفي الزكاة من الأوائل أداءً، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأوائل فِعْلًا، وفي مساعدة المحتاجين من أوائل الناس عطاءً، وبالجملة فمواطن المعروف والخيرات بحضورهم ناطقة، وعلى أفعالهم مقاماتهم وأحوالهم بالصدق شاهدة.

(وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَلحَقُوا) هذا في الغالب، وإِلَّا فرُبَّ فرد من المتأخرين التابعين يَصِلُ إلى مَصَافِّ بعضهم كما أُثِرَ عن أُوَيْس القرني أن الرسول ﷺ ذكره لعمر بن الخطاب بخير، وقد لقيه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتعَرَّفَ عليه وطلب منه الدُّعاءَ وهو من غير الصحابة[1].

وفي الجملة القرن الأول أفضل من الثاني، والثاني أفضل من الثالث، ولا يمنع وجود أفراد لهم من الفضل مثل ما للأولين من الفضل. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٩٦٩) رقم (٢٥٤٢/ ٢٢٥).

٣- بعض أفعال الرافضة:

٣١٥- وَعَنْهُمُ نَذُبُّ بِاسْتِمْرَارِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

(نذبُّ) الدفاع عن الصحابة في المنابر والمحابر، وذلك أن فِرْقَة الرافضة وقد تسمى بالشيعة وبالإمامية وبالسبئية وهم الأم، وذلك أن هذه الفرقة بدأت بنشر الفتن والقلاقل للتشكيك في الإسلام، وإبعاد أهله عنه، وقد تزعم هذا المبدأ الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي، ويقال له: ابن السوداء، فقد تَشَيَّعَ لآل البيت، وعَمِلَ ضِدَّ عثمانَ، ونَشَرَ أفكارَه المسمومة على كثير من خلق الله في الشام ومصر واليمن وغيرها، وجهز من كل مِصْرٍ جنودًا، ثم ما زال بهم حتى حاصروا عثمان في عُقْرِ داره، وقد تَضَرَّعَ إليهم بأعماله وأفعاله الحسنة مع النبي ﷺ ولكنهم أصرُّوا على قتله بحُجَّة أنه حابَى أقرباءه وقَدَّمَهم في الولايات وغيرها، وقد قتله الثوار بقيادة ابن السوداء، وهو يقرأ القرآن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد انبرى لأولئك جماعةٌ من شيعة علي وأنصاره، فكانوا يَذُبُّونَ عنه ويخذلون عنه ويبالغون في حَقِّهِ حتى جعلوا عَلِيًّا إلهًا وَرَبًّا، وقد خرج ذات مَرَّة وإذا بهؤلاء الغُلاة فيه يَخِرُّونَ أمامه رُكَّعًا سُجَّدًا، فَقَال لهم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَهْ، تفعلوا هذا؟! قالوا: أنت الإله، وأنت الرب... إلخ، فطلب منهم الرجوع والتوبة، فرفضوا، فكما يروى أنه خَدَّ لهم أَخَادِيدَ وخَوَّفَهم بها ولكنهم لم يَرْعَوُا، فأحرقهم بالنار[1]. ورُوِيَ أنه لَـمَّا لم يستمعوا له أنشد:

لَـمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرَا

(قُنْبُرا) غلامه، وذلك بعد أن لم يستمعوا له، بل قالوا: لا يُحْرِق بالنار إلا رَبُّ النار، وما ازدادوا به إلا تَمَسُّكًا. وقد عتب ابن عباس على عَلِيٍّ في هذا الصنيع، وقال لو كنتُ مكانه لقتلتُهم لِرِدَّتِهم عن الدين، وحتى أنشد منشدهم:

(١) «قصة الإحراق في فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٥١٩)، و«منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٢).

أَشْـهَـدُ أَنْ لَا إِلَــهَ إلا حَـيْـدَرَةُ الأَنْـزَعُ الـبَـطِـينْ
وَلَا حِـجَـابَ عَـلَـيْـهِ إلا مُحَـمَّـدُ الـصَّـادِقُ الأَمِـينْ
وَلَا طَـرِيـقَ إِلَـيْـهِ إلا سَـلْـمَانُ ذِي الـقُـوَّةِ الـمَـتِينْ[1]

وهذه الفرقة تفريخ السبئية أَتْبَاع عبد الله بن سبأ اليهودي، أما الرافضة، فمذهبهم الرفض، وسب أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولما قام زيد بن علي بالأمر في العراق جاءت هذه الفرقة إليه، وطلبوا أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فرفض ذلك، وقال: هما صاحِبَا جَدِّي رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَضَاهُ، وقالوا: لا وَلَاءَ إلا بِبَرَاء.

وظهرت فِرْقة أخرى من الشيعة لأهل البيت تُدْعَى الإمامية، جعلوا عليًّا إمامًا ومرسَلًا إليه، وأنَّ جبريل خانَ الرسالةَ، وَأَنَّهُ عَدَلَ بها مِن عَلِيٍّ إلى محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك تراهم في صلاتهم يضربون، فخوذهم بأيديهم، ويرفعونها إلى صدروهم، وهم يُكَرِّرُون (خَانَ الأَمِين، خان الأمين).

- ومن هذه الفِرَق (الباطنية) وهَؤُلَاءِ صار لهم نفوذ كبير في أوائل القرن الرابع الهجري، دخلوا مكة، وأوقعوا بالحجاج وقائع كثيرة؛ من القتل والنهب، وحتى كسوة الكعبة قطعوها وتقاسموها، وأخذوا الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وذهبوا به إلى مَحَلِّهِمْ ومَحَلِّ شَوْكَتِهِمْ، وكانت هذه الفِرَق مُتَكَاثِرَة في المشرق والمغرب واليمن، وقليل منهم بالشام ومصر.

وممن يطعنون في الصحابة وينقصونهم دولة شيعية تمكنت من السلطنة في العراق ومصر والشام يقال لهم (آل بُوَيْه) كانوا ينتقصون الصحابة ومذهب الرافضة فيهم ظاهر، وقد تَضَرَّرَ الإسلام منهم كثيرًا؛ لأنهم يُظهرون الإسلام ويُبْطنون الرفض، وقد

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٥٤)، وفي «منهاج السنة» (٢/ ٥١٢).

....

لَبَّسُوا كثيرًا على الناس، وحتى العُلَمَاء منهم كان ينقل عنهم الأخبار والأحاديث التي ليست بصحيحة، فأَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ مذهبهم الذَّبّ عن الصحابة بألسنتهم وبرماحهم وبكلماتهم في كل مكان ومناسبة والله المستعان.

(عَنِ الـمُهَاجِرِيـنَ وَالأَنْصَارِ) أي: الدفاع من أهل السُّنَّة والجماعة في كل زمان ومكان عن المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأموالهم وهاجروا بدينهم إلى المدينه أيامها، وَكَذَلِكَ عن الانصار الذين كانوا في المدينة ينصرون الرسول ﷺ ويؤون إخوانهم المهاجرين ويسعدونهم.

❁❁❁

٣١٦- وَلَيْسَ فِي الفَضْلِ يُدَانِيهِمْ أَحَدْ   كَمَا عَنِ الرَّسُولِ نَصًّا قَدْ وَرَدْ

نعم هم صدر الأمة في الفضل، ورأسهم في الخيرية، وليس أحد من بعدهم (يُدَانِيهِمْ) يساويهم في الفضل أو المكانة والأفعال الحميدة التي وَصَلُوا إليها بسبب ما قاموا به من أعمال جبارة في الخير، وما بذلوه من تضحية بأرواحهم في الجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام في سبيل الله بأرواحهم وأموالهم، والجهاد هو معروف.

وفضلهم وسبقهم وتسابقهم وتنافسهم في الخير وفي نصرة الإسلام ونبي الإسلام وهم على مراتب: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا. وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا كما يقول شارح الطحاوية - أكثر من ألف وأربعمائة[١].

ومما يدل على فضلهم حديث: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[٢]، وحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[٣]، والمشهور أن القرن مائة سنة، وقيل غير ذلك.

❁❁❁

(١) «الطحاوية» (ص: ٤٦٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٤٣١).

(٣) متفق عليه من حديث عمران بن الحصين، أخرجه البخاري كتاب «الشَّهَادَاتِ» باب «لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ» (٣/ ١٧١) رقم (٢٦٥١)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٤/ ١٩٦٤) رقم (٢٥٣٥/ ٢١٤).

٣١٧- وَكُلُّ شَيْءٍ خَاصَهُ الأَصْحَاب سُكُوتُنَا عَنْهُ هُوَ الجَوَاب

مما لا شك فيه أن الصحابة بَشَرٌ، وغير معصومين، وقد وقعت فتن في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين وكان مُحرِّكها الأول ودافعها الأساسي هو ما يقصده ابن السوداء اليهودي مِن إشاعة الفوضى ونشر الفساد في البلاد والعباد، وما يرمي إليه من بث الشكوك في دين الإسلام وضربه الناس بعضهم ببعض حتى وقعت معارك في عهدهم.

٤- انقسام الناس بعد الفتنة في أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم مجتهد. ٢- وقسم باغٍ. ٣- وقسم متوقف.

وهذا ما حَرَصَ على ظهوره ابن السوداء الذي تَمَخَّضَ عن حركته فرقة الرافضة، وهم الذين يسبُّون الصحابة ويطعنون فيهم، وفي المقابل يُوالُون اثني عشر إمامًا: أولهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضي، ثم محمد بن علي الجواد، ثم محمد بن علي الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، وقد أَلَّفَتِ الشيعةُ في هَؤُلَاءِ كُتُبًا كثيرة، وفيها من الغلو والزيادات ما لم يصح ولم يثبت بدليل من كتاب ولا سنة، وقد ورد لفظ اثني عشر رجلًا أو اثنا عشرة خليفةً كما في حَدِيث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت مع أبي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمعته يقول: «**لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وَلِيَهم اثنا عشر رجلا**»، ثم تَكَلَّمَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمة خَفِيَتْ عَلَيَّ، فسألت أبي: ماذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: «**كلهم من قريش**». وفي لفظ: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنتي عشرة خليفة**»[1].

(١) متفق عليه من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أخرجه البخاري كتاب «الأَحْكَام باب الاِسْتِخْلَافِ» =

....

وقد استغل الرافضة هذا الحديث فجعلوه نصا على أئمتهم الاثني عشر .

وللعُلَمَاء في توجيهه وفهم قولهم إن الاثني عشرة خليفة هم الخلفاء الراشدون، ثم معاوية، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، ومعهم عمر بن عبد العزيز، وفي رواية ومعهم يزيد بن معاوية.

وقد فسرت الرافضة القرآن بما يتوافق وهواهم، فيقولون مثلا: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، قالوا عليًّا وفاطمة بالنكاح ومعنى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، (الحسن والحسين)، وقالوا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، قالوا هي عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالوا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، قالوا: هما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، ووصل بهم الأمر إلى القتل يقول كبيرهم:

أَنَا بِاللهِ وَبِاللهِ أَنَا يَخْلُقُ الخَلْقَ وَأُفْنِيهِمْ أَنَا

والسب والنهب في وسط الحرم المكي، بل أخذوا كسوة الكعبة وتقاسموها، ثم الحجر الأسود وذهبوا به معهم إلى محلهم، وبقي معهم لعام ٣٢٣هـ وبعد أن ضعفت دولتهم ردوا الحَجَرَ وهم كارِهون[٢]، وكانوا يتكاثرون في العراق وإيران واليمن وغيرها من البلدان، وبسبب ما أثاره ابن السوداء من فتن وقلاقل واضطرابات وقعت المعارك،

= (٩/ ٨١) رقم (٧٢٢٢)، ومسلم كتاب «الإِمَارَةِ» باب «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ» (٣/ ١٤٥٢، ١٤٥٣) رقم (١٨٢١/ ٦، ٧).

(١) ذكر هذه الأقوال، فضيلة الشيخ: د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين في «فضل الصحابة وذم من عاداهم» (ص: ٢٢ - ٢٤).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٧١).

....

وخاضها كثير من الصحابة، وهم على أقسام منهم المتوقفون، ومنهم المجتهدون ويرون أنفسهم على صواب، ومنهم الباغون ويرون أنفسهم على حق.

وعَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ فيما شجر بين الصحابة، وما وقع بينهم من خلاف وحروب وشجار وغيرها، كان عن اجتهاد، فإن أصابوا فلهم أجران، وإنَّ أخطئوا فلهم أجر واحد، ثم السكوت عن نبش ما دار بينهم، ويقولون بقول الله تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وما أحسن ما قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث أنه قال لما سئل عما وقع بين الصحابة قال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أحب أن أخضب بها لساني. وقد أجمع أهل السُّنَّة قاطبةً ممن يُعتَدّ بإجماعهم على وجوب السكوت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بعد مقتل عثمان، وإن الواجب علينا الاستغفار للقتلى من الطرفين والترحُّم عليهم، والدعاء لهم، والإيمان بسبقهم، والذَّبّ عنهم، ونشر محاسنهم، واعتقاد أن كلا منهم مجتهد، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

❁❁❁

٢٥- (فضل الصحابة وموقف أهل السنة منه)

٣١٨- وَكُلَّمَا قَدْ جَاءَ فِي الكِتَابِ عَنْ فَضْلٍ أَوْ مَكَانَةِ الأَصْحَابِ

٣١٩- نَقْبَلُهُ وَفَوْقَ هَامٍ نَرْفَعُ لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْهِ أَجْمَعُوا

من مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وما ورد عنهم في سورة التوبة والحشر والأنفال والفتح والحديد، هذه الآيات وغيرها قد تحدثت بإسهاب عن فضل الصحابة ومكانتهم وأَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يقبلونه ويصدقون به ويضعونه فوق رؤوسهم امتثالًا؛ لأوامر الله وطاعة لرسول الله ﷺ وإيمانًا لكتاب الله؛ لأَنَّ الثناء عليهم جاء عن طريق القرآن، والتصديق بالقرآن حق مؤكد ثابت، وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على محبة وتقدير الصحابة، وعلى فضلهم وسبقهم ومراتبهم.

ومن السُّنَّة عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: **«مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟»** قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ **«أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ»** قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»**[1].

---

(١) أخرجه من حديث أبي موسى مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» باب «بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ =

وفيه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ**»(١).

وحديث: سُئِلَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس خير؟ فَقَال: «**قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته**»(٢).

كل هذه الآيات والأحاديث نؤمن بها ونُصَدِّق بها تصديقًا جازمًا، ونعتقد صحة ما جاءت به من الفضل والثناء والترتيب، وما هم من منزلة عند الله جَلَّ وَعَلَا.

❁ ❁ ❁

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءُ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ» (٤/ ١٩٦١) رقم (٢٠٧/٢٥٣١).

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «مَنِ اسْتَعَانَ بِالضُّعَفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الحَرْبِ» (٤/ ٣٧) رقم (٢٨٩٧)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٤/ ١٩٦٢) رقم (٢٠٨/٢٥٣٢).

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ» باب «إِذَا قَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ» (٨/ ١٣٤) رقم (٦٦٥٨)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٤/ ١٩٦٣) رقم (٢١١/٢٥٣٣).

٣٢٠- وَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ أَوْ قَدْ قَاتَلا   مِنْ قَبْلِ فَتْحٍ فَلَهُ الفَضْلُ اجْعَلا

هـذا البيـت يعني مراتب الصحابة، ومـا هم من المنازل العاليـة، فأولهم وأفضلهم الخلفـاء الراشـدون الأربعـة فبقيـة العشرة المبشريـن بالجنة فبقيـة السـابقين الأولين من المهاجريـن والأنصـار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم مَن هاجَرَ قبل الفتح وقاتل، ثم من هاجر وقاتل وأنفق بعد الفتح، وكُلًّا وَعَدَ الله الحسنى. فهذا هو ترتيبهم[١].

❁❁❁

١- الشهادة لمن شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة:

٣٢١- وَقَوْلُهُ لِأَهْلِ بَدْرٍ اعْمَلُوا   فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا عَمِلُوا

أي: نشهد لأهل بدر بالجنة، كما شهد لهم الرسول ﷺ وهو إشارة للحديث الصحيح مـن حَدِيث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصـة كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله مع الظعينـة، وفيه قال عمر: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟**» فَقَالَ: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[٢]. ومع ما فعل حاطب ابن أبي بلتعة، فلـم يكفر، ولم يخرجوه من دائرة الإسـلام، وَكَذَلِكَ ما وقع من مسـابَّة الصحابة أحيانًا، أو قتال بعضهم، أو قتل بعضهم لم يكفروا، ولم يخرجوا من دائرة الإسلام، مثل ما يفعله جهال الخوارج وغُلاتهم.

(١) انظر: «معارج القبول» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٣٨١).

(٢) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «المَغَازِي» باب «فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا» (٥/ ٧٧) رقـم (٣٩٨٣)، ومسـلم كتـاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» بـاب «مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٤/ ١٩٤١) رقم (٢٤٩٤/ ١٦١).

٣٢٢- وَكُلُّ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةْ   فَلَا دُخُولَ لَهُمُ النَّارَ اذْكُرَهْ

وأيضًا أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يشهدون لمن بايع تحت الشجرة بالجنة كما ورد في الحديث: **«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»**(١).

❁❁❁

---

(١) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله عن أم مبشر مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ» (٤/ ١٩٤٢) رقم (٢٤٩٦/ ١٦٣)، ومن حديث جابر أبو داود - واللفظ له - كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الخُلَفَاءِ» (٤/ ٢١٣) رقم (٤٦٥٣)، والترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «فِي فَضْلِ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٥/ ٦٩٥) رقم (٣٨٦٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٢- عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار:

٣٢٣- وَنَشْهَدُ لِمَنْ لَهمْ قَدْ شَهِدَا رَسُولُنَا كَمَا بِهِ قَدْ وَرَدَا
٣٢٤- بِجنَّةٍ كَمَا أَتَى أَوْ نَارِ مُصَحَّحًا كَمَا رَوَى البُخَارِي

ومن أصول أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أنهم لا يشهدون لمعين بجنة أو نار إلا من شهد له الرسول ﷺ بذلك، فيشهدون له بناءً على شهادة رسول الله ﷺ، فيشهدون للعشرة المبشرين بالجنة وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وبعدهم في الفضل والمنزلة الستة الآخرون وهم: كما ورد في الحديث عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد، فذكر رجل عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقام سعيد ابن زيد، فَقَالَ: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة؛ النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولَوْ شئت لسميتُ العاشرَ، قال: فَقَالوا: من هو؟ فسكت، قال: فَقَالوا: من هو؟ فَقَال: هو سعيد بن زيد[(١)]. رضي الله عنهم أجمعين، فهَؤُلَاءِ شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، وأَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يشهدون لهم كذلك، نسأل الله أن يلحقنا بهم، وَأَنَّ يجعلنا من أهل الجنة، وليس على الله بعسير.

٣- العشرة المبشرين بالجنة وهم:

١ - **أبو بكر الصديق** عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن

---

(١) أخرجه من حديث سعيد بن زيد، أبو داود - واللفظ له - كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْخُلَفَاءِ» (٤/ ٢١١) رقم (٤٦٤٩)، والترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» (٥/ ٦٤٨) رقم (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «الْمَنَاقِبِ» باب «سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٧/ ٣٢٧) رقم (٨١٣٧)، وابن ماجه افتتاح الكتاب في «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» باب «فَضَائِلُ الْعَشَرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» (١/ ٤٨) رقم (١٣٣). وصححه ابن حبان رقم (٦٩٩٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

....

مرة التميمي، الخليفة الأول للمسلمين، وأول من أسلم من الرجال أبو بكر، وصاحب الرسول ﷺ في الغار؛ إذ يقول القرآن عنهما: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وصاحبه في الرحلة الشاقة إلى المدينة للهجرة. وقد تميز عن المسلمين بِرِقَّة القلب، وخشية الرب، وبما وَقَرَ في قلبه من إيمان، وبملازمته دائمًا لرسول الله ﷺ حتى لقد عُرِف عن رسول الله ﷺ بل حفظ عنه لكثرة التَّرْدَاد قوله: **«خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر»**[(١)]، وبموقفه أيام الرِّدَّة كموقف نبي من حيث ثباته في الحق أمام الباطل حتى النصر، وقد كان سَبَّاقًا في المواقف، فمرة حث الرسول ﷺ على التبرع في إحدى الغزوات، فلما حضروا بين يدي رسول الله ﷺ سأل كل واحد عما أبقى من ماله لأهله، فَقَال كل واحد بما أبقى، فَقَال عمر وهو يحس في نفسه أنه لن يسبق، فَقَال: أبقيتُ لأهلي نصف مالي، وقال غيره كذلك، فقيل لأبي بكر: وأنت ما أبقيت لأهلك؟ قال: الله ورسوله ﷺ، فَقَال عمر: لن أسابقك بعد اليوم أو كلامًا نحو هذا[(٢)].

وفي موقف آخر حضر الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ، فسألهم عمن تصدق اليوم عن مسكين، من تبع جنازة، من أصبح صائما، ومن عاد منكم اليوم مريضًا، فَقَال أبو بكر: أنا في جميع الأسئلة، فَقَال رسول الله: **«ما اجتمعن في امرئ إلا دخل**

---

(١) متفق عليه من حديث علي بن أبي طالب، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ» (٥/ ١١) رقم (٣٦٨٥)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٥٨) رقم (٢٣٨٩/ ١٤).

(٢) أخرجه من حديث عمر أبو داود كتاب «الزَّكَاةِ» باب «فِي الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ» (٢/ ١٢٩) رقم (١٦٧٨)، والترمذي أبواب الـمَنَاقِبِ (٥/ ٦١٤) رقم (٣٦٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الحاكم (١/ ٤١٣): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» (٥/ ٣٦٦): إسناده حسن، وهو على شرط مسلم.

....

الجنـة»(١)، وعندمـا حـدث ﷺ أن كل باب من أبـواب الجنة الثمانيـة يدخل منه الـمُكثِرُون من أهل كل باب، فباب الصيام لأهل الصيام، وأهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصدقة من باب الصدقة، فَقَال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما على هذا الذي يدعى أحد من تلـك الأبواب مـن ضرورة وقال: هل يُدْعَـى منها كلها أحد يا رسـول الله؟ قال: **«نعم، وارجو أن تكون منهم يا أبا بكر»**(٢) أو كما قال.

أما خلافته، فقد تمت بالنص الخفي وبالإشارة مثل حَدِيث: **«مُرُوا أبا بكر، فليُصَلِّ بالناس»**(٣) مِرارًا. وقوله للمرأة التي سألته إن لم تجده، فمن غيره قال: **«إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»**(٤). وقوله: **«يَأْبَى اللهُ وَالْـمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»**(٥) وقوله: **«لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»**(٦).

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسـلم كتاب «الزكاة» باب «مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ» (٢/ ٧١٣) رقم (١٠٢٨/ ٨٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الصَّوْم» باب «الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ» (٣/ ٢٥) رقم (١٨٩٧)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ» (٢/ ٧١١) رقم (١٠٢٧/ ٨٥).

(٣) متفـق عليـه من حديث عائشـة، أخرجـه البخـاري كتـاب «الأَذَانِ» باب «حَـدُّ الـمَرِيضِ أَنْ يَشْـهَدَ الجَمَاعَـةَ» (١/ ١٣٣) رقم (٦٦٤)، ومسـلم كتـاب «الصَّلَاةِ» باب «اسْـتِخْلَافِ الْإِمَـامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ» (١/ ٣١٣) رقم (٤١٨/ ٩٥).

(٤) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٥) رقم (٣٦٥٩)، ومسـلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٥٦) رقم (٢٣٨٦/ ١٠).

(٥) متفـق عليه من حديث عائشـة، أخرجـه البخاري كتاب «الأَحْـكَامِ» باب «الِاسْـتِخْلَافِ» (٩/ ٨٠) رقم (٧٢١٧)، ومسـلم - واللفظ له - كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٥٧) رقم (٢٣٨٧/ ١١).

(٦) أخرجه من حديث عائشة الترمذي أبواب المناقب (٥/ ٦١٤) رقم (٣٦٧٣)، وقال: حديث غريب. وقـال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٨٨): هذا حديث لا يصح. وقال الألباني في «السلسلة =

....

كما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»**[1]، وقد أُوِّلَ ذلك بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.

والرؤيا الأخرى التي رآها رجل كان يحدث عنه ابن عباس أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: **«إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ وَالعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالمُسْتَقِلُّ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ...»** إلخ[2]، فكان يرون الرجل الثاني: أبو بكر في الخلافة ومناقبه وفضائله لا تُحصَى، وفيها مُجلَّدات، ويا ويل من وقع في عرضه وطعن في فضله أو وصل إلى تكفيره، فويل له، ثم ويل له من مخاصمته يوم القيامة، وعند الله تجتمع الخصوم.

= الضعيفة» رقم (٤٨٢٠): ضعيف جدًّا.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٦) رقم (٣٦٦٤)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٠) رقم (١٧/٢٣٩٢).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «التَّعْبِيرِ» باب «مَنْ لَمْ يَرَ الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَابِرٍ إِذَا لَمْ يُصِبْ» (٩/ ٤٣) رقم (٧٠٤٦)، ومسلم كتاب «الرُّؤْيَا» باب «فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا» (٤/ ١٧٧٧) رقم (١٧/٢٢٦٩).

٢- أبو حفص عمر بن الخطاب: هو ثاني الخلفاء الراشدين ويلي أبي بكر في الفضل وهو الفاروق الذي فرق بين الحق والباطل، وهو الذي صدع بالحق وجهر به، وهو الذي خرج مهاجرًا شاهِرًا سيفه، والقائل: مَنْ يرغب أن تفقده أمه، وأن ييتم أطفاله، فليعترضنا. وهو الذي دعا له الرسول ﷺ بأن يعز الإسلام بأحد العمرين أبي جهل أو ابن الخطاب(١)، فكان ابن الخطاب وهو الذي نزل القرآن موافقًا لرأيه في الأسرى، وفي الحجاب، وفي كثير من المواقف وهو الذي ما سلك طريقا إلا وسلك الشيطان فَجًّا آخر(٢)، وقد كان الرسول ﷺ دائمًا يذكر جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر(٣)، وصاحب العدل والحدس وأنه مُكَلَّم هذه الأمة(٤) وكنيته أبو حفص، واسمه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوي، إمام الحنفاء، وثاني الخلفاء الراشدين، وأول من تَسَمَّى بأمير المؤمنين.

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر الترمذي أبواب المناقب باب «في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب» (٥/ ٦١٧) رقم (٣٦٨١). وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وصححه ابن حبان: (٦٨٨١)، وقواه ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٤٨): بشواهده. وقال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص: ٥٤): لفظ: بِأَحَبِّ الْعُمَرَيْنِ، لا أصل له.

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري كتاب «بَدْءِ الخَلْقِ» باب «صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ» (٤/ ١٢٦) رقم (٣٢٩٤)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٣) رقم (٢٣٩٦/ ٢٢).

(٣) متفق عليه من حديث علي بن أبي طالب، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ» (٥/ ١١) رقم (٣٦٨٥)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٥٨) رقم (٢٣٨٩/ ١٤).

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» (٥/ ١٢) رقم (٣٦٨٩)، بلفظ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ» ورواه معلقًا في نفس الحديث بلفظ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ».

وفي الصحيحين عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ[1].

وحديث آخر عن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه، عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**بينما أنا نائم إذ رأيت قدحا أتيت به، فيه لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب**»، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»[2].

يقول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وقد وافقت ربي في ثلاث»[3]. قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت الآية: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، الثانية وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آيات الحجاب. ورأى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عدم الصلاة والاستغفار على عبد الله بن

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» (٥/ ١٠) رقم (٣٦٧٩)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (٤/ ١٨٦٢) رقم (٢٣٩٤/ ٢٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» (٥/ ١٠) رقم (٣٦٨١)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (٤/ ١٨٥٩) رقم (٢٣٩١/ ١٦).

(٣) متفق عليه من حديث عمر، أخرجه البخاري كتاب «الصَّلَاةِ» باب «مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ» (١/ ٨٩) رقم (٤٠٢)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (٤/ ١٨٦٥) رقم (٢٣٩٩/ ٢٤).

أُبَيّ[١]، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، وقد قُتِلَ شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مِحْرَابِهِ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي. وقال: «**الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ**»[٢]. وكان صَدَّاعًا بالحق، وآمِرًا بالمعروف، ناهِيًا عن المنكر حتى في آخر لحظاته، وقد سمعوه وهو يقول: «**يا ليتني أموت كَفَافًا لا عَلَيَّ ولا ليا**» بعدما سمع الناس يثنون على جهوده في الإسلام، وما قَدَّمَه من حسن الصُّحبة، وَأَنَّهُ من المُبَشَّرين بالجنة، وَأَنَّهُ خليفة خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكثيرة مناقبه، وخاصة في إرساء أُولَيَات نظام الدولة عسكريًّا وحربيًّا واقتصاديًّا ومدنيًّا واجتماعيًّا.

٣- أبو عبد الله: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين للإسلام، أسلم على يد أبي بكر، وتزوج بنتي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُقيَّة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّ كلثوم بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولُقِّبَ بذي النورين لذلك، وكان يصلي بل يقوم بالقرآن في ركعة واحدة إلا ما كان من سجود تلاوة، وقد ورد النهي عن أن يختم القرآن في أقل من ثلاث ليال[٣] لعدم الفقه للقرآن.

وعثمان هو الذي جمع الناس على قراءة واحدة ومصحف واحد، كُتِبَ على قراءة جبريل الأخيرة التي درسها مع نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته. وكان ذلك الجمع

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «الجَنَائِز» باب «الكَفَنِ فِي القَمِيصِ الَّذِي يُكَفُّ أَوْ لاَ يُكَفُّ» (٢/ ٧٦) رقم (١٢٦٩)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٥) رقم (٢٤٠٠/ ٢٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «قِصَّةِ البَيْعَةِ، وَالِاتِّفَاقِ عَلَى عُثْمَانَ» (٥/ ١٥) رقم (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو أبو داود كتاب «الصَّلَاةِ» باب «تَحْزِيبِ القُرْآنِ» (٢/ ٥٦) رقم (١٣٩٤). والترمذي أبواب «القِرَاءَاتِ» (٥/ ١٩٨) رقم (٢٩٤٩)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان رقم (٧٥٨)، وقال الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» رقم (١٢٦٠): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

....

بمشورة بعض الصحابة حينما قُتِلَ كثير من القُرَّاء وكثر الخلاف بين القراء؛ لعدم معرفتهم أنه نزل على سبعة أحرف. وكان كثيرَ الحياء كما في الحديث الذي رَوَتْهُ عائشة، ومضمونه أن أبا بكر وعمر استأذنا على رسول الله، ودخلا عليه وهو على حالة واحدة، ولما استأذن عثمان لم يأذن له حتى تهيأ لمقابلته، فَقَالت عائشة: لِمَ فعلتَ هذا مع عثمان، ولم تفعله مع الصديق وعمر؟ قال لها: ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة[(١)]، وقال عنه ﷺ: «أشدكم حياءً عثمانُ»[(٢)]. وهو صاحب تجهيز جيش العُسْرَة الذي مَنْ جهزه غفر الله له. وهو صاحب بِئْرِ رُومَا وجعلها سقاية للمسلمين[(٣)].

وهو صاحب الصدقة يوم عرض عليه تجار المدينة مضاعفة الربح في القافلة المحملة بالطعام، فَقَال: قد أعطيت أكثر؛ عشرة في الدرهم الواحد، ثم سبع مئة ضعف، ويقصد الحسنة بعشرة أمثالها عند الله، وزعها على فقراء المدينة حتى لم يبْقَ بيت فقير إلا وصله من ذلك الطعام.

---

(١) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٦) رقم (٢٤٠١/ ٣٦).

(٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك الترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»، (٥/ ٦٦٥) رقم (٣٧٩١)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «الْمَنَاقِبِ» باب «أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٧/ ٣٤٥) رقم (٨١٨٥)، وابن ماجه كتاب في «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» باب «زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ» (١/ ٥٥) رقم (١٥٤)، كلهم بلفظ: «وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ» ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» باب «فِي فَضْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٢/ ٥٨٧) رقم (١٢٨١) بلفظ: «أَشَدُّ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ»، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان رقم (٧١٣١)، وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٩٣): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ إِلَّا أَنَّ الْحُفَّاظَ قَالُوا إِنَّ الصَّوَابَ فِي أَوَّلِهِ الْإِرْسَالُ وَالْمَوْصُولُ مِنْهُ مَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَاللهُ أَعْلَمُ. واقتصر البخاري على فضيلة أبي عبيدة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٢٤)، وذكر كلام الحافظ واستغربه.

(٣) أخرجه من حديث عثمان النسائي كتاب «الأحباس» باب «وقف المساجد» (٦/ ٢٣٣) رقم (٣٦٠٦)، وصححه ابن خزيمة رقم (٢٤٨٧)، والألباني.

وهو الذي بايَعَ عنه الرسول ﷺ بكفه في بيعة الرضوان، وقد هاجر هجرتين. وهو صاحب شراء المِرْبَد (الذي من ابتاعه غفر الله له).

وهو الذي قال فيه يوم تجهيز جيش العسرة: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا، ما على عثمان ما عمل بعد هذا»(١). ومناقبه كثيرة جدًّا، وقد قُتِلَ بسبب حركة وتأليب عبد الله ابن سبأ اليهودي الملقَّب بابن السوداء، الذي جمع له من كل مصر ٦٠٠ شخص أو أكثر، وحاصروه، وقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقرأ القرآن في ١٨ خلت من شهر الحجة عام ٣٥هـ رحمه الله رحمة واسعة، وعند الله تجتمع الخصوم.

٤- أبو الحسن: علي بن أبي طالب، وهو الرابع في الفضل والخلافة وإنَّ كان لبعض أَهْلِ السُّنَّةِ رأي في الفضل ما بينه وبين عثمان وَلَكِنَّ الإجماع والمشهور أن الإمام على الرابع في الفضل والخلافة، وهو ابْن عم رَسُول الله ﷺ وأبو السبطين الحسن، والحسين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم رضي الله عنه وأرضاه، وَقَدْ كَفَلَ النبيُّ ﷺ عَلِيًّا، وهو صغير، وَقَدْ آمن بالرَّسُول ﷺ وعمره ثمان سنوات، وهو أول من أسلم من الصبيان، وكان عليٌّ صاحب دعوَة قريش حينما نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فأمر عليًّا أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارَة، وهو الذي ضحى بنفسه، فنام على فراش النبي ﷺ إبَّانَ الهجرَة وكان النبي ﷺ حينها مطلوبًا للمشركين ليقتلوه، وهَذِهِ عقبَة لا يقتحمها غير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي عُهِدَ إليه بتأديَة الأمانات إلى أصحابها، وهو الذي قَتَلَ

(١) أخرجه من حديث عبد الرحمن بن سمرة الترمذي أبواب «المناقب» (٥/ ٦٢٦) رقم (٣٧٠١)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، ولفظه «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ» وصححه الحاكم (٣/ ١٠٢)، وحسنه الألباني في تحقيق «المشكاة» رقم (٦٠٧٣).

عمرو بن وُدّ العامري، وهو الذي برز مع حمزة وعبيدَةَ بنِ سعيد لخصمائهم يوم بدر. وَقَدْ شهد المشاهد كلها إلا تبوكَ. وهو من بلَّغ الناس نيابةً عن النبي ﷺ بسورَة براءَة في موسم الحج وشريكه في نحر هديه في حجَّة الوداع، وخليفته في أهله في غزوَة تبوك، وهو عذره، وهو الذي قال له: **«أما ترضى ان تكون مني بمنزلَة هارون من موسى إلا أنه لا نَبِيَّ بعدي»**(١).

هذا، وَقَدْ قال عنه الشيعَةُ أشياء كثيرَة أنكرها هو عَلَيْهِمْ ونهاهم عنها ودعاهم للتوبَةِ منها، فلم يزدادوا إلا تعلقًا به، فَقَالوا: إنه إله، أو ربّ، ومُرسَل، وسيرجع بعد قتله. وَقَدْ قيل أنه أحرق من اعتقد فيه أنه ربٌّ، وخَدَّ لهم الأخاديد وأحرقهم بالنار، فما ازدادوا إلا تعلقا به، وقالوا: لا يحرق بالنار إلا رب النار، وَقَدْ أنكر عليه ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: لو كنتُ مكانه لقتلتهم لرِدَّتهم عن الدين(٢).

هذا، وله من الفضائل والمناقب الثابتَة في السُّنَّة الكثير والكثير، أما ما أَلَّفَتْه الشيعَة فيه، وتقوَّلت عليه بما لا يقول، فهو مرفوض بالعقل والنقل والطبع، رَحِمَهُ اللهُ رحمَةَ الأبرار، وجازاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ولم أتعرض لما جرى بينه وبين معاويَةَ؛ لأَنَّ تِلكَ أُمَّة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقَوْله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].

---

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري كتاب «المَغَازِي» باب «غَزْوَةِ تَبُوكَ» (٦/ ٣) رقم (٤٤١٦)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٧٠) رقم (٢٤٠٤/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «لاَ يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللهِ» (٤/ ٦١) رقم (٣٠١٧)، ولفظه: عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ»**، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»**.

٥- **أبـو محمـد**: طلحَة بن عبيد الله، وَقَدْ سـماه الرَّسُـول ﷺ طلحَة الخير، وطلحَة الجود، وطلحَة الفياض، ولكل تسـمية من هذه موقف خاص به مع رَسُـول الله ﷺ خاصَّـة في يوم أُحد، فقد اشـتهر به وعرف بـه. قال عنه ﷺ: **«ذاك يوم لطلحَة»**(١)، وثباته مع رَسُول الله ﷺ وهو من السابقين إلى الإسلام، وهو الشهيد الحـيّ(٢)، وهو من أول المهاجرين، وَقَدْ وجد في جسـمه بضع وسـبعون طعنَة، وضربه، ورميه، وَقَدْ مات شهيدًا رضي الله عنه وأرضاه.

٦- **أبـو عبـد الله**: الزبير بـن العوام، أَسْـلَم وعمره ثمان سـنوات، وهاجر وعمره ١٨ سـنَةً إلى المدينَـة، عُذِّب كثيرًا مـن عمه حتى كان يعلقه في حَصِـير له حتى يرجع عن الإسلام إلى الكفر، وكان في أول معركَة بين الإسلام والكفر برز لرأس من رءوس الكفر في غـزوَة بدر، وهو عبيدَة بن سـعيد بن العاص، ورغم تدرع هـذا الكافر بالحديد إلا أن الشـجاع الزبـير بن العوام سـدَّد رميةً من يمينـه إلى عينه، فنفذت إلى مؤخرَةِ رأسـه، فإذا بالعدو يخِرّ صريعا، وهو أول فدائي صَعِدَ على سلم لاقتحام جدار (حصن بابليون)، ثـم كبَّرَ وكبر المسلمون من ورائه، فارتج الحصن، وهرب من فيه، ودخله المسلمون منتصرين، وكان ممن يحرس رَسُول الله ﷺ وكان حواري(٣) رَسُول الله ﷺ، وَقَدْ شهد

(١) هـو مـن كلام أبي بكر لا من حديث النبـي ﷺ ولفظه ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ، أخرجه من حديث عائشـة الطيالـسي (١/ ٨) رقـم (٦)، وصححه ابن حبـان رقم (٦٩٨٠)، والحاكـم (٣/ ٢٧)، وقال الألباني في التعليقات الحسان: ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجـه مـن حديـث أبي هريرة مسـلم كتاب «فضائـل الصحابة» بـاب «من فضائل طلحـة والزبير» (٤/ ١٨٨٠) رقم (٢٤١٧/ ٥٠).

(٣) متفق عليه من حديث جابر، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «فَضْلِ الطَّلِيعَةِ» (٤/ ٢٧) رقم (٢٨٤٦)، ومسلم كتاب «مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» باب «مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» (٤/ ١٨٧٩) رقم (٢٤١٥/ ٤٨).

الـمَشَـاهِدَ كلَّها مع رَسُـول الله ﷺ وهو أول من سَلَّ سيفه حينما سمع رَسُول الله ﷺ قد أخذ، فدعا له الرَّسُول ﷺ ولسيفه(١).

٧- عبـد الرحمـن بن عوف: أحد السـتَّة الذين تـرك لهم أمر الخلافَة والشـورى، وَقَدْ أسلم على يد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ هاجَر وجاهد في سبيل الله، وكان تاجرًا ومباركًا حتـى قـال: لو رفعت حجـرًا لرجوت أن يكون تحتـه فِضَّة أو ذهبا، وَقَدْ عممه الرَّسُـول ﷺ بيـده وكان يتصـدق من ماله كثيرًا، وَقَدْ أذن له الرَّسُـول ﷺ أن يتزوج بابنَـةِ ملك دُومَة الجنـدل: الأصبع بن تغلبَةَ وهي: تُمَاضِر أم ابنة أبي سـلَمَةَ رضي الله عنه وأرضاه، وله مناقب غير هذه، وليس هذا محلها.

٨- أبو إسـحاق: سـعد ابْن أبي وقاص كان يحرس رَسُول الله ﷺ، وَقَدْ جمع له بين أبويه يوم أحد، قال ﷺ: «ارم، فداك أبي وأمي»(٢)، ولم يثبت في بَعْض تِلْكَ الأيام مع رَسُول الله ﷺ إلا طلحَة وسعد هذا. وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله(٣)، وهو ثلث الإسـلام(٤)، اعتز به رَسُول الله ﷺ بين القوم، فَقَال: هذا خالي، فليأتني امرؤ بخاله(٥)، وَقَدْ نزل فيه قرآن يتلى، وَقَدْ دعا له رَسُـول الله ﷺ، فَقَال:

---

(١) أخرجـه مـن حديث عروة بـن الزبير أحمـد في «فضائل الصحابـة» (٢/ ٧٣٥) رقـم (١٢٦٦)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (ص: ٩١) رقم (١١٤).

(٢) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «الـمِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ» (٤/ ٣٩) رقم (٢٩٠٥)، و مسـلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فِي فَضْلِ سَـعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٧٦) رقم (٢٤١١/ ٤١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب «الـمَغَازِي» باب «غَزْوَةِ الطَّائِفِ» (٥/ ١٥٦) رقم (٤٣٢٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ» (٥/ ٢٢) رقم (٣٧٢٦).

(٥) أخرجـه من حديث جابر الترمذي أبواب «الْـمَنَاقِبِ» (٥/ ٦٤٩) رقم (٣٧٥٢). وقال: هَذَا حَدِيثٌ =

....

«اللهم سدد رميته، وأجب دعوته»(١)، وَقَدِ اعتزل الفتنَةَ، وهو آخر المهاجرين موتًا من الرجال، ذَكَرَ هذا ابْنُ حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح.

٩- أبو الأعور: سعيد بن زيد، وهو من أوائل المسلمين، ومن أحباء الرحمن، ومن المهاجرين، وممن شهد المشاهد كلها، وكان إسلامه قبل إسلام عمر رضي الله عنهم أجمعين، وكانَتْ حياته كلها جُنْدِيَّة في طاعَة الرحمن مبذولَة، وكان مُجاب الدعوَة، ادّعتْ فيه (أروى بنت أوس) أنه ظلمها وأخذ أرضها، وشَكَتْه إلى مروان بن الحكم أمير المدينة يومها، قال سعيد: أتروني ظلمتها، وَقَدْ سمعتُ رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«من ظلم شبرًا من الأرض طَوَّقَه الله يوم القيامة من سبع أرضين»**، ثم رفع يده إلى السماء، وقال: **«اللهم، إن كانَتْ كاذبة، فلا تمتها حتى تُعْمِي بصرها، وتجعل قبرها في بئرها»**، وَقَدِ استجاب الله منه، فلم تمت حتى ذهب بصرها ووقعت في بئر دارها(٢). وكان لا يحب الظهور، ولا الأضواء، فقضى حياته منزويًا من الدُّنْيَا مُتَّجِهًا إلى الآخرَة، عابدًا مجاهدًا حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه وأرضاه.

١٠- عامر بن عبد الله الجراح أحد القرشيين والمشهود له بالجَنَّة، وأنه أمين هذه الأمة لقوله ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ**

= غَرِيبٌ، وقال الحاكم (٣/ ٤٩٨): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ووافقه الذهبي، وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٧/ ٢٧٩).

(١) أخرجه من حديث سعد ابن أبي عاصم في «السنة» باب «ما ذكر عن النبي ﷺ في فضل سعد» (٢/ ٦١٤) رقم (١٤٠٨)، وصححه الحاكم (٣/ ٢٦).

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد، أخرجه البخاري كتاب «بَدْءِ الخَلْقِ» باب «مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ» (٤/ ١٠٧) رقم (٣١٩٨)، ومسلم كتاب «الْمُسَاقَاةِ» باب «تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَغَصْبِ الأَرْضِ وَغَيْرِهَا» (٣/ ١٢٣٠) رقم (١٦١٠/ ١٣٨).

الجَـرَّاحِ»[١]. وَقَدْ نـزل فيه قرآن يتلى. ذَكَرَ ذَلِكَ صاحب الحِليَـةِ الحافظ أبو نعيم. وقِصَّة طلـب أهل اليمن أن يبعث إليهم من يعلمهم الإسـلام، وبعـث إليهم أبا عبيدَة، وطلب أهالي نجران أمينًا، فبعث إليهم أبا عبيدَة[٢].

هَؤُلَاءِ العشرَة المشـهود لهم بالجَنَّة نحن مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّـنَّةِ، نشهد لهم بذَلِكَ، ولهم مناقـب كثـيرَة وفضائل عظيمَة، وهـم أنموذج فريد لم يوجد مثلهم بعـد أن اختارهم الله لترسـية أصول هذا الدين، ونشر ثمراته على الخلـق حتى تغير وجه الأرض إلى الوضاءَة وأخرجـوا النـاس من عبـادَةِ الخلق إلى عبـادَةِ الحق سـبحانه، فـرضي الله عنهم أجمعين، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (٥/ ٢٥) رقم (٣٧٤٤)، ومسـلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ» باب «فَضَائِلِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (٤/ ١٨٨١) رقم (٢٤١٩/ ٥٣).

(٢) انظر الحديث السابق.

٤- الشهادة لمن شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة غير العشرة المبشرين بالجنة:

٣٢٥- فَعَشْرَةٌ بِجَنَّةٍ قَدْ بُشِّرُوا وَثَابِتٌ أَيْضًا وَغَيْرًا ذَكَرُوا

أما العشرة، فقد تقدم الكلام عنهم أجمعين، وَقَدْ أعطينا عن كل واحد نُبْذَةً مختصرة ودليلهم كما تَقَدَّمَ حَدِيث سعيد بن زيد أن رَسُول الله ﷺ قال: **«عشرةٌ في الجنَّة أبو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص»**. قال: فعد هَؤُلَاءِ التسعة وسكت عن العاشر، فَقَال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور، مَنِ العاشر؟ قال: أنشدتموني بالله: أبو الأعور في الجَنَّة[1]، وكلهم من المهاجرين.

وقولنا: **(وثابت ايضًا)** هو ثابت بن قيس بن الشماس، وكان يلقب بخطيب رَسُول الله ﷺ وكان خطيب الأنصار، وَقَدْ شهد له رَسُول الله ﷺ بالجَنَّة، وَقَدْ شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامَةَ شهيدًا في خلافَة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ بُشِّر بالجَنَّة كما أن حصر المبشرين في حَدِيث سعيد لا ينفي البشارَة لغيرهم، فإن ثابت ابن قيس بن شماس بن مالك لُقب بخطيب رَسُول الله ﷺ والدليل على بشارته أن النبي ﷺ افتقد ثابتًا، فَقَال رجل: يا رَسُول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه، فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فَقَال له: ما شأنك؟ فَقَال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت

---

(١) أخرجه من حديث سعيد بن زيد، أبو داود كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْخُلَفَاءِ» (٤/ ٢١١) رقم (٤٦٤٩)، والترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» (٥/ ٦٤٨) رقم (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «الْمَنَاقِبِ» باب «سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٧/ ٣٢٧) رقم (٨١٣٧)، وابن ماجه افتتاح الكتاب في «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» باب «فَضَائِلُ الْعَشَرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (١/ ٤٨) رقم (١٣٣). وصححه ابن حبان رقم (٦٩٩٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

النبـي ﷺ، فقـد حبط عمله، وهو من أهـل النار، فأتى الرجـلُ النبيَّ ﷺ، فأخبره أنه قال كذا وكذا، فَقَال موسـى راوي الحديث، فرجع عليه المَرَّة الأخرى ببشـارَة عظيمَة قال: **«اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجَنَّة»**(١). وذَلِـكَ حينما نزلـت الآيَـة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. وكان ثابـت بن قيس بن شـماس خطيـب النبي ورفع صوته، فَقَال: أنـا أرفع صوتي فوق صوت النبي وأنا من أهل النار، فتغيب عن المجلس، فافتقده الرَّسُـول ﷺ وسأله عنـه، فجـيء بخبره الذي تقدم، فَقَال: بَشِّرُوه أنه ليس من أهل النار ولكنه من أهل الجَنَّة رضي الله عنه وأرضاه، وأيضًا كلمَة يراد بها التأكيد على أنه من ضمن المبشرين بالجَنَّة بعد العـشرَة. (وَغيْرًا اذْكُرُوا) مفعول مقدم وذكروا مكـون من فعل وفاعل، ويقصد بالغير أي غـير ثابت وغير العـشرَةِ قد ذكروهم في الأخبار والأحاديث كما سـترى، فقد ذكروا أن بـلالًا بُـشِّر بالجَنَّـة، فقد روى البخـاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حَدِيث جابر بـن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«رأيتُني دخلتُ الجَنَّة، فإذا أنا بالرُّمَيْصَاء زوجَةِ أبي طلحَة وسمعت خشخشَة، فقلت: من هذا، فَقَال هذا بلال ورأيت قصرًا بفنائه جارية ، فقلت لمـن هـذه؟ فقال: لعمر. فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك ، فوليت مدبرا . فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسـول الله»**(٢). وروى مسـلم بلفظ سـمعت خشخشَةً

(١) متفـق عليه من حديـث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» بـاب «عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْـلَامِ» (٤/ ٢٠١) رقم (٣٦١٣)، ومسـلم كتاب «الْإِيمَان» باب «مَخَافَةِ الْـمُؤْمِـنِ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ» (١/ ١١٠) رقم (١١٩/ ١٨٧).

(٢) متفـق عليـه من حديث جابر بن عبـد الله، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» بـاب «مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّـابِ» (٥/ ١٠) رقم (٣٦٧٩)، ومسـلم كتاب «فَضَائِـلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ» بـاب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَـرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٢) رقـم (٢٣٩٤/ ٢٠). وبـاب «مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ، أُمِّ أَنَـسِ بْنِ مَالِكٍ، وَبِلَالٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا» (٤/ ١٩٠٨) رقم (٢٤٥٧/ ١٠٦).

أمامي، فإذا بلال. وغير هذا من الأحاديث الدَّالَّة على بشارَة بلال بالجَنَّة، ونحن نشهد له بذَلِكَ، كما شهد له الرَّسُول ﷺ.

ومنهم: زيد بن حارثه بن شَرَاحِيلَ الكلبي بن عبد العزى، وزيد هذا هو والد أسامة ابن زيد حِبّ رَسُول الله وابن حبه، وكان يُدْعَى زيد بن محمد ﷺ حتى نزلت الآيَة ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ومما يشهد له بالبشارَة ما أخرجه ابْنُ عساكر عن زيد بن الخطاب، قال: حدثني حسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجَنَّة، فاستقبلتني جاريَة شابَّةٌ، فقلت لمن أنت؟ قالت أنا لزيد بن حارثَةَ»**[١].

ومنهم: حاطب ابْن أبي بلتعَةَ اللخمي، وهو من أهل اليمن، وَقَدْ ورد فيما رَوَاهُ مسلم بإسناد إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ»**[٢].

ومنهم: عكاشَة بن محصن كما ورد في الحَدِيث الطويل الذي رَوَاهُ البخاري، وهو حَدِيث: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فرجوت**

---

(١) أخرجه من حديث بريدة ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٣٧١)، وذكره الذهبي في «السير» (٢/ ١٣٣)، وقال: إسناده حسن، رواه الروياني في مسنده، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٥٩): هذا سند صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه من حديث جابر مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رضي الله عنهم» (٤/ ١٩٤٢) رقم (٢٤٩٥/ ١٦٢).

أن تكون أمتي، فقِيلَ: هذا موسى وقومه، ثم قِيلَ لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقِيلَ: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتك ومع هَؤُلَاءِ سبعون ألف يدخلون الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب»(١).

وَقَدْ ورد برواية أخرى عِنْدَ مسلم من حَدِيث عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: **«يدخل الجَنَّة من أمتي سبعون ألفًا بِغَيْرِ حِسَاب»**. قالوا: ومن هم يا رَسُول الله؟ قال: **«هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**، فقام عكاشَةُ بن محص، فَقَال: ادع الله أن يجعلني منهم، فَقَال: **«أنت منهم»**(٢).

ومنهم: عبد الله بن سلام لما روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ(٣)، وفيه نزلت الآيَة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

ومنهم: جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار لما روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«رأيت جعفرًا يطير في الجَنَّة مع الملائكة»**(٤).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «الطِّبِّ» باب «مَنْ لَمْ يَرْقِ» (٧/ ١٣٤) رقم (٥٧٥٢)، ومسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» (١/ ١٩٩) رقم (٢٢٠/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه من حديث عمران مسلم كتاب «الإِيمَانَ» باب «الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» (١/ ١٩٨) رقم (٢١٨/ ٣٧١).

(٣) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَلَامٍ» (٥/ ٣٧) رقم (٣٨١٢)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٩٣٠) رقم (٢٤٨٣/ ١٤٧).

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة الترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» (٥/ ٦٥٤) رقم (٣٧٦٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٢٦)، وذكر شواهده ومتابعاته.

وَكَذَلِكَ السيدَة: فاطمَة بنت رَسُول الله ﷺ لقوله: «**يا فاطمَةُ، ألا ترضين أن تكوني سيدَة نساء أهل الجنَّة**»(١). وَكَذَلِكَ مما أخبر عنهم الرَّسُول ﷺ أنهم في الجَنَّة: الحسن والحسين سِبْطَا رَسُول الله ﷺ قال في حقهما في حَدِيث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدَا شباب أهل الجنَّة**»، ونحن نشهد لهم بذَلِكَ(٢).

ومنهم: حارثَة بن النعمان قال في حقه رَسُول الله ﷺ قال: «**نمت، فرأيتُني في الجنَّة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثَةُ بن النعمان**»، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «كذَلِكَ البر كذَلِكَ البر، وكان أَبَرَّ الناس بأمه»(٣). وَكَذَلِكَ نشهد كما شهد رَسُول الله ﷺ للرُّميصاء لأم أنس بنت ملحان بالجَنَّة كما شهد لها رَسُول الله ﷺ حيث قال: «**رأيتُني دخلت الجنَّة، فإذا أنا بالرميصاء امرأَةِ أبي طلحَة**»(٤). وَفِي رواية لمسلم قال رَسُول الله ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ**»(٥). ومنهم

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ» (٤/ ٢٠٣) رقم (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فَضَائِلِ فَاطِمَةَ» (٤/ ١٩٠٤) رقم (٢٤٥٠/ ٩٨).

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري الترمذي أبواب «الْـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ» (٥/ ٦٥٦) رقم (٣٧٦٨). وقال: ، وصححه ابن حبان رقم (٦٩٥٩)، والحاكم (٣/ ١٦٦-١٦٧)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٩٦).

(٣) رواه النسائي (٧٩٢٤) إسناده صحيح قاله في الفتح.

(٤) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» (٥/ ١٠) رقم (٣٦٧٩)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٦٢) رقم (٢٣٩٤/ ٢٠).

(٥) أخرجه من حديث أنس مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ» =

أم المؤمنين: خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد بَشَّرَها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيت في الجَنَّة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب[1].

وَكَذَلِكَ ممن شهد له بالجَنَّة حمزة بن عبد المطلب حيث قال في حقه أنه دخل الجَنَّة، فنظر فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير[2].

ومنهم: سعد بن معاذ بن النعمان الذي وافق حُكْمُه حُكْمَ الله من فوق سبع سماوات، وهو كان السبب في إسلام قومه كلهم. شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق، ورمي بسهم في يوم الخندق، وعاش بعد ذَلِكَ شهرًا حتى حكم في بني قريظَةَ حكمه المشهور الذي وافق فيه حكم الله. وحديث: أهديت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فَقَال: **«أتعجبون من لين هذه؟ لَمَناديل سعد بن معاذ في الجَنَّة خير منها وألين»**[3].

وممن شهد لهم: آل ياسر: عمار وأمه وأبوه، فقد كان يمر بهم وهم يعذبون فيقُول لهم: **«صبرًا يا آلَ ياسر، موعدكم الجَنَّة»**[4].

= (٤/ ١٩٠٨) رقم (٢٤٥٦/ ١٠٥).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٥/ ٣٩) رقم (٣٨٢٠)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» باب «فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٤/ ١٨٨٧) رقم (٢٤٣٢/ ٧١).

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٤٦) رقم (٢٩٤٥)، وصححه الحاكم (٣/ ١٩٦)، والضياء في «المختارة» (١١/ ٤٠٧) رقم (٤٣١)، والألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٣٦٣).

(٣) متفق عليه من حديث البَرَاء، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٥/ ٣٥) رقم (٣٨٠٢)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» (٤/ ١٩١٦) رقم (٢٤٦٨/ ١٢٦).

(٤) «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم: ١٥١١). والحديث مرفوع.

....

ومنهم: عمير بن حمام الأنصاري عندما سمع النبي ﷺ يَقُول لأصحابه: «قوموا إلى جَنَّة عرضها السموات والأرض»، قال عمير: بَخٍ بخ. قال له رَسُول الله ﷺ: «وما يحملك على قولك: بخ بخ؟» قال: رَجَاءَ أن أكون من أهلها. قال له: «فإنك من أهلها»[(١)].

هذا، ويوجد غير هَؤُلَاءِ ممن أراد الله بهم الخير، فقدموا أعمالًا عظيمَةً مع نبيهم، وعلم الله منهم ما علم، فوفَّقهم لبلوغ تِلكَ الشهادَة من نبيهم، ونحن نشهد لهم بما شهد لهم نبيهم بالجَنَّة، ونسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بواسع فضله، فيدخلنا ووالدينا وجميع رحمنا والمسلمين الجَنَّة، وينجينا من النار، إنه وليّ ذَلِكَ والقادر عليه.

❁❁❁

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك مسلم كتاب «الإِمَارَةِ» باب «ثُبُوتِ الجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ» (٣/ ١٥٠٩) رقم (١٩٠١/ ١٤٥).

٥- الإيمان بالتفاوت في الفضل بين الصحابة:

٣٢٦- وَنُؤْمِنُ بِالفَضْلِ وَالتَّرْتِيبِ وَالخَيْرِ فِي الصَّحْبِ بِلَا تَثْرِيبِ

نصدق تصديقا لا يرقى إليه شك، ونقر إقرارًا يترتب عليه العمل بالتفاوت في الفضل والمفاضلة بين الصحابة وَأَنَّ أفضلهم بعد النبيين هو أبو بكر الصديق، فعمر، فعثمان، فعلي رضوان الله عَلَيْهِمْ أجمعين، ومنزلتهم في الفضل كمنزلتهم في الخلافَة: فأبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهو ما أجمع عليه[١] أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وكما تدل عليه الأحاديث الصحيحَة الآتية:

فقد روى أبو طالب العشاري بإسناده إلى عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من فضّل على أبي بكر وعمر أحدًا من أصحاب النبي، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وطعن على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال الشافعي: ما اختلف أحد من الصحابَة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابَة، وَإِنَّما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان، ونحن لا نُخَطِئ واحدًا من أصحاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما فعلوا[٢]. وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وخير هذه الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون[٣]. وقال أبو الحسن الأشعري: «ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لصحبَةِ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأخذون بفضائلهم ويقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًّا رضوان الله عَلَيْهِمْ، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٧)، «م الاعتقاد» للبيهقي (ص: ١٩٢).

(٢) كتاب «الاعتقاد» (ص: ١٩٢). (٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠).

(٤) «مقالات إسلامية» (١/ ٣٤٨).

وقال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافَةَ التميمي، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين»(١).

وقال ابن قدامَة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأفضل أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين»(٢).

وهَذِهِ النصوص التي أوردتها كلها تثبت عَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ في الفضل وَفِي الخلافَة، وأنهم أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبيين، وأنهم كذَلِكَ في الترتيب في الخلافَةِ والفضل: أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي، وأنهم خلفاء راشدون ومهديون، وَأَنَّ لكل واحد منهم، فضائل كبيرَة ومناقب كبيرَة لا تجمعها مثل هذه الدراسَة المختصرَة ومن أحب التوسع، فكتب أهل السنه والجماعَةِ كثيرَة جدًّا مطولات ومختصرات، فاطلبها في مظانها، وخاصَّة كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابْن القيم، وغيرهما من أئمة السلف رحمهم الله جميعًا.

❀❀❀

---

(١) «الباعث الحثيث» (ص: ١٨٣).

(٢) «لمعة الاعتقاد» (ص: ٢٥).

٣٢٧- وَقَـدِّم الـصِّدِّيقَ وَالفَارُوقَا   في الفَضْلِ نَصًّا دُونَك التَّحْقِيقَا

ذكرنـا فيما تقـدم من النصوص على تقـدم أبي بكر وعمر في الفضـل والخلافَة مثل حديـث: عـمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من قدم على أبي بكـر وعمر أحدًا من الصحابَة، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وطعن على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]. وحديثه عندما سـئل عن أيّ الناس أحب؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عائشـة». ومن الرجـال؟ قال: «أبوها، ثم عمر بن الخطاب»[2]. (قد أوردت معناه).

❁❁❁

(١) انظر: كتاب «الاعتقاد» للبيهقي (١٩٢).

(٢) متفـق عليـه مـن حديث عمـرو بن العاص، أخرجـه البخاري كتـاب «الـمَنَاقِبِ» باب «قَـوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَـوْ كُنْـتُ مُتَّخِذًا خَلِيـلا» (٥/ ٥) رقم (٣٦٦٢)، ومسـلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» (٤/ ١٨٥٦) رقم (٨/٢٣٨٤).

٣٢٨- بَعْدَهُمَا الأَمْرُ عَلَى اخْتِلَافِ ... فِي الفَضْلِ بَيْنَ مُثْبِتٍ وَنَافِ

مسـألَة المفاضلَة بين علي وعثمان وجد مـن التابعين وبعض الأئمة من يفضل عليًّا، ووجـد من يفضل عثمان، وهَـؤُلَاءِ المختلفون مجتهدون وكلٌّ لديـه مناقب وفضائل، وَفِي النهايَّـة هم مجتهـدون المصيب منهم لـه أجران، والمخطـئ له أجر واحـد، ونحن نقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]. وهَذِهِ المسـألَة لا تعد من المسـائل المكفِّرة لمن اعتقد فضل واحـد منهما على الآخر، بل قد وجـدت بَعْـض الأقوال مـن أَهْل السُّـنَّةِ بذَلِكَ، ولكنهـم رجعوا إلى قـول الجمهور قال الإمـام النووي: وقال بَعْض أَهْل السُّـنَّةِ من أهل الكوفَـة بتقديم علي على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والصحيح المشـهور تقديم عثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين، وقال شـيخ الإسـلام ابْن تيميَّة: «فإن سفيان الثوري وطائفَة من أهل الكوفَة رجحوا عليًّا على عثمان، ثم رجع عن ذَلِكَ سفيان وغيره وبعض أهل المدينَةِ توقفوا في عثمان وعلي، وهِيَ إحدى الروايتين عـن مالك لكـن الرواية الأخرى عنه تقديـم عثمان على علي كما هو مذهب سـائر الأُمَّة، كالشافعي وأبي حنيفَة وأصحابه وغير هَؤُلَاءِ»[١].

❁❁❁

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٢٦).

٣٢٩- فَبَعْضُهُمْ مَنْ قَدَّمُوا عُثْمَانَا ... في الفَضْلِ وَالخِلَافَةِ رُجْحَانَا
٣٣٠- وَآخَرُونَ قَدَّمُوا عَلِيًّا ... في الفَضْلِ لَا في غَيْرِهِ جَلِيًّا
٣٣١- وَالأَوَّلُ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ عُمَرْ ... عُثْمَانُ بَعْدَهُ عَلِيٌّ اشْتَهَرْ
٣٣٢- وَتِلْكَ أُمَّةٌ بِفَضْلٍ سَبَقَتْ ... وَمَا لَنَا حُكْمٌ عَلَيْهَا قَدْ مَضَتْ

هذه الأبيات تشير إلى قول الجمهور الذين قدموا عثمان في الفضل والخلافَةِ على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ما عليه جمهور أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ خلفًا عن سلف، والبيت الثاني يشير إلى رأي وقول بَعْض أَهْل السُّنَّةِ أنهم يقدمون عليًّا على عثمان في الفضل فقط لكنهم رجعوا عن ذَلِكَ كالإمام أبي حنيفَة وسفيان الثوري وغيرهما إلى رأي الجمهور، ويشير البيت الثالث إلى ترتيب الخلفاء الراشدين والمجمع عَلَيْهِمْ وهم أبو بكر في الفضل والخلافَة، وَكَذَلِكَ عمر في الفضل والخلافَة، وَكَذَلِكَ عثمان في الفضل والخلافَة، وَكَذَلِكَ علي في الفضل والخلافَة، وأنهم الخلفاء الراشدون الأربعَة، والبيت الرابع يشير إلى أن ما وقع بينهم من اختلاف ناتج عن اجتهاد فيما بينهم وما لنا عَلَيْهِمْ حكم بل نقول كما تقول الآيَةُ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٤١].

وَهَذَا مذهب السلف الإمساك عما شَجَرَ بين الصحابَةِ؛ لأننا لم نشهد، ولم نسمع، فأولى بنا أن ننزه ألسنتنا وأسماعنا وأفكارنا عما دار بينهم من خلاف، أو اجتهاد هم فيه معذرون، ولهم من الحسنات ما يغفر ما وقع بينهم من اختلافات فيسعنا ما وسع من قبلنا من أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ في كل مكان.

❁❁❁

٢٦- (مكانة أهل البيت وموقف أهل السنة منه)

٣٣٣- هَذَا، وَآلُ البَيْتِ هُمْ آلُ النَّبي ... مَنْ وَجَبَ الحُبُّ لَهُمْ فَلْنُحْبِبِ

٣٣٤- كَآلِ جَعْفَرٍ وَعَبَّاسٍ عَلِي ... ثُمَّ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ مَنْ يَلِي

٣٣٥- آلِ عَقِيلٍ وَكَذا الزَّوْجَاتُ ... وَمَنْ عَلَيْهِ تَحْرُمُ الزَّكَاةُ

(آل البيت): أهل الرجل زوجه، وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه: وقيل أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب، أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعَة، أو نسب، أو بلد، وَالمُرَاد بهم هنا هم من ضمهم الكساء[1]. وقِيلَ هم زوجاته ﷺ وقرابته من النسب وهم كل من يحرُم عَلَيْهِمُ الصدقَةُ من بني هاشم فيشمل: آل علي، وآل العباس، وآل جعفر، وآل الحارث ومعنى محبة أهل السنة والجماعة لأهل بيت النبي ﷺ هو ان يتولوهم، ويحترموهم، ويكرموهم لقرابة رسول الله ﷺ وكل ذلك من توقيرهم، وتقديرهم لرسول الله ﷺ، وامتثالًا لما جاء به الكتاب والسنة من الحث على ذلك قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

ولقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فهذه الآيةُ قد شملت جميع أهل البيت من الصحابةِ الذكر والأنثى، ولا يخرج عنها أحد منهم، وَقَدْ أذهب الله عنهم الرجس، وهو الإثم، وقِيلَ الشرك وقِيلَ الفعال الخبيثَة والأخلاق الذميمة، وشمولها لزوجاته ﷺ ظاهر؛ لأَنَّ الآيات لما نزلت قرأها عليهن وخيَّرَهن كما أمره الله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرَةَ

---

(١) وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين ثم زوجاته. انظر: «مفردات الراغب الأصفهاني» (ص: ٩٦).

ولذَلِكَ أبقاهن، ولم يطلقهن حتى مات عنهن، ولَوْ أردن العكس الحياة الدُّنْيَا وزينتها لكان يمتعن ويسرحن سراحًا جميلًا. فهي شاملة لزوجاته أمهات المؤمنين، ولغيرهن من قرابته وأهل بيته من الصحابَة رضوان الله عَلَيْهِمْ.

(هُمْ آلُ النَّبِي) يعني أهل بيته خاصة: علي وفاطمَةُ والحسن والحسين، ثم زوجاته كما في الآيَة التي سبق إيرادها.

قال شيخ الإسلام ابْن تيمية: آيَةُ التطهير من الرجس شاملَةٌ لأزواجه ولعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، فقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم مسلمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن هذه الآيَةَ لما نزلت أدار النبي ﷺ كساءه على عليٍّ وفاطمَةَ والحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فقَال: «اللهم، هَؤُلَاءِ أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرْهم تطهيرًا»(١).

(مَنْ وَجَبَ الحُبُّ لَهُمْ فَلْنُحْبِبِ) أي: حب علي وفاطمَةَ والحسن والحسين وزوجاته واجب، وحب الزوجات حب تعظيم وتوقير، وتقدير واحترام، وَلَكِنْ لا تجوز الخلوَة بهم وتنتشر الحرمة إلى بناتهن، وَكَذَلِكَ النظر إليهن، وأخواتهن بالإجماع، ذَكَرَ هذا ابْن كثير(٢).

وهذا الحب واجب، وقال القرطبي يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدَة التي لا عُذْرَ لأحد في التخلُّف عنها، فالواجب علينا أن نحبهن، وَأَنَّ ندافع عنهن، وَأَنَّ نجلهن، وذَلِكَ لله، ثم لرسوله ﷺ؛ لأَنَّ حبنا لهن

(١) أخرجه من حديث أم سلمة الترمذي أبواب «الْـمَنَاقِبِ» باب «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا» (٥/ ٦٩٩) رقم (٣٨٧١)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) في تفسيره (٥/ ٤٢٥).

....

من حب الله ورسوله ﷺ، وَكَذَلِكَ نحب علياً والحسن والحسين وأمهما محبَّة تقدير واحترام، ونحب بيتهم ومن جاء من بعدهم إذا كانوا على استقامَة وعلى بر وتقوى أما غير ذلك، فنحن غير مكلفين بمحبتهم، ولا بتقديرهم، وهَذِهِ المحبة لهم لوصيَّة الرَّسُول ﷺ بهم، فَقَال: «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبي**»(١).

والواجب على كل مسلم أن يكرم ويحترم ويقدر سلالتهم محبَة لله ولرسوله إذا كانوا مستقيمين غير مخالفين للدين، فإن خالفوا، فلا محبَّة لهم، ولا احترام.

(**كآل جعفر**) **أي**: من ينتسب إلى جعفر بن أبي طالب ويسمون بالجعفريين.

(**وعباس**) **أي**: من ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب، ومنهم خلفاء بني العباس وسلالتهم.

(**وعلي**) وآل علي بن أبي طالب، وممن ينتسبون إليه وهم كثيرون في مكة المكرمة، وَفِي بَعْض مناطق نجد وأَبْها وجازان والشرقيَة، وَفِي اليمن والأردن ومصر وليبيا والمغرب والعراق وإيران والكويت، وغير ما ذكر. وفي طليعتهم الحسن والحسين وإخوانهما وسلالتهم رضوان الله عليهم أجمعين.

(**ثم بني الحارث**) **أي**: من ينتسب إلى الحارث بن عبد المطلب.

(**ثم يلي آل عَقِيلٍ**) **أي**: يلي الحارث آل عَقِيلِ بْن أبي طالب ومن ينتسب إليه.

---

(١) أخرجه من حديث ابن عباس الترمذي أبواب «الْـمَنَاقِبِ» باب «مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ» (٥/ ٦٦٤) رقم (٣٧٨٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الحاكم (٣/ ١٥٠): صحيح الإسناد، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٧٦).

(وكذا الزوجات) أمهات المؤمنين في الاحترام والتقدير والتعظيم وتحريم نكاحهن على التأبيد، وكذا تحريم النظر والخلوة بهن كالأجانب قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ويحرم الطعن فيهن وقذفهن لا سيما عائشةَ أم المؤمنين، فمن قذفها بما برأها الله منه، فهو كافر. وأما من قذف غيرها من أمهات المؤمنين، ففيه قولان: قيل يكفر وقيل لا يكفر.

وعَقِيدَة أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يقولون في جميع أزواج النبي ﷺ طاهرات مُبَرَّآت من كل سوء، ويترضون عنهن ويقرون بفضلهن ومنزلة كل واحدَةٍ منهن، وأنهن أمهات المؤمنين.

(وَمَنْ عَلَيْهِ تَحْرُمُ الزَّكَاةُ) هذا قد يصلح تعريفًا لأهل البيت، فكل من حرمت عليه الزكاة، فهو من آل البيت وهم كما تقدم: آل العباس بن عبد المطلب، وآل جعفر ابْن أبي طالب، وآل علي بن أبي طالب، وآل عَقِيل، وآل الحارث، وكذا زوجات الرَّسُول ﷺ من آلِ البيت.

❁❁❁

١- مذهب أهل السنة والجماعة في آل البيت:

٣٣٦- نُحِبُّهُمْ، ثُمَّ نُوَالِيهِمْ إِذَا كَانُوا عَلَى اسْتِقَامَةٍ فَالحَقُّ ذَا

أي أن مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في آل البيت جميعا محبتهم والذب عنهم وسلامَة ألسنتهم وقلوبهم من السب والغل والحقد وغير ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تِلكَ المحبَّةَ وما يتبعها من احترام وتقدير وإعظام وتوقير إذا كانوا مستقيمين أهل علم وعمل وصلاح وأهل بر وخير وفلاح، فهذا هو الحق الذي لهم علينا أما إذا لم يكونوا كذلك، فليس لهم علينا حق لعدم استقامتهم على الكِتَاب وَالسُّنَّة.

❁❁❁

٣٣٧- وَحُبُّهُمْ حُبُّ النَّبِيِّ أَحْمَدَا وَبُغْضُهُمْ بُغْضٌ لَهُ قَدْ قُصِدَا

نعم حب آل البيت هو حب للنبي ﷺ وبغض أهل البيت هو بغض للرَّسُول ﷺ مقصود له ﷺ.

❁❁❁

٣٣٨- وَمَنْ يُخَالِفْ مِنْهُمْ الطَّرِيقَا فَلَنْ نُوَالِي أَبَدًا زِنْدِيقَا
٣٣٩- وَفِيهِمْ وَصِيَّةُ الرَّسُولِ نَأْخُذُهَا بِالحُبِّ وَالقَبُولِ

يعني أن أهل البيت من يعدل عن الطريق القويم والصراط المستقيم، فليس له علينا واجب من المحبة، أو غيرها بل هذا لا نواليه، ولا نحبه وَلَكِن نحب آل البيت المستقيمين منهم، ولهم علينا احترامهم وتقديرهم وموالاتهم لقرابتهم من رَسُول الله ﷺ واتباعا لما جاء في كتابه تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثًا. وذَلِكَ قال لهم في يوم غدير خم، وهو غدير مشهور بين مكَّةَ والمدينَةِ. ونص الوصيَّة قوله: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1]، فهذه وصيَّة الرَّسُول ﷺ نأخذها مأخذ الجِدّ في العمل بها، فنملأ قلوبنا بمحبتهم وتقديرهم وإكرامهم بشرط أن يكونوا على استقامة في التمسك بالدين، أما إذا لم يكونوا متمسكين بالدين، فليس لهم علينا هذا الواجب. ويدخلون في ذَلِكَ الواجب زوجاته لهن علينا حق الاحترام والتقدير والتوقير والترضي عنهن والذَّبّ عنهن والدعاء لهن والاستغفار كما في الأبيات الآتيَة.

❁❁❁

(١) أخرجه من حديث زيد بن أرقم مسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٧٣) رقم (٢٤٠٨/ ٣٦).

٢٧- مكانة أزواج الرسول ﷺ وموقف أهل السنة منها

٣٤٠- بِالحُبِّ وَالوَلَاءِ وَالتَّقْدِيرِ ... وَالاحْتِرَام الجَمِّ وَالتَّوْقِيرِ
٣٤١- لِكُلِّ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ فَاعْلَم ... لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُنَا نُمِي
٣٤٢- وَلَا يَصِحُّ خَلْوَةٌ، أَوْ نَظَرُ ... لِأَيِّهِنَّ مِثْلَمَا قَدْ أَخْبَرُوا
٣٤٣- مَاتَ الرَّسُولُ عَنْ نَسَاءٍ تِسْعِ ... أَزْوَاجُهُ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعِ
٣٤٤- هَذَا، وَكُلُّهُنَّ حُزْنَ الشَّرَفَا ... وَفَضْلُهُنَّ جَلَّ مِنْ أَنْ يُخْتَفَى
٣٤٥- أَزْوَاجُهُ بِالنَّصِّ فِي الدُّنْيَا وَفِي ... يَوْمِ المَعَادِ مِثْلَمَا صَحَّ اعْرِفِ
٣٤٦- خَدِيجَةُ قَدْ قِيلَ فِي الحَقِيقَةْ ... بِأَنَّهَا الفُضْلَى، أَوِ الصِّدِّيقَةْ
٣٤٧- وَهْيَ الَّتِي كَانَت مِنَ النِّسَاءِ ... قَدْ سَاعَدَتْ بِقُوَّةِ الثَّرَاءِ
٣٤٨- وَهْيَ الَّتِي لَهَا دَوَامًا يُذْكَرُ ... وَأَغْلَبُ الأَوْلَادِ مِنْهَا ذَكَرُوا
٣٤٩- وَبَعْدَهَا فِي حُبِّهِ الصِّدِّيقَهْ ... طَاهِرَةٌ لِهَدْيِهِ حِذِّيقَةْ
٣٥٠- بَنَى بِهَا الرَّسُولُ يَا ذَا بِكْرَا ... وَخَصَّهَا اللهُ بِهَذَا فَخْرَا
٣٥١- بَرَّأَهَا اللهُ وَفِي التَّنْزِيلِ ... مِنْ مِحْنَةِ الإِفْكِ وَمِنْ تَقْوِيلِ
٣٥٢- فَضَّلَهَا اللهُ عَلَى النِّسَاءِ ... كَمَا أَتَى فِي صَادِقِ الأَنْبَاءِ
٣٥٣- وَكُلُّ زَوْجَةٍ لَهَا خِلَالُ ... بِهِنْ فُضِّلَتْ تُرَى إِفْضَالِ
٣٥٤- وَوَاجِبٌ لَهُنَّ بِالإِجْمَالِ ... الحُبُّ وَالثَّنَاءُ بِاتِّصَالِ

المكانَةُ: المنزلَة، وأزواج: جمع زوج، وَقَدْ يُقَالُ زوجة، والأول أفصح كما قال تَعَالَى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. وموقف أَهْل السُّنَّةِ والجماعَةِ في أزواج رَسُول الله بأنهن أمهات المؤمنين طاهرات مطهرات وطيبات مبرات زوجاته في الدُّنْيَا والآخرَة، وأنهن من أهل بيته اللاتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرن تطهيرًا.

وقولنا في البيت الأول:

٣٤٠- بِالْحُبِّ وَالْوَلَاءِ وَالتَّقْدِيرِ وَالِاحْتِرَامِ الجَمِّ وَالتَّوْقِيرِ

٣٤١- لِكُلِّ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ فَاعْلَمِ لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُنَا نُمِي

٣٤٢- وَلَا يَصِحُّ خَلْوَةٌ، أَوْ نَظَرُ لِأَيِّهِنَّ مِثْلَمَا قَدْ أَخْبَرُوا

(بالحب) أي: أن من أصول أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ محبتهم وسلامَة قلوبهم وألسنتهم وظاهرهم وباطنهم لأزواج رَسُول الله ﷺ **(وَالوَلَاءِ)** هنا نقصد به صدق الانتماء والموالاة **(وَالتَّقْدِيرِ)** يعني تعظيمهن وإكبارهن **(وَالِاحْتِرَامِ الجَمِّ)** الإجلال لهم والإعظام والتوقير ووضعهن في المكان الأرفع من التبجيل والاحترام **(لِكُلِّ أَزْوَاجِ)** أي تِلْكَ المكانة، وذَلِكَ التقدير لزوجات الرَّسُول ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب **(فَاعْلَمِ)** أي عِلم فَهْم ويقين؛ لذَلِكَ هذا تعليل للأمر بالعلم والفهم لمذهب أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في أزواج رَسُول الله ﷺ. **(أُمَّهَاتُنَا)** أي: أمهات المؤمنين: في الاحترام والتعظيم والتحريم لنكاحهن على التأبيد، وَكَذَلِكَ التحريم للنظر والخلوَةِ بهن ويحرم الطعن فيهن كما يشير إلى ذَلِكَ. البيت الثالث **(وَلَا يَصِحّ)** أي: يحرم **(خَلْوَة)** الاختلاء بأي منهن في مكان لا يوجد فيه سواهن **(أَوْ نَظَر)** وكذلك: يحرم الكشف عليهن والنظر إليهن **(لِأَيِّهِن)** أي: لأي واحدة منهن **(مِثْلَما)** المثل المماثل للشيء من كل جِهَة، وَالمُرَاد به كما هنا **(قَدْ أَخْبَرُوا)** حرف تحقيق أي قد وقع الخبر من الأخبار بذَلِكَ كما في النصوص من الكِتَاب وَالسُّنَّة أما الكتاب: فقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فأمهات المؤمنين في الاحترام

....

والتوقير وتحريم نكحاهن، وَفِي بَقِيَّة الأحكام كسائر الأجنبيات من حيث تحريم النظر والخلوَة، وكل ما يحرم في الأجنبيات يحرم في حقهن من باب أولى، وَهَذَا في أيام حياتهن وأما الآن فيضاف إلى ذَلِكَ الاعتقاد الجازم والتصديق التام بأنهن أمهات المؤمنين في الاحترام والتعظيم والتحريم، وكل ما وجب لهن من حق في حياتهن يبقى لهن بعد مماتهن معتقدًا يدين به أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ لله تَعَالَى.

٣٤٣- مَاتَ الرَّسُولُ عَنْ نَسَاءٍ تِسْعِ   أَزْوَاجُـهُ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعِ

نعم توفي رَسُول الله ﷺ عن تسع زوجات، وكان يقسم بين ثمان منهن ماعدا (سَوْدَة)، فَإِنَّهَا وهبت قسمها لعائشه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكونها قد كبرت ولكون هواها مع الرَّسُول ﷺ، وَهَذَا يدل على نبلها وفضلها وعقلها وبعد نظرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والتسع هن: عائشة، وحفصَة، وزينب بنت جحش، وصفيَّة، وجويرية، وأم سلمَة، وأم حبيبة، وميمونَة بنت الحارث الهلالية، وسودَةُ رضوان الله عليهن جميعًا.

٣٤٤- هَذا، وَكُلُّهُنَّ حُزْنَ الشَّرَفَا   وَفَضْلُهُنَّ جَلَّ مِنْ أَنْ يُخْتَفَى

هذا جملَة مستأنفه (وَكُلُّهُنَّ) من أدوات العموم (حُزْنَ) أي أصَبْنَ (الشَّرَفا) الخِلالَ الرفيعَةَ، والمكانَةَ العاليَةَ، وهو الزواج بالرَّسُول ﷺ منهن في الدُّنْيَا وكونهن في الآخرَة كذلك، فلا شرف أرفع من هذا، ولا مَجْدٌ أسمى لهن من هذه المرتبة التي أصابوها بفضل الله عليهن (وَفَضْلُهُنَّ) أي تميزهن ومكانتهن (جَلَّ) أعظم (مَنْ أَنْ يُخْتَفَى) اي: ينطمر ويندثر، فهن في فضلهن أشهر من نار على علم رضوان الله عليهن جميعًا.

٣٤٥- أَزْوَاجُهُ بِالنَّصِّ فِي الدُّنْيَا وَفِي   يَوْمِ الْمَعَادِ مِثْلَمَا صَحَّ اعْرِفِ

ففي البيت أنهن أزواجه في الدُّنْيَا، وَفِي الآخرَة وعَقِيدَة أهل السُّنَّة والجماعَة في

ذَلِكَ بأنهم يُؤْمِنُونَ بأنهن أزواجه فِي الآخِرَة[(١)]. لما بعث عليّ عمار والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار، فَقَال: إني لأعلم أنها زوجته[(٢)]، (أَيْ عَائِشَةُ) في الدُّنْيَا والآخِرَة، وَلَكِنَّ الله ابتلاكم لتتبعوه، أو إياها. وعن عائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لها: «أمَا ترضين أن تكوني زوجتي في الدُّنْيَا والآخِرَة»[(٣)]. وَفِي حَدِيث سودَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما أراد النبي ﷺ فِرَاقَها أنها قالت: يا رَسُول الله، ما لِي بالرجال من حاجَةٍ، وَلَكِن أحب أن أُبعَثَ مع نسائك يَوْمَ القِيَامَةِ...إلخ[(٤)].

٣٤٦- وَكُلُّ زَوْجَةٍ لَهَا خِلَالُ ... بِهِنَّ فُضِّلَتْ تُرَى إِفْضَالِ

٣٤٧- خَدِيجَةُ قَدْ قِيلَ فِي الحَقِيقَةْ ... بِأَنَّهَا الفُضْلَى، أَوِ الصِّدِّيقَةْ

٣٤٨- وَهْيَ التي كانت مِنَ النِّسَاءِ ... قد ساعَدَتْ بقوة الثَّرَاءِ

٣٤٩- وَهْيَ الَّتِي لَهَا دَوَامًا يُذْكَرُ ... وَأَغْلَبُ الأَوْلَادِ مِنْهَا ذُكِرُوا

اختلف العُلَمَاء أيهما أفضل خديجة أَمْ عائشَة، فبعضهم قال: خديجة لما لها من سابق فضل في تثبيت دعائم الإسلام ووقوفها مع الرَّسُول ﷺ بالرأي وبالمال، وكانَتْ الحاجَة ماسَّة لذَلِكَ، وكانَتْ مساعدَة في محلها وأهلها، فمن نظر لتلك المواقف والمواساة قال: خديجَة أفضل من عائشَة، ومن نظر إلى ما أحرزته عائشَةُ من فقه في الدين، وحفظ لمبادئ الإسلام وغاياته، وما حملته من علم نفع الإسلام والمسلمين بعد رَسُول الله

(١) كما في «صحيح البخاري» وغيره .انظر: «التنبيهات السنية» للعلامة عبد العزيز بن ناصر الرشيد (٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري من قول عمار بن ياسر كتاب (المَنَاقِبِ) باب «فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٥/ ٢٩) رقم (٣٧٧٢).

(٣) أخرجه من حديث عائشة ابن حبان (١٦/ ٧) رقم (٧٠٩٥)، وصححه الحاكم (٤/ ١٠)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٠١١).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩٦٢٦).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـع مراعـاة مـا ورد فيهـا من أحاديـث في فضلهـا ومكانتهـا من رَسُـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما لها من جميل الخلال وكريم الخصال قال: عائشَةُ أفضلُ.

وبعضهـم نظـر إلى هذا وهذا، ولم يظهر له الفضل لأيهما، بـل وجد أن لكل واحدَةٍ منهـن مناقـب وفضائل لا يوجد مثلها في الأخرى لذلك، فقـد توقَّفَ هذا الفريق، وَهَذَا ما رجحه ابْن تيمية وتلميذه ابْن القيم، ونميل إليه.

هذا، وسنشير إلى بَعْض المزايا والسجايا لكل واحدَةٍ منهن باختصار حَسَبَ الطاقَةِ والجهـد. وسـنبدأ بخديجَة، فكـما أشرت إلى بَعْض المناقب في الأبيـات المتقدمَة، وهِيَ أن بَعْض العُلَماء يفضلها على عائشَـة مثل السُّـبْكي، فقد قـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذين ندين الله به أن فاطمَة أفضل، ثم خديجَة، ثم عائشَةَ».

وابـن تيميَّـة قـال: الخـلاف بينهـما متقـارب، وَكَذَلِـكَ قـال ابْـن القيـم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ. وسنتكلم عن أمهات المؤمنين بما يبين مكانة كل واحدَةٍ في الفضل، وما لهن من الاحترام والتقدير.

١ - خديجَـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وهِيَ خديجَة بنـت خويلد أم المؤمنين الصِّدِّيقَة الأُولى، فهي أول من صدَّقَت به، وممن كمل من النساء، وهِيَ أول من آمنت به من النسـاء، وأقرأها جبريـلُ عليه السـلام من ربها السـلامَ، وبشَّرها ببيت في الجَنَّة مـن قصب لا صخب فيه، ولا وصـب(١). وهِـيَ التي كانَتْ تهوِّن عليه احتمال أعباء الرسـالَةِ، وهِيَ من وقفت معه كثيرًا بمالها، ونفسـها، فكانَتْ تواسيه بالمال وتشجعه وتسكن قلبه، ومن ذَلِكَ قولها له لما

(١) متفـق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخـاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَـةَ وَفَضْلِهَـا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا» (٥/ ٣٩) رقم (٣٨٢٠)، ومسـلم كتـاب «فَضَائِلِ خَدِيجَـةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا» باب «فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا» (٤/ ١٨٨٧) رقم (٢٤٣٢/ ٧١).

جاءها من غار حراء وأخبرها بما رأى قالت له: كلا، والله لا يخزيك أبدًا[(١)]، وَقَدْ تزوجها بمكَّـة قبل البعثَة، وكانَتْ تكبُره بخمسَ عَشْرَةَ سنَةً، وكان عمره يومئذ خمسَـةً وعشرين عامًـا، ولم يتزوج عليها حتى تُوفيت، وَقَـدْ رُزق منها الأولاد ما عدا إبراهيمَ، وَقَدْ ماتت قبل الهجرَة بثلاث سـنين عن خمس وسـتين سنَةً، وكان يحبها رَسُولُ الله ﷺ ودائم الذكر لها حتى إن عائشـة لَتَغَارُ من ذَلِكَ، وكان يكرم صَوَاحِبَها بعد موتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكان لها عنده المنزلَةُ الرفيعَة وزوجته في الآخرَة كما هو معروف ومشهور بين نسائه رضوان الله عليهن وخاصة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

٣٥٠- وَبَعْدَهَا فِي الحُبِّ لِلصِّدِّيقَةْ	طَـاهِـرَةٌ لِهَـدْيِـهِ حِذِّيـقَـةْ
٣٥١- بَنَى بِهَا الرَّسُولُ يَا ذَا بِكْرَا	وَخَـصَّـهَـا اللهُ بِـهَـذَا فَـخْـرَا
٣٥٢- بَـرَّأَهَـا اللهُ وَفِي التَّنْزِيلِ	مِـنْ مِحْنَـةِ الإِفْـكِ وَمِـنْ تَقْوِيلِ
٣٥٣- فَضَّلَهَا اللهُ عَلَى النِّسَاءِ	كَـمَـا أَتَـى فِي صَـادِقِ الأَنْـبَـاءِ

(وبعدها) أي: بعد خديجَة في الفضل الصِّدِّيقَة.

عائشَـة بنـت الصديق أبي بكـر عبد الله بن عثـمان، وأمها أم رومـان بنت عامر بن عويمـر الكنانيَّة، ولدت بعد البعثَة بأربع سـنين رضي الله عنهم جميعًـا **(طَاهِرَةٌ)** أي: نقيَّة سـالِمَة من العيوب ظاهرًا وباطنًا لها من البرأة شـواهد وآيات **(لِهَدْيِهِ)** أي: لسـنَّتِهِ القوليَّة والفعليَّـة **(حِذِّيقَة)** عـلى وزن، فَعِيلَة أي كثـيرَة الحَذْق، وهو الحفظ التام **(بَنَى)** بعائشَـة

---

(١) متفـق عليـه من حديث عائشـة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِـيرِ القُرْآنِ» بـاب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] (٦/ ١٧٣) رقـم (٤٩٥٣)، ومسـلم كتـاب «الإِيـمَانَ» بـاب «بَـدْءِ الْوَحْـيِ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ» (١/ ١٣٩) رقم (١٦٠/ ٢٥٢).

أي تزوج بها وعمرها ست سنوات، ودخل بها وعمرُها تسع سنوات (يَا ذَا) تصلح لكل متلقي هذه الإشارَة (بِكْرًا) أي: لم تتزوج قبله بأحد، وَقَدْ (خَصَّهَا اللهُ) أي: ميَّزها، فلم يتزوج الرَّسُول ﷺ امرأة بكرًا سواها، (فخرًا) أي: فكانَتْ لها مفخرَة بذَلِكَ دون غيرها (بَرَّأَهَا اللهُ) أي شهد لها بالبراءَة من قِصَّة الإفك التي رُمِيت به (وَفِي التَّنْزِيلِ) أي: من الآيات المنزلَةِ نزلت آيات في حقها، وَفِي براءتها ممن تقوَّلوا عليها، ووقعوا في عرضها بدون علم (فَضَّلَهَا) أي: ميزها على النساء -أَيْ سَائِرِ نِسَاءِ زَمَانِهَا- (كَمَا لَهُ قَدْ صَحَّ فِي الأَنْبَاءِ) كما قال ﷺ: «فَضْلُ عائشَة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1]. وقولنا:

٣٥٤- وَوَاجِبٌ لَهُنَّ بِالإِجْمَالِ   الحُبُّ وَالثَّنَاءِ بِاتِّصَالِ

أي: من أصول أَهْل السُّنَّةِ والجَماعَةِ (لهنّ) لأمهات المؤمنين جميعهن (الحبَ والثناء) الحسن باللسان والترضي عنهن والدعاء لهن بالمغفرَة دائمًا موصولًا مع ذِكْرِ بَعْض مناقب كل واحدَة منهن مختصرًا كما ستراه إن شاء الله تَعَالَى.

ولما نزلت آيَة التخيير خيرت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أولًا، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرَة، وتبعتها نساؤه ﷺ[2]، وَقَدْ أراها منامًا قبل زواجه بها في صورتها في قطعَةٍ من حرير رآها ثلاث مرات[3]، وَقَدْ مات النبي ﷺ وهو بين سَحْرِها ونَحْرِها،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى، أخرجه البخاري كتاب «المَنَاقِبِ» باب «فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا» (٥/ ٢٩) رقم (٣٧٦٩)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» باب «فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا» (٤/ ١٨٨٦) رقم (٢٤٣١/ ٧٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «المَظَالِمِ وَالغَصْبِ» باب «الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ» (٣/ ١٣٣) رقم (٢٤٦٨)، ومسلم كتاب «الطَّلَاقِ» باب «فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ» (٢/ ١١١١) رقم (١٤٧٩/ ٣٤).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «النِّكَاحِ» باب «النَّظَرِ إِلَى المَرْأَةِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ» =

وكان مُسْنِدًا ظهرَه إلى صدرها وجمع الله بين رِيقِهِ ورِيقِهَا في آخر ساعَةٍ من الدُّنْيَا وأول ساعَة من الآخرَةِ ودُفِنَ في بيتها(١)، وهِيَ من أهل الجَنَّة كما أخبرها بذَلِكَ، وكانَتْ عالِمَةً في الفقه والحَدِيث والطب والشِّعر، وأكثر الرواة في الحَدِيث ما عدا أبا هريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أكثر منها روايَةً، وَقَدْ نزلت ببراءتها آيات من القرآن تتلى في المحاريب إلى الآن وعددها ١٤ آيَةً، وَكَذَلِكَ آيَة التيمم نزلت بسببها(٢)، وهِيَ تتلى في المحاريب للصلاة إلى الآن، وَقَدْ اتفق علماء الأمَّة على كفر قَاذِفها، وأفتى غير واحد بقتل سابِّها، وتوفيت بالمدينَة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يُصَلِّيَ عليها أبو هريرَةَ رضي الله عنهم أجمعين.

٣- سَوْدَةُ بنت زمعَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ تزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد خديجَة بمكَّة المكرمَة وهي: سودَة بنت زمعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد بن ود بن نصر بن مالك بن عامر ابن لؤي. وذَلِكَ قبل زواجه بعائشَةَ، وقِيلَ بعد عائشَة، وكل ذَلِكَ بعد موت خديجَةَ.

قال الذهبي: «تزوجها قبل عائشَة، وانفردت به نحوًا من ثلاث سنوات، أو أكثر حتى دخل بعائشَةَ، وكانَتْ سيدَةً جليلَة، وكانَتْ تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العامري، وهِيَ التي وَهَبَتْ يومها لعائشَةَ رِعَايَة لقلب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تُوُفِّيَ عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولها مناقب وفضائل، منها أنها كانَتْ من السابقين إلى

= (٧/ ١٤) رقم (٥١٢٥)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٤/ ١٨٨٩) رقم (٢٤٣٨/ ٧٩).

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «المَغَازِي» باب «مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ» (٦/ ١٣) رقم (٤٤٥١)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٤/ ١٨٩٣) رقم (٢٤٤٣/ ٨٤).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» باب «قَوْلِهِ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾» (٦/ ٥٠) رقم (٤٦٠٧)، ومسلم كتاب «الحَيْضِ» باب «التَّيَمُّمِ» (١/ ٢٧٩) رقم (٣٦٧/ ١٠٨).

الإسـلام، وهاجرت مع زوجها السكران إلى الحبشَـةِ في الهجرَة الثانية، ومن كمال عقلها ومعرفتها بما ينفعها في الدُّنْيَا والآخرَة أنها تنازلت عن قسمها لعائشَةَ حرصًا منها أن تبقى في عِصمَـةِ الرَّسُـول ﷺ ولتكون زوجَةً لـه في الدُّنْيَا والآخرَة، وَقَـدْ نَعَتَتْها ضَرَّتُها عائشَـةُ بصفات تدل على نبلها وعقلها، فقد روى مسـلم بإسـناده إلى عائشَـة أنها قالت: مـا رأيـت امرأة أحب إلي أن أكون في مسـلاخها من سـودَةَ بنت زمعَةَ إلا أنهـا امرأة فيها حِدَّة[1]. بمعنى أن عائشَةَ تمنت أن تكون مثلها في جسمها وهديها وطريقتها، وكانَتْ من محبـي الإنفاق في سـبيل الله، فقد بعث إليها عمر بن الخطاب بِغَـرَارَةٍ من دراهمَ، فَقَالت: مـا هذه؟ قال: دراهم، ففرَّقَتْها. وَقَدْ نزلت آيَةَ الحجاب بسـببها، وَقَدْ توفيت في آخر أيام عمر بن الخطاب ويُقَالُ في تاريخ وفاتها أنه سنَةَ أربع وخمسين في خلافَة معاوية»[2].

٤- ومن أمهات المؤمنين (أم حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان) بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأسمها رَمْلَـة بنـت أبي سـفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شـمس الأمويـة، كانَتْ تحت عبيد الله بن جحش بن رباب الأسـدي، فأسـلمت هي وزوجها، ثم هاجرا إلى الحبشَـةِ، فولـدت حَبِيبَةَ وبهـا كانَتْ كنيتها، وَقَدْ ارتدَّ زوجها عن الإسـلام ودخـل في النصرانية، وقد فارقها، وتزوجها رَسُـول الله ﷺ، وَقَدْ هاجرت مَرَّةً أخرى إلى الحبشَـةِ، فارَّة بدينهـا، وَقَـدْ خطبها النجاشي لرَسُـول الله ﷺ، فزوجها إيـاه وأصدقها النجاشي أربعمائَـة دينـار، وَقَدْ وكلت خالد بن سـعيد بـن العاص رضي الله عنهـم أجمعين، وقِيلَ: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهِيَ من بنات عم الرَّسُول ﷺ وليس في أزواجه من هي

(١) متفـق عليـه مـن حديث عائشـة، أخرجه البخـاري كتـاب «النِّكَاحِ» بـاب «الـمَـرْأَةِ تَهَـبُ يَوْمَهَا مِنْ زَوْجِهَا لِضَرَّتِهَا» (٧/ ٣٣) رقم (٥٢١٢)، ومسـلم كتاب «النِّكَاحِ» باب «جَوَازِ هِبَتِهَا نَوْبَتَهَا لِضَرَّتِهَا» (٢/ ١٠٨٥) رقم (١٤٦٣/ ٤٧).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص: ١٢٨).

أقرب منها نسبًا، وهِيَ التي أكرمت، فراش رَسُول الله من أن يجلس عليه أبوها لَـمَّا قَدِمَ المدينَةَ، وروي عن عائشَـةَ أنها دعتها يومًا، فَقَالت لها عِنْدَ موتها: يا عائشَـةُ قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فَقَالت عائشَةُ: غفر الله لك ذَلِكَ كله وتجاوز وحللك من ذلك، فَقَالت: سررتِنِي سَرَّكِ الله. وأرسلت إلى أم سلمَةَ، وَقَالَتْ لها مثل ذَلِكَ، وتوفيت على أربعَة وأربعين في خلافَةِ معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)].

٥- ومنهن أم سَلَمَةَ واسمها (هند بنت أبي أمية)، وكان أبوها يلقب بزاد الركب لكَرَمِـهِ وجـوده ويعد أحد أجـواد العرب، وَقَـدْ هاجرت مرتين مع زوجهـا؛ الأولى إلى الحبشَـةِ، والثانيـة إلى المدينَةِ، وزوجها الأول أبو سـلمَة بن عبد الأسـد، ويُقَالُ: إنها أول ظعينَـةٍ دخلت المدينَةَ مهاجِرَةً، وبعد وفاة زوجها تزوَّجها رَسُـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانَتْ قـد سـمعت حديثًـا فيه رَوَاهُ مسـلم بإسـناده عن أم سـلمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: سـمعت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**ما من عبد مسلم تصيبه مصيبة، فيَقُول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجِرْني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها**». قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمِينَ خير من أبي سلمَةَ، أول بيت هاجر إلى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قالت: أرسـل إِلَيَّ رَسُـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاطِبَ بـن أبي بلتعة يخطبني له، فقلـت: إن لي بنتًا وأنا غَيُور، فَقَال: «**أما ابنتها، فندعو الله أن يغنيها عنها، وادعو الله أن يُذْهِبَ غيرتها**»[(٢)].
وَقَدْ رأت جبريلَ في صورَةِ دِحْيَةِ بن خليفَة الكلبي[(٣)]، وَهَذَا من خصائصها، وَقَدْ شـهد

(١) «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» (ص: ١٣٦). و«زاد المعاد» (١/ ١١٤).

(٢) أخرجه من حديث أم سلمة مسلم كتاب «الجَنَائِزِ» باب «مَا يُقَالُ عِنْدَ الـمُصِيبَةِ» (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٨/ ٣).

(٣) متفق عليه من حديث أم سلمة، أخرجه البخاري كتاب «الـمَنَاقِبِ» باب «عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ» (٤/ ٢٠٦) رقـم (٣٦٣٤)، ومسـلم كتاب «فَضَائِـلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سَـلَمَةَ =

لها بالخيرية، وَقَدْ نزلت الآيَةُ على النبي ﷺ في بيت أم سلمَةَ، وهِيَ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ودعا فاطمَة وحسنًا وحسينًا، فجلَّلهم بالكساء وعليٌّ خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال: **«اللهم هَؤُلَاءِ أهل بيتي، فأذهبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»**. قالت أم سلمة: وأنا معهم، يا نَبِيَّ الله؟ قال: **«أنتِ على مكانك، وأنت على خير»**(١).

قلتُ: ولو صحت هذه الرواية فهي لا تدل على أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليست من أهل بيته ﷺ والتعليل أنه لكون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في الكساء وهي غير محرم عليه فقال لها رسول الله أنت مكانك أنت من أهل البيت ولو لم تدخليه والله أعلم. وقد أثبت شيخ الإسلام صحة أصل القصة كما في منهاج السنة النبوية(٢) ومجموع الروايات لا تدل على حصر أهل البيت بمن كان في الكساء إضافة لما ورد في سنن البيهقي من أن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت يا رسول الله أنا من أهل البيت قال (بلى إن شاء الله)(٣) قال لربما لأَنَّ عليًّا كان معهم في داخل الكساء، وهِيَ غير محرم عليه، فَقَال لها ما قال، فأنتِ من أهل البيت ولَوْ لم تدخليه، والله أعلم، وهِيَ صاحبَةُ المشورَة لرَسُولِ الله ﷺ بمباشَرَة النَّحْرِ والحَلق، وذَلِكَ في عام الحديبية، ولما فعل ذَلِكَ تسابق الصحابَةُ إلى النحر والحلق، وذَلِكَ بفضل الله، ثم بفضل سداد رأيها ومشورتها(٤)، ويُقَالُ: إنها آخر أزواج النبي ﷺ وفاةً، وقِيلَ: ميمونة، وذَلِكَ عام واحد وستين للهجرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

= أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٤/ ١٩٠٦) رقم (٢٤٥١/ ١٠٠).

(١) أخرجه من حديث أم سلمة الترمذي أبواب «الْمَنَاقِبِ» باب «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٥/ ٦٩٩) رقم (٣٨٧١)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٧٤). (٣) «سنن البيهقي» (٢٨٦١).

(٤) أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان كتاب «الشُّرُوطِ» باب «الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ» =

....

٦- ومن أمهات المؤمنين (زينب بنت جحش) بن رباب بن يعمر الأسدي، تزوجها النبي ﷺ سنةَ ثلاث، وقِيلَ: خمس، وكانَتْ تحت مولاه زيد بن حارثَة، وفيها نزلت الآيَة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. أي لما انتهى ما قدره الله من نصيب زواجها بزيد زوَّجناك إياها، وزيد كان يُدعى زيدَ ابن محمد، فنزلت الآيَةُ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فبَطَلَ ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، وهو أن مَنْ تبَنَّى ابْنَ غيره يكون ابنًا له بحيث يَرِثه وينسب إليه. وَقَدْ شهد لها الله بالإيمان في قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [:]. ومن كرمها وخصائصها أن تولى الله بنَفْسه تزويجها بنبيه محمد ﷺ من فوق سبع سموات بعد أن طلقها زيدٌ وانقضت عدتها، وكان هذا الزواج محل فخر لها، تُفَاخِر به غيرها، وتقول: «إن الله أنكحني في السماء»[(١)] وذكر هذا الزواج في الآية: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فزواجها بنص القرآن بلا ولي ولا شاهد. وقوله: وتخفى في نفسك ما الله مبديه، ما أخفاه هو إخباره ﷺ من أنها ستصبح زوجَةً له لا غير ذَلِكَ. وقِيلَ عنها: إنها أطولهن يدًا لإنفاقها من كسبها، وهِيَ أسرع نسائه لحوقًا به ﷺ.

٧- ومن أمهات المؤمنين: (صفية بنت حيي بن أخطب) كانَتْ قبل إسلامها تحت سلام بن مشكم، ثم خلفه عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانَةُ يوم خَيْبَر،

= (٣/ ١٩٣) رقم (٢٧٣١).

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك كتاب «التَّوْحِيد» باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (٩/ ١٢٤) رقم (٧٤٢٠). ولفظه: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

فصارت صفية مع السبي، فأخذها دِحْية الكلبي، ثم استعادها المصطفى ﷺ، فأعتقها وتزوَّجها[١]، وكانَتْ ذات نسب ودين وجمال. وَقَدْ كان رَسُول الله ﷺ يضع لها ركبته لتركب عليها على البعير[٢]. وروى الحافظ ابن حجر ووقع في مغازي أبي الأسود عن عروَة، فوضع رَسُول الله ﷺ لها فخذه وركبت[٣]، وَقَدْ نعتتها أم سنان الأسلمية التي زيَّنَتْها لرَسُول الله، فَقَالت، وكانَتْ من أضوء ما يكون من النساء، فدخل بأهله، وكان قد مال بها لِيُعَرِّسَ بها، فأَبَتْ عليه، فوجد في نَفْسه، ولما مشطتها أم سليم وعطرتها دخل بها، ثم عاتبها على إبائها، فَقَالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فأعجبه ذَلِكَ منها، وكانَتْ لها عنده بذَلِكَ منزلَة رفيعَة[٤]. وصفيةُ هذه من ولد هارون ابن عمران وأخي رسوله موسى عليه السلام وحينما بلغ صفية أن حفصَةَ بنت عمر بن الخطاب عيَّرَتْها باليهوديَّة، فبكتْ صفيةُ، ودخلت على رَسُول الله وأخبرته بما قالته، فَقَال ﷺ: **«وَإِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟»**، ثم قال: **«اتقي الله يا حفصَةُ»**[٥]، وَقَدْ تُوفيت على اثنتين وخمسين للهجرَةِ في خلافَةِ معاويةَ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الصَّلاَة» باب «مَا يُذْكَرُ فِي الفَخِذِ» (١/ ٨٣) رقم (٣٧١)، ومسلم كتاب «النِّكَاحِ» باب «فَضِيلَةِ إِعْتَاقِهِ أَمَتَهُ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا» (٢/ ١٠٤٣) رقم (١٣٦٥/ ٨٤).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلْخِدْمَةِ» (٤/ ٣٦) رقم (٢٨٩٣)، ومسلم كتاب «الحَجِّ» باب «فَضْلِ الـمَدِينَةِ» (٢/ ٩٩٣) رقم (١٣٦٥/ ٤٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٨٠).

(٤) ذكره ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٢١٠).

(٥) أخرجه من حديث أنس الترمذي أبواب باب (٥/ ٧٠٩) رقم (٣٨٩٤)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَـذَا الوَجْهِ، وصححه ابن حبان رقم (٧٢١١)، والألباني في تحقيق «مشكاة المصابيح» رقم (٦١٩٢).

٨- **ومن أمهات المؤمنين (جويرية بنت الحارث)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ملك بني المصطلق التي كانَتْ سببًا في عتق السبي من قبيلتها؛ حيث وقعت في سهم ثابت بن قيس، أو ابْن عمه، فطلبت منه المكاتبة، فرضي بذلك، فذهبت إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلبت منه أن يعينها على ما كاتبت عليه ثابت بن قيس، فعرض عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو خير لها، وهو أن يؤدي عنها ما كاتبها عليها ثابت بن قيس، ثم يتزوجها، فرضيت بذَلِكَ وأسلمتْ وتزوجها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأطلق لها الأُسَارَى من قومها، فكانَتْ أعظم بَرَكَة على قومها، وكانَتْ قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، وقتل عنها في غزوَةَ المريسع. وعن عائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما قسم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبايا بني الصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانَتْ امرأة حلوَةً ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستعينه في كتابتها. قالت عائشَةُ: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حجرتي، فكَرِهْتُها، وعَرَفْتُ أنه سيرى منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأيتُ، فدخلتُ عليه، فَقَالت: يا رَسُول الله، أنا جويرية بنت الحارث إبن أبي ضراء سيد قومه، وَقَدْ أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عمه، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «**فهل لك من خير من ذلك**»، وَقَالَتْ: وما هو يا رَسُول الله؟ قال: «**أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**». قالت: نعم يا رَسُول الله قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار، فَقَال الناس أصهار رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة من أهل بيت بني المصطلق، فما أعلم امرأَةً كانَتْ أعظم على

قومها بركَةً منها[١]. وكان اسمها برَّة، فحوَّلَه رَسُول الله ﷺ إلى جويرية[٢]، فهي تسمية نبويَّة. وَهَذَا مما يزيدها شرفًا بذَلِكَ، وكانَتْ من الذاكرات العابدات، فقد روى مسلم بإسناد إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبحَ، وهِيَ في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهِيَ جالسَةٌ، فَقَال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلمات ثلاثَ مراتٍ لو وُزِنتْ بما قلتِ اليومَ لوَزَنَتْهُنَّ: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِدَاد كلماته**»[٣]، وكانَتْ وفاتها رضي عنها الله سنَةَ خمسين للهجرَة.

٩- **ومن أمهات المؤمنين (ميمونَةُ بنت الحارث الهلالية)** كانَتْ تحت أبي رهم بن عبد العزى، وقِيلَ: عِنْدَ سبرَة بن أبي رهم، وقِيلَ: عِنْدَ حويطب بن عبد العزي، وقِيلَ: عند فروَة أخيه، وَقَدْ تزوجها رَسُول الله ﷺ في ذي القعدَة سنَةَ سبع لما اعتمر عمرة القضاء زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وكان يلي أمرهم، وكانَتْ من سادات النساء، وَقَدْ سماها رَسُول الله ﷺ بهذا الاسم (ميمونَةَ)، وكان اسمها برَّة[٤]، وهِيَ زوجتُهُ في الدُّنْيَا والآخرَة كبقية زوجاته.

---

(١) أخرجه من حديث عائشة أبو داود كتاب باب (٤/ ٢٢) رقم (٣٩٣١). وصححه ابن حبان رقم (٤٠٥٤). وقال الألباني في التعليقات الحسان: حسن.

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس مسلم كتاب «الْآدَابِ» باب «اسْتِحْبَابِ تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ إِلَى حَسَنٍ» (٣/ ١٦٨٧) رقم (٢١٤٠/ ١٦).

(٣) أخرجه من حديث ابن عباس عن جويرية مسلم كتاب «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ» باب «التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ» (٤/ ٢٠٩٠) رقم (٢٧٢٦/ ٧٩).

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس الحاكم (٤/ ٣٠)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي. ورجاله ثقات.

١٠ - ومـن أمهـات المؤمنين (حفصَـة بنت عمر بن الخطـاب) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تزوجها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة ثلاث من الهجرَة، وكانَتْ تحت خنيس بن حذافَة السهمي.

وكان بدريًّـا، ولم تلـد لـه، وكان مولدها قبـل البعثَة بخمس سـنين، وَقَدْ هاجرت مـع زوجهـا إلى المدينَةِ، وكان أبوها هاجـر بعد أن تُوُفِّيَ زوجها، وَقَـدْ عرضها على عثمان وأبي بكـر، فلـم يجيبـاه، فوجـد عَلَيهِـما بَعْـض الشيء، ثـم خطبها بعـد ذَلِكَ رَسُـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلقـي عثمان وأبـا بكر بعد ذَلِكَ، وقـال له أبو بكر: لعلك وجـدت عَلَيَّ عِنْدَ عرضك حفصَةَ، فَقَالَ: نعم. قال: قد سـمعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرها، ولم أشأ أن أفشي سر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، وَكَذَلِكَ قال عثمان رضي الله عنهم أجمعين. وَقَدْ روت في فضلها أن رَسُـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلق حفصَـة تطليقَةً، فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخل عليهـا، فتَجَلَّبَتْ، فَقَال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتاني جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَقَال: راجع حفصَةَ، فَإِنَّهَـا صوَّامَـةٌ قوَّامَةٌ، وإنها زوجتك في الجنَّـةِ»**[(٢)]. وَهَذَا يدل على علو مكانتها عِنْدَ الله وجلالـة قدرهـا في الدين هـذا، وَقَدْ تُوُفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تسـع، وكان يقسـم لثمانٍ؛ لأَنَّ سودَةَ أسقطت قسمها، وجعلته لعائشَةَ رضي الله عنهن أجمعين.

فهَـؤُلَاءِ الزوجات نُكِنّ لهـن كل الاحترام والتقدير، وهن أمهـات المؤمنين، ونبرأ إلى الله ممـا نسـبه وينسـبه إليهـن أو لبعضهن فِـرَقُ الروافض وخاصَّةً الغُـلاة، ونكن لهن كل محبَّـة وموالاة، وندعو لهن بالمغفرَةِ، ونمسـك عما وقع بينهـن ونفوض أمرهن إلى الله تَعَالَى، ونُفَسِّـق ونُبَدِّع من نالهن أو طعن فيهن بسـوء، وجملَةُ من دخل بهن إحدى عَشْرَةَ

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمر البخاري كتاب «المغازي» (٥/ ٨٣) رقم (٤٠٠٥).

(٢) أخرجـه مـن حديث عـمار بن ياسر البـزار (٤/ ٢٣٧) رقم (١٤٠١)، وحسـنه الألباني في «السلسـلة الصحيحة» (٥/ ١٧).

....

امرأة، وقال ابْن القيم: عقد ﷺ على سبع، ولم يدخل بهن، فمن فارقها في حياته، ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن ومات عنهن ﷺ[(١)].

١١ - ومن أمهات المؤمنين: (زينب بنت خزيمَة) بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف كانَتْ تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد بأحد، فتزوجها رَسُول الله ﷺ وكان دخوله بها بعد دخوله على حفصة، ثم ماتت، ولم تَطُل مدتها عنده سوى شهرين أو ثلاثَةِ أشهر[(٢)]، وكان تاريخ زواجه بها العام الثالث من الهجرَة، وكانَتْ تسمى أم المساكين لكثرَةِ إطعامها لهم، وَقَدْ توفيت ورَسُول الله ﷺ حي[(٣)]، وهِيَ أول نسائه وفاةً وكل آيَة نزلت في أزواجه ﷺ، فهي تدخل فيها وتشملها ويكفيها فخرًا أنها زوجته في الدُّنْيا والآخرَة، وَقَدْ توفيت رَحِمَهَاٱللَّهُ عام أربعَةٍ للهجرَة رضي الله عنها وأرضاها، فجملَةُ زوجاته اللاتي دخل بهن إحدى عشرَة امرأة، وَقَدْ تُوُفِّيَ عن تسع، وكان لثمان يقسم، وأما من لم يدخل بهن، فلا يدخلن ضمن أمهات المؤمنين.

❁❁❁

(١) «جلاء الأفهام» (ص: ١٣٨ - ١٣٩).

(٢) انظر: «طبقات ابن سعد» (ص: ١١٥ - ١١٦).

(٣) «جلاء الأفهام» (ص: ١٣٧).

٢٨- البراءة مما يقوله المبتدعون وينسبونه لأهل السنة

٣٥٥- وَنَبْرَأُ مِنْ قَوْلِ كُلِّ نَاصِبِ وَرَافِضِيٍّ مُبْغِضٍ لِصَاحِبِ

(ونبرأ) نحن أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ من معتقدات النواصب والروافض، ومعنى البراءَةِ التخلص من الشيء، وهِيَ الأعذار والأنذار وقطع الصلَةِ بالموضوع المتبرأ منه، والبراءَة مصدر يوصف به، ومنه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، وقرئ بريء، أي: ليس بينه وبين من يتبرأ منه أي صلَةٍ وعلاقَة ومعنى ذَلِكَ أن أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ يعلنون قطع العلاقَةِ والصلَةِ من قول المبتدعين، وَكَذَلِكَ (من قَوْلِ كُلِّ) والقول: ما يتلفظ به في هذا الخصوص وكل من أدوات العموم، وذَلِكَ من مذهب (النَّاصِبِيِّ) نسبة إلى مذهب النواصب، وهو جمع ناصب، ويُقَالُ: ناصبه مناصبَةً أي عاداه وقاومه، والنواصب ينصبون العداء لأهل البيت، وَفِي طليعتهم الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويتبرءون منهم، ولا يحبونهم بل يكفرونهم ويفسقونهم.

وما زرعه اليهودي عبد الله بن سبأ من الفتن في جميع الأقطار مما أدى إلى قتل الخليفَةِ الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم نشر بذور الفتنَة بين كبار الصحابَةِ، وحتى بين بَعْض من شهد لهم الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجَنَّةِ، وبقيت بذور الفتنَةِ كل يوم في ازدياد حتى شملت الشام والعراق والحجاز ثم لم تزل تسري في جسم الأمة الإسلامية والعربية حتى في عصرنا الحاضر، وقامت بسببها حروب وقتلت أنفس، وهو ما حرص عليه رأس الفتنَةِ رئيس الفرقَةِ السبئية التي هي من أخبث وأخطر فرق الروافض، والتي يعدها كثير من أئمة العلم أنها خارجَةٌ عن دائرَة الإسلام (وَرَافِضِيٍّ مُبْغِضٍ لِصَاحِبِ) أي: وَإِنَّ البراء يمتد إلى قول كل

رَافِضِيٌّ والرافضي نسبَة إلى فرقَةِ الرافضَـة، وَقَدْ عدَّها صاحب (الفـرْق بين الفِرَق) إلى عشرين فرقَة أخرج كثيرًا منها عن دائرَة الإسلام[1].

١- براءة أهل السُّنَّة من مذهب الرافضة:

معنـى الرفض في اللغة الـترك للشيء وإهماله، فَيُقَالُ: رفض كـذا إذا تركه وأهمله، ومـن أقـدم فرق الرافضة وأخطرها على الإسـلام والمسـلمين: فرقة السبئية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، والتي بُنِيَتْ خُطَطُها على مبادئ الزندقة، وعلى زعزعة الثقة في مبادئ الإسلام والتشكيك فيه لدى أهله، وَقَدْ تطورت هذه الفرقة في وسائل زرع الفتن وزحزحة المسـلمين عن دينهم واسـتبداله بالكفر وبالشرك وبالحماقات، فبعد أن وصلوا بالمسـلمين إلى قتـل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبالإيقـاع بين كبرائهم وفضلائهم وصلـوا بالبقية من أتباعهـم إلى اتخـاذ بَعْض البشر أربابًا من دون الله، ومذهبهم يسـبون الصحابة ويطعنون فيهم ويزعمون أنهم عصوا الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتدوا بعده إلا بضعة عشر، ويغلون في علي حتى جعلوه إلهًا ومَرَّة رسولًا، وانقسموا في الغلو على ثلاثة أقسام: قسم جعلوه إلهًا، وقسم جعلوه رسولًا، وقسم يسبون أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

وسـبب تسـميتها بالرافضة أنه لما قام زيد بن علي بن الحسين بالأمر بطلب منهم في الكوفة، وحضروا لديه شيعته، وطلبوا منه التبرؤ من الشـيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنـا أترحم عَلَيْهِمَا وأترضى عنهما، وهمـا وزيرا جدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرفضوا قوله، فَقَال لهم: رفضتم قولي، فتسـمَّوْا به من ذَلِكَ الوقت، وانقسـموا حياله إلى قسمين: شـيعة زيدية وهم الذين لم يطلبوا التبرؤ من الشـيخين، وشـيعة رافضة غلاة وهم الذين تبرءوا من زيد بن علي بن الحسين، ومن الشيخين.

(١) انظر: «الفرق بين الفرق» (ص: ٢٣).

ومن مظاهر اعتقاداتهم ما ذكره العُلَمَاء: ما يلي:

١- تأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ أحرق بعضهم بالنار.

٢- وعصمة الأئمة الاثنى عشر. ٣- وإباحة المحرمات من الشريعة.

وأسقط غيرهم فرائض الشرائع كالبيانية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، وهَؤُلَاءِ ليسوا من فرق الإسلام وإنْ كانوا ينسبون إليها. ذَكَرَ ذَلِكَ صاحب الفرق بين الفرق[1] والزيدية ليست من الرافضة بل هم أتباع زيد بن علي بن الحسين المتبعين له.

٢- دور رأس الفتنة عبد الله ابن سبأ اليهودي:

ومما وصل إليه رئيس الفتنه والمدبر لها: عبد الله بن سبأ اليهودي بعد قتل عثمان نشر الفتن بين جميع المستويات بين أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين غيره من كبار الصحابة وبين بني أمية وإشاعة عدم مناصرة علي لعثمان وعدم حمايته، واتخاذ ذَلِكَ ذريعة لإقامة الحروب واتخاذ جميع الوسائل لاشتعال نار الفتنة وحتى إن الشاميين علقوا ثوبًا فيه دم عثمان، وخطبوا بين الجموع لاستثارة الجماهير للمطالبة بدم عثمان، ولما آلت الخلافة إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يعجب كثير من بني أمية ووقع ما وقع بينه وبين كبار الصحابة عن سوء فهم وتغليف لما يراد من زعماء الفتنة والخُلاصةُ أن الناس أمام هذه الأحداث على ثلاثة أقسام:

١- قسم طالب بدم عثمان ورأى أن القود من قتلة عثمان يأتي أولا ثم البيعة لعلي بن أبي طالب بالخلافة ويقولون لو شاء لناصَرَ عثمان وهم: أتباع معاوية من الشاميين وعدد من الصحابة كعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي أمامة.

---

(١) انظر: «عبد القاهر الاسفراييني التميمي» (ص: ٢٣).

٢- القسم الثاني: علي بن أبي طالب وأتباعه وَأَنَّ له الخلافة، وأنه لم يُعِنْ على قتل عثمان وأن القصاص من القتلة يأتي بعد استقرار الدولة وزوال الفتنة.

٣- القسم الثالث لم تتضح لهم الرؤية، فتوقفوا عن الحرب، ولم يدخلوا مع أي فريق، وَقَدْ كان الخليفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطلحة، والزبير وكبار الصحابة من القسمين يريدون حل القضية سلمية وعدم إراقة قطرة دم واحدة، وكانوا متفقين على تسليم قتلة عثمان من الطرفين للعدالة، وَلَكِنْ تسرب هذا القرار إلى قتلة عثمان من جماعة علي ومن جماعة معاوية، فقام نَفَرٌ منهم من جماعة علي بالهجوم على معكسر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير ومن في جماعة معاوية أن أصحاب علي هاجموهم، فقاموا بالهجوم على أصحاب علي دفاعًا عن أنفسهم، فقام أصحاب علي بالهجوم على أصحاب طلحة والزبير دفاعًا عن أنفسهم، ومن ثم بدأت المعارك مثل معركة الجمل دون اختيار منهم، أو رغبة في ذَلِكَ ولكنها فرضت عَلَيْهِمْ فرضًا من قتلة عثمان الحقيقيين من الطرفين.

أما ما وقع بين الخليفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين المطالبين بدم عثمان، فلا شك ولا ريب أن الفئة التي كان يقودها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانَتْ أقرب إلى الحق، والفئة الأخرى كانَتْ أبعد عن الحق بنص الحَدِيث[١]، وَقَدْ دبر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من يقتلهم ويريح الناس منهم، فلم ينجح في إنجاز هذه المهمة إلا عبد الرحمن ابن ملجم الرافضي الخارجي في قتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ ترصد له، وهو ذاهب لصلاة

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «اسْتِتَابَةِ الـمُرْتَدِّينَ وَالـمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ» باب «مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لاَ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ» (٩/ ١٧) رقم (٦٩٣٣)، ومسلم كتاب «الزكاة» باب «ذِكْرِ الخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ» (٢/ ٧٤٦) رقم (١٠٦٤/ ١٥١). ولفظ مسلم: «تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلاَهُمْ بِالْحَقِّ».

الفجـر، فطعنـه، وَقَـدْ مـات عـلى إثـر هـذه الطعنـة رضي الله عنه ورحمـه الله. وَقَـدْ كان عبـد الرحمن هـذا ابن ملجم كما وصفوه مـن حفظة القرآن، ومن العُبَّاد المتشـددين، فقد قُطعـت كثيرًا مـن أعضائه ولم يجزع لها، ولما أرادوا قطع لسـانه جزع عليه لأنه لم يسـتطع الذكـر بعـد قطعه كما قال، فكان هذا مآله والعياذ بالله. أما صاحِبَا عبد الرحمن بن ملجم، فلم ينجحا في مهمتهما لعدم الظفر بوجود معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وموقـف الصحابة من الطرفين كانوا يقاتلون باجتهاد منهم ويرون أنهم كلهم على حـق ولـكل مجتهـد نصيب، فمن أصـاب منهم الحق كان لـه أجران، ومـن أخطأ كان له أجر واحد، فأنت ترى أن سـبب نشـوب الفتن وإثارتها ووقوع المعارك إنما كانَتْ بخطط جَهَنَّمية ودوافع زندقية ترجع أصولها إلى فرق الروافض وخاصَّة السبئية منهم.

هـذا، وَقَدْ أشـار ابْن تيمية[١] في منهاج السُّـنَّة إلى حالهـم، ومبتدعاتهم، وتُرَّهاتهم، وبعـض حماقتهم واشـتهارهم بالكذب ومشـابهاتهم لليهود. وكيف وقـع القتل بين كبار أصحابهـم وَأَنَّـهُ ليس باختيارهـم، فَقَـال رحمه الله: «ولم يكن يوم الجمل لهـؤلاء فيه قصد في الاقتتـال، وَلَكِـنْ وقع الاقتتال بـدون اختيارهم، فإنه لما تراسـل علي وطلحة والزبير، وقصـدوا الاتفـاق على المصلحـة العامة، وأنهم إذا تمكنـوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان عـلي غـير راض بقتـل عثمان ولا معينا عليـه، كما كان يحلف فيقُـول: والله ما قتلت عثمان، ولا مالأت عليه كما كان يحلف، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق عليٌّ معهم على الإمساك بالقتلة، فحملوا على معسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليا حمل عَلَيْهِمْ، فحملوا عليه دفاعًا عن أنفسـهم، فظن عليّ أنهم حملوا عليه، فحمل

(١) (١/ ٢١ - ٧٣).

عَلَيْهِمْ دفاعا عن نفسه، فوقعت الفتنة بِغَيْرِ اختيارهم. وَقَدْ نشرت الرافضة ضلالات كثيرة لا يؤيدها عقل، ولا يقرها نقل.

قال ابْن تيمية: فأما الرافضة، فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد. وقال: اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أَنَّ الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، وَقَدْ سئل مالك عن الرافضة، فَقَال: لا تكلمهم، ولا تروي عنهم، فإنهم يكذبون.

وقال أبو حاتم الرازي: حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يَقُول: لم أرَ أحدًا اشتهر بالزور من الرافضة، ويروى عن القاضي شريك القاضي، وهو قاضٍ شيعي: يَقُولُ عنهم: أحمل العلم عن كل ما لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحَدِيث ويتخذونه دينا. وقال أبو معاوية: سمعت الأعمش يَقُول: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين.

والمقصود أن العُلَمَاء متفقون على أن الكذب في الرافضة أصيل وقديم وأنه فيهم أظهر منه في سائر طوائف القبلة، وذَلِكَ لَأَنَّ مذهبهم التقية، وهِيَ مضلة الكذب، وَقَدْ جعلوها دينا لهم ولآبائهم ومن كذبهم الفاحش أن جعلوا القُرْآن ناقصًا ونسبوا النقص لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالوا: إنه حذف آية من سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بعد قَوْله تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فَقَالوا: «وعليّ صهرك»، فأسقطها عثمان حسدًا منه لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاشتراك الصهرية. وقالوا: كانَتْ سورة الأحزاب تساوي سورة الأنعام، فأسقط عثمان منها ما كان يتصل بذوي القربى، ويُقَالُ: إنهم أظهروا سورتين من القرآن أخفاهما عثمان وألحقوهما بآخر المصحف؛ إحداهما سموها سورة النورين، والأخرى سموها سورة الولاء. كما أوجبوا سب الصحابة لا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة، وادعوا أن جبريل عدل بالرسالة من علي إلى محمد صلى الله عليه وسلم بل جعلوهم مرتدين إلا ستة نَفَرٍ. كما أنهم شبهوا

....

عائشة بِنَعْجَةٍ حمراء، وأخذوا ينتفون شعرها انتقاما منها، وَكَذَلِكَ سموا كلابهم لبعض الصحابة وأحلوا المتعة، وَكَذَلِكَ فسروا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، فسروا البحرين بعلي وفاطمة. وقوله البحرين يلتقيان علي وفاطمة التقيا بالنكاح وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، بالحسن والحسين وفسروا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] بأبي بكر وعمر. وفسروا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] يقولون يدا أبي لهب: أبو بكر وعمر. وكثير وكثير هي الخزعبلات والتُّرَّهات والحماقات والضلالات التي ينشرونها ويضللون بها السذج من عباد الله، ومن أراد معرفة ما هم عليه، فليرجعوا إلى كتاب (منهاج السنة) لابن تيمية قدس الله رُوحه، فقد فَنَّدَ حالهم وعَرَّى مراجعهم أمام الخاصَّة والعامة، فلله دره ودرّ كَلِمه وقَلَمه، ففيه الشفاء من كثير من أدواء الجهل، جزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين.

ومن حماقاتهم في غير ما تقدم: إيجابهم سب الصحابة لا سيما الخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان رضوان الله عَلَيْهِمْ، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأنهم يحلون المتعة، وأن كل من حارب عليًّا فهو كافر، وأن الحسن بن علي لم يخلف أحدًا، ولم يبق من نسله الذكور أحد، وأنهم يُؤْمِنُونَ بالرجعةِ في آخر الزمان وأنهم يجمعون بين الصلاتين بدون عذر، ويؤخرون الصلاة إلى الليل، ويرون الزيادة في الأذان والإقامة، وَفِي التشهد، وصحة النكاح من غير ولي، وصحة الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وتركهم حضور الجمعة والجماعات، ومشابهة اليهود والنصارى والمجوس، وتميزهم بالكذب. وغير هذا كثير من الأمور التي يَمُجُّها الطبع، ويأباها الذوق السليم بعد أن ردها العقل والنقل[١].

---

(١) انظر: «منهاج السنة» لابن تيمية (١/ ٢١ - ٧٣). كلام عام عن الرافضة.

٣- مذهب أهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة:

٣٥٦- وَمَا جَرَى فِي مُدَّةِ الأَصْحَابِ بَيْنَهُمْ فَمَا لَهُ نُحَابِي
٣٥٧- بَل دَوْرُنَا فِيهِ هُوَ الإِمْسَاكُ وَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ نُسَّاكُ

(ومـا جـرى) أي: الـذي قـد وقع في زمـن الصحابـة، وَفِي القـرن الأول بينهم من اختلاف وحروب ومشـاجرات، فموقفنا منه السـكوت وعـدم الخوض فيه؛ لأنه يقضي بمحاكمة الصحابة العظام والحكم عَلَيْهِمْ بالخطأ والصحة و أنّى لنا ذلك؟

والخلاصـة: أن من خـاض في تلك الفتنـة والحروب من الصحابـة كان عن تأول واجتهـاد لشُبَهٍ رأوهـا ملزمة لهم دينيـا ليقوموا بتأيد الحـق،أو رد الباطـل عنه والتوقف لكثير من الصحابة لعدم اتضاح الأمر لهم. وكلما رأوه اعتقدوا صحته وعملوا بموجبه، ولكـن لا يلـزم من اعتقـاد الصحة أنهم كانوا عـلى صواب ولكن من أيقـظ الفتنة وهي نائمة ، وأوقد للحرب نارها وهي طافية ، إنما هو رأسـها، و طاغوتها ، (عبد الله بن سـبأ) اليهـودي . وقـد تابعه من نحا نحوه مـن كافة الأمصار، ومن الرافضة ، والشـيعة، ومن المتعصبين لأمراء بني أمية ، ومن البعيدين من أهل الشـام ومن بعض المنافقين المندسـين في صفـوف المسـلمين ، والـذي كان من أثر هذه الحركة استشـهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقد اسـتدامت الفتنـة كثيرا ، وتبعتها البلبلـة والفوضى والاتهامات لبعضهـم بعضا وإنكار الفضل لذويه ، وإشـاعة الكره مـن قائليه فيما بين جميع الأطراف حتـى غـدا مجتمعهم على صفيح سـاخن عندها اتفـق الصحابة مـن جماعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطلحة، والزبير، على القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقديمهم للعدالة. ولكن تسرب هـذا القرار لقتلة عثـمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأيقظهم لابتكار المكايد و والإيقاع بين عموم الأطراف فهجموا ليلًا على معسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن من هجم عليهم هم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعتـه، فـردوا عليهم بالمثـل فوقعت موقعة الجمل، ومن ثـم أقحم الصحابة

على الحرب إقحاما من غير اختيارهم. وكان كل فريق منهم يضن انه على حق شرعي ويقاتل عليه، وانه لو تخلى عنه لأثم، وهم في كل ما أتوه معذورون، وعن تأول واجتهاد ما فعلوا، وان من أصاب منهم في اجتهاده فلهو أجران، ومن أخطا فله أجر واحد كما قال ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ، فله أجر واحد**»[(١)] وهذا يدل على أن البشر مهما كانوا على درجة من الفضل إلا أنهم غير معصومين. وتبقى العصمة للأنبياء فقط . وان ما وقع من الصحابة من زلات وهفوات فهي مغمورة في بحور الحسنات .فإن لهم من الفضل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم من خطأ إن صدر. وان مُدَّ أحدهم يعَّدل جبل أحد من ذهب من مُدَّ من بعدهم، وأنهم خير القرون وما وقع منهم لا ينقص من مكانتهم الدينية، ولا من عدالتهم الروائية، ولا من شهاداتهم، وأن كثيرًا مما نسب إليهم غير صحيح، وما صح منه قد زيد عليه ، والواجب علينا السكوت عما شجر بينهم، كما اجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ونطهر صدورنا وألسنتنا من الخوض فيما لم نشهده، حتى لا نوغر الصدور عليهم.بل تبقى الصدور سليمة نحوهم. والمتتبع لما كتب عن تلك الفتنة من وقائع مشهورة وأحداث مذكورة، يجد أن هناك علما من أعلام النبوة يرجح أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أقرب إلى الحق لكونه خليفة المسلمين ، وقد تمت مبايعته من الصحابة وأصبحت طاعته واجبة ، والخروج عليه معصية ، وثانيًا لما روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «**ويح عمار ومع هذا تقتله**

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص، أخرجه البخاري كتاب «الإِعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» باب «أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخطَأَ» (٩/ ١٠٨) رقم (٧٣٥٢)، ومسلم كتاب «الأَقْضِيَةِ» باب «بَيَانِ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخطَأَ» (٣/ ١٣٤٢) رقم (١٧١٦/ ١٥). ولفظه: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» .

الفئة الباغية»[(١)] وهو من جماعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قتل من جماعة معاوية كما يرجح هذا الحديث أن اجتهاد معاوية كان بعيدا عن الحق، وان من تأول أن من قتل عمار هم الذين أخرجوه تأويل فاسد لمصادمته نص الحديث ولو كان كذلك لكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من قتل عمه حمزة وغيره من الشهداء، لأنه هو الذي أخرجهم للجهاد. وأخيرًا نقول ما نعتقده في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قولنا بالحسنى ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ونقول كما قال ربنا جل علاه قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، والمخطئ من الصحابة في اجتهاده أهل السنة يعتذرون عنه ويدافعون عنه بما يلي:

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري كتاب «الصَّلَاةِ» باب «التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ الـمَسْجِدِ» (١/ ٩٧) رقم (٤٤٧)، ومسلم كتاب «الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ» باب «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْـمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ» (٤/ ٢٢٣٥) رقم (٢٩١٥/ ٧٠). ولفظ البخاري: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ...**» ولفظ مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَمَّارٍ، حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: «**بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ**».

٣٥٨- وَمَا رَوَوْهُ عَنْ مَسَاوِئْ كَذِبْ وَبَعْضُهُ قَدْ زِيدَ وَالنَّقْصُ غَلَبْ

٣٥٩- وَهُمْ فِيمَا أَتَوْهُ مَعْذُورُونَا وَبِاجْتِهَادٍ كَانُوا مَا يَأْتُونَا

(وَمَا رَوَوْهُ عَنْ مَسَاوِئْ كَذِبْ) أي: ما روي من آثار في مساوئ الصحابة، فمنها ما هو كذب ومخالف للواقع، نَسَجها الأعداء من الرافضه وغيرهم، وذَلِكَ افتراء عَلَيْهِمْ كما هو شأنهم وديدنهم (وَبَعْضُهُ) أي: وبعض هذه الآثار قد زِيدَ عليها من الأعداء مما يجعله أمرًا مشكوكًا فيه، ولا يترك اليَقِين لما هو مشكوك فيه (قَدْ زِيدَ) اي: على الآثار المروية في مساوئهم من قبل أعدائهم زيادة غير صحيحة، فلا تقبل (وَالنَّقْصُ غَلَبْ) أي: أن طابع تِلْكَ الآثار يدور ما بين الزيادة والنقص، والكذب الصريح، وما كان كذلك، فلا يصح نسبته إليهم وما معهم من الآثار الصحيحة، وهِيَ قليلة جدًّا (وَهُمْ فِيمَا أَتَوْهُ مَعْذُورُونَا) وهم معذورون فيها، وهم إما مجتهدون مصيبون أو مخطئون، فالمصيب منهم له أجران والمخطئ منهم له أجر واحد؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ، فله أجر واحد»[1].

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص، أخرجه البخاري كتاب «الإِعْتِصَام بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» باب «أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ» (٩/ ١٠٨) رقم (٧٣٥٢)، ومسلم كتاب «الأَقْضِيَةِ» باب «بَيَانِ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ» (٣/ ١٣٤٢) رقم (١٧١٦/ ١٥). ولفظه: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

٤- عدم عصمة غير الأنبياء:

٣٦٠- وَلَا يَـرَوْنَ عِصْمَـةَ الإِنْسَانِ وَهُـمْ كَخَلْقِ اللهِ فِي العِصْيَانِ

وإن الصحابة كغيرهم من البشر غير معصومين، وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وإنهم لا يَرَوْنَ العصمة لأحد إلا للأنبياء بعصمة الله لهم فيما يبلغون، فأما الصحابة ومن بعدهم، فهم بشر يخطئون ويصيبون وغير معصومين وأنهم كبقية البشر، يجوز عَلَيْهِمُ الخطأ ويحصل منهم، وَكَذَلِكَ يقع منهم الصواب ويختلفون فيه قلة وكثرة، وإن جميع البشر ما عدا الأنبياء معرضون للضعف البشري والسقوط في الأخطاء وإليه أشرت بالبيت الآتي:

❁❁❁

٣٦١- إِلَّا النَّبِيَّ فَلَهُ اللهُ عَصَمْ وَغَيْـرُهُ مُعَرَّضٌ كَمَا عُلِمْ

أي أن الأنبياء والرسل معصومون بعصمة الله لهم فيما يتعلق بالدين والتشريع.

❁❁❁

٢٩- حكم ادعاء النبوة والتصديق للمدعي والكفر ببعض الرسل والتفاضل بين الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

٣٦٢- وَمَنْ يُصَدِّقْ مُدَّعٍ أَوْ يَدَّعِي   نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ نَصًّا فَعِي

(وَمَنْ يُصَدِّقْ) ومن بمعنى الذي ويصدق بمعنى يُؤْمِن والصدق من الأحاديث المطابقة للواقع، وَكَذَلِكَ في الاعتقاد مطابقة الظاهر للباطن، وَالمُرَاد به هنا التصديق (مُدَّعِي)، وهو من أعلن ما ليس له في الواقع ظل، ولا فيئ من الحقيقة (أَوْ يَدَّعِي) يعني مستقبلا ما ليس له وإن أظهر المدعي، أو من يدعي بَعْضَ المظاهر التي تدل على صدق دعواه عن طريق الشياطين في الشعوذة والسحر، وإن ذَلِكَ من علامات أو دلائل النبوة، فإن حصيلة دعواه ودلائلها تِلْكَ وعلاماتها المضللة التي قدمها هي مَحْض كذب وزور وافتراء وصاحبه كاذب (نصًا فعي) لحديث ثوبان الطويل عِنْدَ أبي داود وغيره وفيه جاء: **«وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كل منهم يزعم أنه نَبِيٌّ وأنا خاتم النبيين، ولا نَبِيَّ بعدي»**(١)، وهَذِهِ المسألة محسومة بنص القرآن أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات، فحتى لو جاء من جاء بعلامات ودلائل يدل ظاهرها على صدق مدعي النبوة، فهي كذب وبهتان، لأن الله قد قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فالمسألة محسومة، ولا مجال لأي نقاش فيها، فليس بعد نبوته ﷺ نبوة، ولا بعد رسالته رسالة قال

(١) أخرجه من حديث ثوبان أبو داود كتاب باب (٤/ ٩٧) رقم (٤٢٥٢)، والترمذي أبواب الْفِتَنِ باب «مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ» (٤/ ٤٩٩) رقم (٢٢١٩)، وابن ماجه كتاب «الْفِتَنِ» باب «مَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ» (٢/ ١٣٠٤) رقم (٣٩٥٢)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان رقم (٦٧١٤)، والألباني في «الصحيحة» (٤/ ٢٥٢).

....

تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ: **«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»**[(١)]. وحديث رَسُول الله ﷺ: **«إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»**[(٢)]، وَفِي الحَدِيث الآخر: **«أنا محمد النبي الأمي ثلاثًا، ولا نَبِيَّ بعدي، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه»**[(٣)].

(فَعِي) اي: احفظها وَعِهَا وافهمها.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»** (٤/ ٥٤) رقم (٢٩٧٧)، ومسلم - واللفظ له - كتاب «الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ» باب «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» (١/ ٣٧١) رقم (٥٢٣/ ٥).

(٢) أخرجه من حديث العرباض بن سارية أحمد «مسند الشاميين» (٢٨/ ٣٧٩) رقم (١٧١٥٠)، وصححه ابن حبان رقم (٦٤٠٤)، والحاكم (٢/ ٦٠٠)، وقال الذهبي في «السير» (١/ ٤٧): إسناده حسن إن شاء الله. وصححه الألباني في تحقيق «المشكاة» رقم (٥٧٥٩)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو أحمد مسند (١١/ ٥٦٣) رقم (٦٩٨١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦٩): فِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، ونحوه قال الأرنؤوط.

٣٦٣- قَـدْ بَعَـثَ اللهُ إِلَيْـنَـا رُسُـلا مُـبَـشِّـرِيـنَ مُـنْـذِرِيـنَ مِـنْ إِلى

قولنـا (قَـدْ بَعَـثَ) أصـل البعث الإثـارة والمقصود به هنـا الإرسـال (إِلَيْنَا) نحن أُمَّـة محمـد ﷺ خاصَّة، ولكل الناس ممن بلغتهم دعوتـه كافة كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وكقولـه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقَوْله تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله (مبشرين) مـن البشـارة، ولا تكون إلا في خير محبـوب، وَقَدْ تخرج عن هـذا الأصل لغرض بلاغي يحتمـه المقـام ويفرضه الحال، مثل قَوْلـه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧] والأصل أن تكون البشارة بما تفرح لا بـما يـؤلم وَلَكِنَّ هنا من بـاب التهكم بالمتكبر ومقتضى الحال يستدعي ذَلِكَ ولكنها في الأغلب الأعم أن تكون البشـارة فيما يسر ويفرح مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقَوْلـه تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، (منذريـن) والنـذارة عكـس البشـارة لا تكـون إلا فيما يئول للإيلام وتكون لما يتمخض عن التهديد والحاصل أن البشارة في الخير، والنذارة تكون في الشر، والبشـارة والنذارة هما من مهمات الرسـل ومن وظائفهم ووظائف أتباعهم، وهم يدعـون إلى الخـير، وينهون عن الـشر، وَكَذَلِكَ أتباعهم من السـلف والخلف قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ٢٥]. وقولنـا (مِنْ إِلَى) من ابتداء أول الرسـل إلى آخرهم محمد ﷺ والرسل منهم من قص الله علينا خبرهم، ومنهم من لم يقصصهـم علينا كما قال تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

١- من ورد تسميتهم من الأنبياء و الرسل في القرآن الكريم:

وقد سمي منهم في القرآن جملة منهم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب،، وعيسى، ومحمد صلى الله عَلَيْهِمْ وسلم أجمعين. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وبقية الرسل ذكروا في آيات أخر.

❁❁❁

٣٦٤- أَوَّلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرٌ أَتَى رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ قَدْ ثَبَتَا

(أَوَّلُهمْ نُوحٌ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، والفترة التي بين آدم ونوح قيل: هي عشرة قرون وكلهم على التوحيد وحين اختلفوا قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وآخر الرسل هو رسولنا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقولنا (قَدْ ثَبَتَا) الألف في ثبتا للإطلاق، والثبوت الشيء الثابت الذي لا يزول كالحق وثبوت نبوته بنصوص القُرْآن قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، وَكَذَلِكَ ثبت في السنة، وَقَدْ تَقَدَّمَ ما يكفي لطالب الحق.

❁❁❁

٣٦٦- قَدْ خَتَمَ اللهُ بِهِ الرِّسَالَهْ وَأَوْصَلَ الدِّينَ بِهِ كَمَالَهْ

(قَدْ خَتَمَ اللهُ بِهِ الرِّسَالَهْ) كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال رَسُول الله ﷺ في الحَدِيث لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نَبِيَّ بعدي»[(١)]. وقوله ﷺ: «أنا خاتم النبيين، ولا نَبِيَّ بعدي»[(٢)]. إلى غير ذَلِكَ من النصوص الدَّالّة على أنه ﷺ خاتم النبيين.

(وَأَوْصَلَ الدِّينَ بِهِ كَمَالَهْ) أي: أن الدين به اكتمل، والرسالة به اختتمت، والنعمة به تمت قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ انتهى.

٢- اتفاق جميع الرسل فيما يدعون إليه، وهو التوحيد، والكفر بواحد منهم كفر بهم جميعًا.

❀❀❀

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري كتاب «المَغَازِي» باب «غَزْوَةِ تَبُوكَ» (٦/ ٣) رقم (٤٤١٦)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/ ١٨٧٠) رقم (٢٤٠٤/ ٣١).

(٢) أخرجه من حديث ثوبان أبو داود كتاب باب (٤/ ٩٧) رقم (٤٢٥٢)، والترمذي أبواب الْفِتَنِ باب «مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ» (٤/ ٤٩٩) رقم (٢٢١٩)، وابن ماجه كتاب «الْفِتَنِ» باب «مَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ» (٢/ ١٣٠٤) رقم (٣٩٥٢)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان رقم (٦٧١٤)، والألباني في «الصحيحة» (٤/ ٢٥٢).

٣٦٦- وَمَنْ بِأَيِّ مُرْسَلٍ قَدْ كَفَرَا فَبِالجَمِيعِ كُفْرُهُ قَدْ ذُكِرَا

نعم كل الرسل متفقون في أصل العبادة، وهِيَ التوحيد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وكل الأنبياء كان هذا خطابهم جميعًا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك، وإن اختلفت شرائعهم في الفروع، أما أصل ما يدعون إليه، فهو واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وَالـمُرَاد (بِالـمُرْسَلِ) الرَّسُول، وَقَدْ أمر بالإيمان بكل رسول. ومن آمن برَسُول وترك الآخر، فليس بمؤمن ولكنه كافر؛ لأَنَّ أصل ما يدعون إليه واحد، فمن كفر بواحد منهم، فكأنما كفر بالجميع، قال ﷺ: «نحن معاشرَ الأنبياءِ إخوة لِعَلَّاتٍ، دِيننا واحد»[1]. وهو التوحيد الذي بعثوا به إلى كل أُمَّة قال تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. علما أنه لم يرسل إليهم إلا نوح، وقَوْله تَعَالَىٰ في قوم عاد: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ولم يُرسَل إليهم إلا واحد، وقَوْله تَعَالَىٰ في قوم ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] وقوله في قوم لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، وَكَذَلِكَ أصحاب الأيكة قال تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، ولم يُرسَل إلى كل قوم إلا واحد منهم، فالذين آمنوا مثلا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يُؤْمِنوا بغيره، فحكمهم كافرون ببقية الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ فيمن آمن بمحمد ﷺ ولم يُؤْمِنوا بغيره من الرسل، فهم كافرون ببقية الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن آمن به دون غيره من الرسل، فحكمه كافر بالباقي من الرسل عَلَيْهِمْ جميعًا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ» باب «قَوْلِ اللهِ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٤/ ١٦٧) رقم (٣٤٤٣)، ومسلم كتاب «الْفَضَائِلِ» باب «فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» (٤/ ١٨٣٧) رقم (٢٣٦٥/ ١٤٥). ولفظه: «وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».

٣- التفاضل بين الرسل وأولو العزم:

٣٦٧- وَأَفْضَلُ الجَمِيعِ أَهْلُ العَزْمِ وَمِنْهُمْ الأَفْضَلُ (طَـهَ) الأُمِّـي

(وَالأَفْضَلُ)، فعل تفضيل يدل على التفاضل بين الرسل كما قال تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ففي هذه الآية ورد نص التفاضل بين الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فبعضهم بالكلام، وبعضهم بالدرجات، وبعضهم بالتأييد بِرُوح القدس، إلى غير ذَلِكَ، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

(وَأَفْضَلُ الجَمِيعُ أَهْلُ العَزْمِ) سبق الكلام على التفاضل بين الرسل وَلَكِنَّ أفضل من الجميع أولو العزم من الرسل وهم خمسة: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهَـذَا على الرأي الراجح، وَفِي المسألة عشرة أقوال هـذا أصحها. ذَكَرَ ذَلِكَ جمهور من علماء التفسير منهم: صاحب زاد المسير، وابن كثير، وصاحب أضواء البيان، رحمهم الله جميعًا. وقال تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

(ومنهم الأفضل طَهَ الأُمِّـي) الضمير في منهم يعود على الرسل المتقدم ذكرهم، أي أفضل من الرسل جميعًا (طَـهَ) لم يثبت أنه من أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه مشتهر في

عرف العامة وفي كتب بعض المفسرين كالقرطبي، وقِيلَ معناه الرجل، وقِيلَ معناه اسم من أسماء الله، وقيل أقسم الله به، مروي عن ابْن عباس، وقِيلَ اسم من أسماء الرَّسُول ﷺ سماه الله به كما سماه محمدًا وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لي عِنْدَ ربي عشرة أسماء...**»[(١)] وذكر أن منها (طه) (ويس)، وقِيلَ معناه الصدِّيق، وقِيلَ: إنها لغة معروفة في (عُكْل)، وقِيلَ في (عَكّ). قال الكلبي: لو قلتَ في عَكٍّ: يا رجل لم يجبك أحد حتى تقول طه. وَقَدْ كان ثابتًا في مألوف العامة، أن (طه) اسم للرَّسُول ﷺ فقط ويرشحه عندهم كاف الخطاب بعده: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢]. فالخطاب هنا موجه للرَّسُول ﷺحسب اشتهار المعلومات المتداولة بين العامة في الشرق والغرب. وَقَدْ ذَكَرَ جميع الأقوال القرطبي في تفسيره[(٢)]. وذكر غير هذه الأقوال في نحو صفحتين، ولم يرجح أي قول فيها، وَقَدْ ذكرته بناء على ذلك لكثرة تداوله واشتهاره عِنْدَ الناس، وَكَذَلِكَ (يس) كما ورد في بَعْض الروايات التي ذكرها القرطبي والحق أحق أن يتبع،(فليس طه اسم من أسماء الرسول ﷺ) وهو الحق الواجب اتباعه، وقد ذكرته هنا لإزالة ما علق بأذهان العوام من معلومات خاطئة ، من أن (طه) اسم للرسول ﷺ واشتهاره به في كثير من الأقطار.

وقولي: (الأُمِّي) صفة للاسم قبله (طه) على رأي من يراه اسمًا للرَّسُول ﷺ والأمي نسبة إلى الأم والأمي: من لا يقرأ ولا يكتب. وَفي هذا معجزة كبرى، وهِيَ أن الرَّسُول ﷺ كان أُميًا ومع هذا غَيَّرَ الدُّنْيَا كلها بما حفظ، أو علم صلى الله عليه

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٥٠٩) في ترجمة سيف بن وهب وقال: كان هالكا من الهالكين، وقال العراقي في «المغني» (ص: ٨٧٠): إسناده ضعيف.

(٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦٥- ١٦٦)، وانظر: «شرح الآية في تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٧) وفي «زاد المسير» (٥/ ٢٢٩)، و«أضواء البيان» كما تقدم (٤/ ٤٣٣).

وعلى آله وسلم، ولا يزال أثره وتأثيره إلى الآن وإلى ما شاء الله، فجزاه الله عن الخليقة خير ما يجزى به نَبِيًّا عن أمته، فقد أخرجها من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الكفر والضلال إلى الإسلام والهداية، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

❁❁❁

٣٦٨- وَقَرْنُهُ خَيْرُ القُرُونِ فَاعْلَم ثُمَّ لَهُمْ فَضْلٌ وَسَبْقٌ فَافْهَم
٣٦٩- وَمَا بَدَا مِنْ خَطَأٍ يَسِيرُ فَفَضْلُهُمْ وَمَالُهُمْ كَثِيرُ
٣٧٠- فَهِجْرَةٌ وَنُصْرَةٌ إِيمَانُ جِهَادُهُمْ وَعَمَلٌ إِحْسَانُ

(وَقَرْنُهُ) المقصود بالقرن الفترة الزمنية تجمع أمة من الناس، وَقَدْ حددها بعضهم بمائة سنة، وعليها أكثر الناس والمقصود به هنا المائة الأولى التي في أولها رَسُول الهدى، وهِيَ خير كما قال ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه»[(١)]. وورد الشك في الثالثة؛ لأَنَّ فيه خيار المؤمنين وخيار الصحابة رضوان الله عَلَيْهِمْ أجمعين.

(خَيْرُ القُرُونِ فَاعْلَم) خير بمعنى أَخْيَر أفعل تفضيل وَالقُرُونِ جمع قرن، وهو مائة سنة، وَالـمُرَاد به هنا المُدَد التي تلت القرن الأول (فَاعْلَم) علم يقين لا يناله ريب، ولا يداخله شك (ثُمَّ لَهُمْ فَضْلٌ وَسَبْقٌ، فَافْهَم) الضمير في لَهُمْ يعود على خيار المؤمنين وأوائل الصحابة رضوان الله عَلَيْهِمْ أجمعين قال تَعَالَى في فضلهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وروى ابن بطة عن ابْن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلَمقام أحدهم ساعة

---

(١) متفق عليه من حديث عمران بن الحصين، أخرجه البخاري كتاب «الشَّهَادَاتِ» باب «لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ» (٣/ ١٧١) رقم (٢٦٥١)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» باب «فضلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (٤/ ١٩٦٤) رقم (٢٥٣٥/ ٢١٤). ولفظه: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

-يعني مع النبي ﷺ- خير من عمل أحدكم أربعين سنة»[١]. وَفِي رواية وكيع خير من عبادة أحدكم عمره.

(**ثُمَّ لَهُمْ فَضْلٌ وَسَبْقٌ، فَافْهَم**) قال تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والسابقون هم الذين أنفقوا من قبل فتح مكّة وقاتلوا، كأهل بدر وأحد والأحزاب، وأهل بيعة الرضوان، وقِيلَ السابقون من صلَّى إلى القبلتين، وَلَكِنَّ هذا ضعيف كما ذكره ابْن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. وقولنا: (**فَافْهَم**) الفهم إدراك المعنى على حقيقته (**وَمَا بَدَا**) أي: ما بدر، أو ما ظهر من الصحابة (**مِنْ خَطَأٍ يَسِيرُ**)، فإن كان صحيحا هذا الخطأ، فهو مغمور في بحور حسناتهم ومحيطات فضائلهم. (**وَمَا لَهُمْ كَثِيرُ**) أي: من الأعمال الكبار من الجهاد ومكابدة الأيام في الصيام والليالي في القيام والإنفاق في سبيل الله.

(**فَهِجْرَةٌ وَنُصْرَةٌ إِيمَانُ**) إشارة إلى بَعْض ما قام به الصحابة ي من هجر لراحتهم، وترك لمساقط رؤوسهم وما فيها من أهل وأموال وأولاد، فالمهاجرون بعضهم هاجروا إلى الحبشة أولًا، وإلى المدينة ثانيًا، وواجهوا من المشاق والصعاب وإيذاء الأعداء لهم في مكّة ومصادرة بيوتهم وأموالهم وتعذيب الكثير منهم لا سيما الأشخاص الذين ليس لهم عصبة أو نساء لا راع لهن، فقد لقوا من العنف أشده، ومن القهر أكبره، وَلَكِنَّ كل ذَلِكَ كان هينًا في سبيل الله تَعَالَى حتى استقام الدين وهزم الكفر وانقشع الظلام، وشعشع النور في قلب كل أسرة بل في كل فرد، قال تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

(١) أخرجه من حديث ابن عمر ابن ماجه افتتاح الكتاب في «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» باب «فَضْلُ أَهْلِ بَدْرٍ» (١/ ٥٧) رقم (١٦٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٦٠) رقم (٢٠)، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٤): هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات.

....

(وَنُصْرَةٌ) إشارة إلى دور الأنصار وما قاموا به من حسن استقبال وكرم ضيافة وعظيم تضحية للرَّسُول ﷺ ولإخوانهم المهاجرين، فقد آخى بينهم الرَّسُول ﷺ، وَقَدْ وصلوا في الإخوة إلى درجة عالية ومرتبة سامية قال عنها القُرْآن: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقولنا: (جِهَادُهُمْ وَعَمَلٌ إِحْسَانُ) إشارة إلى ما خاضوه من معارك في بدر، وأحد، وحنين، والأحزاب، وغيرها من المعارك التي فرقت بين الحق والباطل، والتي أرست دعائم الحق، وزلزلت قوى الباطل وأخرجت للناس الخير الكامن في دين الله، وَفِي توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبسببها جعلت كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفر هي السفلى. والمعارك المذكورة مدونة في سيرة الرَّسُول ﷺ. وَفِي سيرة الصحابة بطولاتهم التي سطروها في فترة وجيزة وبقيت معالم النصر شواهد عِزَّة لذَلِكَ الأنموذج الإنساني الفريد الذي لم تتكرر صورته حتى الآن، وما أشد حاجتنا إلى ذَلِكَ الطراز الفريد بكل أبعاده وأهدافه، وغاياته.

وَقَدْ صاحب ذَلِكَ الجهاد وتلك البطولات عمل وعلم. رأسه الإخلاص ومقوماته العلم حتى وصل بهم الحال إلى أنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، فكانوا رهبانًا بالليل، وأسودًا بالنهار حتى فتحوا الفتوحات لا أقول المدائن وَلَكِن فتحوا الصدور والقلوب بما أُوتُوه من العلم النافع، والعمل الصالح، والعدل الشامل، والإيمان الكامل حتى إن بَعْض الأقاليم تأتيهم طواعية لما رأوا من المسلمين من الأعمال الجميلة، والأفعال الحميدة، والأخلاق العالية، والمعاملة الحسنة، فدخلوا في دين الله أفواجًا، والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا.

٣٧١- وَالحَسَنَاتُ لَهمُ مُضَاعَفَةْ وَالسَّيِّئَاتُ عَنْهُمُ مُخَفَّفَةْ

(**وَالحَسَنَاتُ لَهُمْ مُضَاعَفَةُ**) ومن تِلكَ الحسنات قوله ﷺ لهم: «**إن الله اطلع على أهل بدر، فَقَال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»، وَفِي الصحيح من حَدِيث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة كِتاب حاطب بن أبي بلتعه القرشي يخبرهم فيه بخروج النبي ﷺ، فَقَال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فَقَال: «**إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فَقَال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[(١)]، فمثل هذه الأعمال الجبارة تشفع لهم كثيرًا فيما يقع منهم من يسير الأخطاء، أو حتى بَعْض الحدود في الدُّنْيَا، وَيَكُون ذنبهم مغفور، وَقَدْ أقام عمر على بعضهم الحدود، وجلد النبيُّ مِسْطَحًا، وكان بدريًّا لكن أعمالهم التي سبقت في بدر شفعت لهم بالوصول إلى الجَنَّة، فحسناتهم مضاعفة وما وقع منهم من الأخطاء، فإنه يغتفر بجانب هذه الحسنات الكبار لا سيما، وأن من أصول أَهْل السُّنَّةِ والجَماعةِ أن ما عدا الأنبياء من البشر، فليسوا بمعصومين، فزلاتهم مغفورة، وَفِي بحور حسناتهم مغمورة، وخطاياهم في محيطات تضحياتهم بالنفس والمال مطمورة، ولهم من الفضائل والسوابق ما يوجب مغفرة خطاياهم ومحو سيئاتهم كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث علي، أخرجه البخاري كتاب «المَغَازِي» باب «فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا» (٥/ ٧٧) رقم (٣٩٨٣)، ومسلم كتاب «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٤/ ١٩٤١) رقم (٢٤٩٤/ ١٦١).

٣٠- (عقيدة أهل السُّنَّة في الكرامة لأولياء الله تَعَالَىٰ)

٣٧٢- وَمَـا قَـضَـاهُ اللهُ لِلخَلَائِقِ   مِـنْ مُـعْـجِـزٍ سَمَّـوْهُ بِـالخَـوَارِقِ

(وَمَـا قَضَـاهُ اللهُ لِلخَلَائِقِ) أي: ما قـدره في الأزل (لِلخَلَائِقِ) جمع خليقة، أو على الخلائـق من أقـدار (مِنْ مُعْجِزٍ) من أشـياء تكـون خارقة للعادات تسـمى بالكرامات، وهو ما يجريه الله على أيدي أولياء الله من أمور غير مألوفة وأَهْل السُّـنَّةِ والجَماعةِ يُؤْمِنُونَ بوقوعهـا لهـم إيمانًـا جازمًـا. والأولياء هم: مـن اتصفوا بالإيـمان والتقوى. كـما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقـال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]

❁❁❁

٣٧٣- لِأَوْلِـيَـاءِ اللهِ ذِي كَرَامَةْ   إِيمَـانُـنَـا جَـزْمًـا بِـهَـا تَمَـامُـهْ

فأولياء الله من أوصافهم التمسك بالدين والامتثال للأوامر، والاجتناب للنواهي. قد وقر الإيمان في قلوبهم، والتقوى في صدروهم، والخشية في أحوالهم يقدمون ما قدم الله ولَوْ عارض محبوباتهم، ويؤخرون ما أخره الله ولَوْ كان من مقدمات اهتماماتهم وأَهْل السُّنَّةِ والجَماعةِ يُؤْمِنُونَ إيمانًا جازمًا بأن أولياء الله تكون لبعضهم الكرامة لتثبيتهم على الحق، وتأييدهم له.

وقد حصلت هذه الكرامة التي مُنِحَها الرَّسُول ﷺ وتُسمى في حقه (مُعْجِزَة)، ثم مُنِحَها بعده الصحابة، ثم التابعون، ثم المؤمنون المتقون عبر تاريخ القرون المسلمة، وتسمى في حقهم (كَرَامَة) وإليك نماذج من تِلكَ المعجزات بالنسبة للرَسُول ﷺ وللصحابة وللتابعين وحتى في عصرنا الحاضر، سأختصر ما أمكنني ذلك.

١- من معجزات الرَّسُول ﷺ:

فمن معجزات الرَّسُول ﷺ انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في كفِّه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وإخباره بصفة بيت المقدس، وإخباره بما كان ويكون، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام، وهو لم ينقص، ورَوَوُا العسكر في غزوة خَيْبَر من مَزَادات، ولم تنقص، وملأ أوعية العسكر عامَ تَبوكَ من طعام قليل، ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفَ رجلٍ، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة، ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده، فرجعت أحسن عينيه، وما أكْثَرَ معجزات النبي ﷺ حتى قال ابْن تيمية قد جمعتُ ألفَ معجزةٍ.

٢- كرامات الصحابة رضوان الله عليهم:

وأما كرامة الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين، فهي كثيرة جدًّا، فهي في الحقيقة من معجزات الرَّسُول ﷺ؛ لأنهم لم يمنحوها إلا بسبب اتباعهم للنبي محمد ﷺ امتثلوا الأوامر واجتنبوا النواهي، وكانوا مؤمنين به متَّبِعين لأوامره، مجتنبين لنواهيه، ومن كرامة الصحابة ما يلي: مثل ما كان أُسَيْد بن حضير يقرأ سورة الكهف، فنزلت عليه من السماء مثل الظلة فيها أمثال السُّرُج، وقِيلَ عِنْدَ قراءة البقرة نزلت الظلةُ والسُّرُج(١) كما في الحَدِيث عن أُسَيْد، أما ما نزلت عليه عِنْدَ قراءة الكهف، فقد ورد بلفظ: «تَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ»(٢)، وهو في الصحيحين.

وكانَتْ الملائكةُ تُسلِّم على عمران بْن حصين. وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صَحْفَة «فَسَبَّحَتِ الصَّحْفَةُ أو سَبَّحَ ما فيها». وعباد ابْن بشر، وأُسيد بن حضير خرجا من عِنْدَ رَسُول الله ﷺ في ليلة ظلماء، فأَضَاءَ لهما نورًا مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما(٣).

وقِصّة الصِّدِّيق، وهو في الصحيحين، وهو أنه استضاف ثلاثة أضياف معه إلى البيت، وجعل لا يأكل لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا، وصار أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى الرَّسُول ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون، فأكلوا منها حتى شبعوا(٤).

(١) رواه البخاري المصدر «كرامات أولياء الله» لللا لكائي (٩/ ١٠٢).
(٢) ثابت في الصحيحين نفس المصدر السابق (٩/ ١٥٧).
(٣) رواه البخاري وغيره نفس المصدر (٩/ ١٥٧).
(٤) ثابت في الصحيحين نفس المصدر (٩/ ١٢٣).

....

وخُبَيْب كان أسيرًا عِنْدَ المشركين بمكة، وكان يأتيه العنب وما كان بمكَّةَ يومئذ عنبة واحدة.

وعامر بن فهيرة قتل شهيدًا، فالتمسوا جسده، فلم يجدوه، وكان قد رُفِعَ بعد قتله، فرأى عامر بْن الطفيل وَقَدْ رفع. وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته وغيرها كثيرة جدًّا.

وما جرى لأبي مسلم الخولاني الذي أُلقي في النار، ولم تضره، وَقَدْ مشى هو وعسكره على دجلة، وهِيَ ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه، وقال هل فقدتم شيئًا من متاعكم حتى أدعو الله لكم، فَقَال بعضهم: فقدت نخلات، فَقَال: اتبعني، فتبعتُه، فوجدتها قد تعلقت بشيء، فأخذتها. وطلبه الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، فَقَال له: أتشهد أني رَسُول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رَسُول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار، فألقي فيها، فوجدوه قائمًا يصلي فيها، وَقَدْ صارت عليه بردًا وسلامًا[(١)].

وما جرى لصلة بْن الأشيم حيث مات عليه فرسه، وهو في الغزو، فَقَال: اللهم لا تجعل لأحد عَلَيَّ منَّة، ودعا الله أن يحيي فرسه، فأحياه، وركب عليه حتى وصل بيته، ثم أخذ سرجه ومات الفرس. وجاع مرة، فدعا الله، واستطعمه، فوقعت خلفه دَوْخَلَّةُ رُطَبٍ في ثوب حرير، فأكل التمر وبقي الثوب عِنْدَ زوجته زمانًا. وجاءه مَرَّةً أسدٌ، وهو يصلي في الليل، فلما سلَّم قال للأسد: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير[(٢)].

---

(١) «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩/ ٢٥٠).

(٢) نفس المصدر.

ولما مات أُوَيْس القرني وجدوا في ثيابه أَكْفَانًا لم تكن معه، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه، وكفنوه في تِلكَ الأثواب(١).

وكثيرة جدًّا هي كرامات الصحابة والتابعين والصالحين من بعدهم(٢).

٣- كرامات لبعض علماء من منطقة جازان:

وممن سمعنا بأن لهم كانَتْ كرامات في القرن التاسع الهجري والثالث عشر الهجري.

أحد علماء هجرة بلدة ضمد من منطقة جازان في القرن التاسع الهجري.

١- شيخ الإسلام محمد بن علي بن عمر الضمدي. فقد صلى بالناس صلاة الاستسقاء وأنشأ قصيدة، ولم يكمل قراءتها إلا وَقَدْ هطلت الأمطار وحمل على الرقاب من كثرة الأمطار.

وكذلك ٢- وقعت كرامة لشيخ الإسلام العلامة: أحمد بن عبد الله الضمدي، وملخصها أنه حج مع رفقة له، وَفِي أثناء الطريق نزل لقضاء الحاجة ورفقته لم يعلموا عنه، فصاروا على رواحلهم إلى مكَّةَ، أما الشيخ فبعد قضاء الحاجة التَفَت باحثًا عن رفقته، فلم ير منهم أحدًا، فأخذ يمشي بالطريق جنوبا وهم يمشون شمالا، وَفِي هذه اللحظة جاءه رجل وسأله أين تريد، فَقَال الشيخ: أريد اللحاق برفقتي، فلم يشعر الشيخ إلا وهو معهم(٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) يراجع في ذلك الجزء التاسع من «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام اللالكائي (ص: ١١٠).

(٣) هذه القصة مشهورة بين بعض العلماء بالمنطقة وكذلك القصة التي بعدها.

....

٣- وآخر وقعت له كرامة وهو جد آل النعمان بمركز الشقيري، وهِيَ مركز بمحافظة ضمد من منطقة جازان، وكان قد ضاعت عليه راحلته بما عليها من زاد له وزواد لها وبحث عنها، فلم يجدها، فأدركه العجز، فنام تحت شجرة في عرفة، ولم يفق من النوم إلا والراحلة واقفة أمامه، ففرح بها، فرحًا شديدًا.

وكثيرة هي الكرامات، ولكنها لأولياء الله. أما أن يحصل على مثل هذه الكرامات والأحوال كفارٌ أو مشركون، أو منافقون، أو عاصون لله تَعَالَى، أو غير مستقيمين، فهذه أحوال شيطانية ولَوْ بلغ أصحابها في الزهد والعلم والعبادات ما بلغوا ولَوْ مشوا على الماء ما لم يُؤْمِنوا بجميع ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس بمؤمن، ولا ولي لله تَعَالَى: كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم، وَكَذَلِكَ المشركين.

وكل من ينتسب إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فولايتهم أحوال شيطانيه تزول بقراءة آية الكرسي والفاتحة والمعوذات؛ لأَنَّ غايةَ الكرامة لزوم الاستقامة على دين الله تَعَالَى وهم غير مستقيمين، وَقَدْ وجدت لهم أحوال مثل: ضرب الإنسان نَفْسه بالسكين في عينه، وخروج ودخول الـمَرْء من مؤخرة الجمل إلى مقدمته فيما يبدو للمشاهدين، ومنهم من يطير في الهواء، ومن يحج ويرجع بيومه، ومن يمشي على الماء، ومن يتنقل بين مراداتهم ومحبوباتهم، ومنهم من تخاطبهم النباتات، والأشجار، والطيور، وكل هذه أحوال وخوارق شيطانية تذهب وتزول بمجرد ما يتلى عليها القُرْآن الكريم.

فلابد من التفريق بين أولياء الرحمن وبين أولياء الشيطان، فأولياء الرحمن هم المؤمنون والمتقون والملتزمون والمتابعون لرَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والطائعون له فيما أمر،

والمنتهـون عـما نهـوا وزجروا عنـه. والكرامة في حقهـم صحيحـة ويَعْتَقِدها أهل السُّـنّة والجماعـة ويُؤْمِنُـونَ بها إيمانًا جازمًا، وأن ليس لها سـبب وجود سـوى الإيمان والتقوى، وأمـا أوليـاء الشـيطان، فهـم الخارجون عـن طاعـة الله ورسـوله ﷺ، وأحوالهم شـيطانية ومقاماتهـم كُهَانِيَّة، وصاحبهـا ممن تناوله قَوْلـه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] فـلا يصدقـون حتـى ولـو رؤيـا أحدهـم يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو تكلمه الطيور والنبات كما يَقُول ابْن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن ذَلِكَ من إملاءات الشـياطين لهم، وأخبارهم لهم مما يسـترقونه الكهنة، وأَهْل السُّـنَةِ والجَماعةِ لا يُؤْمِنُـونَ بمثل هذه الأحـوال إلا إذا كان مرتكزها الإِيمَان والتقـوى. أما ما عدا ذلك، فهي أحوال شيطانية يجب البرءاة منها وعدم التصديق بها.

هذا، ويفرق بين المعجزة والكرامة، أن المعجزة تكون للأنبياء مؤيِّدة لهم ولما يأتون به من شرائع، وأما الكرامة، فهي تكون لغير الرسل من المؤمنين والمتقين والصالحين أولياء الرحمن، وذَلِكَ لثبوتهم على الحق والنصرة لنبيهم، وَفِي كل حال إذا وقعت الكرامة، فهي تـدل عـلى قدرة الله، وعلى أنها معجزة للنبي ﷺ لاتباعهم له ﷺ، وهِيَ من عاجل البُشرى. والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تكون للرسل، والكرامة تكون للمؤمنين، وهِيَ باقية إلى ما شاء الله في الأُمَّة.

❁❁❁

٤- أقسام الفِرق في الكرامات:

٣٧٤- وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى أَقْسَام	ثَلاَثَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا إِيهَام
٣٧٥- فَقَدْ نَفَتْهَا فِرْقَةُ الْمُعْتَزِلَهْ	وَغَيْرُهَا مِنْ فِرَقٍ مُضَلِّلَهْ
٣٧٦- وَبَالَغَ الغَالُونَ فِي الإِثْبَاتِ	حَتَّى لِدَجَّالِينَ لِلسَّادَاتِ

أقسام الفِرق في الكرامة من حيث الإثبات والنفي ثلاثة أقسام:

الأول: من ينفيها من المبتدعه: كالمعتزلة، والجهمية، والفلاسفة، وبعض الأشاعرة؛ وحجتهم الالتباس بين النبي وغيره، فالنبي يُؤَيَّد بالكرامات، فإذا وجدت في غيره يقع الاشتباه عندهم، فرأوا نفيها تمامًا ولكنها ثابتة بالكتاب وَالسُّنَّة، وَقَدْ تقدمت الأَدِلَّة على إثبات ذلك.

ثانيًا: الغلو في الإثبات لها عِنْدَ الدجالين والسادة الذين يظنون أن لهم قدرة على الضر، والنفع، وإمراض الأصحاء وعكسه، وعلم الغيب. وهَؤُلَاءِ هم القبوريون وأهل الشعوذة والصوفية.

وثالثًا: أَهْل السُّنَّةِ والجَماعةِ فيُؤْمِنُونَ بها ويَعْتَقِدون جازمين بوجودها كما جاءت في الكِتَاب وَالسُّنَّة، وأن من يدعي المشابهة بين النبي وغيره من الأولياء في الكرامة، فهو ادعاء باطل، ذَلِكَ بأن الفوارق بينهم عظيمة، فالولي لا يَدَّعِي النبوة ولَوِ ادعاها لَخَرَجَ من دائرة الولاية وصار كاذبًا. كما حصل للأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب؛ لأَنَّ الكرامة مرتكزها الإيمان والتقوى، والأحوالَ الشيطانية مرتكزها الشياطين. والفرق بين الأنبياء والصُّلَحاء بَيِّنٌ وواضح، وَكَذَلِكَ الفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان أشد وضوحًا؛ لأَنَّ أولياء الله هم المتقون والمؤمنون، وأولياء الشيطان هم غير المتقين وغير المؤمنين من أصحاب الشعوذة والكهنة والسحر.

٣٧٧- أَصْحَابُهَا صُوفِيَّةُ الأُمُورِ وَغَيْرُهُمْ كَسَدَنِ القُبُورِ

هذه أمثلة لمن يبالغ في إثبات الكرامة فيجعلها في المشعوذين والدجالين وهم الذين يضللون الجهلة من الناس والسذج من البشر وبما معهم من وسائل شيطانية يسخرونها لهم، فيخبرونهم ببعض الغائبات وبعض الضائعات، وَكَذَلِكَ السادة، وَهَذَا الاسم عُرْفِيّ في جهة اليمن (يُسَمَّوْنَ سَادَة)، وهَؤُلَاءِ في قديم الزمان يزعمون أن لهم جِنًّا خدما يطيعونهم فيما يأمرونهم به، فيكون جناب هَؤُلَاءِ السادة مَحْمِيا ومرهوبا، ولن يقدر أحد على الاقتراب منهم أو من ممتلكاتهم وإذا اعتدى عَلَيْهِمْ أحد يرسلون عَلَيْهِمْ جنهم الخادمين لهم، فيؤذون من اعتدى عَلَيْهِمْ ويقربون لهم القربان والسادة انفسهم ينذرون لهم ويذبحون للأحياء والأموات، وَهَذَا القسم يبالغون في إثبات الكرامة حتى هَؤُلَاءِ القبوريين والدجالين والصوفية غير المستقيمين منهم والمشعوذين والسادة، وهم من يزعمون أن لهم بَعْض التصرف بالضر والنفع من دون الله، وَهَذَا شرك أكبر، وَلَكِنَّ الحمد لله قد زال هذا اللون من استعباد المشعوذين والدجالين والسادة، والذين كانوا يفيدون إلى المملكة من بعض الدول يتكسبون من وراء شعوذتهم ودجلهم على عامة الناس وسذاجهم في فترة ما قبل الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك في بعض مدن وقرى المملكة العربية السعودية، وقد بدأ اختفاؤهم مع بداية عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ. ولم تعد تَنْطَلِي على أحد حيلهم أو دجلهم أو تضليلهم لانتشار العلم، والثقافة ودعوة المصلحين، والحمد لله رب العالمين. ومعنى البيتين الآخرين:

❁❁❁

٣٧٨- وَثَالِثُ الأَقْسَامِ قَدْ تَقَدَّمَا وَمَنْ يُرِدْ لُقْيَاهُمْ لَنْ يَعْدِمَا

أي أصحاب الشعوذة والدجل والتضليل هم من الصوفية الذين يدعون الزهد والورع والتقشُّف وأمورهم عالة على غيرهم، وأيضا سَدَن القبور. والذين يتكسبون من ورائها لقمة العيش في عامة بلدان العالم لضيق المعيشة أيامها والحمد لله لم نسمع طِيلة حياتنا حتى هذه اللحظة أن قبرًا في جهة من المملكة العربية السعودية يُعْبَد، أو له خدم منذ ظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَلَكِنْ سمعنا أن في بَعْض البلدان الإسلامية يوجد بها كثير من القبور وعليها بنايات، ولها خدم، ويتقرب الناس لها ببعض النقود، وَكَذَلِكَ توجد بَعْض المزارات ولها خدم، وَكَذَلِكَ يوجد في بَعْض الدول الإسلامية، قبل ثلاث مائة سنة وخمسين للهجرة من الآن وجدت قبور في الجزيرة العربية مثل قبر زيد بن الخطاب، وَقَدْ هدم في أيام الإمام السلفي الشيخ المجدِّد محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي بمساعدة الإمام محمد بن سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وما بعدهما إلى الآن. فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

٥- التصديق بكرامة أولياء الله تَعَالَىٰ: والتصديق بكرامة الأولياء لله تَعَالَىٰ هي من مذهب أهل السُّنَّة والجماعة كما دل على ذَلِكَ الكِتَاب وَالسُّنّة، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الأدلة، والكرامة نفسها تنقسم إلى أقسام:

١- منها ما يكون في القدرة والتأثير للأنبياء، مثل: انشقاق القمر، ورد الشمس ليوشع بن نون، والإسراء بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ونبع الماء من أصابعه غير مره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن باب القدرة والتأثير لغير الأنبياء مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقِصَّة أهل الكهف، وقِصَّة مريم[(١)]، ونحو ذلك.

٢- ومنها ما يكون في الكشف والعلم لغير الأنبياء. ومنها ما كان من باب الكشف

(١) «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» (ص: ٣٣٤).

والعلـم، فتارة يسـمع ما لا يسـمعه غيره، أو يرى ما لا يـراه غيره يَقَظَـةً أو منامًا،ويعلم مـا لم يعلمه غـيره وحيًا وإلهاما، ويسـمى كشـفًا ومشـاهدات ومكاشـفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤيا مشاهدات ،والعلم مكاشـفات، ويسـمى ذلك كله كشـفًا ومكاشـفه حتى يحصل لقلبه من انكشاف الحقائق مالا يحصل لغيره ، ومن باب الكشف والعلـم للأنبيـاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إخبـار نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـن أخبار من قبله مـن الأنبياء والأمم. وَكَذَلِكَ الإخبار عن الأمور المستقبلة كحدود مُلك أُمَّته، وزوال الممالك القائمة في ذلـك الوقـت . وأما الخـوارق لغير الأنبياء وهـي من باب الكشـف والعلم مثل قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «يا سارِيَةُ الجَبَلَ». وإخبار عمر بمن يخرج من ولده عادلا ، وقصة صاحب موسـى في علمـه بحال الغلام ، وشرط كون الخارق للعـادة كرامة ان يكون صالحا متبعًا للسـنة ، فمن أدعى محبة الله وولايته وهو غير متبع له فليس من أولياء الله بل من أعدائه وأوليـاء الشـيطان[1] كـما قـال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

والخلاصة: أن من كان له قدم راسخ في الإيمان والعلم والعمل الصالح فربما كان لـه نصيـب كبير في إجابة الدعاء ، والكشـف، والعلم ، والفراسـة بحيـث يرى بنور الله ما لا يرى غيره ، ويعلم ما لم يعلمه غيره ، وينكشف له من الحقائق مالا يخطر ببال أحد. وفي مقدمـة هؤلاء الرسـل والأنبيـاء والأولياء لله من الصالحين والمتقـين، أما من لم يكن له من الدين إلا اسـمه، ومن الصلاح إلا رسـمه ثم حصل له في بعض المرات ما يحصل لأولياء الله من الخوارق فهذا من أولياء الشيطان وقد لا تكون هذه المزايا من المكاشفات وغيرها للصالحين والمتقين وأولياء الله في كثير من الأحيان لحكمة يعلمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والله أعلم.

---

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٣١٣).

٣١- (بعض صفات أهل السُّنة)

٣٧٩- قَدْ تَابَعُوا الرَّسُولَ فِي الآثَارِ بِظَاهِرِ الأُمُورِ والإِسْرَارِ

(قَدْ) حرف تحقيق (تَابَعُوا) يعني أهل السُّنَّة والجماعة سلكوا طريق المتبع حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، وهو هنا الرَّسُول ﷺ (فِي الآثَارِ) الآثَارِ جمع أثر، وَالمُرَاد به ما أُثِرَ عنه من أفعال وأقوال وتقريرات، وليس المراد الآثار الحسية، كمدخله ومخرجه وجلوسه وقيامه ونحو ذلك، فإن الإتباع في مثل هذه الأشياء التي وقعت له بالمصادفة أو الأشياء العادية، فإنها تفضي إلى عبادة غير الله وإلى الغلو.

وقد أنكر بَعْض الصحابة على عبد الله بن عمر في تتبعه في الأشياء العادية كأكله وشربه وممشاه وقيامه وقعوده ﷺ وقطع عمر الشجرة التي بويع تحتها ﷺ لما علم أن الناس يقصدونها مزارًا، وقال: إنما أَهْلَكَ من كان قبلكم مِثْلُ هذا، يتبعون آثار أنبيائهم، فمن أدركته الصلاة في شَيْء من هذه المساجد، فليصل ومن لا، فليمض، ولا يقصدها وأما ما صلى فيه ﷺ صلاة تشريع، فالإتباع فيه واجب، كالصلاة في مسجده، والكعبة، ومسجد قباء، ومسجد بيت بن عتبان الذي صلى فيه لطلبهم ذَلِكَ والمتابعة للرَّسُول ﷺ واجبة وشرط في صحة العبادة. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فكل شيء فرضه الرَّسُول ﷺ، فالأخذ به واجب، ولن يخرج عنه مأمور ومن ترك، فعمله مردود، وَقَدْ قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. فالمتابعة المخلصة، والصواب والرضا، والتسليم لما يحكم به رسول الله ﷺ شرط لصحة العبادة، والإعراض عنها ينتظر صاحبه الوعيد الشديد بالعذاب الأكيد. قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٣١]. (بِظَاهِرِ الأُمُورِ والإِسْرَارِ)، وهَذِهِ المتابعة لأَهْل السُّنَّةِ والجَماعةِ

....

هـي من أخص صفاتهـم ومن أُولى سـماتهم في مناهجهم القولية والسـلوكية، وتدل على إخلاصهم لله تَعَالَى، واتباع الرَّسُـول ﷺ؛ لأَنَّ ذَلِكَ من شرط قَبُول العبادة، وكل ما تقدم من طريقة أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعةِ هو في مسـائل الاعتقاد إخلاصًا وعملًا، أما هنا ففـي بيان منهجهم وسـلوكهم العملي (لِظَاهِرِ الأُمُورِ) خـلاف المنافقين، فإنهم يظهرون الإسـلام ويبطنون النفاق، أما أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعةِ، فظاهرهم وباطنهم سـواء إخلاصًا وظاهـرًا في الاتبـاع في الاعتقاد للأمر والنهي، وَالـمُرَاد (بالأُمُورِ) أمور الشرع و العَقِيدة والعمل بها، فعِنْدَ أَهْل السُّنَّةِ يتساوى الظاهر والباطن، وَهَذَا منتهى الإخلاص.

أمـا المنافقون، فإنهم يبطنون النفـاق ويسرُّونه، ويظهرون الإِيـمان ويعلنونه، وَهَذَا غاية النفاق. (والآثـار) هنا أيضًا كما تقدم، هِيَ سُنة من قول وفعل وتقرير لا آثاره الحسية، وأمـا مـا وقع لهم مصادفة، فإن المتابعة في الأمور الحسـية والمصادفة تكون سـببًا في الغلو وعبادة لتلك الأمور فيما بعد من دون الله كما حصل لقوم نوح عَلَيهِ السَّلَامُ.

❁❁❁

٣٨٠- ثُمَّ اتِّبَاعُ سُنَنِ الأَخْيَارِ مِنَ الـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

بعد متابعة الرَّسُول ﷺ في ما أمر به ونهى عنه يأتي هذا الأمر بمتابعة طريقة الأخيار من الرَّعِيل الأول من المهاجرين، وهم من تركوا ديارهم وأموالهم ومساكنهم وهاجروا إلى الحبشة أولا، ثم المدينة المنورة ثانيًا، هَؤُلَاءِ قد خصهم الله بمصاحبة رَسُول الله ﷺ، وَقَدْ أُعْطُوا من العلم والفقه والعمل ما لم يُعْطَ غيرهم وخاصة الخلفاء الراشدين منهم للحديث «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. الخ**»(١)، ولأن طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم، لا كما يَقُول بَعْض المتأخرين من أهل الكلام حيث يقولون: «إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم» والعلم والحكمة لا يأتيان إلا بعد الصحة والسلامة.

❀❀❀

(١) أخرجه من حديث العرباض بن سارية الترمذي أبواب العلم باب «مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ» (٥/ ٤٤) رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه المقدمة باب «اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ» (١/ ١٥) رقم (٤٢)، وأحمد مسند الشاميين (٢٨/ ٣٦٧) رقم (١٧١٤٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان رقم: (٥)، وقال أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم: حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢): حديث صحيح. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٧٣٥)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح بطرقه وشواهد.

٣٨١- لِأَنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلا وَسَمِعُوا الْقُرْآنَ وَالتَّأْوِيلا

نعم قد حققوا المتابعة بالقول، والفعل والعمل، وذَلِكَ لأنهم قد خُصُّوا بما لم يُخَصَّ به غيرهم، فقد رأوا لحظات التنزيل، وَقَدْ سمعوها مُشافَهةً من الرَّسُول ﷺ بدون واسطة، فاتباعهم عن علم ويقين ومشاهدة، وهم أحق بالمشاهدة وبالإتباع.

❁ ❁ ❁

٣٨٢- عَنِ الرَّسُولِ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذُوا مُشَافِهًا لَهُمْ بِهِ فَلْتَأْخُذُوا

بلغوا الدرجة العالية في المتابعة؛ لأنهم تلقوا عن الرَّسُول نَفْسه ذاته: التفسير، والقرآن، والعمل مشافهة، فهم إلى الصواب أَقْرَبُ، وعن الأخطاء أبعدُ، رضوان الله عَلَيْهِمْ أجمعين.

❁ ❁ ❁

٣٨٣- ثُمَّ اقْتِدَاؤُنَا بِمَنْ قَدْ رَشَدَا وَنِعْمَ مَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى
٣٨٤- أَرْبَعَةٌ جَاءُوا وَبِالنَّصِّ الجَلِي صِدِّيقُ، وَالفَارُوقُ، عُثْمَانُ عَلِي
٣٨٥- وَالأَخْذُ بِالكِتَابِ، ثُمَّ السُّنَّةِ سَبِيلُهُمْ نَحْوَ طَرِيقِ الجَنَّةِ

(ثُمَّ اقْتِدَاؤُنَا بِمَنْ قَدْ رَشَدَا) أي: اقتداء أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ بالخلفاء الراشدين خاصّة بعد متابعتهم لطريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار عامة، وذَلِكَ أن رَسُول الله صلى أوصى بل أمر بتباعهم، فَقَال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»(١)، وَقَدْ قرن بين سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، فيؤخذ من هذا الحَدِيث متابعتهم فيما سنوه من سنن، ولا يجوز بحال من الأحوال مخالفتهم، وأن للخلفاء الراشدين سنة تتبع، وأن الأخذ بها هدى ورشاد، وأن ما سنوه كلهم أو أحدهم واجب الإتباع، وأنه حجة (قَدْ رَشَدَا) الرَّشَد ضد الغَيّ هو الإمعان في الضلالة، ويقال: غوى غواية إذا أمعن في الضلال، وَقَدْ وُصِفُوا بذَلِكَ؛ لأنهم عرفوا الحق واتبعوه وقضوا به (ونِعْمَ) للمدح، والمخصوص بالمدح هنا الخلفاء الراشدون (مَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَا) وهديهم طريقتهم، وَقَدْ اهتدى من اتبع سنتهم وهداياتهم التي توصلهم إلى الصراط المستقيم؛ لأَنَّ الخلفاء قد هداهم الله وأعانهم لقول الحق والعمل به. قال ابن رجب: الناس ثلاثة أقسام: راشد، وغاوٍ، وضال، فالراشد من عَرَفَ الحق واتبعه. والغاوي من عرفه، ولم يتبعه. والضالُّ لم يعرفه بالكلية. والخلفاء الراشدون الذين هم كما في الأبيات التالية (أَرْبَعَة): أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عَلَيْهِمُ أجمعين. (جَاءُوا وبِالنَّصِّ الجَلِي) كما جاء في الحَدِيث الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون مُلكًا(٢).

---

(١) سبق قريبًا.

(٢) أخرجه من حديث سفينة أبو داود كتاب «السُّنَّةِ» باب «فِي الْخُلَفَاءِ» (٤/ ٢١١) رقم (٤٦٤٦)، والترمذي أبواب «الفتن» باب «ما جاء في الخلافة» (٤/ ٥٠٣) رقم (٢٢٢٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ =

وعن العرباض بن سارية قال صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووَجِلَتْ منها القلوب، فَقَال قائل: يا رَسُول الله، كأن هذه موعظة مُوَدِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فَقَال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ تَأَمَّرَ عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتَ الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». وَقَدْ رَوَاهُ ابْن ماجه وزاد فيه: «**فقد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالِك**»[(١)].

والحديث: «**اقتدوا بالذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٢)]، وبهم تقوم الحُجَّة وإلا لَـمَا أَمَرَنَا باتباعهم والاقتداء بهديهم وسنتهم. ثم الواجب على المسلمين طاعة ولي أمرهم مهما كان جنسه أو لونه في غير معصية الله ، كما ورد في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

= حَسَنٌ. وصححه ابن حبان رقم (٦٩٤٣)، واللفظ له، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٤٥٩).

(١) أخرجه من حديث العرباض بن سارية الترمذي أبواب العلم باب «مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ» (٥/ ٤٤) رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه المقدمة باب «اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ» (١/ ١٥) رقم (٤٢، ٤٣)، وأحمد مسند الشاميين (٢٨/ ٣٦٧) رقم (١٧١٤٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان رقم: (٥)، وقال أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم: حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢): حديث صحيح. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٢٧٣٥)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) أخرجه من حديث حذيفة الترمذي أبواب المناقب باب «مناقب عمار بن ياسر» (٥/ ٦٦٨) رقم (٣٧٩٩)، وابن ماجه كتاب في «الإيمان وفضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» باب «فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١/ ٣٧) رقم (٩٧). وقال الترمذي: هَـذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه ابن حبان رقم (٦٩٠٢)، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٧٨): حديث حسن، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٣٥): هذا إسناد حسن.

أنـه قـال: «**إن خليلي أوصانـي أن أسمع وأطيع وإن كان عبـدًا مجدع الأطراف**» وفي رواية «**عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف**»[١] .

(**وَالأَخْـذُ بِالكِتَـابِ، ثُـمَّ السُّـنَّةِ**) أي: أن مأخـذ الخلفـاء الراشـدين في اعتقادهـم وطريقتهم وسـلوكهم هو مأخذ الكتاب، وهو القرآن العظيم المهيمن على جميع الكتب، والـذي مَـنْ تَمَسَّـكَ به نَجَـا، ومن تركه مـن جبـار قَصَمَـه الله، فيجب الاتبـاع للخلفاء الراشدين؛ لأَنَّ منهجهم هو منهج الكِتَاب العظيم ومنهج سيد المرسلين.

(**سَبِيلُهُمْ نَحْوَ طَرِيقِ الجَنَّةِ**) أي: أن سبيل الخلفاء الراشدين الذين أُمَرَنَا باتباعهم هو الطريق الموصل إلى الجَنَّةِ بعد قضاء هذه الحياة، إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه من حديث أبي ذر مسلم كتاب «الإِمَارَةِ» باب «وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْـمَعْصِيَةِ» (٣/ ١٤٦٧) رقم (١٨٣٧/ ٣٦).

تعظيم الوحيين:

٣٨٦- وَعَظِّمِ الوَحْيَيْنِ بِالتَّقْدِيمِ وَاجْعَلْهُمَا فِي الصَّدْرِ لِلتَّنْظِيمِ

(وَعَظِّم) من التعظيم، وهو الإجلال والتوقير كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. (الوَحْيَيْنِ) هما الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وعندهما قِفْ في الاستدلال. (بِالتَّقْدِيم) على كل قول من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة والعُلَماء، وكلٌّ يُؤْخَذُ من قوله ويُرَدّ إلا قولَ الرَّسُول ﷺ لأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فالوحيان لهما التقديم في كل قول أو فعل أو دلالة، فما قاله الله تَعَالَىٰ ورسوله ﷺ في أي موقف، فهو الحق والعدل والفصل، وكل عالم ممن يعتد بقوله كا الأئمة الأربعة قد أشار إلى هذه الحقيقة أنه إذا وُجِدَ له قول، أو رأيٌ يُخالِفُ كتابَ الله وسنةَ رسوله ﷺ فيُرمَى به عرْضَ الحائط، ويقدِّم قول الله تَعَالَىٰ ورسوله ﷺ.

(وَاجْعَلهُمَا فِي الصَّدْرِ لِلتَّنْظِيم) أي: واجعل الكِتَاب وَالسُّنَّة هما المصدر الأساسي لجميع التنظيمات الدينية لا ما يسمع في هذه الأزمان المعاصرة من ديمقراطية إلحادية وأشباهها يقيمون منها دساتير لا تمت إلى الإسلام بصلة .وعلى المسلمين العض على الاحتكام بأحكام الشريعة الإسلامية في فَضِّ المنازعات، وَفِي جميع العلاقات الداخلية والخارجية للأمم والشعوب، وهو الدستور في كل قضايا البشرية، والرضا به والتحاكم إليه في السر والعلن، وللتنظيم الأُسَرِيّ والفردي والجماعي والدولي، وَفِي كل مسائل البشر وَأَنْ يكون مصدر التلقِّي لكل معضلة والفصل في كل مشكلة، وبهذا تكون السعادة في الدُّنْيَا والآخرة لمن تمسك بهما علما وعملا.

❁❁❁

٣٨٧- وَاجْعَلهُمَا المِيزَانَ لِلأَعْمَالِ وَالفَصْلَ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

أي اجعل الكِتَاب وَالسُّنّة هما الميزان اللذان يُوزَن بهما جميع الأعمال والأفعال والأقوال والمقاصد، والحركات، والسكنات، فما أقرَّا، فهو الصحيح، وما لم يُقِرَّا، فهو المخالف والمردود؛ لقوله ﷺ: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ»**(١). ولأن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هديُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

❁❁❁

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الصُّلح» باب «إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ» (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم - واللفظ له- كتاب «الأَقْضِيَةِ» باب «نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨/ ١٨).

٣٨٨- وَمَنْ يُخَالِفِ الأُصُولَ يُطْرَدْ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ وَمَا يَعْتَقِدُ

٣٨٩- أَعْني بِهِ الإِجْمَاعَ وَالوَحْيَيْنِ أُصُولُنَا هَذِي أَسَاسُ الدِّينِ

نعم، (ومن يخالف الأصول) في الأفعال، والأعمال، والأقوال، والمقاصد والمعتقدات شَرْعَ الله وسنة رسوله ﷺ، فعملُه هذا مردود ومُبْعَد. والإجماع يُطلَق لغةً على العزم، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، وقال ﷺ: «لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل»[(١)] أي يعزم على الصيام من الليل، وَالـمُرَاد به هنا: اتفاق علماء العصر من الأئمة على أمر ديني، وهو حجة قاطعة في العمل به عِنْدَ الجمهور قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وفي الحديث: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[(٢)]، وقوله: «فإن رأيتم الاختلاف، فعليكم بالسواد الأعظم الحق وأهله»[(٣)]، وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من فارق

---

(١) أخرجه - بنحوه - من حديث حفصة أبو داود كتاب «الصَّوْمِ» باب «النية في الصيام» (٢/ ٣٢٩) رقم (٢٤٥٤)، والترمذي أبواب باب «ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل» (٣/ ٩٩) رقم (٧٣٠)، والنسائي كتاب «الصيام» (٤/ ١٩٧) رقم (٢٣٣٤، ٢٣٣٥)، وابن ماجه كتاب «الصيام» باب «ما جاء في فرض الصوم من الليل» (١/ ٥٤٢) رقم (١٧٠٠). وصححه ابن خزيمة رقم (١٩٣٣)، وقال البخاري كما في «العلل الكبير» للترمذي في رقم (٢٠٢): حَدِيثٌ فِيهِ اضْطِرَابٌ، وَالصَّحِيحُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَوْقُوفٌ. وقال ابن حجر في «الفتح» (٤/ ١٤٢): اخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ. وصححه الألباني في «إرواء الغليل» رقم (٩١٤)، وتكلم على طرقه وعلله.

(٢) أخرجه مرفوعًا من حديث ابن عمر الترمذي أبوب الفتن باب «ما جاء في لزوم الجماعة» (٤/ ٤٦٦) رقم (٢١٦٧)، ومن حديث أبي بصرة الغفاري أحمد «مسند القبائل» (٤٥/ ٢٠٠) رقم (٢٧٢٢٤)، وموقوفًا على أبي مسعود ابن أبي عاصم في «السنة» باب «ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة» (١/ ٤١ - ٤٢) رقم (٨٥). وقال الألباني في «ظلال الجنة»: إسناده جيد موقوف رجاله رجال الشيخين. وقال الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه من حديث أنس ابن ماجه كتاب «الْفِتَنِ» باب «السواد الأعظم» (٢/ ١٣٠٣) رقم (٣٩٥٠)، وقال البوصيري في «الزوائد» (٤/ ١٦٩): إسناد ضعيف، وذكر عن العراقي تضعيف كل طرقه. وقال =

....

الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية»(١) وفي رواية «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»(٢) وعليكم بالجماعة، فإن الله لم يجمع أمتي إلا على هدى»(٣). والإجماع في العصر الأول كان ينضبط في حصر الأقوال وأهلها في الزمان والمكان في القرون الثلاثة في الصحابة والتابعين وتابعهم فقط، أما الآن فلا يمكن انضباطه بحال لكثرة الأقوام وتباعُد البلدان واختلاف الطوائف والفرق المنتسبة للإسلام، وَقَدْ ذكرتُ الإجماع للاحتجاج على حجيته القاطعة، أما القياس، فلوجود الاختلاف فيه لم أذكره، وذكرت الثلاثة لأنها الأصول والأُسُس التي ينبى عليها هذا [الدِّين]، ونقصد به الإسلام.

❀❀❀

= المناوي في «التيسير» (١/ ٣١٣): إسناد لين، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٨٩٦).

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري كتاب «الفتن» باب «قول النبي ﷺ «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» (٩/ ٤٧) رقم (٧٠٥٤)، ومسلم كتاب «الإمارة» باب «الأمر بلزوم الجماعة» (٣/ ١٤٧٧) رقم (١٨٤٩/ ٥٥).

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر أبو داود كتاب «السنة» باب «في قتل الخوارج» (٤/ ٢٤١) رقم (٤٧٥٨)، وصححه الألباني بشواهده في «ظلال الجنة» رقم (٨٩٢).

(٣) أخرجه من حديث أبي ذر أحمد مسند ج ص رقم، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا. وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» رقم (١٣٦): موضوع.

٣٢- (بعض مكملات العقيدة)

هـذا البـاب معقـود لمكمـلات العَقِيـدة، وهِـيَ مـكارم الأخـلاق وأعـالي الأمور والصفـات الجميلة والمعامـلات الفاضلة، وهِيَ ما يَتَحَلَّى بها أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ في كل زمان ومكان خلفًا عن سلف.

٣٩٠- قَدْ نَعَتَ اللهُ الَّذِينَ أَمَرُوا بِحِكْمَةٍ وَبِالهُدُوءِ نَكَرُوا

ومما يتحلى به أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعةِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وَفِي هذا البيت أشار لمدحهم على تفعيل هذه الشعيرة التي تتم بحكمة ورفق وهدوء في صحة تنكير المنكر كما في البيت أشـار إلى الآيات التي تنص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما فيها إشـارات إلى شروط ومصوغات الداعي والمدعو، قال تَعَالَىٰ ناعتا الذين يقومون بالأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـر قـال تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وإنَّ شـأن المؤمنـين مـن هـذه الأُمَّـة ولاية بعضهم لبعض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

هذه الآية تشير إلى درجة عالية من الأخلاق التي ينبني عليها المجتمع المسلم والمعاملات في بـاب التكافُـل والتضامُـن الاجتماعي بما ليس عليه من مزيد، وهِـيَ الولاية لبعضهم بَعْضـا وكأنهم بنيان مرصوص يشـد بعضُهـم بعضًا،ومن أولويات أهل السُّنَّةِ والجَمَاعةِ الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، وهما دعامتان هامتـان لبناء أي كِيـان في أي مجتمع فيهـا يسـود الحق ويختفـي الباطل ويظهر العـدل وينمحي الجور، ويظهـر النور ويختفي الظلـم والظلمات في المعاملات، وتزكوا القيم النبيلة وتنمـوا الأخلاق الفاضلة. وتصح المجتمعات ويخيم الأمن بظلاله، ويرحل الخوف بِكَلكَالِهِ.

وَقَدْ أدركت الخلافات الإسلامية أهمية ذَلِكَ الركن الركين، وما وعد الله القائمين به من رحمة كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾، فجعلوا له هيئات ومؤسسات يقومون بذَلِكَ الواجب على شروط ومصوغات من العلم والحكمة والموعظة الحسنةِ، ومن الرفق واللين وتأهيل الداعي وتزويد وسائل وإمكانيات النجاح في هذه المهمة، وَفِي هذا العهد السعودي الزاهر عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز ويلقب بخادم الحرمين الشريفين في عهده، وَفِي عهد أسلافه اهتموا بهذه الشعيرة العظيمة من الإسلام اهتمامًا لائقًا بهذا الركن؛ إذ جعلوا له رئاسة عامة في العاصمة الرياض. وجعلوا لها في كل منطقة رئاسة هيئات كبرى، وَفِي كل محافظة مراكز هيئات صغرى، وأَهَّلُوا الأعضاءَ مؤهلات أغلبها ممن يحملون الليسانس في الشريعة، وجعلوا لها كراسيا في الجامعات وربطوها بالأكاديميين وتفعيلها من قبل الجامعات، وَقَدْ أدت أعمالًا مميزة تُذْكَر فتُشْكَر، خاصَّةً في المحافظة على القِيَم وعدم الاختلاط والسُّفُور، وكثرة أعمالهم تتصل بحركة الحياة الاجتماعية اليومية. وكذلك أنشئوا وزارة خاصة للشؤون الاجتماعية واعتنوا عناية فائقة بالفقراء، والأيتام، والأرامل، والمعاقين، والطاعنين بالسن، والعجزة، والمهجورات، والمساعدات المالية المقطوعة لمن هو دون الستين في العمر وقد قاموا بما يقوم به الشعب من تكافل اجتماعي لتلك الفئات المحتاجة بما يسد كثيرا من حاجاتهم فجزاهم الله خيرًا على ما قاموا به ويقومون به أمام المحتاجين لتلك الخدمات في طول وعرض المملكة العربية السعودية والحمد الله على ذلك حمدًا كثيرًا.

وبالإضافة إلى لبنات أخرى يقوم بها أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ كما في الآية: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وهِيَ توثيق الصلة بالله تَعَالَىٰ، يؤتون الزكاة سواءٌ الصدقة أو الزكاة، ويطيعون

الله ورسوله ﷺ، ومن تِلكَ صفاتهم، فهم مُرَشَّحُون للفوز برحمة الله تَعَالَى. ولا ننسى أن ننوه أن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لم يكن سهلا، ولا مستطاعًا لكل أحد، بل هو أمر بالغ الأهمية وصعب المنال، وذَلِكَ لأنه يُصادِم رَغَبات وشهوات وجهالات كثيرًا من ذوي المكانات العالية في المجتمعات، ومواجهة هذه الشرائح تحتاج إلى رصيد هائل من الاستعدادات العلمية، والإيمانية، والاجتماعية، والخُلُقية، والثقافية. ووجود هذه الصفات في شخص ما ليس بالشيء الهين. وأولى هذه الصفات الصبر. وثانيها الحكمة. وثالثها: الأَنَاة والحلم والعلم، وإلا لم يتقدم في هذا المضمار شبرًا ما لم يكن مزوَّدًا بتلك السمات والصفات.

والمعروف ما عُرِف حسنُه شرعًا وعقلًا، والمنكر ما عُرِفَ قبحُه شرعًا وعقلًا وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. وقال تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وغير هذه من الآيات الدَّالَّة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قال: **«من رأي منكم منكرًا، فليغيره بيده، فان لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذَلِكَ أضعف الإيمَان»**(١).

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد مسلم كتاب «الإيمان» باب «بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ» (١/ ٦٩) رقم (٤٩/ ٧٨).

وقوله ﷺ: **«لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا»**[(١)].

والخُلاصةُ: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية. ولولا تفعيله لعمَّت الفوضى، وساءت أحوال العباد والبلاد. نسال الله السلامة، وَقَدْ أدركت الحكومة في هذا العهد أهميته، فجنَّدَتْ له الإمكانيات المادية، والاستعدادات البشرية، فسار الحال حسنا في كل منحى من مناحي المملكة، فجزاهم الله خيرًا.

١- شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نذكرها مختصرة وذكر بعض العلماء منها:

١- العلم بالحكم الشرعي فيما يأمر وينهى عنه.

٢- العلم بحال المأمور من حيث التكليف فلو شك فيه أنه دون التكليف فلا يأمره حتى يستفصل.

٣- أن يكون الآمر قادرًا على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يلحقه ضرر بنَفْسه، أو أهله، أو ماله.

٤- أن يكون عالما بحال المأمور حال تكليفه ، هل قام بالفعل أو لا.

٥- أن لا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثر يعود بالمفسدة، فإن عاد بمفسدة، وجب تركه، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود أبو داود كتاب «الملاحم» باب «الأمر والنهي» (٤/ ١٢١) رقم (٤٣٣٦)، والترمذي أبواب «تفسير القرآن» باب «ومن سورة المائدة» (٥/ ٢٥٢) رقم (٣٠٤٧)، وابن ماجه كتاب «الفتن» باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٢/ ١٣٢٧) رقم (٤٠٠٦)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١١٠٥).

٦- أن يكون قدوة، وقِيلَ لا يشرط ذَلِكَ(١).

وقد أجمع على أهميته الكِتَاب وَالسُّنَّة والإجماع كما تَقَدَّمَ إلا بَعْض الرافضة.

وزاد بعض العُلَمَاء يشترط في إنكار المنكر شروط منها: أن يأمن المنكر على نَفْسه وأهله وماله، فإن لم يأمن سَقَطَ عنه الأمر بالمعروف والقيام به. وأما تعرض المنكر لبعض السب والشتم، فهذا لا يعذر بتنكير المنكر نص عليه أحمد. ودرجاته كما في حديث: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّرْه بيدِه، فإن لم يستطع فبلسانِه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

وإنكار المنكر على أربع مراتب(٣): **الأولى**: أن يزول المنكر ، وَهَذَا واجب إزالته.

الثانية: أن يخف، ولم يزل بجملته، وَهَذَا واجب إزالته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، وَهَذَا موضع اجتهاد إذا رجحت المصلحة أمر بالمعروف، وَإنْ لم ترجح توقف.

الرابعة: إذا أدى تنكير المنكر إلى أَنْكَرَ، فتركُه أَوْلَى.

وَقَدْ خالف في ذَلِكَ الرافضة والخوارج، فإنهم يَرَوْنَ الخروج على الإمام إذا ما عصي وَأَنْ لا معصوم إلا المنتظر منهم يَرَوْنَ الخروج على الأئمة من غيرهم؛ لأنهم يكفرون بالمعصية، أما أَهْل السُّنَّةِ، فمذهبهم تقدم يَرَوْنَ الحج والصلاة وراء الأئمة ولَوْ كانوا عُصَاةً.

---

(١) للتوسع. انظر: «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد مسلم كتاب «الإيمان» باب «بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ» (١/ ٦٩) رقم (٤٩/ ٧٨).

(٣) «شرح العقيدة الواسطيه» لابن عثيمين (٢/ ٣٢٣) ملخصًا.

٢- أهل السنة والجماعة يرون إقامة الحج وصلاة الجمعة والأعياد وراء كل بر وفاجر من المسئولين:

٣٩١- ثُمَّ أَقَامُوا الحَجَّ وَالأَعْيَادَا وَجُمُعَةً جَمَاعَةً قَدْ سَادَا

٣٩٢- وَرَاءَ مَنْ قَدْ بَرَّ أَوْ مَنْ فَجَرَا مِنْ أَيِّ مَسْئُولٍ لَهُمْ قَدْ أَمَرَا

أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعةِ يرون السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله ويحجون ويصلون جميع الصلوات جماعة، وأعيادًا، وجُمُعة وراءَ أُمَرَائِهِم أبرارًا كانوا أم فُجَّارًا، ولا يخالفونهم، ولا يخرجون عَلَيْهِمْ، وأنهم يطيعونهم ما لم يَرَوْنَ منهم كُفرًا بَوَاحًا، عليه دليل من الكِتَاب وَالسُّنَّة صريحٌ، خلافًا للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة، والرافضة، ولا يجوز خلع يد من طاعة إمامه، ومن فعل ذَلِكَ لقي الله يَوْمَ القِيَامةِ لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات مِيتَةً جاهلية. ومن ولي بإجماع الناس عليه وجبت طاعته عليهم.

وَفِي الصحيح أن الله لَيُؤَيِّد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم[(١)] قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وَفِي الحَدِيث قال: «**إنها ستكون بعدي أَثَرَةً، وأمورا تُنكرونها**»، قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك. قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» (٤/ ٧٢) رقم (٣٠٦٢)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ» (١/ ١٠٥) رقم (١١١/ ١٧٨). ولفظه: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»، وأخرجه من حديث أبي بكرة أحمد أول مسند البصريين (٣٤/ ١٠٤) رقم (٢٠٤٥٤)، ولفظه: «**إِنَّ اللهَ سَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**» وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٦٦).

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري كتاب «الفتن» باب «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: =

وقولـه في الحَدِيـث الصحيح: «من أطاعـني، فقد أطاع الله، ومـن عصاني، فقد عصى الله. ومن يطع الأمير، فقد أطاعني، ومن يعصِ الأميرَ، فقد عصاني»(١).

وحديث: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإنْ كان عبدًا مجدوع الأطراف»، وَفِي رواية: «عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف»(٢).

وَفِي حَدِيث أبي هريرة مرفوعًا، قال: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برًا كان أو فاجـرًا»(٣). وكل ما تقـدم من الغزو مع الأمير الفاجر والصـلاة وراءه جمعة وجماعة، وَفِي الأعياد كل ذَلِكَ سـائد ومعمول به عِنْدَ أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعةِ خلفًا عن سـلف، وَفِي ذَلِكَ من المصالح الدينية والدنيوية على البلاد والعباد ما لا يحصيها إلا الله تَعَالَىٰ.

وهـذه مـن محاسـن العَقِيدة الإسـلامية التي تدعو للسـمع والطاعة لـوُلاة الأمور ما لم يظهر منهم كفر بواح، وَهَذَا ما أشرتُ إليه في البيت الآتي:

= «سَتَرَوْنَ بَعْـدِي أُمُـورًا تُنْكِرُونَهَـا» (٩/ ٤٧) رقـم (٧٠٥٢)، ومسـلم كتاب «الإمارة» بـاب «الأَمْرِ بالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الخُلَفَاءِ، الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ» (٣/ ١٤٧٢) رقم (١٨٤٣/ ٤٥).

(١) متفـق عليه من حديث ، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِـهِ» (٤/ ٥٠) رقم (٢٩٥٧)، ومسـلم كتاب «الإمـارة» باب «وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَـرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْـمَعْصِيَةِ» (٣/ ١٤٦٦) رقم (١٨٣٥/ ٣٢).

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر مسلم كتاب «الإِمَارَةِ» باب «وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْـمَعْصِيَةِ» (٣/ ١٤٦٧) رقم (١٨٣٧/ ٣٦).

(٣) أخرجـه مـن حديث أبي هريرة أبو داود كتاب «الجور» باب «فِي الْغَزْوِ مَـعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ» (٣/ ١٨) رقم (٢٥٣٣)، وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٤٣): وهذا مع نكارته منقطع. وقال ابن رجب في «فتـح الباري» (٦/ ١٨٨): هذا منقطع، وقال المناوي في «التيسـير» (١/ ٤٩١): فيه انقطاع، وقال الألبـاني في «ضعيـف أبي داود - الأم» رقـم (٩٤): إسـناده ضعيـف؛ لانقطاعه، ونقل قـول العقيلي والدارقطني: ليس في هذا المتن إسناد يثبت.

٢- أهل السنة والجماعة يرون التعاون والتكافل الاجتماعي والدعوة إلى مكارم الأخلاق:

٣٩٣- وَكُـلُّ مُـؤْمِـنٍ لِـمُـؤْمِـنٍ بِنَا يَـشُـدُّ بَـعْـضَـهُ إذَا الـبَـعْـضُ وَنَـى

نعم أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعةِ يرون التعاون والتكاتف والتضامن الاجتماعي، وأنهم كالبنيان يشد بعضُهم بعضًا في حالة الاحتياج والضعف، فإنهم يكونون كأسنان المشط في التلاحُم والتضامُن والتكافل الاجتماعي، وَفِي الحديث: «**واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه**»(١)، وَفِي روايةٍ لمسلم: «**المسلمون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله**»، وَالـمُرَاد [بالمؤمن للمؤمن] صاحب الإِيمان الكامل، وحديث: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٢).

❁❁❁

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ» باب «فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ» (٤/ ٢٠٧٤) رقم (٢٦٩٩/ ٣٨).

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ» (٨/ ١٠) رقم (٦٠١١)، ومسلم كتاب «البر والصلة» باب «تراحم المؤمنين» (٤/ ٢٠٠٠) رقم (٢٥٨٦).

٣٩٤- ثُمَّ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ تَدْعُو لِخَيْرٍ وَإِلَى وِفَاقِ

نعم أَهْل السُّنَةِ والجَمَاعةِ يدعون إلى (مَكَارِمِ الأَخْلاقِ) والمكارم جمع مَكْرُمة بضم الراء من الكرم والحسن، وكل من تفوق في خلق، فهو كريم. كما يدعون إلى أحاسن الأخلاق، وأعالي القيم كالصدق، والشجاعة، والوفاء بالوعد، وحفظ الأمانة، وحفظ السر. (وَالأَخْلَاق) جمع خُلُق بضم الخاء واللام الصورة الباطنية، والخَلق بفتح الخاء وسكون اللام الصورة الظاهرة، كما قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقًا**»(١). وقال تَعَالَىٰ في حق الرَّسُول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وَقَالَتْ عائشة: «كان خلُقه القرآن»(٢).

قال ابْن القيم في مدارج السالكين: وَقَدْ جمع الله له مكارم الأخلاق في قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال جعفر بْن محمد: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. وأَهْل السُّنَةِ والجَمَاعةِ مع دعوتهم لمكارم الأخلاق وأحاسن الأعمال (فهم يدعون للخير وإلى وفاق) نعم إنهم يدعون للخير قال تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والخير كلمة عامة قد تكون في الدعوة بالقول، وبالفعل، وبالعمل، وبالعطاء. وتدخل في حركة الحياة. كما أنها تدعو إلى وفاق الأئمة وعدم الاختلاف عَلَيْهِمْ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة أبو داود كتاب «السنة» باب «الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه» (٤/ ٢٢٠) رقم (٤٦٨٢)، والترمذي أبواب الرضاع باب «مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا» (٣/ ٤٥٨) رقم (١١٦٢)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الحاكم (١/ ٣)، والمناوي في «التيسير» (١/ ٢٠٦)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٤).

(٢) أخرجه من حديث عائشة مسلم كتاب «صلاة المسافرين» باب «جامع صلاة الليل» (١/ ٥١٢) رقم (٧٤٦/ ١٣٩)، ولفظه: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»

٣٩٥- وَفِي بَـلَاءٍ وَرِخَـاءٍ نَشْكُرُ   وَعِـنْـدَمَـا يَـأْتِـي الـقَـضَـاءُ نَصْبِرُ

ومـن أخـلاق أَهْلِ السُّـنَّةِ والجَماعةِ الصبر عِنْدَ نـزول البلاء، وهو مـا يبتلون به من مصائـب وشـدائد، كالأمراض العصبية، والأورام، ومصيبـة الموت، والابتلاءات، وهو الامتحـان الـذي يرجعون إلى الله فيـه، ويصبرون على البلاء ويشـكرونه في حالة الرخاء. وهَـذِهِ البلايا تعـرف المبتلي بطريق ربه فيعود إليه رغبةً ورهبةً، وتعرفه من هو، وما قيمته، وما حدود قدراته، فهل يستطيع أن يفرِّج عن نَفْسه ولَوْ يسيرًا مما ابتُلِيَ به؟ فيرجع بعد ذَلِكَ إلى الله بكُلِّيَّتِهِ، ويصلح من حاله ويتحول من مجرم مستكبر إلى تائب مسـتغفر، فله ثلاثة حالات كما أشار البيت، وهِيَ عنوان سعادة وعلامة فلاح للمؤمنين كما قال: «**من أُعْطِيَ فشَكَرَ، وابتُلِيَ فصبر، وظَلَم فاستغفر، وظُلِمَ فغفَرَ، أولئك لهم الأمن، وهم مهتدون**»[(١)].

٤- تعريف الصبر لغة وشرعًا:

والصبر لغة الحبس، وهو ثلاثة أنواع: صبر عن المعصية، وصبر على الطاعة، وصبر على المصائب والبلايـا. وَقَدْ ورد في القرآن في نحو مـن ٧٢ موضعًا، ومنها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]. قال ﷺ: «**الصبر ضياء**»[(٢)]، وقال الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته، وقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»[(٣)].

(١) أخرجه من حديث سَخْبَرَةُ الأَزْدِيُّ الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٣٨) رقم (٦٦١٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٤): فيه أبو داود الأعمى وهو متروك، وقال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٠٩): سند حسن، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب» رقم (١٩٨٤): ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه من حديث أبي مالك الأشعري مسلم كتاب «الطهارة» باب «فضل الوضوء» (١/ ٢٠٣) رقم (٢٢٣/ ١).

(٣) أخرجـه موقوفًا من كلام علي ابن أبي شيبة في المصنف كتاب «الإيـمان» (٦/ ١٧٢) رقم (٣٠٤٣٩)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٨/ ٢٦٦): سنده منقطع.

٣٩٦- نُـؤْمِـنُ حَـقًّـا أَنَّ لِـلأَرْحَـام حَـقًّـا مِـنَ الـمَـالِ وَلِـلأَيْـتَـام

٣٩٧- وَالـبِـرُّ بِـالقُـرْبَـى وَبِـالمِسْكِينِ وَالجَـارِ ذِي القُـرْبَـى وَأَهْـلِ الدِّيـنِ

أي: ومن أخلاق أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ أنهم يأمرون بصلة الأرحام والإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، ولهم عَلَيْهِمْ من الحقوق الواجبة كالعطف عَلَيْهِمْ والرفق بهم وإعطائهم الصدقة الواجبة كالزكاة والصدقة المندوبة كبقية الهبات والأعطيات التي توثق الصلة فيما بينهم ونحيي قيم التعاطف، والتكافل فيما بين الأقربين حتى تزول نظرة الحسد وتذوب نزعة الفوارق فيما بينهم، وَأَنَّ هذه الأعطيات توثق وشائج القربى وتقوي أواصر المحبة، وَهَذَا ما تؤمن به وتفعله أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ؛ لأنها تؤمن أن الصلة للأرحام واجبة، والقطيعة حرام. وَأَنَّ عدم تفعيله وإشاعته بهذه الصورة الجميلة إظهار للوجه الثاني، وهو القباحة والتولِّي عن بَعْض الذي أشار إليه القرآن قال تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، وَفِي هذه الآية وعيد شديد لمن يقطع صلة رحمه، وأنها من الكبائر (**وَالبِرُّ بِالقُرْبَى وَبِالمِسْكِينِ**) **أي**: أن أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ يبرون بالوالدين وهما أول ذي القربى وأول ما يجب لهما على الولد طاعتهما في غير معصية، والإحسان إليهما بالقول والفعل، ومراعاتهما وخاصّة عِنْدَ كبرهما، وخفض الجناح لهما، والشفقة عَلَيْهِمَا، والرحمة بهما، والدعاء لهما أحياءً وأمواتًا هذا هو دَيْدَنُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ عَمَلًا بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

٥- ثم إن أهل السنة والجماعة يرون الإحسان إلى ذوي القربى على اختلاف منازلهم:

سواء من ذوي النسب أو الأصهار كما تدل على ذَلِكَ نصوص الكِتَاب وَالسُّنَّة، فمنها كما تَقَدَّمَ في حق الوالدين، وَكَذَلِكَ قوله في الحَدِيث الصحيح عن عبد الله ابْن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قلت: يا رَسُول الله، أي العمل أفضل؟ قال: **«الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا»**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ»**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**.(١)

والبِرّ بالكسر معناه التوسُّع في فعل الخير، وَفِي عموم الأرحام الآية المتقدمة التي في سورة محمد، وحديث: قال: **«لا يدخل الجَنَّةَ قاطِع»**(٢). وَفِي الحَدِيث الآخر: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**(٣). كما أنه من أخلاق أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ الإحسان إلى المسكين، وهو: من قد أخضعته المسكنة، واليتيم لغة المنفرد وهو: من تَوَفِّي عنه أبوه، وهو دون البلوغ، والإحسان إليهم كفالتهم ورعايتهم، وَفِي الحديث: **«أنا وكافل اليتيم في الجَنَّة هكذا»**(٤)، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.

---

(١) متفق عليه من حديث، أخرجه البخاري كتاب «الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» باب «فَضْلِ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ» (٤/ ١٤) رقم (٢٧٨٢)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ» (١/ ٨٩) رقم (٨٥/ ١٣٧).

(٢) متفق عليه من حديث، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «إثم القاطع» (٨/ ٥) رقم (٥٩٨٤)، ومسلم كتاب «البر والصلة» باب «صلة الرحم» (٤/ ١٩٨١) رقم (٢٥٥٦/ ١٨).

(٣) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «من بسط له في الرزق بصلة الرحم» (٨/ ٥) رقم (٥٩٨٦)، ومسلم كتاب «البر والصلة» باب «صلة الرحم» (٤/ ١٩٨٢) رقم (٢٥٥٧/ ٢١).

(٤) أخرجه من حديث سهل بن سعد البخاري كتاب «الأدب» باب «فضل من يعول يتيما» (٨/ ٩) رقم (٦٠٠٥).

والمسكين من تركبه الحاجة حتى تذله فيسكن لذلك، والفقير أشد حاجة من المسكين، والإحسان إليهم جميعًا هو رعايتهم وكفالة أحوالهم وسد حاجاتهم.

(وَالجَارِ ذِي القُرْبَى):

١- من أخلاق أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعةِ الإحسان إلى الأجوار الملاصقين للدار.

بإيصال المعروف والهدايا إليهم بحسب الاستطاعة وخاصّة حسن المعاملة، وعدم الإيذاء لهم، والسلام عَلَيْهِمْ، وطلاقة الوجه أمامهم، والبشاشة أثناء المعاملة، وحسنها أثناء تداخُل الحاجيات فيما بينهم؛ لأنهم يَرَوْنَ حفظ حق الجار من كمال الإِيمان ومن أعظم أحاسن الأعمال وأعاليها، قال تَعَالَى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] «من كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر، فليُكْرِمْ جاره»[(١)]. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[(٢)].

وعن عبد الله بْن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خير الأصحاب عِنْدَ الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عِنْدَ الله خيرهم لجاره»[(٣)]. وحديث: «والله

(١) متفق عليه من حديث أَبِي شُرَيْح العَدَوِيِّ، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ» (٨/ ١١) رقم (٦٠١٩)، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «الحث على إكرام الجار» (١/ ٦٩) رقم (٤٨/ ٧).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «الوصاة بالجار» (٨/ ١٠) رقم (٦٠١٤)، ومسلم كتاب «البر والصلة» باب «الوصية بالجار والإحسان إليه» (٤/ ٢٠٢٥) رقم (١٤٠/٢٦٢٤).

(٣) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو الترمذي أبواب البر والصلة باب «ما جاء في حق الجوار» (٤/ ٣٣٣) رقم (١٩٤٤)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه ابن خزيمة رقم (٢٥٣٩)، وابن =

لا يُؤْمِن، والله لا يُؤْمِن، والله لا يُؤْمِن»، قيل: من يا رَسُول الله؟ قال: «**من لا يأمن جارُه بوائقــه**»[١]. وما ذَكَرَ أعـلاه هو من صفات أَهْل السُّـنَّةِ في معاملاتهم مع غيرهم عمومًا وجيرانهـم خصوصًـا. وَفِي الحَدِيث أن الجيران ثلاثة: جـار له حق واحد وهو: المشرك له حـق الجـوار. وجار له حقان وهو: المسـلم له حق الجوار وحق الإسـلام. وجار له ثلاثة حقـوق وهو: المسـلم القريب، له حق الجوار، وحق الإسـلام، وحق الرحـم[٢]. وقولنا أهل الدين يعني الجار المسلم.

❁❁❁

= حبان رقم (٥١٨)، والحاكم (١/ ٤٤٣)، والألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٥٦٨).

(١) متفـق عليـه من حديـث أبي هريـرة، أخرجه البخـاري كتاب «الأدب» بـاب «إثم مـن لا يأمن جاره بوائقـه» (٨/ ١٠) رقم (٦٠١٦)، ومسـلم كتاب «الإيـمان» باب «بيان تحريم إيـذاء الجار» (١/ ٦٨) رقم (٤٦/ ٧٣).

(٢) أخرجه من حديث جابر الطبراني في «مسـند الشـاميين» (٣/ ٣٥٦) رقـم (٢٤٥٨)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٤٩٣): ضعيف، مسلسل بالعلل.

٧- من أصول أهل السُّنة والجماعة عدم التخلق بالكِبْر:

٣٩٨- وَالنَّهْيُ عَنْ كِبْرٍ وَعَنْ فَخْرٍ وَعَنْ بَغْيِ اسْتِطَالَةٍ رَوَوْهُ فِي السُّنَنْ

نعم، إن من أخلاق أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ عدم التخلق بالكِبْر لأنه أحد أركان الكفر بالله، والنهي عن ممارسته والزجر عنه، وَكَذَلِكَ النهي عن الفخر وعن البغي والاستطالة، وهَذِهِ هي أخلاق أَهْل السُّنَّةِ، وأنهم ينهون عن الكبر وغيرهم، ولا يأتونه. ومعنى الكِبْر غَمْطُ الناس حقوقهم، وَكَذَلِكَ النهي والزجر عن التفاخر في الأنساب والأحساب، والمباهات بالعادات والمكارم والمناقب والمناصب قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، والمختال: المتكبرُ المتعاظم في نَفْسه على الآخرين، والفخور: هو الذي يفخر على غيره بأصله وحسبه وماله، أو مال آبائه من مفاخر ومآثر وتاريخ بحق، أو بباطل والبغي معناه أن يفتخر كاذبا، والاستطالة أن يفتخر صادقًا.

قال ابْن القيم: الافتخار نوعان: محمود ومذموم، فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفُّعًا عَلَيْهِمْ، والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات العلية، لا على وجه الفخر بل على وجه التعظيم للنعمة والفرح بها، وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذَلِكَ من المقاصد في إظهارها، كما قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم ولا فَخْرَ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يَوْمَ القِيَامةِ ولا فَخْرَ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»**(١). وقال سعد: أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله. وقال ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«لا ينظر الله إلى من جَرَّ ثوبه خُيَلاءَ»**(٢).

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم كتاب «الفضائل» باب «تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق» (٤/ ١٧٨٢) رقم (٢٢٧٨/ ٣). بدون لفظ: ولا فخر.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري كتاب «اللباس» (٧/ ١٤١) رقم (٥٧٨٣)، ومسلم كتاب «اللباس والزينة» باب «تحريم جر الثوب خيلاء» (٣/ ١٦٥١) رقم (٢٠٨٥).

....

وحديث: «كُل ما شئت، واشرب ما شئت، ما أخطأتك ثِنْتَانِ سَرَف ومُخَيْلة»(١).

وحديث: «بينما رجل يمشي في حُلَّة، تعجبه نَفْسه، مرجل جُمَّته؛ إذْ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يَوْمَ القِيَامةِ»(٢). هذه بَعْض الأحاديث التي رواها أهل السنن.

ومن القرآن: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

❁❁❁

---

(١) أخرجه موقوفًا على ابن عباس البخاري معلقًا كتاب «اللباس» (٧/ ١٤٠)، ووصله ابن أبي شيبة (٥/ ١٧١) رقم (٢٤٨٧٨)، وصححه الألباني في تحقيق «المشكاة» رقم (٤٣٨٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري كتاب «اللباس» باب «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ» (٧/ ١٤١) رقم (٥٧٨٩)، ومسلم كتاب «اللباس والزينة» باب «تَحْرِيمِ التَّبَخْتُرِ فِي الْمَشْيِ مَعَ إِعْجَابِهِ بِثِيَابِهِ» (٣/ ١٦٥٣) رقم (٢٠٨٨/ ٤٩).

٨- من أصول أهل السُّنَّة والجماعة عدم موالاة الكفار، ولا محاباتهم:

٣٩٩- وَلَا نُوَالِي كَافِرًا مَهْمَا دَنَا ... حَتَّى وَلَوْ كَانَ حَمِيمًا مُحْسِنَا

٤٠٠- وَحُبُّنَا لِلْمُسْلِمِينَ أَكْبَرُ ... وَالبُغْضُ أَصْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

٤٠١- ثُمَّ طَرِيقُنَا هُوَ الإِسْلَامُ ... وَالحَقُّ وَالإِنْصَافُ وَالإِنْعَامُ

ومن أصول أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ عدم موالاة الكفار، ولا محاباتهم بأي وسيلة من وسائل القرب منهم؛ لأَنَّ موالاتهم تعني محبتهم لذلك، فأَهْل السُّنَّةِ يبرءون إلى الله من محبتهم ولَوْ كانوا أقرب الأقربين قال تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وَهَذَا معنى البيت الأول وقولنا: (وَلَا نُوَالِي) من أصول أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ أنهم يحبون ويوالون المسلمين موالاةً كبيرة، والبغض والكره المستكن في كل نفس من أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ هو للذين كفروا.

(ثُمَّ طَرِيقُنَا هُوَ الإِسْلَامُ) أي طريق أهل دين الإسلام هم ثابتون عليه عِنْدَ أي اختلاف، أو افتراق يحدث، فإننا معشرَ أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ لا نَحِيد عنه كما أخبر المصطفى بذَلِكَ ﷺ وصاروا هم الفرقة الناجية من بين تِلْكَ الفرق، وهِيَ التي ثبتت في منهجها وطريقها على ما كان عليه ﷺ وأصحابه، وهو الإسلام الخالص، وهو الصراط المستقيم كما قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهو ما بعث به نبينا محمد ﷺ ودين الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله سواه كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]،

(والحق) المراد به هنا الدين الحق الثابت وضده الباطل الزائل، وخاصَّة عِنْدَ افتراق الأُمَّة كما أخبر ﷺ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً»**[١] ومعنى هذا الحديث أن أمة محمد ﷺ أمة الإجابة منها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، وهذا علم من أعلام النبوة تحقق في عصرنا وما قبله من العصور والافتراق نوّه عنه كثير من العلماء أنه في علوم أصول الدين والعقائد ن وقد اجتهدوا في تعداد الفرق إلى العدد المخبر عنه في الحديث وقد جعلوا لمجموع الفرق أصولا ينبثق منها ذلك العدد المشار إليه في الحديث (ثلاث وسبعون) فرقة، وقالوا عنها خمسا[٢]، وقالوا: ستا[٣]، وقالوا سبعا[٤]، وقالوا ثمانا[٥]، وقالوا غير ذلك[٦]. والأصول هنّ: المعتزلة، وهم عشرون فرقة، والشيعة وهم اثنتان وعشرون فرقة. والخوارج وهم سبع فرق. والمرجئة وهم خمس فرق، والجبرية وهم من يسندون أفعال العباد إلى الله تَعَالَىٰ. والمشبِّهة وهم الذين يشبهون الله بخلقه. وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى ولم يشرف أي قول من تلك الأقوال بنص صحيح عن

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة أبو داود كتاب «السنة» باب «شرح السنة» (٤/ ١٩٧) رقم (٤٥٩٦)، والترمذي أبواب «الإيمان» باب «ما جاء في افتراق هذه الأمة» (٥/ ٢٥) رقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه كتاب «الفتن» باب «افتراق الأمم» (٢/ ١٣٢١) رقم (٣٩٩١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان رقم (٦٢٤٧)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٣).

(٢) ذكر ذالك أبو محمد الميمني في كتابه «عقائد الثلاث والسبعين فرقة» (١/ ١١).

(٣) ذكر ذلك صاحب كتاب «الفرق بين الفرق» (ص: ٢٤ - ٢٥).

(٤) ذكر ذلك ابن تيمية في معنى هذا الحديث، نقله عنه صاحب «التنبيهات السنية» (٣٧٦).

(٥) انظر: «الاعتصام» للشاطبي في المسألة السابعة لتعيين هذه الفرق (٤٤٣-٤٤٤).

(٦) صاحب «التنبيهات السنية» (٣٧٥).

....

رسول الله ﷺ يُعَيِّنُ أصولا لتلك الفرق المذكورة في الحديث وجميع مفردات الحديث لا تشير إلى التعيين أو العلم بها وإنما تشير الى أن تلك الفرق مبهمة وغير معلومة وأنها من أمة محمد ﷺ وأنه يشملها الدين وأن بعضها إما مخلد في النار بسبب كفره وإما عاص غير مخلد بالنار، وأن كلها ستخرج عن الدين بقليل أو كثير وتستحق دخول النار بسبب ما اقترفته من العصيان أو الكفر ولم تنجو إلا واحدة وهي التي تكون على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وهم الجماعة. وأن من كفَّر تلك الفرق غير الجماعة فقد خالف الكتاب والسنة(١).

(وَالإِنْصَاف) المراد به أن طريق أَهْلِ السُّنَّةِ هو الحق والعدل والوسط (والإِنْعَام) به علينا مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ، ومعنى طريقنا دين الإسلام، فالطريق المذهب، والدين هو هنا المعتقد لأَهْلِ السُّنَّةِ، والإسلام هو الاستسلام لله وحده والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، ويشمل الإِيمَان هنا؛ لأَنَّ الإسلام والإِيمَان إذا اجتمعا افترقا فيكون لكل واحد منهم معنى آخر، فمعنى الإسلام الأمور والشعائر الظاهرة، وَيَكُون معنى الإِيمَان: الإِيمَان بالأمور الغيبية، أما إذا افترقا فيكون كل واحد منهما يشمل الآخر كما هو هنا ذكر الإسلام فقط فيدخل فيه الإِيمَان.

❁❁❁

---

(١) ذكر ذلك صاحب كتاب «الملل والنحل» (٤/ ١٣ وما بعدها). وصاحب «التنبيهات السنية» (٣٧٥).

٩- أهل السنة والجماعة ممن أنعم الله عليهم بالهدى:

٤٠٢- مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالهُدَى فَمِنْهُمُ الصُّلاَّحُ، ثُمَّ الشُّهَدَا

٤٠٣- وَمِنْهُمُ الصِّدِّيقُ ذُو المَآثِرِ وَمِنْهُمُ الأَبْدَالُ ذُو المَفَاخِرِ

٤٠٤- طَائِفَةٌ بِالحَق لَا تَزَالُ مَنْصُورَةً ما ضرها خذَال

أي أن أَهْـل السُّنَّةِ والجَماعةِ ممن أنعـم الله عَلَيْهِمْ بالهدى، وهو التوفيق والإرشـاد والدلالـة إلى ما فيه صلاح دينهـم ودنياهم، ولذَلِكَ وجد منهم الصالحون ومن وفقه الله للقيام بحق الإسلام وأنعم عليه بالعلم النافع، والعمل الصالح في كل زمان ومكان، وهم من وفقهم الله وهداهم إلى صراط الله المستقيم من النبيين، والمرسلين، والصالحين، كما قال تَعَالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، وقولـه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] قـال عكرمـة: المراد بالنبيـين هنـا هو محمد ﷺ والصديقـين هـو أبو بكر، والشـهداء عمـر وعثمان وعـلي، وبالصالحين سـائر الصحابة ومعنـى المفردات النبي معروف، والصديقون كثيرو الصدق، أولهم أبو بكر. والشـهداء من قتل في سـبيل الله، وهو الجهاد. (فَمِنْهُمُ الصّلاح) جمع صالح، والصلاح والإصلاح ضد الفسـاد والإفسـاد، وهو كل من قام بحق الله وحق عباده، وهو المستقيم على أمر الله عِلْـمًا وعَمَـلًا، ويجمع بين الإخلاص لله في العمل والمتابعة للرَسُـول فيـما أمر، واجتناب مـا نهى عنـه وزجر، والصالح غير المصلـح، وهو أقل منزلة من المصلـح إذْ فِعْل المصلح يتعـدى إلى الغـير، وهو زيادة فوق صلاح نَفْسـه، وَقَدْ نعت القـرآنُ الصالحَ والصالحين والمصلحـين قـال تَعَالَى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقَوْلـه تَعَالَى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥]. أمـا المصلحـون، فكقَوْلـه

تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. (ثُمَّ الشُّهَدَاء) الشهداء جمع شهيد وهو: من يقتل في سبيل الله مجاهِدًا، وقِيلَ: الشهيد العالِم بما يحمله من علم تقوم الحجة بموجبه، وقِيلَ غير ذلك. والآية أعم من ذَلِكَ، وَالمُرَاد به فعيل بمعنى فاعل، وشهيد بمعنى شاهد (وَمِنْهُمُ الصِّدِّيقُ ذُو المَآثِرِ) أي: ومن أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ الصِّدِّيق كثير الصدق، وهو من تطابقت أفعاله وأعماله مع أقواله والصدق هو مطابقة الخبر للواقع قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وأول من يدخل في هذا النعت أبو بكر الصديق لتصديقه خبر الإسراء والرواحل القادمة من بيت المقدس، وَقَدِ استفسر أبو بكر من قريش فيما إذا كان قد قال لهم الرَّسُول ﷺ ذَلِكَ الخبر أم لا، فَقَالوا: نعم، أخبر بذلك، فَقَال أبو بكر: صدق إذًا، ولأجل هذا الموقف سُمِّيَ صِدِّيقًا، والمآثر هي المناقب، وهي ضد المثالب، وقِيلَ: هي المنازل العالية، والمراتب السامية التي ينالها المَرْء من الشرف والمجد والسيادة، وقال في القاموس: المَنْقَبَة المفخرة، والمآثر هي التي تُذْكَر لك قبل وبعد حياتك، ومنه أَثَر الحَدِيث أي نَقله عن غيره قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] ومن ذَلِكَ ما يتركه العُلَمَاء من أَثَرِ علمي بعد حياتهم وإنْ ماتوا فهم أحياء بعلمهم، وكثيرًا ما نسمع في برامج علمية وفتاوى مسددة رصينة وكلمات قيمة من علماء قد ماتوا وَلَكِن ينتفعُ الناس بعلمهم وهم أموات، فهم أحياء وإنْ ماتوا، وبعض الأحياء أموات لعدم وجود مآثِرَ لهم ومناقب تُذكَر بهم، أو بصمات علمية تبقى بعد موتهم كما قيل:

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا، فَاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ

وقال غيره:

وَإِنَّمَا المَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ... فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ رَوَى

وقال غيره:

وَفِي الجَهْلِ قَبْلَ المَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ ... فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ القُبُورِ قُبُورُ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

وقال رابع:

أَخُو العِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمُ

وقال آخر:

وَذُو الجَهْلِ مَيْتٌ، وَهْوَ يَمْشِي عَلَى ... الثَّرَى يُعَدُّ مِنَ الأَحْيَاءِ، وَهْوَ عَدِيمُ

(وَذُو) بمعني صاحب.

(وَمِنْهُمُ الأَبْدَالُ) أي: ومن أَهْلِ السُّنَّةِ الأبدالُ جمع بدل. قال العُلَمَاءُ: هم الأولياء والعباد في كل زمان ومكان، وسموا بذَلِكَ؛ لأنهم يخلفون من فقد منهم، أو مات فيكونون عنهم أبدالا[1]، وقال الإمام أحمد: هم أصحاب الحديث. وقال ابْن تيمية: كل حَدِيث ورد في عدد الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب، ونحو ذلك، فليس في ذَلِكَ شَيْء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بِشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، فروي فيهم حَدِيث أنهم أربعون، وأنهم في الشام، ولكنه حَدِيث منقطع، وليس بحديث. والصحيح أن الأبدال هم مَن تميزوا عن غيرهم بالعبادة، وكل ما مات منهم واحد أُبْدِلَ بغيره. (ذُو المَفَاخِرِ) ذو بمعنى صاحب والمفاخر بمعنى مفخرة، وهِيَ المناقب التي يطرقها أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ (طائفة بالحق لا تزال) الطائفة الجماعة وبالحق الشيء الثابت ويعني أنها متمسكة به، ولا تزال على

---

(١) ابن الأثير في «النهاية في غريب الأثر» (١ - ١٠٧).

الحق ومستمِرَّة عليه كما قال ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**[1]. وهَذِهِ الطائفة ليس شرطًا أن تكـون موجودة في مـكان واحد، أو في جماعة واحدة بل يمكن أن تكون في أي مكان، وتكون من عدة شرائح من المجتمع، وربما كانَتْ في شخص واحد، أو في جماعة (**مَنْصُورَةٌ وَمَـا بِهَـا ضَلَالُ**) أي: أن هذه الطائفة الثابتة على الحق، وهو مذهب أَهْل السُّـنَّةِ والجَماعةِ ستبقى منتصرة، وكِفَّتُهم راجحة بالنصر من عِنْدِ الله لهم، ولا تضرهم أو تخذلهم أي قوة حتى تقوم ساعة كل واحد منهم أو القيامة الكبرى، وهم على هدى ونور.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه من حديث ثوبان مسلم كتاب «الإمارة» باب «قوله ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ...»**» (٣/ ١٥٢٣) رقم (١٩٢٠/ ١٧٠).

٤٠٥- وَلَا يَضُرُّ أَهْلَهَا مَنْ خَذَلَا وَهُمْ عَلَى حَقٍّ وَلَوْ فَرْدٌ عَلَا

يعني لا يستطيع أحد أن يقهر هذه الطائفة، أو ينتصر عَلَيْهِمْ، وذَلِكَ لِحِفْظ الله لهم ونُصرته لهم مهما أشاعوا التخذيل والتثبيط والإشاعات المغرضة ضدهم، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كله لا يضرهم؛ لأَنَّ ثباتهم كالحق لا يتزحزح وسينتصرون وسيبقون منتصرين حتى ولَوْ بقي واحد من أَهْل السُّنَّةِ لانتصر على أعدائه وكسب النصر، ولَوْ في الجولة الأخيرة في الدُّنْيَا والآخرة. وَأَنَّهُ سيمتد إلى قرب قيام الساعة، أو قيامة كل واحد، أو قيامة القيامة الكبرى وصلى الله علي سيدنا محمد.

❁❁❁

٣٣- (بعض ثمار الإيمان لعقيدة أهل السُّنَّة)

٤٠٦- وَالنَّصْرُ وَالدِّفَاعُ وَالوَلَايَةْ   وَالرِّزْقُ وَالتَّمْكِينُ وَالهِدَايَةْ

٤٠٧- وَعَدَمُ التَّسْلِيطِ لِلكُفَّارِ   وَعِزَّةٌ لِلمُسْلِمِ المِغْوَارِ

٤٠٨- ثُمَّ حَيَاةٌ وُصِفَتْ بِالطِّيبِ   لِمُؤْمِنٍ لِرَبِّهِ مُجِيبِ

(وَالنَّصْر) نعم إن المتمسك بعَقِيدة التوحيد، العامل بمعناها، الملتزم بمقتضاها يكون له النصر في الدُّنْيَا والآخرة، والنصر معناه هو العَوْن كما قال تَعَالَىٰ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وَهَـٰذَا النصر هو الفوز والرجحان على الكِفَّة المقابلة، هذا النصر يكون للمؤمنين في أي معترك يدخل فيه سواء مع الأعداء، أو مع النفس، أو مع الهوى، أو مع الشيطان، يكون للمؤمنين بهذه العَقِيدة الغَلَبَة والفوز، ثم ما يعقبه من لذة النصر ونشوة الإنجاز ومن أمن وأمان وسكينة واطمئنان وراحة واسترواح. (وَالدِّفَاع)، وَالمُرَاد به هو المدافعة عن الشخص والحماية له، وإذا كان المدافع عن الشخص هو الله والحامي هو الله، فَلْيَعِشْ في مأمن من سنن الحوادث كما قيل: (فَنَمْ، فَالحَوَادِثُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ) قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

(وَالوَلَايَة) الولاية بفتح الواو النصرة، والوِلاية بكسر الواو تولي الأمر، فمن أثر الإِيمَان أن يكون الله عليك وليا وواليا فيُنْجِيكَ من الكُرُبَات، ويخرجك من الظُّلُمات إلى النور، ويمنحك التوفيق ويوصلك إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، بل يكون له أكبر من ذَلِكَ فيكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، وذَلِكَ بتسديده وتوفيقه وإعانته بالوصول إلى أعلى المقامات، وإلى أسمى الدرجات قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. قال تَعَالَىٰ:

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وإذا كان الله هو ولي المؤمنين، فمن ذا الذي سينالهم بأذى، أو يطالهم بشيء من الضر، وهم في ولاية الله وَفي نصرته وحمايته لهم، فهو حسبهم وكافيهم في الدُّنْيَا والآخرة، وهو وليهم قال تَعَالَىٰ: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

١- تعريف الرزق:

(والـرِّزْق)، وهـو هنا عام، وهو على قسـمين: رزق عـام ومنح عامـة، مثل مواهب الربوبيـة، وتطـال كل مخلوق في أي مـكان، أو زمان ورزق خاص، وهو مـا يمنحه عباده المؤمنـين من مكانة قـرب، ومغفرة ذنب، وتفريـج كرب، ورفع للدرجـات، وتَجَاوُز عن السيئات، وَأَنْ يمنحهم الهداية للعلم النافع، والعمل الصالح، فيكون المؤمن مكفولًا في همومـه، محمـولًا في غمومه، وهو في رعاية الله الكاملة وعنايته الشـاملة دِينًا ودنيا وأُخرى وأُولى، والرزق كله بأنواعه من عِنْدِ الله جل وعلا، قال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وعلى الرزق الأخروي قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

وقولنـا: (التَّمْكِين) هي المكانة العالية، والقدرة الكافية، والمنزلة الرفيعة التي وَعَدَ الله بهـا الذيـن آمنوا في الدُّنْيَا والآخـرة، والتمكين من كل شَيْءٍ الإحاطـة به والعلوّ عليه قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فـكل مَـنْ آمَـنَ واسـتقام عـلى النهج الصحيح من العَقِيـدة والإِيمان بالله، وقام بمقتضاهمـا عِلمًا وعَمَلًا، فإنـه موعود مـن الله بالتمكين والنـصر على الأعـداء، ويُمَكِّنه كذَٰلِكَ مـن الحصول على أسباب الثبات على الدين، ووسائل التوفيق للقيام بأركانه، وواجبات الإسلام من صلاة وزكاة، وحج، والثبات عليها حتى الممات، وبهذا يسعد في الدُّنْيَا والآخرة.

٢- تعريف الهداية:

(وَالهِدَايَـةُ) هي الدَّلَالة بلطف، وهِيَ لازمـة ومتعدية، فاللازم منها ما اقتصر على الدلالـة والإرشـاد، والمتعدي منهـا مختص بالعطاء. مثـال الأولى: هَدَيْـتُ فلانًا للطريق أي دَلَلتُه وأرشـدته. والثانيـة: أَهْدَيْتُ محمدًا قَلَمًا. والمقصود بالهداية هنـا هداية الدَّلَالة والإرشـاد، والثانيـة هدايـة التوفيق والإلهـام، وهِيَ لكل مَـنْ آمَنَ وقبـل الهداية الأولى، فـإن الله يوفقـه ويعينه للحصول على الهداية الثانية، وهِـيَ هداية التوفيق والإلهام ويوفقه للأخلاق الفاضلة التي يكون بها محل إشارة البنان ولَيِّ الأعناقِ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ [يونس: ٩]. وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

(وَعـدَمُ التَّسْـلِيطِ لِلكُفَّـارِ) أن المؤمنـين بعَقِيـدة التوحيد هـم الأَعْلَـوْنَ في الدُّنْيَا والآخـرة، وهم المنتـصرون في الدُّنْيَا والآخرة، وذَلِكَ بمعونة الله لأهل التوحيد والإيمان ولن يجعل للكافرين عَلَيْهِمْ سبيلًا، بل قد جعل الله للمؤمنين على الكافرين سلطانًا مُبِينًا قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقـال تَعَالَى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ٩١].

(وعِزَّةٌ لِلمُسْلِمِ المِغْوَارِ) إن من أثر العَقِيدة على سلوك المؤمن أن تورثه الإباء والشمم والعِزّة والكرم والترفُّع عن الذِّلَّة والهوان، ومجموع هذه الصفات وغيرها تسـمى بالعِزَّة، وهِيَ أولًا: لله تَعَالَى، ومنه العزيز ثانيًا: لرَسُـول الله ﷺ، وثالثًا: للمؤمنين، وتظهر هذه الصِّفة على المؤمن في كل المواقف في صورة بطولة وشجاعة وإقدام، وصبر واحتساب؛

لأنـه لا يخـاف إلا من الله، ولا يتردد عما يرى فيه ثوابًا فيفعله، ولا يقدم على ما فيه معصية حتـى لا يـذل؛ لأَنَّ للطاعة عِزَّةً وللمعصية ذِلَّةً وهوانًا، فتجـد المؤمن في كل أحواله غَيُور على محارم الله، فيأمر بالمعروف،وينهى عن المنكر في كل مناسـبة قريبة كانَتْ منه، أو بعيده قـال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والمسـلم هو المستسـلم لله، المنقاد لطاعته والـمُتَبَرِّئ من الـشرك والحَوْل والطَّوْل. (والمِغوار) مِنْ: غارَ الرجلُ إذا ثارت نَفْسُـه، فَيُقَالُ للرجل: مِغْوَار، وللمرأة مِغْوَار أيضًا، وهَـذِهِ الغَـيْرَة إذا كانَتْ على الدِّين حينما تُنْتَهَك محارمه، أو على المرأة حين تُبدِي محاسـنها للغير، فهي محمودة، وإذا كانَتْ الغيرة لغير ذلك، فهي غير محمودة، وَالمُرَاد بها هنا مغوار على أصول الدين وفروعه وعلى العَقِيدة.

وقولنا: (ثُمَّ حَياةٌ وُصِفَتْ بالطِّيب) إشارة إلى حسن أحوالهم، ونعيم مآلهم في الدُّنْيَا والآخرة، وتسـليم الملائكة عَلَيْهِمْ، وخلودهم في جِنَانِهِمْ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. كما أن البيت يشير إلى الآية من التوبة (٧٢) قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وبالنسـبة لنعيـم الدُّنْيَا قال تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فالمؤمن المسـتجيب لله ولرسوله تكـون حياتـه الأخرويـة والدنيوية مملوءة بالسـعادة والهناء والأمن النفسـي والاطمئنان الرُّوحـي، والمواءمـة بـين متطلبات الجسـم والـرُّوح في كلا الدارَيْنِ، ولَوْ علم الشـباب خاصّة وبقية المسلمين عامةً ما في الإيمان من سعادة وهناءة لجَالَدُوا المؤمنين عليها.

٢- من آثار الإيمان:

٤٠٩- إيمَانُهُ بالله يَا ذَا يُثمِرُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ نَصًّا يُؤْثَرُ

نعم إن إيمان المَرْء هو الذي يميزه عن غيره من الكفار والمسلمين، وهو الذي يجعله يضحِّي بحياته في سبيل الله، وهو الذي يجعله مِقدامًا، ولا يخاف من الموت لعِلمِه أن الموت أَجَلٌ مُحَدَّدٌ. لذَلِكَ نرى المؤمنين يُكْتَبُ لهم الظفر والسعادة والفلاح والنجاح في كل أمر خاضوه، وتكون العاقبة لهم قال تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصَّف: ١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] والأَدِلَّةُ على تأثير الإِيمان على النفوس في الدُّنْيَا والآخرة كثيرة جدًّا، كما أن سعادة الآخرة مبنية على توفيق الله للعبد بالاستقامة في الدُّنْيَا، وما يقوم به المَرْء فيها من أعمال صالحة وأفعال فالحة. وأكثر الناس سعادةً في الدارين هم أكثر الناس تَمَسُّكًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتطبيقهما على حياتهم اليومية امتِثالًا للأوامر واجتنابًا للنواهي، وكلما كان أكثر عَمَلًا ومتابعة للرَّسُول كانَتْ منزلته من السعادة في الدارين أعظم وأضخم ونصوص القُرْآن على أثر الإيمان أشهر من أن تذكر.

❁ ❁ ❁

٤١٠- وَالحُبُّ وَالتَّعْظِيمُ وَالقِيَامُ بِأَمْرِهِ كَمَا رُوِيَ تَمَامُ

ومن آثار الإيمان بالله المحبة لله تَعَالَىٰ، والتي تَعْنِي الاستقامة على الصراط المستقيم أمرًا ونهيًا ومتابعةً للرَسُول ﷺ في اتباع ما أمر واجتناب ما نهى عنه وحذر قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وكل ما رسخ الإيمان زادت الآثار ترسُّخًا لدى المؤمن بالله، وحسنت أحواله، وسعدت دُنْيَاه وآخرته كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن آثار الإيمان بالله إخلاص التوحيد له وهو إفراده بالعبادة، فكل مؤمن أَحَبَّ الله يعني قام بأمره واستقام على منهجه الذي يحمله عليه القرآن فقد عظمه، وكل من كان كذَلِكَ كان صاحبه محبًّا لله، محققًا للتوحيد ومعظما له، يعني لا يشرك مع الله أحدًا لا نبيًّا مرسَلًا، ولا مَلَكًا مُبَجَّلًا بل له الأمر والخلق، وهو على كل شيء قدير، فالـمُحِبُّ لله يكون معظمًا له، ومن التعظيم إفراده بالعبادة في ألوهيته وبالوَحْدَانية في ربوبيته، وبالتعظيم في أسمائه وصفاته، وبالعدل في أحكامه وأفعاله.

ومن آثار الإيمان بالله أن من يحقق التوحيد الخالص يَعِشْ ناعِمَ البالِ، مُنَعَّمَ الحالِ في شتى الأحوال، وَفِي جميع شُعَب الحياة، فهو يُؤْمِن أن كل شيء بقضائه وقدره، وَأَنَّهُ مُثاب على ابتلاءاته لذَلِكَ تراه من أسعد الناس حالًا؛ لأَنَّ شأنه كله لله، ويرى أنه مثاب على أعماله وَأَنَّهُ مزاد من فضله.

❁❁❁

٤- الاعتماد على الله مع فعل الأسباب:

٤١١- وَالِاعْتِمَادُ عِنْدَ فِعْلِ السَّبَبِ عَلَى الإِلَهِ نَافِيًا لِلعُجْبِ

المؤمن بالله المحقق للتوحيد لا يعتمد على فعل الأسباب وحدها مهما كانَتْ قوية؛ لَأَنَّ الاعتماد عليها وحدها شرك، فهي لا تأتي له بشيء، ولا ترد عنه شيئًا وَلَكِنْ يعتمد على الله، ويتوكل عليه في تحقيق مراده ببذل سببه. وإذا حصل، فلا عجب، ولا استنكار، فالله لا يُعْجِزه شَيْء.

❁❁❁

٥- التسليم للقضاء من سمات أهل السُّنَّة والجماعة:

٤١٢- وَعِنْدَمَا يَعْلَمُ بِالمَقْدُورِ بِأَنَّهُ مِنْ رَبِّهِ القَدِيرِ
٤١٣- يَعِيشُ رَاحَةً بِهِ نَفْسِيَّةْ وَرُوحُهُ رَفَّافَةٌ عَلِيَّةْ

المؤمن بالله وبأسمائه وصفاته عندما ينزل القضاء والقدر، فإنه يسلم للأمر بكل رِضًا، بعد بذل السبب ومدافعة القَدَرِ بالقَدَرِ، ويرى أن ما وقع هو خير له، فالمؤمن شأنه كله خير، فله أجر على الرضا والصبر.

ومن ثَمَّ يسترجع المؤمن ويحصل على الاطمئنان بالمقدور، وما سيحصل عليه من أجر وثواب، والمؤمن عِنْدِ نزول القضاء والقدر يتقبله بكل رضا؛ لأنه من أفعال الله العادلة التي لا يوجد فيها حَيْفٌ، ولا ظلم، ومن ثَمَّ يستقر في رُوعِ المؤمن الاستسلام لله تَعَالَىٰ فيما قدَّرَه وقضاه، ويصبح (عَيْشُه) هَنِيًّا، ونَفْسه في راحة وأمان (رَفَّافَةٌ) مرفرفة إلى العلو مصدر الإسعاد والإعزاز، والذي بيده خزائن السموات والأرض، فيكون بفكره [ورُوحِهِ] التي بين جَنْبَيْهِ في علياء من الأخلاق والارتياح، وَفِي واحة من الإِيمَان والاطمئنان على ما خصه الله به من قضاء وقدر، حصل بموجبه الثَّوَاب الجزيل، والأجر الجليل في الدُّنْيَا والآخرة.

وهكذا الإِيمَان يكون لصاحبه جَنَّة في الدُّنْيَا لا يطعمها إلا من ذَاقَ حلاوةَ الإيمان، فإنه يكون في أنس من أفعال الله، وَفِي رِضًا بأحكامه، وَفِي هناءة وسعادة بما يسكبه الإِيمَانُ في رُوعِهِ من رجاء الثَّوَاب وخوف العقاب.

❀❀❀

٣٤- (من أهداف عقيدة أهل السُّنة والجماعة)

٤١٤- عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ... نُخْلِصُهَا لَهُ بِهَا نُفْرِدُهُ
٤١٥- تُحَرِّرُ العُقُولَ وَالأَفْكَارَا ... وَتَطْرُدُ الأَهْوَاءَ وَالأَقْذَارَا
٤١٦- وَتَمْلأُ الفَرَاغَ فِي القُلُوبِ ... وَتَغْمُرُ الأَوْقَاتَ بِالطُّيُوبِ
٤١٧- وَرَاحَةُ النَّفْسِ بِهَا نَلْقَاهَا ... وَحُسْنُ قَصْدٍ جَاءَ فِي سُرَاهَا
٤١٨- وَالحَزْمُ وَالتَّحْصِيلُ فِي الأُمُورِ ... وَالحِرْصُ فِي الأَوْقَاتِ وَالأُجُورِ
٤١٩- حَتَّى نَكُونَ أُمَّةً قَوِيَّةْ ... نَحْمِي عَقِيدَةً لَنَا سَنِيَّةْ
٤٢٠- بِهَا صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعَا ... وَالفَوْزُ بِالدَّارَيْنِ يَا ذَا أَجْمَعَا

قولنا: (عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ) يعني إفراده تَعَالَىٰ بأفعاله وأفعال عباده، وإفراده بالتعظيم والجلال، ومعنى العبادة كما عرَّفها علماؤنا بأنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال» الظاهرة والباطنة وما خلق الإنس والجن إلا لهذه العبادة، وربطهما بها في كل حال قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقولنا (تَعَالَى) أي: تَنَزَّهَ وارتفع عن المشابهة والنِّدِّ والمثيل كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقولنا: (نُخْلِصُهَا لَه) أي: العبادة، والإخلاص التبرؤ من كل ما دون الله، وَأَنْ لا يُرى في العمل أحد غير الله، وَهَـٰذَا عزيز المنال جدًّا، نسأل الله الإخلاص في كل ما نأتي ونَذَر من الأقوال والأفعال والأعمال. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]. وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا

﴿وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]. (لَهُ) الضمير يعود على الله تَعَالَىٰ (بِهَا) أي بالعبادة وبتعريفها العام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(نُفْرِدُهُ بها) أي: نجعله فردًا واحدًا، فلا ندعوا معه أحدًا، ولا نجعل له شريكًا، ولا مثيلًا على حد قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قولنا: (نُحَرِّرُ العُقُولَ وَالأَفْكَارَا) التحرُّر انطلاق العقول من قيود الشرك والمعاصي والخزعبلات، التي يظن أهلها أن بها نفعًا أو ضررًا، وتتعلق بها عقولهم، فتُرْدِيهم قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣] والتحرير المراد به هنا من قيد الهوى والزيغ والضلال ومن الشكوك ومن وساوس الشيطان.

والعقول جمع عقل، وهو ما يمنع الإنسان من الضلال ويهديه إلى الرشد والكمال وحسن الفعال، وَقَدْ عرفه علماؤنا بقولهم: «بأن العقل هو القوة المتهيئة لقَبُول العلم، ويُقَالُ للعلم المستفاد من تِلْكَ القوة (عقلا)». ولهذا قال أمير المؤمنين:

رأيت العقل نوعين، فمطبوع ومسموع ... ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع[1]

هذا، والعقول بوجودها يتم التكليف، وبعدمها يعدم التكليف، وكفى بها منزلةً، والعقل يمنع الإنسان من التمادي في الباطل، وعليها تدور رحى الأحكام التكليفية وجودًا وعدمًا.

---

(١) في ديوانه (ص: ١٢١)، وفي «أدب الدين والدنيا» (ص: ١٥).

١- العقيدة الإسلامية تُحرِّر العقول:

والخُلاصةُ: أن العَقِيدة الإسلامية الصحيحة تحرر العقول والأفكار من الانحرافات ومن المبادئ الهدَّامة ومن المذاهب الفاسدة والآراء الخارجة عن دائرة الإسلام وتجعل العقول صافيةً نقيةً عظيمةً، والنفوس مطمئنة وراسخة، والقلوب ثابتة وهادئة.

(وَتَطْرُدُ الأَهْوَاءَ وَالأَقْذَارَا) العَقِيدة بصفائها ونقائها تطرد كل هوى إلا هوى العَقِيدة الخالص، وَكَذَلِكَ ترفض الأقذار، وهِيَ جمع قذر، وهو ما يخيم في صدور المنحرفين والمتطرفين والإرهابيين والمتبعين للمتشابه من القرآن، فالعَقِيدة الصحيحة الراسخة تَرْسَانَةٌ قوية من الحصانة ضد الأهواء الزائفة والأقذار المُنْتِنة، وضد كل اختراق يُوجَّه للعقل أو للنقل الخاص بالعَقِيدة.

(وتَمْلأ الفَرَاغَ في القُلُوبِ) نعم صاحب العَقِيدة ليس لديه فراغ في قلبه، فهو مشغول إما بعبادة جسدية، أو قولية، أو فكرية، أو كتابية، فهو ما بين عمل وذِكْر، وبين قول وفِكْر. وقلوب أهل العَقِيدة مملوءة بالعمل مزحومة بالتحصيل تغتنم الزمان والمكان، فتغرسهما بالحسنات وخالص الأعمال وكرائم الأفعال التي من ورائها وَضَاءة الحسنات وزحزحت السيئات، وَهَذَا هو الرصيد الباقي والدواء الشافي.

(وَتَغْمُرُ الأَوْقَاتَ بِالطُّيُوبِ) تغمر تملأ والأوقات جمع وقت، وهو الليل والنهار، فهما مطيتان لأداء الأعمال الطيبة، وخزنتانِ لحفظها، وَكَذَلِكَ للأفعال الحسنة التي يفوح منها أَرَجُ الطِّيب والعمل الصالح الذي يصعد إلى السماء كما قال تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

....

(وَرَاحَةُ النَّفْسِ بِهَا تَلَقَاهَا) نعم الناس بهذه الحياة يركضون ليل نهار وراء راحة النفس وسعادة الرُّوح، فتارة يظنونها في المال ويقطعون ليلهم ونهارهم شقاءً لتحصيل المال من حِلِّه وغير حِلِّه حتى إذا وجد المال، فإذا بهم أشقياء، فلم يسعدهم، ولم يُرِحْ أرواحَهم بل يزدادون تعبًا وطلبا للمال، فكلما حازوا رقمًا سَعَوْا لإحراز غيره وتجميعه، ويقضي جُلَّ حياته في وسائل جمعه ووسائل حفظه حتى يتركه ربما لورثته كاملا غير منقوص وربما مات، وهو منه جوعان وعريان، وربما تمنى في النهاية أن يكون كأفقر الناس.

وبعضهم يظنون أن السعادة والراحة في الأولاد والأزواج، فسعى لذَلِكَ وكثر الأولاد والأحفاد ولكنه لم يملأ نَفْسَه راحة واستراوحًا، بل يظل لديه جوع نفسي، وخَوَاء إيماني، وفَرَاغ رُوحيّ، لا يملؤه إلا عَقِيدة التوحيد والإِيمان بالله وأثرهما الواضح على المتمسِّك به صحة نفسية، وراحة قلبية، وأَمَنَة فكرية، وسعادة في الدُّنْيَا والآخرة، ولا توجد هذه المواصفات في غير صيدلية الإِيمان ومستشفى العَقِيدة.

(وَحُسْنُ قَصْدٍ جَاءَ فِي سُرَاهَا) هذه العَقِيدة تنمي الشخصية المسلمة التي تتطلع إلى ما عِنْدَ الله فيكون قصدها حسنًا في كل خطواتها في سُرَاها بالليل، وغدوها بالنهار، تربي الإنسان المؤمن على القوة والعظمة الإيمانية، والعزم الفتي، والبذل السخي، والمحاولة دائما للاضطلاع بأعالي الأمور والترفُّع عن سَفْسَافِها، فالحُسْنُ كل الحسن في قصدها، والجمال كل الجمال في إرداتها، والعزم والطموح في سُراها وما يخلفه ذَلِكَ السُّرَى من رصيد في الإِيمان، ومدخر في الأخلاق شيء لا يقدر بثمن: (وعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى).

(وَالحَـزْمُ وَالتَّحْصِيـلُ فِي الأُمُورِ) الحزم يعني القوة في الأمـر، ومنه احْتَزَمَ الرجل وشد ربطه بالحزام، والمعنى أن العَقِيدة تجعل الـمَرْءَ حازمًا ذا قوة وشكيمة، وأن لا يؤتى دينه من قبله فيظل دائمًا الحارس الأمين للعَقِيدة الصحيحة، وعلى استعداد إذا لزم الأمر بما تطلبه منه مـن تضحيات ولَوْ بحياته. (والتَّحْصِيلُ) مـن حصَّل الشيء تحصيلًا، وهو مـن تجمع الشيء وثبوتـه، فصاحب العَقِيدة مـن هذا القبيل دائـمًا في التحصيل والتثبيت لما حصله، فتكـون تعاليم العَقِيدة لديـه محصلة ومثبته في صدر حاملهـا وينعكس الحزم والتحصيل للعَقِيدة في سـلوك المعتقد ثبوتًا على المبادئ بعد تحصيلها، وسـلوكًا كما تدعو إليه عقيدته وشريعته، ويظهر أثر ذَلِكَ السلوك في جميع الأمور التي تعترضه في كل زمان ومكان.

(وَالحِـرْصُ) يعنـي قوة الرغبـة على حصول الـشيء، أو على حفظـه، فالعَقِيدة من أهدافهـا العليـا أن تجعل المسـلم صاحب العَقِيدة السـليمة دائمًا حريصا عـلى ما ينفعه في الدُّنْيَـا والدِّيـن فيربط كل منافعه وكل حركاته بِرِبَاط الديـن حرصًا منه على عدم تفويت أي ثانيـة مـن زمانه إلا وهِيَ موظفة أحسـن التوظيف لاسـتثمارها فيما يعـود على المؤمن بكل نجاح وفلاح فرجلاه في الأرض وغايته في السماء، وتوظيف مادة فعل الحرص على الأوقات بالذات واستثمارها في العلم النافع والعمل الصالح الذي سيجده أمامه رصيدًا مـن الثَّـوَاب في قبره وعِنْدَ عرضـه ونشره، وَفِي جميع مواقفه الهامـة التي يرتبط بها نجاحه وفـوزه بالجَنَّةِ ونَجاته من النار قال تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]

(حَتَّى نَكُونَ أُمَّةً قَوِيَّةً) أي: أن وجود تِلكَ الأهداف التي يتربى عليها المسلم المؤمن أفرادها لا يُقْهَرُون ومجموعها أبدًا منتصرون، فهم دائمًا في تقدم وانتصار كما جاء في الحَدِيث: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»**(١).

هذه الطائفة (تَحْمِي عَقِيدةً لَنَا سَنِيَّةً) أي أن عَقِيدة أهل السُّنَّة والجماعة المنصورة تحمي وتذود بقوة في ثباتها وقوة في إيمانها وقوة في عدتها وعتادها. (عَقِيدة) هي الإِيمَان الذي لا يرقى إليه شك، ولا يقبل مناقشة، وهو من انعقد عليه عزم القلب حتى انبثقت عنه السلوكيات في الأفعال والأعمال والأقوال التي هي أصلًا لتأثير العَقِيدة وتصوُّر كامل لمدلولاتها ومقتضياتها وقوله: (لَنَا) أي: أقصد نحن مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ، والسَّنِيَّةُ نسبة إلى السُّنَّةِ الصحيحة، وهِيَ ما أثرت عن الرَّسُول ﷺ من أقوال وأفعال وإقرارات.

(بِهَا صَلَاحُ الدِّينِ والدُّنْيَا مَعًا) أي: بتلك العَقِيدة وبتلك الآثار، وبتلك الأهداف وباعتناقها على الوجه الصحيح يكون الصلاح والفلاح في أمور الدُّنْيَا بعمارة الأرض وإرساء قواعد العدل والتوحيد والابتعاد عن الشرك والإفساد، فتكون النتيجة صلاحًا ومصلحين هذا في الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ آثارها في الآخرة.

ما أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إذا اجتمعا ... وأَقْبَحَ الكُفرَ والإفلاسَ بالرجل

---

(١) متفق عليه من حديث معاوية، أخرجه البخاري كتاب فرض الخمس باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] (٤/ ٨٥) رقم (٣١١٦)، ومسلم كتاب «الإمارة» باب «قوله ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ...»» (٣/ ١٥٢٤) رقم (١٠٣٧/ ١٧٤). ولفظ مسلم: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»**.

٣٥- الخاتمة

٤٢١- وَالحَمْدُ للهِ عَلَى الإِكْمَالِ حَمْدًا لِرَبِّ الخَلْقِ ذِي الجَلَالِ

٤٢٢- نحمده نثني عليه ماجرى بقلم اللوح بما قد أُمرا

٤٢٣- ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدَا عَلَى النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ أَحْمَدَا

٤٢٤- وَالآلِ وَالأَصْحَابِ وَالأَتْبَاعِ يَبْقَى دَوَامًا دُونَمَا انْقِطَاعِ

(وَالحَمْدُ للهِ عَلَى الإِكْمَالِ) الحمد لغة هو الثناء بالصفات الجميلة والأفعال الحميدة، والألف واللام للاستغراق لجميع المحامد، وهي لله ملكًا واستحقاقًا، وَفِي الاصطلاح الحمد، فعل يُنْبِئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا متفضلًا،والحمد ضده الذم، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكلام على الحمد في أول المنظومة.

(عَلَى الإِكْمَالِ) على كل عمل خير أنجزه صاحبه، فهو يستحق أن يسند الحمد والثناء لله تَعَالَىٰ على إنجازه الذي أعانه عليه ووفقه إليه، وسَدده فيه (حَمْدًا) مصدر أي نحمده حمدا (لِرَبِّ الخَلْقِ) اللام للملك الحقيقي، فالثناء له حقيقي والرب هو رب كل شَيْء ومَلِيكه وخالقه، وهو من له الأمر والخلق. والربوبية عطاؤها لا يُحَدُّ، وهو عام لكل مخلوقاته، فهو ربهم ومربيهم، وخالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم بوجودهم وحياتهم وموتهم وبرزقهم، وعليه كل ما يحتاجونه في حياتهم إعدادًا وإمدادًا، وإليه مرجعهم ومجازاتهم إن خيرًا فخير، وإنَّ شرًّا فشر.

(ذِي الجَلَالِ) أي: صاحب الكمال المطلق والعظمة والسلطان والملك والجبروت الحي الذي لا يموت كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

(نحمده نثني عليه ما جرى) له الحمد بكل لسان ، وله الثناء من كل جنان عدد ما جرى به قلم اللوح المحفوظ من كتابة المقادير ما كان منها، وماهو كائن، وما سيكون

....

إلى يوم الدين فهو وحده المستحق لأنواع المحامد كلها، والثناء له سُبْحَانَهُ على الجميل وعلى كمالات ذاته وصفاته وأفعاله البالغة الذروة في الكمال.

(ثم): عاطفة. والصلاة لغة الدعاء، وَالمُراد بها هنا ثناؤنا عليه ﷺ. ندعو له بالسلامة والبركة من الله والثناء اللائق به ﷺ (عَلَى النَّبِيِّ) والنبي مأخوذ من النبأ، وهو الإخبار؛ لأنه يخبر عن الله تَعَالَىٰ، أو من النبوة، وهِيَ الرفعة لمكانة الأنبياء. والنبي إنسان أُوحِيَ إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، أو أُمِرَ بشرع غيره لِيُجَدِّدَه. أما الرسول، فهو إنسان ذَكَرَ أُوحِيَ إليه بِشَرْعٍ وأُمِرَ بتبليغه، وكل رَسُولٍ نَبِيٌّ، ولا عكس (الهَاشِمِيِّ) نسبة إلى هاشم بْن عبد المطلب جد الهاشميين في كل مكان (أَحْمَدَا) هذا هو اسم الرَّسُول ﷺ كما بَشَّرَ به المسيحُ؛ إذا قال عنه الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وهو مشتق من الحمد، وهو الثناء، وَكَذَلِكَ اسمه محمد ﷺ مشتق من الحمد.

(والآلِ) على قسمين إما أتباعه الذين مَشَوْا على طريقته مُتَّبِعِينَ له، وإما يعني أهل بيته من النسب الهاشمي وسلالتهم (والأَصْحَابِ) جمع صاحب، وهو من أدرك النبي وآمَنَ به، ومات على ذَلِكَ (وَالأَتْبَاعِ) جمع تابع، وهو من مشى على هديه ﷺ مُتَّبِعًا له فيما أمر مجتنبًا ما نهى عنه وحذر. تبقى تِلْكَ الصلوات والتسليمات (دَوَامًا) دائمًا - (دُونَمَا انْقِطَاعِ) أي: موصولة أَبَدَ الآبِدِينَ وإلى يوم الدين.

❁❁❁

٤٢٥- أَبْيَاتُهَا (هبَتْ) لِمَنْ يَهْوَى السُّرَى تَـارِيخُـهَـا (تَـبـلُـغ) بِـالسَّـارِي الـذُّرَى

٤٢٥ ١٤٣٢هـ

عـدد أبياتها (هبـتْ) على طريقة حسـاب الجمل فالهاء خمسـة، والبـاء باثنين والتاء بأربـع مئه. فجملة الأبيات (خمسـة وعشرون وأربع مائة بيـت) . ومعنى (هَبتْ) نهضت لجذب طالبها (لمن) للذي (يهوى) يلتذ (السرى) السير ليلًا. (وتاريخها) أي: الانتهاء مـن شرحها على حسـاب الجمل في حروف (تبلغ) .(فالتـاء) بأربع مئة، (والباء) باثنين ، (واللام) بثلاثين ، (والغين) بألف (والسـاري) الذي يغذُّ السـير ليـلا إلى القمم العالية، بالهمم السامية ، (والقمة) هي الذروة من كل شيء .

على حِسَاب الجُمَّل[1]

الحرف	العدد	الحرف	العدد
أ	١	ع	٧٠
ب	٢	ف	٨٠
ج	٣	ص	٩٠
د	٤	ق	١٠٠
هـ	٥	ر	٢٠٠
و	٦	ش	٣٠٠
ز	٧	ت	٤٠٠
ح	٨	ث	٥٠٠
ط	٩	خ	٦٠٠
ي	١٠	ذ	٧٠٠

(١) «تقريب المنال بشرح تحفة الأطفال» للعلامة حسن حسن دمشقية.

الحرف	العدد	الحرف	العدد
ك	٢٠	ض	٨٠٠
ل	٣٠	ظ	٩٠٠
م	٤٠	غ	١٠٠٠
ن	٥٠		
س	٦٠		

ومجموع الحروف الأبجدية: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

تم ما وعدنا به من هذا الشرح الميسر على المنظومة (رياض الجنّة في عَقِيدة أهل السنة)، وَقَدْ عدلت في أصل المنظومة بما يتطلبه المقام من زيادة، أو نقص، وتعديل ما رأته دار الإفتاء من تصويب صحيح، وإرشاد صريح استفدت منه كثيرًا، وشكرتهم على ما بذلوه من جهد، والحمد الله أن وجد أمثالهم في هذا المعلم العلمي، والمنبر الإرشادي. هذا وَقَدِ انتهيتُ من الشرح والمراجعة منها في الواحدة والربع من مساء يوم السبت الثاني عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٤٣٢هـ، ولكن لم يتيسر لنا إخراجها حسب ما نطمح إليه إلا في بداية عام ١٤٣٥هـ. هذا وأسأل الله أن ينفعني به ووالدي، وكل من ساعدني في إخراجه بأي جهد من أولادي الأساتذة كلاً من: حسن، وسحر، وشذا، ومن بعض طلابي، وكل من اطلع عليه من المسلمين والمسلمات، كما أستغفر الله مما طغى به القلم، وزلت به القدم وما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والإنسان محل الخطأ والنسيان وخير الخطاءين التوابون. كما أرجو من

إخـواني القـراء أن يقيلوا السـقطة ، ويصححوا الغلطة كما فعلـت دار الإفتاء جزاهم الله خيرًا ، وسـأكون شـاكرًا لهم بالجنان واللسـان، بعد شـكر الله تَعَالَىٰ، كما أرجو ممن اطلع عليه الدعاءَ لي ولذوي رحمي، وللمسـلمين والمسـلمات بحسـن التوفيق، وحسن الختام والثبـات على الإيمان حتى الممات ، وسـبحان ربـك رب العِزَّة عما يَصِفُون، وسـلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الفقير إلى الله تَعَالَىٰ/ أحمد بن علي حمود حبيبي

المدرس بالمعهد العلمي في ضمد سابقًا

التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

جازان – ضمد / ص / ب: ٧ ج: ٠٥٠٧٧٧٣٩٠٩

المصادر والمراجع

١- «الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما» المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: (١٣).

٢- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس).

٣- «الأسماء والصفات» للبيهقي المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله ابن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م عدد الأجزاء: ٢.

٤- «الإصابة في تمييز الصحابة» المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ٨.

٥- «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٢.

٦- «الأوائل لابن أبي عاصم» المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك ابن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) المحقق: محمد بن ناصر العجمي الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت عدد الأجزاء: ١.

٧- «البـدر المنـير في تخريـج الأحاديث والأثار الواقعـة في الشرح الكبير»، المؤلـف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٩.

٨- «البعث والنشور» للبيهقي المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م عدد الأجزاء: ١.

٩- «التاريخ الأوسط» (مطبوع خطأ باسم التاريخ الصغير) المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمود إبراهيم زايد الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ - ١٩٧٧ عدد الأجزاء: ٢ × ١.

١٠- «تاريخ دمشق» المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).

١١- «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب» ذلك المؤلف: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م عدد الأجزاء: ١.

١٢- «الترغيب والترهيب من الحديث الشريف» المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ عدد الأجزاء: ٤.

١٣ - «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه» مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ) مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء: ١٢ (١٠ أجزاء ومجلدان فهارس).

١٤ - «تغليق التعليق على صحيح البخاري»، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، لمحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٥.

١٥ - «تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن» المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

١٦ - «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٧ - «التيسير بشرح الجامع الصغير» المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م عدد الأجزاء: ٢

١٨- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري»، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩.

١٩- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ثم صورتها عدة دور منها ١ - دار الكتاب العربي - بيروت ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق) عدد الأجزاء: ١٠.

٢٠- «خلق أفعال العباد»، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.

٢١- «الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة» المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الرياض عدد الأجزاء: ١.

٢٢- «الدعاء للطبراني» المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣ عدد الأجزاء: ١.

٢٣- «الزهد» المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ١.

٢٤- «الزهد والرقائق» لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْـمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْـمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك

ابن واضح الحنظلي، التركي ثم المُرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: ١.

٢٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عدد الأجزاء: ٦ عام النشر: جـ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م جـ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م جـ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٦- «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، أشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) دار النشر: دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١٤.

٢٧- «سنن ابن ماجه» المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: ٢.

٢٨- «سنن أبي داود» المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت عدد الأجزاء: ٤.

٢٩- «سنن أبي داود» المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م عدد الأجزاء: ٧.

٣٠- «سنن الترمذي» المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر:

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٣١- «السنن الكبرى»، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) المحقق: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: (١٠ و٢ فهارس).

٣٢- «سير أعلام النبلاء» المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس).

٣٣- «شرح سنن ابن ماجه - الإعلام بسنته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ» المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) المحقق: كامل عويضة الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٥.

٣٤- «شرح مشكل الآثار» المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ ١٤٩٤ م عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس) .

٣٥- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ ابن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس).

٣٦- «صحيح ابن خزيمة» المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت عدد الأجزاء: ٤.

٣٧- «صحيح الترغيب والترهيب» المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف - الرياض الطبعة: الخامسة عدد الأجزاء: ٣.

٣٨- «صحيح الجامع الصغير وزياداته» المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢.

٣٩- «الصحيح المسند من أسباب النزول» المؤلف: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م عدد الأجزاء: ١.

٤٠- «صفة الجنة لابن أبي الدنيا» المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية عدد الأجزاء: ١.

٤١- «صفوة التفاسير» المؤلف: محمد علي الصابوني الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ١.

٤٢- «الضعفاء الكبير» المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ) المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م عدد الأجزاء: ٤.

٤٣- «ضعيف الترغيب والترهيب» المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف - الرياض عدد الأجزاء: ٢

٤٤- «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

٤٥- «العظمة» المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ) المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ عدد الأجزاء: ٥.

٤٦- «علل الترمذي» الكبير المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي المحقق: صبحي السامرائي، أبو المعاطي النوري، محمود خليل الصعيدي الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ عدد الأجزاء: ١.

٤٧- «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: إرشاد الحق الأثري الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م عدد الأجزاء: ٢

٤٨- «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) المجلدات من الأول، إلى الحادي عشر تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. الناشر: دار طيبة - الرياض. الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. والمجلدات من الثاني عشر، إلى الخامس عشر علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ كتب الحواشي السفلية (عدا مقدمة التحقيق): محمود خليل.

٤٩- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: ١٣.

٥٠- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: ١- محمود بن شعبان بن عبد المقصود. ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ٣- إبراهيم

ابن إسماعيل القاضي. ٤ - السيد عزت المرسي. ٥ - محمد بن عوض المنقوش. ٦ - صلاح ابن سالم المصراتي. ٧ - علاء بن مصطفى بن همام. ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٥١- «فضائل الصحابة» المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: د. وصي الله محمد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ عدد الأجزاء: ٢ .

٥٢- «فيض القدير شرح الجامع الصغير» المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى،١٣٥٦ عدد الأجزاء:٦ مع تعليقات يسيرة لماجد الحموي.

٥٣- «الكامل في ضعفاء الرجال»، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٥٤- «كتاب السنة» (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني) المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م عدد الأجزاء: ٢.

٥٥- «كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع» لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ مـ عدد الأجزاء: ١١ .

٥٦- «الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار» المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ عدد الأجزاء: ٧.

٥٧- «الكلـم الطيـب» المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٩٧٧ عدد الأجزاء: ١.

٥٨- «اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ(التذكرة في الأحاديث المشتهرة)» المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م عدد الأجزاء: ١ .

٥٩- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٦٠- «مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي» المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م. عدد الأجزاء: ١.

٦١- «المستدرك على الصحيحين» المؤلف: أبو عبد الله الحاكم (المتوفى: ٤٠٥ هـ) الناشر: المعرفة - بيروت - لبنان. الطبعة: مصورة عن الطبعة الهندية. عدد الأجزاء: ٤.

٦٢- «مسند أبي داود الطيالسي» المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٤.

٦٣- «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٤- «مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار» المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ابن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، انتهت ٢٠٠٩م) عدد الأجزاء: ١٨.

٦٥- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

٦٦- «المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم»، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٤.

٦٧- «مشكاة المصابيح» المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ عدد الأجزاء: ٣.

٦٨- «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ) المحقق: محمد المنتقى الكشناوي الناشر: دار العربية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ عدد الأجزاء: ٤.

٦٩- «المعجم الأوسط» المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني لناشر: دار الحرمين - القاهرة عدد الأجزاء: ١٠.

٧٠- «المعجم الأوسط»، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

٧١- «المعجم الكبير»، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقًا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

٧٢- «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء: ١.

٧٣- «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) المحقق: محمد عثمان الخشت الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م عدد الأجزاء: ١.

٧٤- «المنتقى من السنن المسندة» المؤلف: أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: عبد الله عمر البارودي الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ عدد الأجزاء: ١

٧٥- «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م عدد الأجزاء: ٤.

٧٦- «الاعتصام للإمام الفقيه» أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي ت٧٩٠هـ تحقيق عبد الرزاق المهدي.

٧٧- «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة العكبري الحنبلي المتوفى ٣٨٧هـ، تحقيق ودراسة/ د. يوسف بن عبد الله الوابلي، دار الراية.

٧٨- «الإيمان» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني -المكتب الإسلامي.

٧٩- «الأدب المفرد» للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ مؤسسة الكتاب الثقافية ط٢.

٨٠- «الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي جمعًا وتخريجًا ودراسة جمال بن أحمد بن بشير بادي، دار الوطن.

٨١- «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية.

٨٢- «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف بيروت.

٨٣- «البدور السافرة في أمور الآخرة» للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي خرج أحاديثه أبو محمد المصري.

٨٤- «التحفة المهدية شرح التدمرية» للشيخ فالح بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨٥- «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨٦- «التدمرية» لابن تيمية تحقيق بن عودة، الطبعة الأولى.

٨٧- «التنبيهات السنية» للعلامة عبد العزيز الرشيد.

٨٨- «الجامع لشعب الإيمان» للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه/ مختار أحمد الندوي، الناشر الدار السلفية بمباي - الهند.

٨٩- «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية» تأليف الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار ابن القيم.

٩٠- «الدر المنثور في التفسير المأثور» للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.

٩١- «الروض الأنف» للإمام أبي القاسم عبد الرحمن المنعمي السهيلي ومعه السيرة النبوية لابن هشام.

٩٢- «الزهد والرقائق» للإمام شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المروزي المتوفى ١٨١هـ بتحقيق وتعليق أحمد فريد غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، دار المعراج الدولية للنشر.

٩٣- «السنة» لابن أبي عاصم في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية.

٩٤- «السنة» للإمام أبي عبد الرحمن بن الإمام أحمد المتوفى ٢١٣هـ -٢٩٠هـ تحقيق د. محمد ابن سعيد سالم القحطاني، دار ابن الجوزي، رسائل جامعية.

٩٥- «السؤال والجواب في آيات الكتاب» للعلامة عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩٦- «الصفات الإلهية» للدكتور محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩٧- «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» لابن قيم الجوزية.

٩٨- «العقيدة الواسطية» تحقيق/ علي الحلبي.

٩٩- «العين والأثر في عقائد أهل الأثر» تأليف عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقي تقي الدين ابن فقيه، تحقيق عصام رواس قلعجي، دار المأمون، ط١.

١٠٠- «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية تحقيق وتعليق/ عبد الحكيم بن محمد عبد الحكيم، المكتبة التوثيقية.

١٠١- «الفرق بين الفرق» تأليف صدر الإسلام الأصولي العالم المتفنن عبد القاهر بن طاهر الاسفراييني التميمي (ت: ٤٢٩هـ)، حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد.

١٠٢- «الفوائد» لابن قيم الجوزية.

١٠٣- «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للرافعي.

١٠٤- «المعجم الوسيط» إشراف عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

١٠٥- «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، دار الباز للنشر والتوزيع.

١٠٦- «أدب الدنيا والدين» تأليف الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ت: ٣٦٤هـ- ٤٥٠هـ، حققه ووضع فهارسه ياسين محمد السواس رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

١٠٧- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.

١٠٨- «أوضح المسالم إلى ألفية ابن مالك» تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت: ٧٦١هـ).

١٠٩- «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي.

١١٠- «تحفة الأخيار» للعلامة الإمام عبد العزيز بن باز.

١١١- «تفسير الأسماء الحسنى» للزجاج.

١١٢- «تفسير الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي.

١١٣- «تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العماري المتوفى سنة ٩٥١هـ دار إحياء التراث العربي.

١١٤- «تقريب المنال بشرح تحفة الأطفال» للعلامة حسن بن حسن دمشقية.

١١٥- «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» تأليف الشيخ/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي.

١١٦- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولد ١٣٠٧هـ وتوفي ١٣٧٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ، تقديم محمد زهير النجار، دار المدني بجدة.

١١٧- «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم» تأليف/ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن الحنبلي البغدادي، دار الفكر.

١١٨- «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام».

١١٩- «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» تأليف محمد مصطفى الخضري.

١٢٠ - «حقيقة لا إله إلا الله» للدكتور/ صالح الفوزان.

١٢١ - «درء تعارض العقل والنقل» تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى ٧٢٨هـ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

١٢٢ - «دلائل النبوة» للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الرصيني، عالم الفكر.

١٢٣ - «ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

١٢٤ - «سيرة ابن هشام» تحقيق/ محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٢٥ - «شرح السنة» للإمام أهل السنة في عصره أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري شرح الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

١٢٦ - «شرح الطحاوية» ط: ٩، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م لابن أبي العز المكتبة الإسلامية.

١٢٧ - «شرح العقيدة الواسطية» للدكتور صالح الفوزان.

١٢٨ - «شرح العقيدة الواسطية» للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢٩ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم» للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، المتوفى ٤١٨هـ تحقيق/ أحمد سعيد بن حمدان الغامدي، دار طيبة.

١٣٠ - «صحيح سنن النسائي باختصار السند صحيح أحاديثه» محمد ناصر الدين الألباني.

١٣١ - «صفة النار» لابن أبي الدنيا.

١٣٢ - «طبقات الحنابلة» تأليف أبو الحسين ابن أبي يعلى بن محمد بن محمد، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار المعرفة بيروت.

١٣٣ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١٣٤ - «عجائب القرآن» لفخر الدين الرازي، دار الكتاب العلمية، بيروت - بيروت.

١٣٥- «عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمد الميمني من علماء القرن السادس الهجري، تحقيق ودراسة محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة العلوم والحكمة.

١٣٦- «عمل اليوم والليلة» تأليف عبد الرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي المتوفى ٣٠٣هـ تحقيق/ د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة بيروت.

١٣٧- «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» لابن تيمية شرح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٨- «فضل الصحابة» للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٩- «كتاب الشريعة» تأليف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق/ د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢.

١٤٠- «كتاب الملل والنحل» تأليف أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني.

١٤١- «كتاب جواب أهل العلم والإيمان» تأليف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، بتحقيق/ عبد العزيز بن فتحي بن سيد ندى أبو عمر الندوي، دار القاسم.

١٤٢- «كرامة الأولياء» للالكائي.

١٤٣- «لسان العرب» للإمام العلامة: ابن منظور ت ٦٣٠هـ-٧١١هـ نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه/ علي سيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

١٤٤- «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للإمام موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، شرح محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤٥- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» تأليف أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر سليمان الهيثمي، تحقيق/ حسام الدين المقدسي، مكتبة القدس - القاهرة.

١٤٦- «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.

١٤٧- «مجموع فتاوى ومقالات منوعة» للعلامة/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤٨- «مجموع مقالات وفتاوى» جمع د. محمد سعيد شويعر.

١٤٩- «مختار الصحاح قاموس جيب» للإمام محمد بن بكر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٥٠- «مختصر صحيح مسلم» للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري الدمشقي، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني.

١٥١- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية (ت:٦٩١هـ-٧٥١)، تحقيق/ محمد حامد فقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٥٢- «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» تأليف أحمد بن أبي بكر إسماعيل بن سليم البوصيري الكناني المصري، تحقيق/ عوض بن حمد الشهري، الناشر الجامعة الإسلامية عمادة البحث العلمي.

١٥٣- «معارج القبول بشرح سلم الأصول إلى علم الأصول» تأليف العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المولود في ١٣٤٢هـ-١٣٧٧هـ رقمه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم.

١٥٤- «مفردات ألفاظ القرآن» تأليف العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ، تحقيق/ صفوان عدنان داووي، دار العلم بدمشق، الدار الشامية بيروت.

١٥٥- مقالات إسلامية.

١٥٦- «مقاييس اللغة» لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الجبل.

١٥٧- «موسوعة فقه القلوب» تأليف محمد إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية.

١٥٨- «نواقض الإسلام» للإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٥٩- «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (صفة الجنة)» للإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١-٧٥١هـ، حققه وعلق عليه/ علي الشريجي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة.

فهرس الموضوعات